محمد جلال كشك

ألا في الفتنة سقطوا..

تحليل
علمي
بالوثائق
للفتنة
الطائفية

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت: ٣٩١١٣٩٧

أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا

لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ
ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ
ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ
كَٰرِهُونَ ٤٨ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩

محمد جلال كشك

ألا في الفتنة سقطوا

تحليل علمي بالوثائق للفتنة الطائفية

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

حقـــوق الطبـــع محفـــوظـــة

الطبعة الأولى رجب ١٤١٢ هـ
يناير ١٩٩٢ م

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

□ هذا الكتـاب ......

عشية افتتاح مؤتمر مدريد أو مبكى العربي الثاني ، وجه رئيس دولة اسرائيل نداء إلى الولايات المتحدة جاء فيه : « أن الخطر في الشرق الأوسط ليس مصدره الصراع العربي ـــ الإسرائيلي بل الخطر على الغرب كله هو أن يضع الإسلاميون الأصوليون يدهم على أسلحة الدمار الشامل » .

ولاشك أن الدول العربية تقوم بجهد نادر في حماية الغرب من هذا الخطر .. ليس فقط في تأييدها نزع أسلحة الدمار من المسلمين وحدهم ، الأصوليين منهم والوصوليين أيضا من باب الاحتياط ، وكذلك بشن حملة إبادة وحشية على كافة الاسلاميين المتطرفين منهم والمسالمين ، إباذة تشمل الساعين منهم لامتلاك قنبلة ذرية اسلامية أسوة بالقنبلة المسيحية واليهودية والمجوسية ... أو المكتفين منهم بزبيبة الصلاة .

وقد اكتشف الخبراء وأوصوا العملاء بأن الهجوم على الاسلام وتهديم تعاليمه وتشويه تاريخه هي أقصر السبل لإزالة مخاوف رئيس اسرائيل ، ومن ثم نشط في بلادنا من احترفوا التهجم على الاسلام والطعن فيه وتصيد الغرائب والسخرية من تاريخه وثقافته ، تحقيقا لسلامة الغرب واسرائيل ، لأن مصر هي الصخرة التي تعترض الإمبراطورية الاسرائيلية . ومصر لا تقوى على مواجهة اسرائيل بغير دور

عالمي يجمع حولها مؤيدين كما تجمع الصهيونية أو اليهودية التأييد العالمي لإسرائيل . وليس لمصر من دور عالمي إلا الاسلام .. فمصر لا تساوي شيئا بدون الاسلام ، والذين يريدون الغاء دورها الاسلامي إنما يقصون أجنحتها ويشلون قدرتها على الحركة ويقصفون دورها .. خذ مثلا موقفنا من الجزائر أو السودان .

في الجزائر تيارات عديدة منها : الأقلية المتفرنسة وهي بالطبع ما بين ماركسية وعلمانية وصليبية ، وهذه تكره العروبة والاسلام ، وهي رغم قلة عددها تسيطر على الحكم منذ الاستقلال وكانت تحكم بالحديد والنار في ظل نظام الحزب الواحد والرئيس الواحد والاقتصاد الواحد والفساد المطلق .. وهذه الطبقة لا يمكن أن تحب مصر ولا أن تقبل بزعامتها فلسنا قيادة لا في الماركسية ولا في العلمانية .. .

وهناك الجماعات غير العربية مثل البربر وهؤلاء تتنازعهم تيارات عديدة ، لكن أقوى تيار يحركهم هو الاسلام ، وهو الذي جمعهم مع العرب الجزائريين ضد فرنسا وجعلهم يقاومون كل إغراءات فرنسا والحضارة الغربية التي تمثلها فرنسا ، ما الذي يمكن أن يجذب هؤلاء إلى مصر إلا الاسلام والأزهر ودفاع مصر عن المسلمين والمسلمات في فرنسا وبلغاريا .. الخ .؟

ثم هناك التيار الاسلامي الزاحف بين الجماهير والذي ينتشر بين كل فئات الشعب الجزائري من عرب وبربر والذي يعبر فعلا وبكل الحقائق المتاحة عن إرادة الجماهير ، هذا التيار الذي أجبر طغاة جبهة التحرير على اقرار قانون التعريب المعطل من ثلاثين سنة والتشدق بالديمقراطية والتعددية ، وهم الذين هتكوا عرض الديمقراطية ثلاثين سنة حتى أفاقوا على صيحات الشارع الاسلامي المطالب الأوحد بالديمقراطية مهما تهتك اسلاميو المباحث في اتهامهم .

هذا التيار الاسلامي بزعامة جبهة الإنقاذ هو الذي كشف ارتباط الحاكمين الجزائريين وعملائهم في صحافة العالم العربي ، ارتباطهم الصريح مع الصليبية

والاستعمارية الفرنسية التي استأجرتهم لضرب الحركة الاسلامية هناك ودفعت لهم الأجر علناً ..

هذا التيار هو أمل مصر الوحيد في كسب الجزائر وقبول الجزائريين السنة زعامة مصر وأزهرها .. فإذا أرسلنا في هذا الوقت بالذات سفيراً رافضا للإسلام لا يترك صحيفة إلا ويهاجم فيها الاسلاميين ، مكانه الطبيعي بين تلك النخبة المستغربة التي تحتقر مصر ولا تتكلم العربية ، وهو بنشاطه وتصريحاته بارع في كسب عداء التيار الاسلامي ..

هل نستغرب أن تكون الجزائر ضدنا وتخسر مصر سندا وقوة في مواجهتها لإسرائيل ؟ ! .. .

الحق أن هذا ما كنت قد كتبته يوم كنت أقبل وصفه لنفسه بالعلمانية إلى أن أدهشنا خلال أفراحهم بمؤتمر مدريد بتوجيه دعوة لليهود لاعتناق المسيحية لأنها كما قال : « **الموقف المسيحي هو الموقف السليم الوحيد اليوم**(*) » .

نحن لا نعترض أبدا أن يكون سفير مصر مسيحيا وكان وزير خارجيتنا مسيحيا ، ويمكن أن يحضر مؤتمرات اسلامية ممثلا للدولة . ولكننا لا نتصور سفيرا لمصر في الجزائر يحمل اسما اسلاميا يقول للجزائريين : « الموقف المسيحي هو الموقف السليم الوحيد اليوم » . حتى ولو زعم أنه على لسان « باسترناك » لأن تعليقه وسياق المقال يؤكد موافقته على هذه المقولة .

هل نستغرب إذا أصبح السودان كله ضد مصر ، فنحن لا يمكن أن نكسب الشيوعيين ولا العلمانيين ولا جنود المبشرين الذين يعملون على تنصير السودان ... فما الذي يبقى لنا إلا جماهير السودان المسلمة وكيف نكسبها وصحافتنا تعتبر القتال ضد الاسلام في السودان معركتها الخاصة !؟

إن عناصر مأجورة عن وعي وعناصر تحركها أحقاد رخيصة ، وعناصر تتبع كل ناعق تسيطر على اعلامنا وتجنده لمحاربة الاسلاميين في مشارق الأرض

(*) الأهالي ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ .

ومغاربها غير محققة من هدف إلا إزالة دور مصر الاسلامي وإلغاء زعامتها للعالم الاسلامي ، وعزلها عن المسلمين .. لمصلحة من ؟ ! .. هذا هو السؤال الذي نعرف جوابه جيداً .

وهذه العناصر تستغل عنصرين .. أعمال التطرف التي تقوم بها جماعات مشبوهة لا نستبعد أن تكون تحت سيطرة عناصر غير اسلامية ، خاصة وان كل عملياتها سيئة السمعة سيئة النتائج ، لم توجه قط ضد عنصر أو جهة معادية فعلا للإسلام ! أليست أول عملياتها ذبح بشع لشيخ مسلم ثم اغتيال أول حاكم لمصر منذ محمد علي يقول إنه : « رئيس مسلم لدولة اسلامية .. » وكيف يكون اغتياله عملا اسلاميا إذا كان البعض يعتبره معجزة لا اسلامية ! .

نحن لا يخامرنا شك في وجود أكثر من يد معادية للاسلام تحرك هذا الذي يسمونه النشاط المتطرف للإسلاميين وبالذات الجانب الإرهابي منه . ولكن هذا لا يعفي الاسلاميين من المسئولية إذ يجب إعلان الرأي صريحا في استنكار عمليات الإرهاب على الاطلاق . وقد كتبت مرة أنه لم تقع جريمة اغتيال واحدة من قبل المسلمين في مكة قبل أن تعلن الدولة الاسلامية في المدينة وأنه ما لم تقم الدولة لا يحق لأحد أبدا ممارسة الاغتيالات الفردية ، التي تباح في إطار المواجهة المسلحة من جانب الدولة المسلمة . أما قبل ذلك فهو انتحار على المستوى التنظيمي ، وجريمة في حق الدعوة . وضربنا الأمثال برفض خبيب أن يقتل الصبي الذي أرسلته أمه إليه بسكين وهم يعدون العدة لذبح خبيب ، وكان المسلمون يعذبون والنبي — بأبي وأمي — يعتدى عليه ، وما كان أسهل أن يأمر النبي باغتيال أئمة الكفر في مكة ولكنه لم يفعل .. إلخ ولا أريد أن أطيل لأن تبذل فقهاء السلطان يجعلنا نتحرج من هذا الضرب من النصح . وكيف ننصح أو نحاور جماعة تقتل رميا بالرصاص بلا إنذار وتسلط عليها أحط وسائل الإعلام لتشويه حتى حياتها الخاصة (انظر ما تكتبه أمينة سعيد عن عضو تنظيمات اسلامية وماذا يطلب من زوجته أن تفعل لحظة القذف فيها .. أي والله هذا يكتب في صحافتنا وعلى لسان من ؟ أمينة السعيد .. نعم أمينة السعيد !! ثم يدعونهم للحوار !)

على أية حال ليس هذا حديثنا في هذا الكتاب وإنما نتحدث عن العنصر الثاني الذي يعتمد عليه أعداء دور مصر الاسلامي ، وهو استغلال الأقليات أو ما عرف في أعلامنا بالفتنة الطائفية .

والفتنة الطائفية حقيقة وخطيرة بل تكاد تكون القضية الرئيسية التي تواجه مصر حاليا والموقف منها يختلف بين الحريصيين على مصر وبين المتعمدين تقزيم مصر وشلها وشغلها عن القيام بمسئوليتها التاريخية في الدفاع عن المنطقة .

ففي مناقشة سرعان ما وئدت في صحيفة الأهالي استطعت أن أرغم أحدهم على الاعتراف بأنه يروج أن تاريخ مصر مشوه دائماً وأبدا بالفتن الطائفية وأنه منذ التقى المسلمون والاقباط على أرض النيل ولا تعايش بينهما بل اضطهاد دائم من جانب المسلمين للاقباط ..

أما نحن فنرى ونبشر أن الأساس في العلاقة الاسلامية القبطية هو التعايش والتآخي لهذه الأسباب :

مصر لم تكن دولة مستقلة مثل فارس أزال العرب استقلالها ، بل فقدت استقلالها قبل العرب بما يقرب من سبعة قرون وفقدت تميزها الحضاري قبل ذلك بعدة قرون بالغزو الفارسي الذي خلصها منه الغزو اليوناني ثم كان الغزو الروماني .. ومن ثم لم يكن ثمة ثأر وطني ولا هزيمة قومية في الفتح العربي بل كان على العكس تحريراً للمصريين .

الاقباط لم يكونوا مجرد خاضعين لحكم أجنبي وقت الفتح العربي ، ولا حتى مجرد مستعمرة للامبراطورية البيزنطية ، بل كانوا في ثورة ضد هذا الحكم ، ويتعرضون لعملية إبادة حقيقية سجلها عصر الشهداء وأصبحت المذابح التي قتل فيها الاقباط على يد هذه الحكومة الأجنبية هي بداية التاريخ القبطي ، ورغم مقاومة الاقباط الباسلة والتي لم يسبق لها مثيل إلا أيام الحرب ضد الهكسوس ، إلا أن تفوق الامبراطورية البيزنطية ومن قبلها الرومانية جعل حصة الاقباط من المعركة

هي الاستشهاد تحت ضرب السياط وأبشع ما تفتق عنه العقل من وسائل التعذيب والقتل وقد قتلوا شقيق البطريرك القبطي بإسالة شحمه بالشموع المشتعلة ثم وضعوه في جوال مثقوب وأنزلوه في البحر عدة مرات يطلبون منه الرجوع عن دينه فلم يفعل . ولم يأت العرب إلا وقد وصل اضطهاد الاقباط إلى مستوى لم تعرفه أمة ربما إلى يومنا هذا . واستحال على رئيس الكنيسة المصرية وممثل الشعب المصري الوجود العلني فاختفى عشر سنوات في الكهوف والمغارات والأديرة البعيدة عن رقابة سلطة الاحتلال . وتتفق رواية ألد المؤرخين عداوة للإسلام على أنه لو لم يقع الفتح العربي لأبيد الاقباط بإبادة كنيستهم وفتنهم عن دينهم . .

في هذه الظروف جاء العرب .. وما كان يمكن أن يصنفوا من قبل المصريين إلا محررين ، نعمة أرسلها الله لإنقاذ المصريين والانتقام لهم من عدوهم الذي أذلهم وقهرهم وفتنهم عن دينهم . بل واعتبر وصولهم معجزة أثبتت صحة دينهم . وتعددت الروايات عن الرؤيا التي رآها البطريرك الهارب وكبار الصالحين من الاقباط عن الخلاص القادم ، وهذه الروايات اثبتت في التاريخ القبطي الذي كتب بعد سنوات أو قرون ولو كان المسلمون اساءوا معاملة الاقباط بعد الفتح أو بعد استقرار الدولة بمئات السنين لما اهتم أحد بإثبات معجزة الخلاص الذي حمله المسلمون ..

ثم هناك دليل لا سبيل لدحضه وهو الأمن الذي ساد بعد الفتح فقد استطاع أربعة آلاف زادوا إلى ثمانية آلاف أن يفرضوا الأمن والاستقرار في بلد يصل تعداده في روايات طائفية معادية للإسلام والمسلمين إلى خمسة وثلاثين مليونا .. بل ما كاد يمر على الفتح أقل من عشرين سنة حتى كان هؤلاء الفاتحون يخوضون حربا دموية ضد بعضهم البعض في فتنة عثمان ثم علي ومعاوية ومع ذلك لم تقع ثورة ولا انقض عليهم أهل البلد فإما أن نتهم الاقباط بأنهم قد انعدمت منهم الرجولة والحس والوطنية بحيث كانت شرذمة متقاتلة فيما بينها تفرض هيبتها عليهم ، أو أن نعترف بأن هذا الشعب الذي كان يخوض مقاومة دموية ضد الامبراطور المسيحي قبل سنوات قد وجد الخلاص والعدل بل أهم من ذلك استشعر عودة الحكم الوطني في دولة العرب بحيث أصبح أحرص على استمرارها في مصر من

العرب أنفسهم .. وهذا هو التفسير الوحيد لهدوء الاحوال الى عهد المأمون .والثابت أن الثورة التى قامت في عهد المأمون اشترك فيها المصريون الاقباط والمسلمون معا .. ثم سرعان ما استقلت مصر وأصبحت قاعدة دولة عظمى منذ ابن طولون .. وأصبح الوزراء من المسيحيين في بلاط الخليفة في أول دولة دينية في الاسلام ! .

فالفتح العربي حرر المصريين وأعاد استقلال مصر بعد أقل من مائتي سنة وكان قد غاب سبعة قرون على الاقل ، هذا لو اعتبرنا مصر مستقلة في عهد البطالمة وان كانت ثقافتها أجنبية وحكامها من دم أجنبي ..

وقد أشرت في غيرها هذا المكان من الكتاب إلى وجود عناصر عرقية ولغوية وجيوبوليتيكية جعلت الفتح العربي عملية توحيد ودمج وليست فتحا ولا استعمارا ، لقد أصبحت مصر عربية إسلامية ، وأصبحت هذه حقيقة واقعية وتاريخية وحضارية ولم يحدث قط أن قامت فيها حركة وطنية ضد العروبة والاسلام . وانتصرت اللغة العربية دون أن يحس أحد ودون أن يتعمد ذلك أو يأسف عليه أحد إلا في زمان الفتنة هذا .. .

ويقف مؤرخو الفتنة عاجزون في تفسير دخول الاقباط في الاسلام وهم الذين كانوا يحرقون بالنار لكي يتحولوا من مذهب مسيحي لآخر فيختارون الموت ولا يتزحزحون عن دينهم .. ويحاول تجار الفتنة أن يجدوا سببا لتفسير هذه الظاهرة فيسقط في أيديهم وأيدي شياطينهم الأمريكان والصهاينة .. إذ لا تفسير إلا ما قاله مرغما مؤلف كتاب فتح العرب لمصر أو ما قال نصفه كارها وهو أن الاقباط فقدوا الثقة في الدين الذي يجمعهم ولو مع اختلاف المذهب مع لصوص وطغاة روما وبيزنطة ووجدوا في الاسلام ليس فقط دين التسامح والتعاطف والاعتراف بحقوق الإنسان بل وجدوا فيه المسيحية الحقة التي بشر بها المسيح والحواريون من أصحابه ، ومن ثم لم يحسوا أنهم يخونون المسيح باعتناقهم الاسلام وهكذا لا

أكرهوا ولا كرهوا . وكانت أية مقارنة بين مسلكية المسلمين وحكومتهم وما عرفوه وعانوه من البيزنطيين والرومان المسيحيين ، تنتهي لصالح الاسلام .

وما عدا ذلك فهو زيف وبهتان فالذي لا يقوى على دفع الجزية كان يستطيع تفاديها بالرهبنة أو تسددها عنه الكنيسة أو أغنياء القبط . ومن العار أن يقال أن أمة غيرت دينها بدينارين ! خاصة وأن تجار الفتنة نقبوا حتى انتزعوا جلد التاريخ فلم يجدوا حالة يمكن اتهام السلطة.فيها بإكراه الاقباط على اعتناق الاسلام كما فعلت السلطة المسيحية بالمسلمين في أسبانيا القرن الخامس عشر وبلغاريا القرن العشرين أو ما فعله المسيحيون الرومان والبيزنطيون بأقباط مصر .. .

من هنا لا نرى أي أساس ديني أو تاريخي أو عنصري يمنع إتحاد عنصري الأمة المصرية واندماجهما مع احتفاظ كل بدينه .

من هنا نرى أن الفتنة هي الطارىء الذي لا مبرر له ، وانها من فعل القوى الأجنبية ومن الممكن معالجتها :

* بكشف التزييف والدس والتآمر الذي يلعبه العنصر الأجنبي .
* بزيادة استقلال القرار المصري .
* بسد منافذ الفتنة من خلال تمحيص المطالب والشكاوي المطروحة ، فضح الزائف منها وتبني الحقيقي ..

وهذا ما يستهدفه هذا الكتاب الذي يعد ثالث كتبي في حديث الفتنة .. الأول « مصريون لا طوائف سنة ١٩٥٠ » والثاني « خواطر مسلم عن الأقليات ١٩٨٥ » .

والله الموفق

محمد جلال كشك

نوفمبر ١٩٩١

□ مدخل .....

أظن أن رصيدي في الوحدة الوطنية يفوق أي كاتب مصري معاصر بما يسمح لي أن أتكلم بغير غمغمة ولا تقية ، وهذا ما فعلته على أية حال ؛ عندما كتبت في الوحدة الوطنية منذ أربعين سنة .. نعم ! لقد تصديت لقضية الوحدة الوطنية قبل أربعين سنة وأصدرت أول وآخر كتاب يحمل هذا العنوان الذي يغني عن التعليق .. « **مصريون لا طوائف** » .. لقد كان شعارا وموقفا قبل أن يكون كتابا — ولعل الوقت ليس متأخرا جدا لأوجه الشكر للرفاق الأقباط من شباب ملوي حيث كنت أقيم هناك أمثل الحزب الشيوعي المصري (تنظيم الراية ..) وما زلت أذكر منهم سمير بقطر ، وأتمنى أن أراهم ، فقد كانوا السبب خلف إقدامي على تأليف ذلك الكتاب — الذي كان بالمناسبة أول مؤلفاتي — بعدما لمسته من تدهور غريب في العلاقات المسلمة — المسيحية ، رغم أنهم كانوا جميعا من الطلبة ، أي الطليعة المثقفة ، وأكثر من ذلك كانوا شيوعيين يفترض فيهم عدم الإيمان بالأديان .. فضلا عن التعصب بسببها — أو هكذا كنت أفكر وقتها — حتى تعلمت أن التعصب لا علاقة له بالتدين ، بل أحيانا ، إن لم أقل غالبا ، ما يكون التعصب أشد بين غير المتدينين . وها هو لبنان أقل بلاد العالم تدينا وأكثرها تعصبا ! وأذكر بهذه المناسبة أنني أبديت دهشتي من ظاهرة كونهم جميعا من المسيحيين — أقصد خلايا

الشيوعيين في ملوي ــ فرد سمير بقطر ــ وكان أصغرهم سنا وأطيبنا قلبا ــ '' أصل المسلمين كلهم جواسيس '' .. قلت لو صح هذا يبقى نهار أبونا أسود يا خال ! لأن أغلبية هذا الشعب من المسلمين لسوء الحظ .. !!

وربما كان من عوامل حبي لسمير بقطر أنه سليل جرجس بقطر ، وقد روى الدكتور قلادة حكاية جرجس بقطر في كتابه القيم « المسيحية والاسلام على أرض مصر » نقلا عن مقال تادرس شنودة المنقبادي « ماذا رأيت في الثورة العرابية » الذي جاء فيه : '' كان عرابي حامي الديار مارا ذات يوم في خط النار بجهة كفر الدوار فاستوقف نظره شيخ هَرِمٌ قد حنت الأيام ظهره .. فاستدعاه إليه وقال له : يا أبت أنا أرى شيبك لا يسمح بوجودك بين صفوف المقاتلين فلك أن تستريح كما تشاء . قال له الرجل : كيف تحرمني من أن أجود بدمي فدية عن بلادي من المغيرين عليها ، وأنا وإن كان أولادي الثلاثة هنا أيضا في ميدان القتال ولكني أود أن أشترك معهم ، فقبله عرابي وسأله عن اسمه فقال جرجس بقطر من أهالي مركز ملوي بالمنيا.. '' (*) .

تأمل كيف كنا قبل الاحتلال البريطاني في عهد البكوات ، وكيف أصبحنا بفعل الاستعمار والاغوات ..

واسترجع كلمات العزيز سمير اليوم وأنا أرى محاولات البعض إحداث ثورة في الخليج من خلال الاعتماد على الشيعة وحدهم ، بل المحاولات الأعجب وهي إحداث هذه الثورة في مصر من خلال زرع المذهب الشيعي .. ذلك أن من يريد إحداث ثورة حقيقية وليس فتنة لابد أن يركز على الأغلبية .

وعندما كتبت منذ أربعين سنة كان منهجي هو المصارحة التامة ، عن اقتناع بأن قضية الوحدة الوطنية أو الفتنة هي من القضايا التي لابد أن تعالج بكل صراحة

(*) ص ٢٣٥ من كتاب الأستاذ وليم قلادة عن المجلة الجديدة ، مارس ١٩٣٠ ، ص ٦١٢ ــ ٦١٣ .

وبكل وضوح وبلا نفاق أو مواراة أو حياء أو خوف .. لأننا إن لم نفعل فلن تثمر جهودنا إلا شرا يفوق ما حاولنا معالجته .. وإذا اقتحمنا هذا الموضوع ونحن نسلم مقدما بوجود جوانب يحظر الحديث فيها .. فلا أمل في حل حقيقي ، بل الأفضل الامتناع عن الحديث كلية ، والتخلي عن أي إدعاء ، أو تصد لحل القضية . ففي القضايا الحساسة والمصيرية مثل قضايا الفتنة والوحدة الوطنية ، يصبح شر الحلول هو الحل التوفيقي ، واسوأ معالجة هي التي تحوم حول الظاهرة من الخارج أو تحاول اقتحامها على استحياء والتسليم مقدما بأن المشكلة أكبر من الحل المسموح به !! .. لنتذكر دائما أنه لحل القضايا الشديدة الحساسية يجب أن نفكر وأن نتحاور بلا حساسية .. لأننا إن تعفف المخلصون عن كشف ما في قلوبهم ، فإن الفتانين لا يتورعون عن ملء الفراغ بأكاذيبهم .

وقد ناقشت وقتها كل ما كان الناس يتهامسون به ويتحرجون من نشره ، وإن كنت طبعا لم أصل لجذور المشكلة ولا أمكنني وقتها أن أطرح الحل الجذري .

وربما كان السبب هو صغر سني ونقص خبراتي ، وربما أهم من ذلك كله ، إنني كنت أسير الفكر الماركسي الذي لا يرى حلا إلا إلغاء الأديان .. ورغم ذلك فقد وقع كتابي وقتها موقعا طيبا لدى الأقباط ، حتى قال أبونا القمص سرجيوس ، بطل الوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩ ، قولا اعتز به وهو : « ما دام قد ظهر مسلم يدافع عنا هكذا فقد حق لي أن أصمت .. وكان رحمة الله عليه قد تحول من رمز للوحدة إلى ما يمكن وصفه بالكتابة الطائفية تحت تأثير عوامل عديدة شرحت بعضها في كتابي ذلك الذي أصدرته ولم أكمل سن الرشد القانوني .. (ويمكن القول الآن أن سرجيوس بسبب موقفه من قيادة الكنيسة ، كان مضطرا للمزايدة عليها لكسب تأييد العامة والمتطرفين . وقد تصدى للرد عليَّ وقتها الشيخ محمد الغزالي ضمن كتابه : '' من هنا نعلم ''..) .

ولكن الكتاب اختفى وأغفله المؤرخون للوحدة الوطنية ، لعدة أسباب .. منها

أنه كما أثار عليّ غضب المتطرفين المسلمين وقتها لأنني دافعت عن حقوق الأقليات ، فإن بعض هؤلاء عندما أعجبوا بعد ذلك بكتاباتي الاسلامية '' غفروا '' لي هذا الكتاب '' المنحرف '' وتناسوه إكراما لي !!

كذلك غضب عليّ المتطرفون من الأقليات بسبب دعوتي للحل الاسلامي بمفهوم الاسلام الحضاري .. وانسحب غضبهم ـــ كما هي العادة ـــ على مؤلفاتي بأثر رجعي فشمل هذا الكتاب الذي لا يكاد يوجد مسيحي مثقف فوق الخمسين لم يقرأه ولكن لا أحد يذكره بحرف .. على أية حال فأنا أزعم أنني أول من كتب في قضية وحدتنا الوطنية من المصريين ؛ المسلمين والأقباط ، الباقين على قيد الحياة . .

وبعد مرور أكثر من عشرين سنة وجدتني أعود إلى قضية الأقليات أو الوحدة الوطنية في عدة دراسات منها كتابي : '' ودخلت الخيل الأزهر '' ١٩٧١ الذي نفيت فيه الشبهات التي حاولت المدرسة الاستعمارية ، وممثلها '' د. لويس عوض '' إثارتها حول موقف المواطنين الاقباط من الاحتلال الفرنسي .. ثم طرحت قضية '' الاسلام الحضاري '' .. وهي الفكرة التي « اقتبسها » بعضهم وتبناها البعض واختلسها آخرون ولكن بلا فهم وبلا اقتناع حقيقي .. ومن ثم فالعجز حتمي عن التفاعل مع الفكرة واستكمال حتمياتها .. بل ما حدث هو التخبط في تطبيقها .. وهي في اعتقادي جوهر العمل السياسي ، ومحور الوحدة الوطنية إذا ما استطعنا فهم أبعادها ، وإذا كنت أول من طرحهما مجدداً في العصر الحديث ، فهي ليست من اختراعي ، وإن كنت أنا أيضا الذي اكتشف جذورها في فكر ومسلكية استاذ الأساتذة جمال الدين الأفغاني . بل وقلت إن سر حقدهم عليه ، هو هذا المفهوم .. أعني الاسلام الحضاري الذي يضم المسلم والملحد والمسيحي واليهودي .. إذا ما انتموا وأخلصوا للهوية الاسلامية التي تميز وتفرز المصري .

والحقيقة التاريخية التي نعتز بها أنه كان قبطياً ذلك الذي صاغ فكرة الإسلام

الحضاري في أوضح صيغة ألا وهي قولة وليم مكرم عبيد الخالدة : « أنا مسلم وطنا نصراني دينا » : وكل ما نحاول تدبيجه يقصر عن التعبير عما تتضمنه هذه العبارة الجامعة المانعة لواحد من بلغاء العربية ورموز الوطنية المصرية .

وقد تبنت القوى المسيحية الوطنية في لبنان مفهوم مكرم عبيد ، فيقول كاتب لبناني :

« ولاشك أن المسيحيين العرب اليوم ، هم من أولئك الناس الذين يتمون إلى حضارة الإسلام ، دون أن ينتموا إلى الإسلام دينا . » « فالمسيحي العربي يحمل في وجدانه هذا الرصيد الحضاري الذي يشترك فيه مع المسلم منذ قامت الدولة العربية الإسلامية حتى الآن .. وليس أدل على ذلك من أن جميع الذين عملوا لتعميق الخلافات بغية تسعير الاختلافات ، لم يقتصر عملهم على الصعيد الديني ، بل ابتكروا مسألة « اللغة العامية » والحرف اللاتيني ليفصلوا المسيحيين العرب عن الحضارة العربية في الصعيد اللغوي . وإن من السذاجة أن نعتقد ، أن الغرب إنما يسعى إلى إلغاء الإسلام ، حتى تتحقق وحدة المسلمين والمسيحيين العرب . » .

« رفض اللغة الفصحى والسعي إلى إحياء العامية واعتماد اللغات الأوروبية في آن .. إن التمسك بالعامية تعبيرا عن عصبية محلية حادة ، والترويج لاستخدام اللغة الفرنسية مثلا ، تعبيرا عن انفتاح حضاري عالمي إنساني قد يبدوان متناقضين إلا أنهما منطقيان جدا في إطار مساعي الغرب إلى تفكيك ملامح الحضارة العربية الموحدة بالفتح والكسر وصولا إلى دولة الالتحاق بالغرب »[*] .

وقد ورد في جريدة الأهالي هذا الحوار مع الباب شنودة :

* ما رأي قداستكم في وصف المسيحيين في مصر — من باب توحيد الأمة بأنهم « مسلمون وطناً ، ومسيحيون ديناً » ؟

(*) '' من يحمي المسيحيين العرب '' تأليف « فيكتور سحاب ، الناشر دار الوحدة — بيروت ١٩٨١ عن مقال نشر في النهار في مايو ١٩٨١ » .

ـــ : في الحقيقة كلمة « مسلمون » تعني ديناً معيناً ، وليس وطنا ، بدليل أنه يوجد مسلمون في أوطان (أخرى) ، وكل واحد منهم له وطنيته الخاصة وقوميته الخاصة . رغم الاتحاد في دين واحد . بالنسبة للمسيحيين هنا يمكن القول « مصريون وطناً ومسيحيون ديناً » و « مصريون وطناً ومسلمون ديناً » .

الأهالي : مكرم عبيد هو الذي طرح الشعار ؟

ـــ : لكنه تعبير غير دقيق »(*) .

كذلك طرحت أنا قضية خلو الفقه الاسلامي من الإجابات التي يثيرها وجود الأقليات الاسلامية في بلد لا يحكمه المسلمون .. نعم أنا أول من طرح هذه القضية وأول من دعا علماءنا إلى الاجتهاد فيها مسترشدين بتراث المسلمين في الفترة المكية وفي الحبشة .. إلخ وقد بادر بعضهم لاختلاس الفكرة فوقفوا حيث انتهيت أنا .. فقد دعوت إلى فتح باب الاجتهاد في هذا الأمر ، أعني خضـوع المسلم للدولة غير المسلمة . فعلكوها وردوها ثم لم يجتهدوا حرفا .. وكنت قد قلت بانتهاء الجزية بالنسبة لأبناء الوطن استنادا لمفهوم المواطنة في ظل الإسلام الحضاري .

ذلك أن الجزية ، كما اتفق الفقهاء ، وكما فهمها الذين دفعوا الجزية والذين أخذوها ، كانت مقابل إعفاء غير المسلمين من القتال مع المسلمين . لأنه لم يكن من المعقول ولا من الرحمة مطالبة الأهالي الذين فتحت بلادهم ، بالمقاتلة مع السلطة الاسلامية ، ضد الدولة التي كانوا يعملون لحسابها أو يقاتلون دفاعا عنها ، أو التي استذلتهم وزرعت فيهم الخوف وألغت من تفكيرهم وحسهم الرغبة أو القدرة على مقاومة سادتهم بالأمس .. ومن ثم كانت الجزية هي حصتهم في نفقات الدفاع عنهم وعن أوطانهم ، تلك المسئولية التي تكفلت بها السلطة الاسلامية الجديدة[1] . دون أن ينتقص ذلك من مواطنيتهم أو حقوقهم .

هذا ما فهمه الذين قبضوا الجزية وما عبرت عنه الحادثة المشهورة عندما قرر

(*) عن الأهالي ١٧/ ١/ ١٩٩٠ .

خالد بن الوليد الانسحاب من شمال سوريا للضرورة العسكرية فقد قام برد الجزية لأهل سوريا لأنه تخلى ، أو أصبح عاجزا عن حمايتهم .. وقد أثبتت كتب التاريخ حادثة من الجانب الآخر ، فعندما تمكن منويل القائد البيزنطي من إعادة احتلال الإسكندرية .. وارتأى عمرو بن العاص — عن حق — جر الجيش الرومي إلى سهول الدلتا بعيدا عن دعم السيطرة البيزنطية على البحر ، وسقط الروم في الشرك فزحفوا في الدلتا بعيدا واحتلوا عدة قرى ونكلوا بأهلها ونهبوا أموالهم كعادة الروم مع أقباط مصر .. ثم هزمهم عمرو وحرر شمال مصر مرة أخرى .. عندها جاء القبط من أهل هذه القرى وشكوا لعمرو « ما حل ببلادهم من النهب الشنيع على يد جند الروم » وقالوا قد كنا على صلحنا موالين للعرب وما حل لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك وقد أصابنا من وراء ذلك ما أصابنا ، '' وطالبوا عمرو بتعويضهم عما أصابهم من الخسائر ووافق عمرو على هذه المسئولية « فألزم نفسه صراحة بأن يعوضهم عما لحق بهم فكان هذا إقرارا صريحا من عمرو بما عليه من فرض واجب » . وقد استنتج الفريد بتلر أو علق بأن هذا دليل ما كان عليه عمرو من حسن الرأي في الحكم ، وما كان متصفا به من نبيل الشيم »[٢] . ولكن القضية أعمق من مدح عمرو وهو أهل لكل المدح طبعا .. إنما هو الفهم المتبادل لمصدر الشرعية في دفع الاقباط الجزية ، وهو تولي المسلمين أو الدولة الدفاع عن وطنهم ، حمايتهم .. حماية ممتلكاتهم وأرواحهم من العدوان الخارجي ..

والدليل أيضا أن الجزية فرضت على المسلمين عندما أعفوا من الدفاع عن الوطن في ظل الدولة العثمانية التي كان لها سياسة عسكرية خاصة وجاءت بعد تطورات أبعدت أهل البلاد عن الجندية ، عندها فرضت الجزية على المسلمين وبنفس الاسم ، وكان ولاة مصر يدفعونها ولا يرون ذلة ولا اضطهادا في ذلك . وأخيرا فقد جاء مرسوم إلغاء الجزية في مصر في عام ١٨٥٥ مقترنا بفرض التجنيد على المسيحيين[٣] .

ومن ثم باطل كل محاولة لجعل الجزية رمزا لانحطاط القبطي أو اضطهاده ،

أو ادعاء أنها تقسم المواطنين إلى مواطن من الدرجة الأولى ومواطن من الدرجة الثانية .. خطأ وشعوذة من الذي ينادي بها باسم عزة الإسلام ، وخطأ وشعوذة من الذي يطالب بإلغائها بحجة أنها فرضت لإذلال غير المسلم . ويجب أن نميز بين الجزية التي يدفعها المقاتل عن يد وهو صاغر لأنه قاتل وأراق دم المسلمين ، ويجب أن يكون استسلامه مقترنا بالخضوع لإعلان الهزيمة ، والقضاء على روح المقاومة ، على الأقل مثل اشتراط فرنسا وألمانيا في القرن العشرين عربة سكة حديد بعينها لتوقيع التسليم . وتعمد قائد جيش الاحتلال الأمريكي أن يستقبل امبراطور اليابان بالشورت .. يجب أن نفرق بين هذا الشرط المفهوم وبين دفع المواطن غير المسلم للجزية كضريبة دفاع ، وما أوردناه عن رد الجزية للشوام أو تعويض الأقباط عن خسائرهم بسبب انسحاب جيش الدولة المسلمة ، هذه الوقائع تنفي شبهة الذلة أو التشفي أو المعاني التي أضافتها عصور التخلف والتعصب في كتابات الطرفين . فهناك جزية الخضوع والقهر ، وتلك تفرض على المحاربين ، مثل التي كانت تدفعها امبراطورة الروم ، وهناك جزية المواطنة المرتبطة بمبدأ الذمة ، وهذه كانت نقلة حاسمة في تاريخ البشرية ، إذ كانت أول اعتراف بالمواطنة مع اختلاف الأديان ، إمكانية أن تكون الرعية على غير دين ملوكها .. قبول الدولة والمجتمع إمكانية الولاء مع اختلاف الأديان .

ونقل عن برنارد لويس قوله '' نجح الإسلام التقليدي ولم تنجح المسيحية في الحقيقة يوما ، في جمع التسامح الديني مع الإيمان الديني العميق ، فلم يشمل الإسلام بتسامحه غير المؤمنين فقط ، بل الهراطقة أيضا . وهذا اختبار أصعب بكثير .. وفي الصعيد الاجتماعي كان الإسلام ديموقراطيا على الدوام أو كان بالأحرى يقول بالمساواة ، فيرفض المجموعات المنغلقة كما في الهند ، ويرفض الامتيازات الارستوقراطية كما في أوربا ''(٤) .

وسأقدم هنا نموذجين للذين يثيرون الشغب حول الذمة لإشعال الفتنة وإن بدا أن حفرهما في اتجاهين مختلفين لكنهما في النهاية يصبان في بؤرة واحدة :

« العهود المظلمة التي سلبت كل معنى للحرية للمسيحيين في مصر ، والتي استبد بهم الحكام وأذاقوهم ألوانا من العذاب وميزوا بينهم وبين المسلمين وفرضوا عليهم ترك لغتهم الأصلية (اللغة القبطية) وعدم المجاهرة بها » كما يقول القس داود عزيز في كتابه (أقباط بين الماضي والحاضر) .

وقد أحسن المؤلف (الأستاذ جمال بدوي) إذ علق على ذلك بقوله : « وماذا نتوقع إذ انبرى أحد القس فوصف عهود الحكم الاسلامي بهذا الوصف ، فماذا نتوقع غير تكريس عقدة الاضطهاد في نفوس الأقباط » .

ونقل عن نفس المهيج قوله :

« وتدفع الجزية إجباريا ، ومن لم يقدر أن يدفعها فأمامه أمران : إما أن يدخل الإسلام أو يقتل ، وكان هذا بتوجيه وأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، لذلك فإن تعداد المسيحيين تناقص من ٣٥ مليون نسمة إلى بضع مئات من الآلاف بسبب هذا الاضطهاد العنيف ، فمنهم من دخل الإسلام ، ومنهم من استشهد ، والذين استشهدوا كثيرون جداً .. » .

وبالطبع لم يذكر القس الفاضل المصادر التي استقى منها هذه المعلومات .. ولم يذكر اسم شهيد واحد من الشهداء الذين عجزوا عن دفع دينارين ففضلوا الاستشهاد على الدخول في الإسلام .. ! إذ ليس من المعقول أن تتجاهل كتب التاريخ الكنسي استشهاد « عدة ملايين من الاقباط على أيدي المسلمين » وهي التي اعتزت بسير شهدائها في العصر الروماني أمثال دميانة وكاترينة وتيودورة يوتامينا وصوفيا وجاورجيوس وتادرس ويوليوس ومرقوريوس ، وتحرص الكنيسة على ذكر بطولاتهم في اجتماعات الصلاة الدورية ، ولا يمضي شهر دون الاحتفال بذكرى واحد منهم[٥] .

حكاية اللغة سنناقشها في موضع آخر .. أما ان الجزية فرضت لإجبار المسيحيين واليهود على اعتناق الاسلام ، فهو زيف يعرف عملاء الفتنة أنه باطل مفضوح .

فقد شرحنا مفهومها ومبرراتها ، وشرحنا أنها كانت أول اعتراف بحق البقاء على دين مخالف لدين الدولة ، وهو ما رفضته أسبانيا والبرتغال في القرن السادس عشر للمسلمين ، ويعتذر عنهم كاتب أسباني في نهاية القرن العشرين بأن الوحدة الوطنية في أوربا كانت تعني في هذا الوقت وحدة الدين .. ولاشك أن دولة أسبانيا ودولة فرنسا ودولة بريطانيا لو أخذوا بالذمة والجزية لكانت الصورة مخالفة تماما في هذه البلدان اليوم ربما كانت اسبانيا مسلمة اليوم ، ولحقنت دماء البروتستنت والكاثوليك ، ولما عرفت المذابح الدينية التي خلت منها حضارتنا .. ولكن الضال يكتب للجاهل .

وهناك واقعة مشهورة ومعروفة ، ولطالما استخدمت في التشنيع علينا ، عندما لاحظ بعض الولاة انخفاض إيراد الدولة نظرا لاندفاع غير المسلمين لاعتناق الاسلام ، فقرروا استمرار الجزية رغم اسلامهم ، ورفض ذلك عمر بن عبد العزيز وقال قولته المشهورة : « إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا » ..

المهم أن بعض الولاة كانوا يفضلون الجباية على الهداية ، وإن الجزية كانت تحمي حرية العقيدة . وجميع الدراسات تؤكد أنه في ظل الإسلام وبضريبة الجزية خفت الضرائب على السكان المسيحيين بشكل كبير جدا ، ويتأكد ذلك بحقيقتين ، استتباب الأمر للسلطة الاسلامية بلا معارضة تقريبا من السكان المحليين لأكثر من مائة سنة .. بل قبل مرور عشرين سنة على الفتح العربي نشب الخلاف بين العرب وتذابحوا إلى حد الفناء ولم تقم ثورة واحدة في مصر أو الشام أو العراق أو حتى شمال أفريقيا تحاول خلع سلطتهم ، ولو كانوا قد أرهقوا الناس ماليا لما فاتتهم هذه الفرصة ولاستحال أن يحكم أربعة آلاف خمسة وثلاثين مليونا إذا صدقنا أرقام القس الفاضل ! والحقيقة الثانية هي الازدهار الاقتصادي الذي شاهدته هذه البلاد وأرسى قواعد الحضارة الاسلامية لألف سنة بعدها .. والازدهار لا يتحقق إذا ما صدقنا مزاعم إفلاس المواطنين لدرجة تغيير الدين مقابل دينارين !

وهذه شهادة كاتب مسيحي ، يقول الدكتور أدمون رباط : '' ومن الممكن وبدون مبالغة ، القول بأن الفكرة التي أدت إلى انتاج هذه السياسة الإنسانية (الليبرالية) إذا جاز استعمال هذا الإصطلاح العصري ، إنما كانت ابتكارا عبقريا ، وذلك لأنه للمرة الأولى في التاريخ انطلقت دولة ، هي دينية في مبدئها ، ودينية في سبب وجودها ، ودينية في هدفها الأول وهو نشر الاسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة ، من عسكرية ومثلية وتبشيرية ، إلى الاقرار في الوقت ذاته بأن من حق الشعوب الخاضعة لسلطانها أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وتراث حياتها ، وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد فيه بإكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم » (الناس على دين ملوكهم !)

« ومهما يكن فإن التاريخ العربي في طوله ، وفي مصادره الإسلامية والكنسية ، على السواء ، لا يروي حادثة واحدة يمكن تشبيهها من قريب أو بعيد باضطهادات بيزنطة للمسيحيين اليعاقبة (الأقباط ج) (في مجزرة واحدة اعدمت سلطات بيزنطة مائتي ألف قبطي) أو باضطهادات محاكم التفتيش الاسبانية للمسلمين . تمتعت المذاهب المسيحية العربية على اختلافها ، بعد ظهور الإسلام بالحرية التي كانت تقاتل من أجلها تحت حكم بيزنطة ، منذ دخولها في ذمة المسلمين ، أي الانضمام إلى دولة الاسلام ورفض المقاتلة مع أعدائها .. (عن بتلر) » . ويقول أدمون رباط : « ووقت كانت جميع دول الأرض لا ترضى بدين آخر داخل تخومها ، وكانت دولة المسلمين في عز انتصارها وقوتها ، وغناها عن الملاينة والمسايرة ، أحدثت نظام تعدد الأديان في الدولة الواحدة ، نظام أهل الذمة . » (٦) .

أما النموذج الآخر فهو الكاتب الاسلامي / الناصري الذي اتهمه بأنه يسقط في الفتنة باسم محاربتها وتأمل كيف وأنا في مطلع حياتي وكنت لا أزال شيوعيا ماذا اخترت عنوانا لكتابي .. « مصريون لا طوائف .. » وبعد أربعين سنة يؤلف الكاتب المنتسب للاسلام .. « مواطنون .. لا ذميون » !!

ماذا يمكن أن يكون عنوان مقال في جرائد الفتنة بأمريكا أو كتاب لشيوعي ألد الخصام للاسلام .. أيمكن أن يصدر هذا العنوان عن مسلم معتز بالإسلام أو عن مثقف محايد .. كأن الذمة مضادة للمواطنة !! مع أن الكاتب المسيحي الشريف أدمون رباط فهم أن الذمية كانت السبيل للمواطنة بل أول صيغة في العالم تم بها الإقرار بمواطنة المخالفين دينا للسلطة الحاكمة .. ولو لم يكونوا مواطنين لما كانوا ذمة .. وإسقاط الجزية الآن ليس هو الذي يحقق المواطنة .. بل هو ــ كما قلنا ــ إسقاط واجب المال مقابل الإلتزام بواجب الدم . ولا داعي لسب وتحقير ذمة الله ورسوله .

أما اليوم وقد تغيرت الأوضاع ، وأصبح الدفاع عن الوطن واجب كل أبناء الوطن من المسلمين وغير المسلمين فقد زال شرط الجزية ، لا فاتح ولا مفتوح .. ومن ثم فلا ذمي في حماية المسلم ، يدفع للدولة ضريبة الدفاع ، تلك أمة قد خلت ويبقى التشريع لتطبيقه في الفتوحات الجديدة ، ويبقى الاعتزاز بما حققه تاريخيا ، وما أسبغه على حضارتنا من سمو عجزت عنه الحضارة الغربية بعد عشرة قرون !

وقلت إن الحل الاسلامي لن يتحقق إلا بتأييد وكفاح المواطنين المسيحيين ، أي أنني توصلت لوقف الجزية من مبدأ المواطنة .. من الاقتناع بوحدة الهوية ، من إمكانية اشتراك المسيحيين مع المسلمين في المطالبة والمجاهدة لإقامة هذه الدولة وإعلان تلك الهوية .. وأهم من ذلك كله أن الدولة الاسلامية التي ندعو لها ، ليست دولة المسلم وحده ، ولا يتمتع فيها بمركز ممتاز .. بل هي دولة المسلم ودولة المسيحي الذي اختار الهوية الحضارية الاسلامية .. بل الأصح الذي لم يتنكر لهويته الحضارية الإسلامية .. .

وأنا أول بل والوحيد الذي قال بإمكانية أن يكون قبطيا رئيس الدولة الإسلامية المنشودة إذا ما انتخبه الشعب وأقسم على احترام دستورها الاسلامي .. هذا بعض ما وصلت إليه وأعلنته ولم يستطيعوا له نقدا .. وإن تأخر اقتباسهم لبعض هذه

الأفكار فلأن بعضها يقف في حلقهم .. وهم يتربصون بنا فإن أصابتنا الدوائر شحذوا سكاكينهم .. وإن تقبل الناس أفكارنا سرقوها كعادتهم .. .

وهذه الأفكار وغيرها طرحتها منذ عدة سنوات في شكل مقالات في مجلات '' الحوادث '' و '' التضامن '' '' وأكتوبر '' ثم جمعتها في كتاب أسميته '' خواطر مسلم في الجهاد والأقليات '' ولا أظن أن المفكر الاسلامي المعاصر مهما اجتهد في قضية الوحدة الوطنية سيتجاوز ما جاء في ذلك الكتاب خلال العشرين عاما المقبلة .. وهذا هو الرهان المطروح لمن شاء أن يقول إنه جاء بفكرة أكثر أصالة أو إقناعا مما أوردته في كتابي عن الجهاد والأقليات ، أو سبقني بفكرة مما أوردته في هذا الكتاب أو يستطيع أن يطرح اليوم وغدا فكرة أكثر أصالة أو ثورية أو اسلامية ، وستمضي سنوات قبل أن تواتيهم الشجاعة فيتبنوا ما جاء فيه من أفكار وسنعرض لبعض هذا الجديد في حديثنا هذا في مواضعه إن شاء الله (٧) .

ولاشك أن الفتنة وصلت إلى مرحلة خطيرة ، ذلك لأن قوى خارجية تحركها ، وقد كشفت الوثيقة المتبادلة بين بن جوريون وشاريت كيف بدأت محنة لبنان باقتراح من بن جوريون بإثارة فتنة في لبنان .. وقد نشرت الوثيقة لأن المهمة أنجزت . ونحن نعرف أن هذه الدول لا تهتم بحفظ الأسرار ، بعد نجاح المخطط . ولقد كان مخطط تمزيق لبنان نموذجيا في التدبير والتنفيذ .. ومن مظاهر غفلتنا أننا لم ندرسه ولم نستوعبه .. المهم أن من يخطط لتمزيق لبنان ، وذبح السنة في المنطقة لا يفوته تمزيق مصر حتى وإن بدا الهدف مستحيلا لأن الوحدة المصرية خالدة ، كما يحلو لنا أن نردد ، وكأننا نصفر في الظلام لطرد الخوف .. فهم لا يملون ولا يسأمون .. وشعارهم : '' الطلق الذي لا يصيب يدوش ويربك .. '' بينما نخفي نحن رأسنا في رمال الشعارات أو يتصدى لبحث أخطر المؤامرات أصحاب البلاغة والعبارات الطنانة .. (انظر مقال خالد محمد خالد في جريدة الجمعة بالأخبار حيث قال : استبعد تماما التأكيد على الوحدة

الوطنية كأننا في شك من خلودها وأبديتها .. هل من سكان الأرض جميعا من يستطيع أن يشطر الشعرة شطرين طولا لا عرضا .. كذلك لن يستطيع أحد إن شاء الله أن يشطر وحدتها وشعبها حتى نصرخ في هياج أحمق : ادركوا الوحدة الوطنية .... '' '' وقال الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية : '' مصر لحسن الحظ ليست قابلة للتفتت والتجزئة ومن يحاول إضعاف مصر لن ينجح ''(٨) ، أما جريدة الشعب فترى العكس : '' من المؤكد أن أمتنا تستند إلى تراث عظيم من التكامل والتكافل ، ولكن هل يكفي ذلك لنهجع ونطمئن ؟ وكيف نطمئن إذا كنا نرى بأعيننا من يخططون للوقيعة إن جيشا طويلا عريضا يتحرك بين صفوف المسلمين والأقباط .. هناك من يجوب الأحياء والقرى ينبش ويدرس .. وهناك من يفحص تجمعات السكان لمعرفة الأساليب الملائمة للدس والإثارة .. إنهم يجندون العملاء ويدربون المخربين ويهربون كل الأدوات والتجهيزات .. ومواقع التوجيه تنتشر في أوربا وأمريكا والبلاد العربية . ونحن نرى كل هذا بأعيننا بل إن الكلام مسطور في أوراق علنية بوسع أي منا أن يطلع فيها على ما يدبر جهارا نهارا وبلا حياء » . ''(٩)

وهناك تلازم ، كما نعرف ، بين ظهور قوى أجنبية تتربص بمصر ، أو دخول مصر في أزمة مع قوة استعمارية ، وبين ظهور أزمات الوحدة الوطنية .. وقد اعترف الدكتور ميلاد حنا بوجود تيار بين الطائفيين المسيحيين .. تيار يتطلع للارتباط بالحضارة المسيحية الغربية ومخفرها الأمامي إسرائيل فقال : '' الاختيار الأول وليس بالضرورة هو الأصوب !! (ج) طريق تشده فكرة القومية المصرية والانتماء الفرعوني ويرى أن الارتباط مع الغرب فيه مصلحة لمصر باعتبار أن دول أوربا الغربية وأمريكا تدافع عما أسماه تشرشل '' حضارتنا المسيحية '' ويرى هذا الاتجاه أن البعد عن العرب فيه ضعف للإسلام وبالتالي عدم سيطرة التيار الديني الذي يخشاه الأقباط ويرقبون حركته في حذر وترقب ، ومن هنا كان هذا التيار الفكري متعاطفا مع ما يسمى '' السلام مع إسرائيل '' ويرى فيه أيضا قبولا لمبدأ التعدد في الأديان ومن ثم يسمح بنشاط وتواجد التيار الديني المسيحي . ''(١٠)

وإذا كنا نستشهد بهذا القول على وجود تيار موالٍ للغرب واسرائيل بين المتطرفين الاقباط العاملين في الفتنة إلا أننا نرفض العرض '' الملمع '' الذي يقدم به الدكتور لهذا التيار .. وكأننا عدنا لحكاية المعلم يعقوب ! فهذا التيار لا علاقة له بالقومية المصرية بل هو النفي والخيانة لهذه القومية .. لأن القومية المصرية تبدأ في واحدة من مراحلها أو حتى في مرحلتها الأخيرة تبدأ بالانشقاق الثوري لكنيستنا المصرية عن المسيحية الغربية . ـــ فالعودة '' لحضارتنا المسيحية '' التي يتحدث عنها تشرشل .. هو تنكر وخيانة لتاريخ وكفاح وقومية الكنيسة القبطية ، وقد كتب د / ميلاد حنا يقول : '' العلاقة الدينية بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما تعود إلى تاريخ المسيحية ذاتها والذي يصل إلى نحو ٢٠ قرنا '' .

وهو لم يقدم أي دليل أو مثال على هذه العلاقة إلا أنهما ظهرا في ذات الحقبة الزمنية !

ونحن لا نرى في ذلك ما يخلق علاقة تجب ما قام بعد ذلك من عداء وتميز واستقلالية لكنيستنا .

أما طلب الحماية الإسرائيلية فمن العار أن ينسب لفكرة القومية المصرية .. فالحماية الإسرائيلية هي الفيتو المسلح ضد القومية المصرية ، والنفي لكل ما هو مصري .. وأخيرا لماذا يكون من حق تشرشل زعيم أعرق الدول في الديموقراطية الغربية وممثل تلك الحضارة الغربية .. لماذا يكون من حقه الدفاع عن الحضارة المسيحية .. ولا تثور ثائرة أحد ونحن نرتكب إثما لا يغتفر لو تحدثنا عن حضارتنا المسلمة .. بل دعنا من تشرشل الرجعي .. ها هو جورباتشوف آخر صيحة في التقدمية الماركسية اللينينية عندما أراد أن يعرف روسيا وينتسب لأوربا ماذا قال : **'' نحن أوربيون .. لقد كانت المسيحية توحد روسيا القديمة مع أوربا ، وسوف نحتفل في العام القادم (١٩٨٨) بمرور ألف عام على دخول المسيحية أرض أسلافنا . وتاريخ روسيا هو جزء عضوي من التاريخ الأوربي العظيم ''** . [١١]

ولعلنا نتوقف هنا لنسأل العلمانيين في بلادنا الذين فسق الغرب في عقولهم ،

كم مرة قلنا إن الحضارات تنقسم دينيا إلى الغرب المسيحي ؛ بشقيه الرأسمالي والشيوعي ، وهو أي هذا الغرب في موقع واحد من خط المواجهة مع الشرق الاسلامي .. وكم سخروا من تفسيرنا هذا لأنه يتنافى مع الماركسية والعلمانية .. ما رأيكم الآن وها هو جورباتشوف الزعيم الشيوعي الأمين على المادية الجدلية ، لا يجد ما ينتسب به إلى أوربا إلا المسيحية .. ما رأيكم ؟ ! لماذا يكون انتساب المسلم وحده للدين تخلفا ورجعية ؟ !

لماذا **مسيحيتهم** في الغرب تقدمية ومشروعة .. **واسلامنا رجعي ومحرم** .. تلك إذن قسمة ضيزى !

وقبل أن نشرح علاقة الفتنة بالقوى الخارجية أحب أن أوضح سريعا نقطة مهمة وهي أن مؤامرة تمزيق مصر لا تقتصر على زرع الفتنة بين المسلمين والاقباط بل دخلت في دور جديد بتمزيق المسلمين أنفسهم ومنذ سنوات وهم يحاولون وضع ركائز لتمزيق أكبر كتلة سنية موحدة في العالم ، أعني المسلمين المصريين ، فليس لدينا في مصر ، طوائف ولا مذاهب تفرق بين المسلمين ، والمواطن المسلم العادي في مصر لا يعرف مذهبه ولا يسمع كلمة مذهب إلا في عقد القران ولا قيمة لها على الاطلاق لا في دينه ، ولا في قرانه .. وقد جرت محاولات لزرع طائفة البهرة .. والبهائيين .. ولكنها كانت محاولات محدودة مفضوحة .. محصورة في عناصر مشبوهة ولا أمل في أن تكسب قاعدة جماهيرية لها ، مهما تلقت من مدد وعون ومهما بسطت أمامها صفحات الجرائد والمجلات دون سبب ظاهر إلا الخيوط الخفية التي فرضت على إيران رئيس وزراء بهائي ، وعدد البهائيين في إيران لا يتجاوز الخمسة آلاف ..

ولكن بعد نجاح الثورة الإيرانية التي رحبنا بها من القلب ووقفنا معها وهي ما زالت عند الكثيرين مجرد مغامرة .. وفي مناخ الحماس للنصر الإسلامي بدأ تكوين الخلايا الشيعية بإشراف بقايا جهاز السافاك ومستشاريه الأمريكان ، من رجال السي أي أيه الذين لبسوا العمامة الآن وأصبحوا من فقهاء الصحوة .. ولعلنا

نذكر أن سينمائيا من عهد الشاة قد أنتج فيلما سينمائيا عن مصر يدور حول مذابح طائفية مزعومة تقع في مصر بين المسلمين .. فحلم تمزيق السنة في مصر هو حلم إيراني قديم من أيام الشاة .. .

وقد تبدو لهجتي حادة بعض الشيء ولكن لابد من المصارحة فأنا لا أفهم لماذا يجب على المصري أن يتحول إلى المذهب الشيعي لكي يناضل في سبيل الاسلام أو حتى لكي يؤيد الثورة الإيرانية .. إن كل من يحول مسلما مصريا إلى المذهب الشيعي هو عميل صهيوني يخدم مخطط القضاء على الوجود المصري عربيا وإسلاميا ويجب أن تكون عقوبته الإعدام .. وهو في نفس الوقت متآمر على ثورة الشعب الإيراني المسلم إذ يحولها إلى ثورة طائفية شوفينية لخدمة المصالح الامبراطورية الفارسية ، مما يثير مخاوف السنة منها وبالتالي عداوتهم لها . ونفس القول ينطبق على من يحول مصريا مسيحيا عن قبطيته إلى أي مذهب مسيحي آخر .. .

ونعود للحديث الأساسي .. فنقول إن مخطط التقسيم والتفتيت الذي ينفذ ضد مصر منذ الخمسينيات .. ليس مؤامرة يقوم بها عدد من المتطرفين لوضع قنبلة في كنيسة .. أو جامع .. هذه قشور .. حتى وإن استخدمت .. وإنما المخطط تقوم به هيئات علميه تضم شتى الخبرات وهو يعتمد على القوانين التي تحكم سلوك الناس .. الاستفادة من هذه القوانين .. خلق الفرص لكي تعمل هذه القوانين .. تنشيط غرائز الضعف لكي تفرز سموم التفرقة .

فمثلا .. إن منح القبطي المصري حق الهجرة للولايات المتحدة تحت بند " المضطهدين دينيا في بلادهم " .. وهي مادة في الدستور الأمريكي .. تنفيذ هذا البند أو إعلان أنه ينطبق على الاقباط المصريين في ظل ظروف مصر حيث يوجد ما لا يقل عن عشرين مليون مصري على استعداد لإرتكاب أي فعل للحصول على تأشيرة دخول لأبو ظبي أو العراق .. ولا حق لهم حتى في الحلم بالهجرة لليونان أو قبرص .. في مثل هذه الظروف عندما يعطي حق دخول بل والإقامة

والعمل وتلقي إعانة للقبطي ووالديه في أمريكا وكندا واستراليا .. بحجة أن القبطي مضطهد دينيا في مصر .. هذا الوضع كفيل وحده بخلق اندفاع قبطي للهجرة ، وادعاء أن مصر قد تحولت إلى جنوب أفريقيا الاقباط هم زنوجها .. بل أنا أزعم أنه كفيل بخلق شعور جارف بالاضطهاد حتى ولو لم يكن له وجود .. وهناك مئات سرقوا أموال المصريين وفروا إلى أمريكا تحت هذا البند .. وفقدت صحيفة " الأهرام " بالمهجر اتزانها فنشرت عنهم تحت عنوان : « مصريون ناجحون في الخارج ! » ولا نذهب بعيدا إن قلنا إن القبطي الذي ضاقت عليه المعايش في مصر ، يتمنى فتنة طائفية تسهل هجرته لأمريكا وكندا .

وألوف كانوا في مراكز لا بأس بها ولم يحسوا يوما أنهم أقلية أو يختلفون عن المسلمين ، ولا كان يعنيهم شأن الاقباط ، ولكن ما كانت لتفوتهم هذه الغفلة ــ المدبرة بإحكام ــ من الأمريكيين والكنديين .. وبعضهم بعد أن هاجر بحجة الاضطهاد ، أصبح يحتكر مؤسسات حكومية مصرية بالخارج مكنته من أن يحتكر الحديث باسم مصر الرسمية !! بل لقد تنصر عدد من المسلمين وطالبوا بحق اللجوء لما يتعرضون له من الاضطهاد .. وبالطبع فالذي هاجر تحت هذا البند ويريد الاستمتاع بموقعه الجديد في كاليفورنيا وكندا وإحضار بقية الأهل من شبرا وكودية الرحمن .. لابد أنه سيكون حريصا على إبقاء الحديث عن الاضطهاد في مصر وتصيد الأنباء بل واختلاقها .. مع تغذية ودعم وتوجيه الخبثاء العاملين في المخطط .. وهكذا يُفتح باب للفتنة لا حد له .. لو كانت في مصر حكومة مستقلة لتدخلت على الفور لسد هذا الباب بالاحتجاج لدى الولايات المتحدة وكندا إلى حد قطع العلاقات لاجبارهما على إعلان أن الاضطهاد الديني غير موجود في مصر وبالتالي لا ينطبق على المصريين .. فهذه إهانة لمصر واتهام لها بخرق حقوق الإنسان .. وليس من حق الدول الصديقة أن تتصرف على هذا النحو مع دولة مستقلة ذات سيادة .. لو كنا حقا نعيش في دولة مستقلة لها حكومة واعية بأنها فعلا مستقلة ، واعية بما يدبر ضد هذا الاستقلال ، لامتنعت سلطاتنا عن منح تأشيره خروج لكل من يحاول الهجرة تحت هذا البند ، ولاتخذت اجراءات عقابية ضد

من يتسلل .. لأن تجنيب مصر مصير لبنان يحتاج لحزم وشرف وقدرة على تحمل المسئولية .. وقد نجحت إسرائيل في جعل الولايات المتحدة توقف العمل بهذا البند بالنسبة ليهود الاتحاد السوفيتي لاجبارهم على الهجرة لاسرائيل وليس لأمريكا ..

وكنا ــ ولا نزال ــ نتوقع أن يقوم الكتاب المسيحيون من أهل الوعي والغيرة بالحملة ضد الدول الاستعمارية التي تزعم وجود اضطهاد ديني في مصر وتمنح مواطنين مصريين حق اللجوء فرارا من مذابح مزعومة .. أقول أتوقع وأتمنى أن يشن كتابنا الأقباط حملة تكشف زيف وأغراض هذا الاتهام لوطنهم .. بل وأن تصدر الكنيسة بيانا يفند ذلك الافتراء وتنهى رعاياها عن طلب الهجرة بما يشين وطنهم ويفسد العلاقة بين إخوانهم الذين لن يلحقوا بهم .. كيف تسكت الكنيسة عن قبطي طلب اللجوء إلى دولة أجنبية تحت بند الاضطهاد الديني في وطنه ؟ ! كيف يقبل هذا المفترى على وطنه ، في كنيسة قبطية في الخارج .. وكيف يسمح له بمقابلة البابا .. الذي يسافر معززا مكرما للتفتيش على رعاياه في الخارج ويجتمع برؤساء الدول التي يسافر إليها مع وضع كل إمكانية السفارات المصرية تحت تصرفه بما يليق بمكانته العالية في البروتوكول المصري .. كيف يتفق بعد ذلك أن يقابل ويستمع لمصري وجوده في الولايات المتحدة أو كندا أو استراليا قائم على افتراء بأن حياة الأقباط في مصر مهددة بالإبادة ؟!

كنا نتمنى ألا ننبس بحرف في هذا الأمر ولكن ماذا نفعل وإخواننا من الكتاب الأقباط في شغل بمحاربة شركات الأموال والدعوة لتحديد النسل بحيث لا يتسع وقتهم لتوضيح الفارق بين وضعهم في مصر ووضع المسلمين في بلغاريا .. لقد تمنى البابا مطاعا مشكوراً أن يتصدى المسلمون لتبني والدفاع عن مطالب وشكاوى المسيحيين لكي لا تكون فتنة ، فهل نسأل إخواننا شططا إذا طالبنا بأن يتبنى كاتب مسيحي قضية المعارضة للهجرة بحجة الاضطهاد الديني ؟ ! .

إن هؤلاء المارقين الذين اشتروا البطاقة الخضراء في امريكا ، بسمعة وطنهم

وشرف مواطنيتهم بل وأمن وسلامة مواطنيهم وبني دينهم .. تحولوا الآن إلي مراكز قيادة وتوجيه لعملية تمزيق مصر .. وكلنا سمعنا عما يجري في امريكا وكندا كلما سافر الرئيس إلى هناك .. وقد تسلمت بعض الرسائل من استراليا سأنشرها في نهاية هذا الحديث (انظر هامش رقم ٦٠ من هوامش هذا الفصل) ليدرك القارىء انها ليست من وضع صبية ولا حتى مثقفين عادين بل أساتذة متخصصين درسوا الإسلام أكثر من بعض شيوخنا .. أجهزة صليبية عالمية .. وهى تملك من الإمكانات ما يتيح لها تتبع نشاط المارقين والإشادة ونقل افتراءاتهم على مستوى العالمي .. فنحن لا نواجه تعصبا في كليه جامعية ، أو مصلحة حكومية ، بل نواجه مؤامرة عالمية على اوسع نطاق[١٢] .

ولابد أن تتصدى لها الكنيسة والكتاب الاقباط وهم بحمد الله وبفضل الوحدة الوطنية لا تعوزهم وسائل التعبير بل ويحتلون مواقعهم في قمة وسائل الإعلام ..

والبابا شنودة يعترف بانعدام السيطرة على هؤلاء الذين اغتصبوا حق النطق باسم الأقباط في الخارج .. وهذا يزيد من خطورة الأمر ويتطلب موقفا واضحا حاسما من جانب الكنيسة والاقباط عموما والدولة : « يقول البابا عود إلي موضوع اولادنا في الخارج . فى الحقيقة ما مدى سيطرتنا على أولادنا في الخارج .. هناك اقباط مرتبطون بالكنيسة نستطيع أن نؤثر فيهم .. واقباط لا علاقة لهم بالكنيسة وهم سبب هذا الإشكال . في وقت من الأوقات كان هناك بعض المصريين في الخارج عاملين ازعاج ضد مصر . ومصر بكل قوتها السياسية لم تفعل تجاههم شيئا فكيف يطالب البابا أن يكون مسئولا عن كل الاقباط في الخارج ؟ !! وما معنى الاتهام بوجود ثلاثة اقباط يحاربون مع الموارنة في لبنان ضد منظمة التحرير ؟ !! المهاجرون المصريون في الخارج يمارسون حريات تهبها الدول هناك .. يقولون ما يشاءون حتى ولو ضد الكنيسة نفسها .. فمن يستطيع أن يضبط أشخاصا في الخارج .. ومن يستطيع أن يوجههم ويحدد خط سيرهم .. ده يقول المهاجر أنا حر .. أقول اللي أنا عايزه .. وعلى رأي أحد السياسيين الكبار قال : إن السادات بهذا اللوم

كأنه يعطي للباباصلاحيات سياسية بالنسبة للاقباط في الخارج في الوقت الذي يلوم عليه التدخل في السياسة في الداخل »[(١٣)] .

وهذا صحيح .. ولكن الكنيسة تقر معنا أنهم أساءوا إليها وإلى مصر وافتروا عليها وعلى مصر ، وهذا مايؤكده البيان الذي نشرته الأهرام في أول يوليو ١٩٨٠ في صفحتها الأولى :

« إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وقد ساءها جدا التصرفات التي تقوم بها جمعية في امريكا تسمى نفسها الجمعية القبطية الأمريكية وفروعها ، وما تنشره في مجلاتها المسماة بالاقباط لتستنكر بكل شدة ما تقوم به هذه الجمعية من تصرفات وكتابات وشتائم وإساءات إلى وطننا لا تتفق ومبادىء الكنيسة .. ونعلن أن هذه الجمعية لا تعبر إطلاقا عن رأى الكنيسة بل هى منفصلة عنها تماما ، كما أن كل كنائسنا في مصر والمهجر ومجلاتها تسلك طريقا روحيا عكس طريق هذه الجمعية التي تسيء إلى الكنيسة القبطية وإلى مصر إساءة بالغة وعلى كنائسنا في داخل مصر وخارجها عدم قبول ما تنشره هذه الجمعية ورفض التعامل معها »[(١٤)] .

وكتب موسى صبري يعلق على ما نشر في بعض صحف الولايات المتحدة ممن سموا « المصريون المسيحيون في لوس أنجلوس .. » عن التهويل الشديد فيما أسموه سلب حقوق المسيحيين المصريين والتعصب الاسلامى ضد الأقلية القبطية ، وما يزعمونه يتهدد الأقباط في أرواحهم وعقيدتهم من أسوأ اضطهاد لهم منذ قرون ، كتب يقول « انني أعرف أن عدداً محدوداً من المصريين المسيحيين الذين هاجروا إلى أمريكا منذ عشرين عاماً وتجنسوا بالجنسية الأمريكية هم الذين يقودون ويثيرون هذا التعصب الأعمى ، وزعيمهم وهو دكتور محاسب ، فشلت معه كل محاولات الإقناع على مدى سنوات طويلة ، بأن يقلع عن هذا الغى .. ولعل من يحرضونه لحسابهم يصورون له أنه من الممكن أن تتحول مصر إلى لبنان أخرى »[(١٥)] .

ونحن نعتقد أن الخطوة التالية ، والضرورية ؛ هي صدور قرار بالحرمان . وإذا كان من الحرية أن يقاتل القبطى مع الموازنة ، فإن من الوطنية أن تصدر الكنيسة قرارا يحظر ذلك على رعاياها .. وصحيح أن البابا أصبح أشهر متحدث سياسى في مصر وأن الكنيسة بشهادة الأقباط أصبحت قيادة سياسية مثل وربما اكثر مما هي قيادة دينية ، حيث اننا نرى التفاف بعض الشيوعيين وغير الاقباط حولها .. إلا أن اتخاذ موقف ممن يتحدث كذبا عن مذابح الأقباط وحرق الكنائس في مصر ... الرد عليه وكشف كذبه ليس عملا سياسياً بل هو من صميم عمل الكنيسة الديني والوطني .. .

وهناك استعدادات وسلاح يجمع وشباب يدرب في مراكز عالمية وعلى يد خبراء عالميين في فنون الحرب الأهلية والعلميات التخريبية [١٦] .. ولعلنا نذكر بيانات اللبنانيين الطيبين عن اليد الثالثة عندما كانت كل محاولة من جانب اللبنانيين الأبرياء لإنهاء التذابح تحبط بفعل فاعل غريب الهوية غريب التصرف .. أو القناصة الذين كانوا يعيدونها جذعة .. هناك عناصر أجنبية لا مسلمة ولا قبطية موجودة داخل البلاد ومندسة هنا وهناك وتتولى الإعداد للفتنة ..

كنت قد علقت على حادثة أبو قرقاص في جريدة « الوفد » ١٩٩٠/٣/٢٢ تحت عنوان : « هاتوا العسكري » قلت فيه بالحرف : « في لبنان ظهر تعبير اليد الثالثة كناية عن عناصر مجهولة كانت تفجر الفتنة كلما هدأت ، وهذه العناصر اعتمدت على ما سمي بالقناصة ، وهم عناصر مجهولة وظلت مجهولة إلى اليوم ، ولم يقبض على أحد منهم قط ، كانوا يختبئون في أماكن مرتفعة وبدقة نادرة يطلقون الرصاص على المارة فيجندلونهم وتنشب الفتنة على الفور . ومناسبة الحديث هو الخبر الخطير الذي ورد في تحقيق جريدة الأهالي والذي أعتقد أن التحقيق الحكومي يجب أن يركز عليه ، بل كل القوى الراغبة في كشف اليد الثالثة ، الخبر يقول إن أحداث العنف والاعتداءات لم تقع إلا بعد أن انطلقت : « ثلاث رصاصات من رشاش أحد جنود الأمن المركزي المكلف بحراسة كنيسة

مارمينا العجايبي ، بأبو هلال » وبالمصادفة أصابت الرصاصات الثلاث ثلاثة مسلمين » واستقرت إحداها في رأس ربيع (سيدتوني) الذي كان يقوم بشراء خبز من المخبز المقابل للكنيسة فأردته قتيلا . اما الرصاصة الثانية فاخترقت ساق السيدة فاطمة حسن بائعة الجرجير . أما الرصاصة الثالثة فكانت من نصيب الطفل الصغير محمد شلقاني البالغ من العمر ١٠ سنوات والذي يقول التقرير الطبي إنه مصاب بجرح رضي بالجبهة وكان ذاهبا لأبيه الذي يعمل خبازا بمخبز كيلاني .. » (نقلا عن الأهالي ٧ مارس ١٩٩٠) . واضيف خبرا آخر نشر في روز اليوسف ، وهي مجلة قومية ، قالت نقلا عن عضو مجلس الشعب المهندس محيي الدين عيسى : « في كنيسة العجايبي بمدينة بني مزار أقيم معسكر كشفي ، ولما ذهبوا لتحميض أحد الأفلام عند صاحب استوديو مسلم ارتاب في الأمر فسلم لنا الصور وكانت لتدريبات عسكرية ، على أعمال الرماية ، واطلاق الرصاص ، وسلمت الصور لمباحث أمن الدولة في القاهرة ولم يتحرك احد ، والسؤال لماذا يتدربون داخل كنائسهم على استخدام الأسلحة النارية » . (حرفيا روز اليوسف ص ١١ — ١٨/٣/١٩٩٠) .

انا لا خطر ولا يخطر ببالي ثانية واحدة أن الرصاصات انطلقت من الكنيسة ، واحتاج لماء البحرين لكي أبلع حكاية أنهم يتدربون على الرماية ويأخذون فيلما تذكاريا يبعثون به للتحميض عند مسلم .. يشيع ويذيع القصة !! ثم يتصادف انطلاق الرصاص من جنب الكنيسة أو منها كما سيؤكد عشرات المندسين واتباع اليد الثالثة .. هذه كلها حركات يد ثالثة تلعب بالصعايدة ، لتحرق مصر كلها ، والغريب أن ننسى حكاية العسكري والرصاص ، ونكرر الأسطوانة المشروخة التي انقضى زمانها عن الوحدة الوطنية وعناق رجال الدين .. إلخ . نقطة البدء هى هذا العسكري ، هذه بداية الخط .. نعم هاتوا العسكري ..

هاتوا العسكري .. لتكن هذه صيحة مصر كلها .

أما إن اختفى هذا العسكري أو لم نعرف حقيقة الرصاصات الثلاث فأهلا لبنان !! » .

ولاشك أن القارىء يعرف أن العسكرى اختفى ، ولم يشر كاتب واحد ولا متحدث حكومي بحرف لحكاية العسكري ، طواها من بيده خيوط الفتنة .. أهلا لبنان .. وغنوا للوحدة الوطنية حتى تحتفلوا بذبحها .. أين العسكري .. ؟ من اطلق الرصاص على ثلاثة مسلمين وتعمد أن تنطلق الرصاصات من اتجاه الكنيسة ؟ ! ما هي مسؤليات الأمن والقوى الوطنية إن لم يكن كشف هذه القضية ؟ » .

وها قد مر اكثر من عام ولم يكتشف ولا كشف السر ! .

والبابا ــ حماه الله ــ يبدي دهشته ، بل ربما شكوكه ، في وجود تنظيم يملك ان يعرف في امريكا بخبر نسف كنيسة في مصر قبل ان يسمع بها البابا أو اي مسيحى في القاهرة .. البابا لا يكذب .. والبابا قد يخطىء ولكننا لا نشك في نيته لحظة ، ومن الضروري أن نتوقف كثيرا عند تعبيره عن هذه الواقعة بأنها « عجيبة » !! .

« قال البابا : « صدقني إذا قلت لك مسألة عجيبة جدا .. في عيد الميلاد ٧ يناير ١٩٨٠حينما ألقيت قنبلة على كنيسة سبورتنج وانفجرت قنبلة أخرى في صاحبها ، قبل ان يلقيها على كنيسة ثانية بالاسكندرية . وهذه الحادثة معروفة وتحدث عنها السادات في مجلس الشعب في فبراير من نفس العام . الذي أريد أن أقوله هو أننى صليت عيد الميلاد ولا أعرف شيئا عن هذا الحادث وخرجت من الصلاة حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا وذهبت لأنام . جاءنى تليفون من أمريكا .

كل سنة وأنت طيب .

البابا : وأنتم طيبون .

ايه حكاية الكنيستين اللتين ضربتا في الاسكندرية بالقنابل ؟

قلت لهم هو فيه كنيستين ضربتا .. أنا لا أعرف حاجة عن هذا الموضوع .

قالوا : لا تعرف حاجة إزاي ؟!!

وصلهم الخبر قبل أن نعرفه نحن في مصر .»[١٧]

عجيبة وخطيرة أليس ذلك كذلك .. هل نذهب بعيدا إذا قلنا إن هؤلاء الذين يعرفون في أمريكا بحرق الكنائس في مصر ومكانها وأسمائها قبل أن يعرف البابا في القاهرة وفى يوم حشد قبطي في مصر .. هل نذهب بعيدا إن قلنا إنهم على صلة ما بحادث الاعتداء على الكنيسة .. ؟ ! هل نطلب كثيرا لو طلبنا تشكيل جهاز تحقيق من الأخوة الأقباط في هذه الواقعة العجيبة ؟ ! .

وقد روى الدكتور ميلاد حنا الواقعة التالية ــ الغريبة التعليق ــ فقد قال إن المسئول عن الشئون القبطية في وزارة الداخلية وهو شاب وسيم قدم للدكتور نفسه بهذه الصفة .. » ومن خلال الحوار السريع معه ، عرفت أنه يعرف الكثير بل لعله يعرف أكثر مما يجب » .

كيف تكون معرفة رجل الأمن أكثر مما يجب إلا من وجهة نظر المافيا .. تعليق غريب لم نفهمه !!

وهناك توتر ومنافسة قاتلة تتجلى في زيادة النسل وقد روى لي الأستاذ ا .م . أن بواب واحد من مساكنه وهو مسيحي .. كثير الأولاد .. سأله لماذا هذا الإنجاب وهل تقدر على نفقتهم فقال له الكنيسة بتقول لي خلف انت ولا تفكر في مسئولية . وذكر غبطة البابا في حديثه لمحمود فوزى أن الأقباط الذين يعانون مشكلة البطالة « يلجأون إلى الكنيسة » ص ١١١ .

وهناك من يؤكد أن دعوى تحديد النسل يتزعمها المسيحيون بينما يعملون هم بدأب لتغيير النسبة لصالح غير المسلمين .. وما لم تواجه هذه القضية بصراحة تامة .. فلا أمل في تحقيق أي ضبط للنسل[١٨] .. وللأسف فإن الحملات الإعلامية التي كانت تركز على استنطاق المفتي واحراج المشايخ واجبارهم على إعلان مشروعية وسائل منع الحمل ، تعزز شكوك البعض بأن تحديد النسل يقصد به المسلمين فقط .. خاصة وأن الأنبا جريجوريوس أسقف عام البحث العلمي

بالكنيسة المصرية ــ وهذه صفته الرسمية ــ ولكنه أيضا أشهر متحدث باسم الكنيسة .. والذي يرد على كتابات المسلمين وكلمته مسموعة جدا في الأوساط المتزمتة على الأقل .. قد اعلن صراحة في مجلة « آخر ساعة » أن المسيحية تحرم الوسائل الصناعية لتحديد النسل كما تحرم العزل أي القذف خارج الرحم .. ولا تسمح إلا بالوسائل الطبيعية التي عددها في :

الرهبنة ..

الزواج من واحدة ..

الزواج مرة واحدة

منع الطلاق إلا للوفاة ؟ أو الخيانة ..[١٩] .

فترات الصوم ..

أيام الحسوم وهي عشرة أيام في شهر مارس ..

ليلة الذهاب للكنيسة

وثلاثة أيام قبل تعميد الطفل » .

وإذا عرفنا أن علماءنا قد بحوا أصواتهم بحديث .. « كنا نعزل على عهد رسول الله » وأن الدولة تنفق دم قلبنا على وسائل منع الحمل الصناعية وهي العازل المطاط أو حبوب منع الحمل أو اللولب واحيانا رفع الرحم .. وهذه فتوى الكنيسة رسميا صدرت ، ونشرت بدون تعليق أو حرف اعتراض من اي كاتب ، مسلما كان أو مسيحيا أو علمانيا ممن لا تفوتهم شاردة ولا واردة لمشايخنا وإن كانت حول لعاب الصديق أو وضع المسلم إصبعه في دبره ! ويثني مفيد فوزي على شجاعة الكاتب المسلم المتفرغ لهذه القضايا للتشهير بالمسلمين والاسلام .. بينما سكت الجميع عن هذه الفتوى التي تحرم على المسيحيين كل وسائل تحديد النسل التى تروج لها الدولة ، والتي في الحقيقة تشكل الوسائل الجادة لهذا التحديد .ولو قالها عالم أو شيخ مسلم لمسحت الصحافة به البلاط .. من حق الكثيرين أن يشكوا جدا ، ويتشككوا في حملة تحديد النسل ، ويتقولوا أنها لتعديل النسبة بين المسلمين والمسيحيين ... وقد أعلن البابا شنودة بنفسه أن تهمة الدعوة لزيادة نسل المسيحيين

وتحديد نسل المسلمين قد وجهت إليه في المنشورات التي قال إنها كانت بداية الفتنة والتي كما قال : « بدأت الأحداث في الواقع ببعض المنشورات التي صدرت في الإسكندرية منها منشور وجه ضد القمص بيشوي كامل ومنشور آخر وجه ضدي . المنشورات كانت مثيرة وكان عنوانها المنشور السري للبابا شنودة !! إن البابا يقول إنه سيرجع مصر مسيحية كما كانت (طبعا كلام خيالي) .. وأنه أصدر إجراءات في هذا الصدد منها تقليل عدد الوفيات عند المسيحيين وزيادة المولودين والعكس زيادة عدد الوفيات عند المسلمين وتقليل النسل . ولا أدري بأي طريقة يمكن لإنسان أن يتحكم في هذا .. ثم قيل إن مما يساعد على هذا الأمر أن ٦٠ ٪ من الأطباء من أولادنا المسيحيين فهل يعقل للطبيب الذي عليه واجب انسانى أن يقتل شخصا لجأ إليه للعلاج . اعتقد لو أن مصريا لجأ ليهودي من اكثر اليهود عداوة لمصر فسيعالجه بنفس العمل الإنساني للطبيب ويترك السياسة للسياسيين .» (٢٠) .

حتى السيدة جيهان السادات المشهورة إلى حد الفضيحة بتحررها(*) ، تعتقد أن الكنيسة تدعو إلى زيادة النسل ! تقول : « حتى البابا شنودة نفسة كان قد ابتعد كثيرا عن دوره كزعيم ديني ليدلي برأيه في الأمور السياسية وبعض رجال الدين الاقباط وضح أنهم أيضا يعملون على زيادة الصراع بدلا من تهدئته وكانوا يخاطبونهم قائلين : « انكم في خطر وعليكم أن تنجبوا اكبر عدد من الأطفال بقدر استطاعتكم » وهو ما ادى إلى زيادة التوتر بين الاقباط وكان أنور شديد الغضب إزاء المتطرفين الاقباط كما كانوا هم شديدي الغضب إزاءه » (٢١) .

فالقضية مطروحة ، وهى من عوامل التوتر التي تسهل لدعاة الفتنة إثارة المخاوف ثم الاحتكاك .. ويجب أن يتبناها الكاتب والمفكرون والسياسيون الأقباط ، فإما أن يدافعوا عن تحديد النسل ، وفى هذه الحالة يطالبون الكنيسة بفتوى صريحة

(*) خلال عمل السيدة أمينة السعيد مستشارة إعلامية للسيدة جيهان السادات . نشر لجيهان حديث في مجله اسمها بلاى جيرل « الفتاة اللعوب » وهي مجلة للشواذ متخصصة فى نشر عورة الرجل منتعظة وعارية !

بمشروعية استخدام وسائل العزل غير الطبيعية .. أو أن يعارضوا تحديد النسل علنا ويوحدوا صفوفهم مع رفاقهم من المسلمين المعارضين لأسباب دينية أو سياسية ديموغرافية .

وقضية التعداد ، أو نسبة الاقباط للمسلمين ، اصبحت مطروحة بشكل استفزازي وخاصة بعدما امتنعت غالبية المسلمين عن التصويت للمرشح القبطى وقد أدى ذلك إلى إنعدام إمكانية نجاح ولا نائب واحد في أية انتخابات على المستوى الوطني .. وقد لجأت القيادات القبطية لإخفاء هذا الأمر بمقاطعة الانتخابات .. ومع ذلك فقد بدأ الناس يتساءلون عن صحة الأرقام التي تعلنها مصادر غير إسلامية داخلية وخارجية وأشهرها قول كارتر الذي زعم أن تعداد المسيحيين في مصر ثمانية ملايين فإن كان ذلك صحيحا فهل من المعقول ألا يوجد تجمع في دائرة واحدة يكفي لإنجاح نائب ؟

وقد كتب الدكتور ميلاد حنا عن هذه القضية فقال : « وظل الاقباط في حالة ترقب منذ بداية الثورة عام ١٩٥٢ ولكن الاقباط شعروا بالارتياح في أواخر عام ١٩٥٤ عندما اصطدم جمال عبد الناصر مع الإخوان المسلمين .. وعندما تقرر عمل انتخابات عامة لأول مجلس للأمة في عهد الثورة عام ١٩٥٧ واتضح للاقباط مع الممارسة أن وصول قبطي إلى مقعد في هذا المجلس لهو أمر بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلا .. صار واضحا لكل متابع للحركة العامة أن انتخابات عام ١٩٥٧ لن توصل أي قبطي إلى المجلس الأول في عهد الثورة »[٢٢] (رغم ضرب الإخوان ، وقبل عشرين سنة من مؤامرة السادات التي أعاد بها الحركة الاسلامية في زعمهم) .

وقال .. « في منطقة شبرا حيث يوجد تجمع واضح من المسيحيين ، ولكن هذا التجمع لم يكن قادرا في أي انتخابات تمت بعد ذلك على امرار عضو مجلس قبطي » .

وكما قلنا إن هذه الاستحالة تطرح على الفور قضية تعداد الاقباط لأن جميع

الأرقام التي تذكرها المصادر المسيحية ــ كما قلنا ــ تتنافي منطقيا مع استحالة نجاح نائب واحد ! اعتماداً على اصوات الاقباط وحدهم وهو ما أكده البابا نفسه .

وقد ذكر كتاب « نعم اقباط .. ولكن مصريون .. » أن كارتر أعلن أن الأقباط ثمانية ملايين في حضور الدكتور أشرف غربال خلال زيارة الأنبا شنودة عام ١٩٧٧ في البيت الأبيض » وعلق : « والمعتدلون يقولون خمسة ملايين أي ثُمن الشعب المصري .. إلا أن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أعلن في نوفمبر ١٩٧٦ أن الاقباط هم ٢,٣ مليون نسمة .. وقال إن هذه الأرقام استفزت جمهور الأقباط عموما ولا تجد من يقبلها منهم .. » .

وكان البشري قد اورد أرقام هذا الإحصاء كالآتى : « في الإحصاء الرسمى لعام ١٩٧٦ تبلغ ٦,٣١ ٪ من المجموع ، ولا تزيد في القاهرة عن ١٠,٢ من سكانها . وأكبر نسبة للاقباط في محافظة أسيوط حيث لا تزيد عن ٢٠ ٪ . ولدى من يتشككون في صحة هذا الإحصاء الرسمى ، فلا تكاد تزيد النسبة عن ١٠ ٪ من السكان إلا قليلاً »[٢٣] .

ورفض بعض المحركين التعداد الرسمي ويقول الدكتور حنا : « قررت الأجهزة والتنظيمات الشعبية والدينية للاقباط الأرثوذكس اجراء تعداد لهم بأنفسهم وجندت لذلك حملة من الشباب كانت تمر على البيوت المعروفة لديهم من خلال اوراق وتنظيمات الكنائس والكهنة والقسوس لكى يتم احصاء العدد اسما باسم ، غير أن هذا المشروع لم يكتب له أن يصل إلى غايته لأسباب كثيرة وظل لغز تعداد الأقباط الفعلى والحقيقي أمرا مخفيا .. » .

واضح أن الدكتور يرفض تعداد الجهاز المركزي .. ويتهمه بالتزوير لأنه ما زال يبحث عن لغز تعداد الاقباط الملغى .. وليكن .. فهذا من حقه وما دمنا لا نثق في أي حكم مصري ليحكم مباراة المصري والأهلى .. فما المانع من استدعاء الأمم المتحدة لإحصاء تعدادنا ... ولكن كنا نتمنى أن يعرفنا الدكتور ببعض من هذه الأسباب الكثيرة .. لأننا نعتقد أن لغز هذا الإحصاء « الأهلى » الذي لم يعلن ،

اكبر واخطر بكثير من حكاية التعداد .. وسنعود لهذه الواقعة بتفصيل اكثر عندما نتحدث عن تخوف المسلمين مما يبدو واضحا من وجود تنظيم على درجة عالية من الدقة والانضباط والشمولية بين الأقباط .. فهذا التنظيم يعرف كل قبطى في مصر ومسكنه ويستطيع ان يجند شبابا يقومون بهذا العمل الصارخ الطائفية لحصر ثلاثة أو ثمانية ملايين قبطي بموجب اوراق وتنظيمات الكنائس والكهنة والقسوس .. ثم لا يعلن شيئاً !! لأن الحشد والإثارة وتجربة كفاءة التنظيم والسيطرة على جماهير الاقباط من خلال انبهارهم بكفاءة التنظيم .. هذه هي الغاية المقصودة .. أما التعداد فهو المبرر لا أكثر .

كذلك أورد لنا واقعة غريبة عن كاهن كنيسة بالإسكندرية يكتب في خانة الديانة ببطاقته .. مسلم .. (ص ٦٥) .. .

لماذا ؟ .

لا يمكن القول بأن الكاهن جاهل لا يعرف دينه أو أنه يخاف من الاضطهاد !! فهو يمارس وظيفته في كنيسة ويتجول بالزي الديني الأكثر من معروف .. والاضطهاد في مصر إن وقع فهو لا يتم بعد الكشف على البطاقة ... لابد أن للكاهن هذا هدفا غير مشروع في انتحال صفة المسلم ، هدفا غير مشروع قانونا ووظيفة ؟ ! بل إن الدكتور أدهشنا عندما أخبرنا ان مسجل البطاقات سجل ابنه هاني ميلاد حنا كمسلم . ولا ندري ما مصلحة الموظف في ذلك إلا إذا كان هانى ميلاد حنا سيتعامل مع عمي بلهاء .. أليس الأقرب للمعقول ــ إن صحت الواقعة ــ هي أن احدا في مصر لا ينظر قط في خانة الديانة في البطاقات الشخصية ولا حتى الابن العزيز هاني .. وإلا لبادر بالاحتجاج وطلب التصحيح وهو في الموقع .. أم أنه غرر بالموظف الشديد البلاهة لكى تكون الواقعة نادرة يرويها أبوه ؟ ! .

ومما دفعني للإسراع في حديث الفتنة ظاهرة انفرد بالتنبيه إليها الدكتور ميلاد حنا على كثرة المتشدقين بحديث الوحدة الوطنية وكثرة الكتاب من المسلمين

والاقباط التقدميين الذين يسودون الصفحات في مهاجمة سيطرة رجال الدين الإسلاميين .. مع أنه في الاسلام لا وجود حقيقى لرجل الدين فليست لدينا شخصية مقدسة — فى إسلام السنة على الأقل — ولا شخصية معصومة ولا شخصية تملك تفكير أو حرمان شخص ، ولا شخصية لابد للمسلم أن يمارس الدين من خلالها أو تحت اشرافها ، وليس عندنا وظيفة دينية يصدر الترخيص بمزاولتها من جهة دينية وبمراسم دينية .. وذلك كله موجود في المسيحية [٢٤] .

هذه الظاهرة — كما حددها الدكتور ميلاد حنا ، وأشار إليها أيضا ، كتاب المسيحية السياسية [٢٥] هى سيطرة رجال الدين على الجماهير القبطية ليس دينيا فحسب بل وسياسيا . ذلك أنه بعد تصفية نظام عبد الناصر للقيادات السياسية والعمل السياسى بالقضاء على مظاهر الحياة الليبرالية ، انتقلت قيادات الأقباط من رجال السياسة إلى رجال الكهنوت . وقال الدكتور ميلاد : « وقد ظهر منهم زعامات جديدة تلبس العمامة السوداء تمارس قياداتها وسيطرتها من خلال كراسى الأسقفية والمطرانية والبطريركية ، فبدلا من أن تسير مصر نحو العلمانية امتدادا لمسيرة الوفد عام ١٩١٩ إذ بالنفوذ السياسي يتسرب إلى القيادات الدينية أو أن القيادات الدينية قد اخذت موقع القمة وأصبحوا هم المتحدثين باسم الاقباط ، ولم يسمحوا رسميا بوجود قيادات سياسية قبطية إلا إذا تمت من خلال الأجهزة والتنظيمات الدينية ، ويشاع بأن قائمة التعيينات والاختيارات في المناصب السياسية في مجلس الشعب أو مجلس الوزراء يحسن أن تأخذ رضى وبركة السلطة الكهنوتية » [٢٦] .

وبينما ينتقد الدكتور ميلاد حنا هذه الظاهرة يبررها الممثل السابق لمجلة المخابرات الأمريكية كما سنرى إذ قال : « إن إلغاء الحياة الحزبية في العهد الناصري قد دفع بالقواعد القبطية لحزب الوفد إلى اعتبار الكنيسة هي '' حزبهم الجديد '' » .

ويجب أن نستعين بكل ما يسوده أمثال عبد الكريم الخليل والعشماوي وحسين

امين ضد السلطة الدينية الإسلامية المزعومة .. لفهم خطورة التطور الذي جرى في الشق القبطى من الأمة .. فكما قلنا إن تاريخ الديموقراطية في الغرب هو في جانبه الأكبر تاريخ التحرر من سيطرة رجال الدين ، سيطرة الكنيسة .. فالكنيسة مؤسسة خاضعة لنظام تسلسلي صارم .. لا ديمقراطية فيه . بل هو تنظيم حديدى كما كان يقال عن الحزب الشيوعي الستاليني .. يخضع فيه المستوى الأدنى للمستوى الأعلى . وهو تنظيم معصوم مسئول أمام الله والمسيح فقط .. وهو تنظيم مخالفته لا تعد معارضة سياسية أو فكرية بل الكفر .. وما يترتب على ذلك في الحياة والموت وقومه وأسرته في الدنيا والآخرة .. لا شبيه لذلك على الإطلاق في الاسلام .. حتى وان حاول البعض الاستعارة من المسيحية .. إلا أنه كما قيل إن القس يستقبل المولود أو بمعنى أصح لا يولد المسيحي ، من وجهة النظر الدينية ، حتى يستلمه القس ويعمده .. (وهناك حوار مسيحي قديم وكبير حول عدالة خلود الطفل الذي مات قبل التعميد ، في النار) والقس هو الذي يزوج المسيحي ، ويموت بين يديه ، ولا تتم مراسيم دفنه إلا بتصريح منه .. بينما يمكن أن يولد المسلم ويتزوج ويموت دون أن يرى رجل دين — إن صحت التسمية — وذلك لو حرص أن يذهب متأخرا إلى المسجد فيصلى في الصفوف الخلفية وينصرف ، لا ينتقص ذلك من إسلامه ولا صلاته .. وكل زعماء الحركات الإسلامية لا يمكن وصفهم برجال الدين .. لا حسن البنا ولا الهضيبي ولا سيد قطب .. ولا المرشد الحالي .. ولا رائدهم جميعا جمال الدين الأفغاني .. ليس عندنا مجمع مقدس ، ولا رجل دين مقدس .. أفليس نفاقا مشبوها أن يكتب كل هذا النقد ضد ظاهرة وهمية هى من اختراعهم عن حكم رجال الدين وخطر الأكليروس الإسلامي .. ثم يخرصون فلا ينطق إلا د/ ميلاد حنا — عن تسجيل ظاهرة سيطرة الأكليروس حقا واسما على الفكر والنشاط السياسي القبطي ؟ ! .

هذه السيطرة هى من أسباب النكسة ومن أهم مقومات الفتنة .. وهى تتم على مراحل .. أولا تصفية القيادات السياسية القبطية ، بإلغاء العمل السياسي لجميع المواطنين في ظل الديكتاتورية الصريحة أو المحسنة ، مما يؤدي إلى تصفية

القيادات السياسية ، والمؤسسات المدنية ، التى يمكن أن يلجأ إليها المواطن أو يعتمد عليها في تحسين ظروفه .. وهو ما بدأه عبد الناصر عندما ألغى العمل السياسي الحر .. وما زلنا نعيش فى مخلفاته .. وكما نعلم لا يوجد فراغ في هذا الكون .. ولذلك سرعان ما يتضخم نشاط الكنيسة ليملأ هذا الفراغ .. فتصبح هي الملجأ والمؤسسة التى تنظم حياة المواطنين وبالتالي قياداتهم .. لأنها هي وحدها التي لا تستطيع السلطة حلها ولا تصفية قياداتها .. وهى تتمتع بميزة الانتشار والوجود التنظيمي ، في كل موقع من كودية الرحمن إلى تورونتو وسدني .. وبالطبع فقد كان للقيادات القبطية المدنية تاريخها في مقاومة سيطرة الكنيسة ومحاولة تطوير وتحديث هذه الكنيسة التي تعد أقدم كنائس العالم وأقلها تأثرا بما وقع في العالم من تطورات في العشرين قرنا الأخيرة .. وقد توج كفاح المدنيين الاقباط بإنشاء المجلس الملي وبظهور زعامات سياسية وفكرية ليبرالية ومنفتحة على المسلمين في فترة ما قبل عبد الناصر .. حتى أيام الحكم العثماني كانت قيادات الأقباط من بين البورجوازية القبطية وليس من رجال الدين . ولكن نكسة الناصرية صفت الاتجاه تماما ، ومن ناحية أخرى فإن التركيز على نقد وضرب الإسلام أدى إلى وأد أية طموحات كانت لدى المستنيرين الاقباط نحو تطوير الكنيسة حتى بدا الأمر للكثيرين وكأن الكنيسة وما تمارسه ، هو الكمال المطلق الذي لا يتحمل النقد ولا يحتاج لإصلاح .. بعكس الاسلام الخاطىء على جميع الجبهات ! والذي يحتاج لجهود مضنية لتطويره ، بل وصل من تدهوره أن تصدى لإصلاحه والفتوى فيه امثال هؤلاء ممن تسلط عليهم الأضواء كرواد عصر التنوير الحديث ! . أليس مثيرا للدهشة والقرف أن تنفق مؤسسة فورد بسخاء لتحرير المرأة المسلمة من الطلاق .. لكي تصبح مثل المرأة القبطية .. ما فراق إلا بالخناق .. أي لا انفصال إلا بالموت ، فى وقت اضطر فيه حتى الكاثوليك إلى قبول حتمية الطلاق للزيجات الفاشلة ، وفي وقت '' تحررت '' فيه المرأة الأمريكية بدليل أن الأسرة الامريكية حققت أعلى نسبة طلاق في العالم .. ومع ذلك ليس في مصر تقدمى ولا تقدمية واحدة ترى أن المرأة القبطية بحاجة إلى حركة تحرير .. ؟ لقد شاهدنا كفاحا

طويلا عريضا من رائدات ورائدين من أمثال جيهان السادات وأمينة السعيد وحُسْن شاه الهاكع وأحمد بهاء الدين ونوال السعداوي من أجل قانون للأحوال الشخصية للمسلمين '' في مستوى العصر وحقوق الإنسان وما حققته المرأة من تقدم في كفاحها للتحرر من العصور الوسطى '' وكان أبرز هذه المنجزات هو تقييد حق الطلاق الذي قيل إن الرجل المسلم يسرف في استخدامه .. عظيم .. شكر الله سعيكم !! ولكن ألا تستحق المرأة المسيحية لفتة ؟! أم أن التشريع الكنسي الذي وضع قبل الإسلام بستة قرون هو الكمال المطلق .. ؟ ! هل طلاق المرأة الآن وقد اصبحت وزيرة واصبحت ايضا نوال سعداوي وامينة سعيد واستقلت اقتصاديا .. اشد اجحافا بها .. أم حرمانها من الطلاق والحكم عليها بالبقاء مع رجل كريه الرائحة إلى حد الاختناق أو عنين لا يأتي النساء أو فاسد الخلق .. أو حتى مجرد بغيض لنفسها ؟! لماذا لا نجد « متحررا » من المسيحيين يصرخ : هل يليق في القرن الكام ... أن يحكم لامرأة أو حتى رجل بالتفريق الجسدي أي لا حياة زوجية ولكن اخصاء وحرمان من متعة الحياة .. ولماذا .. لأن الطرف الآخر ثبتت عليه جريمة الزنا .. كما يفعل اخواننا الأقباط الكاثوليك .. ألا يحتاج هذا لإصلاح .. ؟! هل نلوم المسلمين أن رأوا في هذا الموقف الفاضح الانحياز ، مؤامرة تستهدف دينهم وحدهم ..؟ (وبالمناسبة الدكتورة نوال السعداوى المحاربة ضد الطلاق ، طلقت وتزوجت ثلاث مرات !)

وجاء في جريدة الأهالي بتاريخ ١٩٩٠/١/١٧ هذا الحوار مع البابا :
« الأهالي : بعد تعديل عدة مواد في قانون الأحوال الشخصية الذي صدر في الثلاثينات ، اعدتم الأمور إلى ما كانت عليه .. وتشددتم في شرط الطلاق .

البابا ــ كل ما فعلته في هذا الأمر ، أننى طلبت الالتزام بتعاليم الانجيل . الانجيل لا يسمح بالطلاق لأي سبب ، وتوجد عبارة واضحة جدا في تعاليم الانجيل ، أنه لاطلاق إلا لعلة الزنا ، لأنه من الأمور التى لا يحتملها الرجل أو المرأة ، وممكن أن يفترق الزوجان في حالة تغيير الدين . لم اضع تشريعا جديدا . بل طلبت الالتزام . ونعتبر في هذا اسهل بكثير من الأخوة الكاثوليك الذين

لا يطلقون لأي سبب من الأسباب ولائحة ١٩٣٨ التي تتحدثون عنها ، اصدرها اعضاء المجلس الملي للأحوال الشخصية ، وكانوا أصحاب مراكز في الدولة ، وطبعاً اصدرها علمانيون ليسوا على خبرة وافرة بالانجيل .

الأهالي : وقيل إنكم في هذا تستندون إلى فلسفة عامة في فهم الدين تميل إلى التشدد ..

البابا ــ هذا فهم عمومى ، وليس مفهوما فرديا لتذكر هذا التعليق . لكن هذا الأمر الذي قلته في الأحوال الشخصية يوافق عليه جميع الأرثوذكس في العالم ، وجميع البروتستانت ، والكاثوليك تشديداً . فليس رأيا فرديا ، وإنما هو اتجاه عام ، وما كان يحدث قبلا ، كان خروجا عن الدين » .

بالطبع المواطن العادي يقارن بين قدرة البابا على إلغاء الإصلاحات أو التفريطات ، التي حققها العلمانيون أو الإصلاحات بمفهومهم التي أباحت الطلاق أو خففت قيوده قبل خمسين سنة ، يلغيها البابا حفاظا وتنفيذا لتعاليم الانجيل ، يقارن المسلم ذلك وجهود جيهان السادات لتعديل شريعة المسلمين ولو بالمخالفة للقرآن استجابة للعلمانيين ، بل وتصبح العلمانية مفخرة ومطلبا لكل من امسك قلما أو أمسكت ، بشرط أن تشمل باصلاحاتها دين وشريعة المسلمين .. فهم وحدهم المتخلفون ! وحسبنا الله ونعم الوكيل .. بل كيف نمنع هذا المواطن المسلم من الاحساس بالمهانة وهو يسترجع طعن أحمد بهاء الدين حتى في القضاء عندما حكم بعدم دستورية تشريعات جيهان السادات .. أليس من حق المسلم أن يقول لماذا تشريعاتنا وحدها هي الملطشة « للإصلاحيين » ، لماذا لم يعترض واحد على قرارات البابا بإلغاء التشريعات التي وضعها العلمانيون من المسيحيين أو الذين وصفهم البابا بأنهم كانوا موظفين في الدولة أي يعملون لحسابها !! بينما نحن عدلت تشريعاتنا حرم رئيس الدولة شخصيا .. ألا يوجد إصلاحي يهتم بوضع المرأة القبطية .. ؟! .

لقد كان من الممكن ظهور حركة إصلاح ديني على يد مستنيرين حقيقيين بين

الأقباط .. لو لم تقع النكسة ، ويسيطر اصحاب العمائم السوداء على الأقباط مستخدمين سطوة الدين وارهاب ملابسهم . وايضا هذا الموقف المريب من الأقلية الصاخبة التي اختصت الاسلام والمسلمين بنقدها .

ومن هذه التفسيرات الفاضحة التلفيق التي تعطى المتطرفين الإسلاميين الحجة لاتهام معارضيهم بأنهم ضد الإسلام أساسا وليس ضد يمين أو رجعية ، فنحن نرى مندوب مجلة المخابرات الأمريكية يختص الشباب المسلم بالرجعية فهو يقول عن انضواء الشباب القبطي تحت لواء الكنيسة أقدم مؤسسة دينية في مصر بل في العالم المسيحي كله ولكنه يقول الآتي : '' هذا التغيير في البنية الاجتماعية ، لم يجتذب الشباب الجامعي الوافد إلى الكنيسة ، نحو المحافظة ، كما حدث لتيارات الإسلام السياسي ، وإنما اجتذبهم إلى نوع جديد من الوعي النهضوي يمتزج فيه الاحساس الاجتماعي بالرؤية الوطنية في اطار '' الكنيسة '' هذا الحزب الشرعي البديل لغياب الديموقراطية '' [٢٧] .

لماذا تفضي نفس التغييرات الاجتماعية إلى موقف تقدمي بين الأقباط ورجعي بين المسلمين .. ؟! لماذا تكون الكنيسة حزبا شرعيا والانضمام إليها نهضة وطنية ووعيا نهضويا والعكس تماما في الجانب الإسلامى ؟! إلا إذا سلمنا مقدما بأن الإسلام دين رجعي بطبعه والمسيحية خير وأبقى ... هذا تزوير أو تناقض يحتاج إلى اكروبات بل راقصة بزمبلك لجبره .. بل هو استفزاز مقصود وجزء من عملية حفر النفق في قلب الوحدة الوطنية . إنه تملق واغراء بل غواية للاقباط لكي يلتفوا حول الكنيسة ، واستفزاز للمسلمين ، ودفعهم للاحساس بالاضطهاد بسبب دينهم .. وهكذا تصنع الفتن ! .

واستطرد في هذه النقطة ، بعض الشيء فقد كانت أحد العوامل التي دفعتني للعودة لحديث الفتنة والأقليات .. وسأبدأ بتجربة ذاتية .. فعندما صدر أول كتاب لي وهو ــ كما ذكرت ــ '' مصريون لا طوائف '' أذكر أن والدي رحمة الله عليه فرح بصدور كتابي الأول ، وعتب علي أمرين .. الثاني أنني أصدرته باسم

محمد جلال فقط بدون اسم العائلة وقد فرحت لعتابه هذا لأنني فسرته برغبته في أن يعرف الناس أنه والد المؤلف .. بينما حرصت على ألا انتسب إليه لكي لا يتعرض للاضطهاد من الدولة ، بعدما تعرض له من مكائد البهائيين[٢٨] .. أما عتابه الأول أو نقده فهو قوله إن من يقرأ الكتاب يظن أن المؤلف قبطي متعصب .. وذلك صحيح إلى حد ما ، لأنني اهتممت وقتها بشرح القضية من وجهة نظر الاقباط وحدهم وكأنه لا يوجد طرف آخر .. وقد كنت مخطئا بغير شك .. وأتذكر ذلك الآن بعد أربعين سنة وأنا أطالع ما يكتب عن الفتنة ، فهذه الفتنة أو الطائفية كما تعرض في صحفنا وسائر كتابات الذين ينعون هذه الفتنة .. تبدو وكأنها من صنع المسلمين وحدهم .. المسلمون في هذه الكتابات هم المتعصبون هم المعتدون هم إما جهلة يلعبون بالنار وهم لا يدرون ، أو خبثاء متآمرون يسعون للفتنة عن عمد ! وهم يضطهدون المسيحيين المسالمين الودعاء الذين لا يفكرون إلا في العيش الآمن ولا يتطلعون إلا للأخوة الوطنية السعيدة ..! وهذا بالطبع لا يقتصر على الجماهير التي هي كذلك في الطرفين ، بل يشمل أساسا القيادات .

وإذا كانت غالبية هذه الكتابات تجعل التعصب والتآمر مسلكا إسلاميا عاما .. فإنها بالإجماع تبريء الجانب المسيحي من أية مسئولية .. على الأقل هذا ما يبدو للقاريء .. لأن هذه الكتابات لا تشير قط إلى مسؤلية قبطية في نقدها لعناصر هذه الفتنة .. هذا الموقف العجيب يرجع لعدة اسباب مثل السخف الذي يجعل الكاتب المسلم يحجم عن نقد الخطأ المسيحي تخوفا من الحساسيات أو اتهامه بالتعصب .. وربما كنت تحت تأثير هذا العامل عندما كتبت كتابي من أربعين سنة .. وربما كنت ، ومازال البعض ، تحت تأثير بأن الأقلية لابد أن تكون هي المظلومة في جميع الفتن ! .

وقد ذكر طارق البشري في مقدمته لكتاب مصطفى الفقي عن ابن مصر البار مكرم عبيد ، أنه ـــ أي البشرى ـــ قد مر بمرحلة مماثلة فقال أنه منذ سنوات كان يتحدث إلى سياسي قبطي من كبار الوفديين الذين عملوا مع مصطفى النحاس

(اغلب الظن أنه ابراهيم باشا فرج وأن لم يصرح باسمه . ج) وكان الأستاذ البشري ، كما هي العادة ، شديد التحمس بتبني وجهة نظر الأقلية في موضوع فرض المساواة المطلقة في الوظائف ، وقال إن السياسي المحنك والوطني العريق ، هدأ من روعه وحدثه عن « وجوب مراعاة الأوضاع التاريخية والصياغة الفكرية والنفسية للجماعات ووجوب الرعاية والتفهم الودود لكل هذه المكونات والملاءمة بينهما . وكان يلفت نظري إلى أنه إن كان ثمة نقص في مساواة القبط ، في بعض الوظائف ، فثمة زيادة لحسابهم في وظائف أخرى لا تقل أهمية ، وثمة أسباب يتعين فحصها ومراعاتها . وضرب لي مثلا بالشافعية ، وهم أصحاب المذهب الغالب بين المسلمين في مصر ، وقد اختص الحنفية بوظائف القضاء الشرعي كلها دونهم . ومع ذلك لم نسمع شكاة من الشافعية ولا وصفوا أنفسهم أنهم يعانون اضطهادا وتفرقة ولا يكون من الإنصاف وصف مصر بأنها تضطهد الشافعية ... الخ »[٢٩] .

وهناك العناصر المعادية للاسلام أساسا والتي لا ترى في الفتنة وحديثها إلا مجرد سلاح تنهش به الاسلاميين والإسلام ذاته .. هذه العناصر تتمنى لو ذبح كل يوم ألف مسيحي لكي يكون ذلك حجة لها في دعواها ضد الاسلاميين والمسلمين .. فإن لم تقع مذابح طائفية ، سارعوا بنسبة كل حادث يتعرض له مسيحي ، حتى ولو كان زلزالا ، لنشاط المسلمين ! ومن ثم فهذه العناصر لا ترغب حقا في حل مشكلة الفتنة ولا يهمها تحري الحقيقة ولا الطرح الصحيح للمشكلة . وهم لا يسعهم أن يتحلوا بالموضوعية فهم في حرب صليبية ، لا مكان فيها ولا حاجة للموضوعية ، ولا يرضيهم ولا يهمهم إلا القضاء على الاسلام وتجريم دعاته . هذا الموقف ليس خاطئا فحسب ، ومن شأنه أن يشعر المسلمين وكأن الإعلام يعاديهم ، بل أخطر من ذلك أنه يخلق شعورا بالاضطهاد لدى الأقباط ، شعورا بأنهم معتدى عليهم .. ضحايا أبرياء مجرد وقود للفتنة رغم أنهم لا يخطئون .. وهو يخفي دور دعاة الفتنة من الجانب المسيحي ويمكنهم من مضاعفة نشاطهم التخريبي .

اقرأوا مثلا ما كتبه أحمد بهاء الدين : ‘‘ إن سببا من أسباب الفتنة الطائفية التي يجب أن نواجهها بصراحة هو وجود جو من التحريض العام .. والحض على الكراهية والتعصب .. لم يكن هذا السبب موجودا أيام كان الكلام والكتابة لأهل العلم والفكر . وأيام كانت الخطابة في المساجد ـــ القليلة وقتها ـــ لرجال الثقافة الدينية الصحيحة .... وكل ما يؤلفه علماؤنا من رجال الدين المستنيرين ، لا يصل إلى من يستمعون إلى هذه الآلاف المؤلفة من الأصوات التي صفتها الأساسية الجهل بالاسلام أو محاولة استثماره ’’ [٣٠] .

هل يمكن أن يقبل قائل هذا القول كواعظ للقضاء على الفتنة .. لقد حقق وأدان وحكم بأن المسلمين وحدهم هم الذين يخلقون جو التحريض العام ويحضون على الكراهية والتعصب ... وزاد فحدد ذلك في أئمة المساجد الذين وصفهم بالجهل واستغلال الاسلام بل وأبدى أسفه لزيادة عدد المساجد .. ماذا يمكن أن يقوله بيان « الرابطة الكندية للدفاع عن المسيحيين ضد الإرهاب الاسلامي » أكثر من هذا .. هل يمكن القول إن الكاتب القومي الكبير يخشى أن يثير حساسية بنقده للمسيحيين لو عمم فتحدث عن المساجد والكنائس أو حتى ترفع عن التخصيص فقال .. أيام كانت الخطابة الدينية .. وبدلا من افراد الاسلام والمسلمين قال : صفتها الأساسية الجهل بالدين أو محاولة استثماره .. لماذا الضرب على نافوخ المسلمين والاسلام ومهاجمة تكاثر المساجد .. والحض على تحديد نسلها ..؟! لا يمكن أن يكون الخوف من اثارة حساسية .. فهو غير متهم عند المسيحيين وتاريخة كله ضد الحركة الإسلامية وشيوخ الأزهر ومن لا يذكر مقالته : ‘‘ لا ياشيخ ’’ ... سخرية وتعريضا بالمرحوم الشيخ فرج السنهوري الذي ما كان يملك إلا دينه في مواجهة كاتب السلطة .. تلك المقالة التي كانت من علامات النكسة واول هجوم شرس على مشايخنا ، إلى ضراوته على المفتى السابق حتى توفى غما ، رحمة الله عليه [٣١] أفمثله يستحى من نقد السوقة المتطرفين من المسيحيين ؟! بالإضافة إلى وجود صلة رحم بينه وبين المسيحيين فزوجته

مسيحية .. فإن كان مثله لا يجرؤ على المساواة في نقده بين المسلمين والمسيحيين فمن يستطيع ؟! .

بل إن هذا الموقف غير الموضوعي ولا العلمي يمتد إلى التاريخ ، في محاولة تبرئة ساحة العملاء ، فتكون النتيجة تبرئة ساحة الاستعمار ذاته ، وللاسف اقدم هنا نموذجا لشخصية تتمتع بالعلم ، وتحتل مركزا حساسا ، لعله كان يحسن فعلا لو لم ينشر كتابه هذا باللغة العربية ، فكلنا يعرف ظروف هذه الكتب التي تقدم للحصول على شهادة من جامعات الاستعمار ، تحت إشراف اساتذة كانوا فعلا من رجال الاستعمار في مصر مثل المخابراتي « ف ... » المتخصص في زرع الفتنة وكراهية مصر ، والذي يسيطر على جامعة لندن للدراسات الشرقية .. وانا اتفهم ، وإن كنت لا اقبل ، الضغوط التي تقع على الطالب العربي في هذه الظروف ، والبعض يقاوم ويضحى حتى بالدكتوراه ، والغالبية تماشي ، ولكن اتمني أن يصحح هؤلاء ما كتب عند زوال هذه الظروف وخاصة عند النشر باللغة العربية حتى لا نساهم في تضليل الجماهير وتزييف التاريخ .. (ولا تفوتني هنا قفشة فالمؤلف عندما ترجم الكتاب للعربية نسى فجعل مؤسس الكنيسة المصرية هو مارك وصحته مرقص بالعربية أو مرجص بالصعيدي ..!) .

وقد ورد فيه هذا النص والتعليق عليه :
« وأدى الاضطراب الاقتصادي وعدم الاستقرار والفوضى ــ تحت حكم اسماعيل وتوفيق ــ وإعلان بعض الدعاة المسلمين أن الإسلام في مصر يتهدده الخطر بسبب تزايد المشاركة القبطية في المناصب الحكومية ، إلى جعل الاقباط يتخذون موقفا وديا تجاه وصول البريطانيين »(٣٢) .

إذا اقتبسنا فيجب أن نعلق .. لأن هذه الصيغة تعطي انطباعا مبررا جداً بأن المقتبس يقر هذا الزعم ، خاصة إنها مكتوبه بطريقة لا تتيح معرفة أين يبدأ رأي المترجم عنه ، وأين ينتهي ليبدأ كلام المؤلف المصري . وهذا قول لا يمكن السكوت عليه ، ولا حاجة لتلمس الأعذار ، كلما واجهنا موقفا مرفوضا من

الأقلية ، سارعنا بتلبيس التهمة للأغلبية . وأنا لم يمر على نص واحد لدعاة الثورة العرابية يحذر من خطر يتهدد الاسلام « بسبب ازدياد مشاركة الأقباط في المناصب الحكومية . » هذه فرية وضيعة إذا كانت قد وردت هكذا . أما إذا كان المؤلف قال المشاركة المسيحية وبدلت في الترجمة فالأمر اسوأ والخطأ افدح .. ذلك أن صيحة الإسلام في خطر في مواجهة المستشارين الانجليز والفرنسيين والزحف المخيف من حثالات أوربا على مصر ، وامتداداتها في افريقا ، وهم طبعا من المسيحيين ، وبعضهم من أشهر المتعصبين الصليبيين ، مثل غوردون ، هى صيحة مبررة وشرعية وتختلف اختلافا بينا عن الاحتجاج على مشاركة الاقباط في الحكومة . هذا الشعور لم يكن له وجود إبان الثورة العرابية ، التى كانت قيادتها المثقفة تتمتع بدرجة عالية من الوعي ، ويمكن الرجوع لأحد هذه النماذج وهو العوام في رسالته الشهيرة التي شنقة غوردون بسببها . ومساهمة الاقباط .. كنيسة ومواطنين في الحركة الوطنية هي من المفاخر التي تذكر للثورة العربية . (راجع بيانات الثورة التي كانت توقع من شيخ الأزهر والبطرك وحادثة المجاهد بقطر ابن ملوي) . وبرنامج الحزب الوطني الذي تصدى لفلسفة تلك الثورة أو التعبير عن مفاهيمها ، كان صريحا وواضحا في قبوله ونصه على المساواة المطلقة بين ابناء مصر من المسلمين والاقباط واليهود .. والنصوص موجودة ، وهى سابقة بنصف قرن على الأقل لدساتير بعض دول اوربا بما فيها الاتحاد السوفيتي .

إن محاولة التكسب من المستعمر والتودد له بعامل الدين ظاهرة طبيعية في المستعمرات ، ولا حاجة لإدانة الأمة كلها لتبريرها أو الاعتذار عنها . .

وقد شهد قرياقوص ميخائيل الذي وصفه بأنه الممثل البارز للاقباط في لندن (؟ ج) واتهمه بالتعصب الطائفى : '' أن الظلم الذي لحق بالاقباط ــ بعد الاحتلال البريطاني ــ يعتبر مسألة جديدة على مصر الحديثة . '' وينقل عن جاك تاجر :

« في سنة ١٩٠١ بعث السير الدون جورست المندوب السامي البريطاني ،

بتقرير إلى الحكومه يعلن فيه أن الاقباط الذين يمثلون أقل من عُشْر تعداد السكان يشغلون ٤٥ ٪ من المناصب ويتقاضون ٤٠ ٪ من مجموع المرتبات ، بينما المسلمون يتقاضون ٤٤ ٪ » .

ولا ندري ما الذي أجبر المؤلف على الاعتذار عن هذه الأرقام بأن غورست كان منحازا للمسلمين أو « يظهر تعاطفا أكبر تجاه المسلمين » .

إما أن الأرقام صحيحة ، فليناقش دلالتها .. أو كاذبة فليعفينا من الاعتذار .. خاصة أنه عاد بعد ذلك مباشرة فأورد أرقاما مماثلة واشفعها بهذا التعليق '' وأية دراسة للأرقام الخاصة بتوزيع الثروة في مصر عند نهاية القرن التاسع عشر ، سوف تكشف النقاب عن عامل هام ذي مغزي في تقييم الحياة القبطية في ذلك الوقت فقد كانوا يملكون خُمس الأرضي الزراعية والمباني ، بالاضافة إلى ما يملكونه في البنوك ومع انهم كانوا يمثلون ٦ ٪ من السكان فقد كانوا يدفعون ١٦ ٪ من ضرائب الأراضى الزراعية . مما يعني أنهم كانوا يتمتعون بوضع اجتماعي افضل نسبيا من بقية المصريين .

ولسنا نحتاج إلى اعتذار ولا مداراة .. فهذه حقائق تفخر بها مصر لأن الفترة ما بين الاحتلال البريطاني إلى نهاية القرن التاسع عشر لا تزيد على ١٨ سنة .. ولا يعقل أن يتحول الأقباط في هذه المدة القصيرة من منبوذين محرومين مستغلين الخ ما نسمعه الآن ونقرأه ، إلى أقلية ارستقراطية تستأثر بملكية الأرض الزراعية بما يصل لثلاثة اضعاف نسبتهم العددية للسكان . وما يزيد على ثمانية أضعاف هذه النسبة ، في وظائف الحكومه ومثلها من مرتبات هذه الحكومة .. لا يعقل أن يتم ذلك كله خلال عشرين سنة .. إلا إذا كان الانجليز قد نفذوا نفس برنامج فرديناند وايزابللا ، ولكن لحساب الأقباط ! وهو ما لم يحدث بل لدينا شهادة من المؤلف بأن ثاني مندوب بريطاني كان متعاطفا مع المسلمين !! وهذا المتعاطف هو الذي أذاع هذه الأرقام ، ولو كانت من فعل الانجليز وحدهم لسترها .. وإنما انتشار الاقباط في الجهاز الحكومي سابق على الاحتلال وثروتهم مشهورة ومعروفة

حتى في زمن المماليك .. ولم تكن تثير معارضة تذكر إلا ما يثيره الحقد الطبقي العادي .. ولكن عندما يسقط الحكم الوطني فإن النفسيات والعلاقات تتغير ، ويحرص كل طرف على اتهام الآخر بأنه صنيعة الاستعمار واستفاد من فقدان استقلال البلاد .. وأن ثروته ليست نتيجة جهده بل ثمرة خيانة وتآمر ... الخ ، وها هو قرياقوص يشهد بأن الأقباط عانوا في ظل الاحتلال ، ما لم يسبقه مثيل .

إذا كانت صحف ميخائيل عبد السيد قد انحرفت أو استجابت لغواية الاحتلال ، فلتكن لدينا الأمانة لإدانة هذا الانحراف دون محاولة للاعتذار أو التفتيش عن اسباب في قسوة الوالدين .. الخ .

ميخائيل عبد السيد درس في الأزهر قبل الاحتلال البريطاني ولم يعترض أحد ، بينما نشرت إحدى الصحف خطأ بعد مائة سنة ، أن قبطيا دخل الأزهر واتصلت أنا بالباقوري أسأله رد ضاحكا : '' لازم أسلم '' وهو المتهم بأنه أشرف على تنفيذ سياسة عبد الناصر بعلمنة الأزهر .. .

وميخائيل عبد السيد استطاع أن يصدر صحيفتين : الوطن ومصر سنة ١٨٧٨ .. فكم بلد أوربي في تلك السنة ، كان المسلم أو اليهودي يستطيع فيه أن يصدر صحيفتين ؟! هل كان اليهودي الروسي يستمتع آمنا بقراءة صحيفة فضلا عن إصدار واحدة بل اثنتين ؟! ولكن هكذا كان وضع الاقباط قبل الاحتلال [٣٣] .. فليس لدينا ما نخجل منه ولا ما نعتذر عنه .. أو ما يجبرنا على تزييف التاريخ وتزوير الأحداث لنبرر ما ارتكبه المنحرفون من هذا الدين أو ذاك . فنحن ندين وأيضا نقدر ونغفر ونحرص على ألا يتكرر .. ومن أجل ذلك يجب أن نفضح الأكاذيب التي تنسج الآن عن الماضى بهدف إفساد الحاضر وتدمير المستقبل .

وهل صحيح يوافق الدكتور المؤلف على أن الوفد كان الحركة السياسية « التي أمكن للأقباط في نطاقها وللمرة الأولى منذ القرن السابع أن يمارسوا مشاعرهم الوطنية ويلعبوا دورا حاسما في الكفاح الوطني من أجل الحرية والاستقلال . » (ص ١٤٧) .

لماذا تحديد القرن السابع بالذات وكأن الفتح العربي ــ الفتح الاسلامي هو الذي منع الاقباط من ممارسة مشاعرهم الوطنية ومنعهم من أن يلعبوا دورا حاسما في الكفاح الوطني من أجل حرية واستقلال هذا الوطن ؟! هذا كلام لن يثمر وحدة وطنية .. ولا يتفق مع الحقيقة .. ولا تنسى أنك أنت الذي اقتبست في نفس الكتاب نصا يقول « إن مصر لم تشهد قبل الفتح العربي شخصية مصرية مرموقة تفكر في محاربة الرومان دفاعا عن استقلال مصر » .

ولو قلت منذ الفتح الروماني لالتمسنا لك بعض العذر .. وأنت تعلم أنه قبل الفتح العربي الذي وقع في القرن السابع كان قد مضى ما يقرب من ألف سنة خرج فيها الاقباط تماما من موقع تقرير مصير الوطن أو المشاركة في سياسته .. ولنرجع لكتابات د/ وليم قلادة(٣٤) .

ثم هناك واقعة خطيرة .. فالصبية في الشوارع يعرفون أن حرق الكنائس في فترة الأزمة بين حكومة الوفد والاحتلال البريطاني ، كان من صنع المخابرات البريطانية ، ولا يوجد أبله في سن العاشرة يجد أية مصلحة لقوة وطنية في مصر في ذلك الوقت ، في حرق الكنائس ، أو تنتهز الحادثة لتصعيد الفتنة .. ولكن الدكتور مصطفى الفقي يقدم الحادثة على هذا النحو :

« وقع في يناير ١٩٥٣ حادث خطير في مدينة السويس ، شكل تهديدا للوحدة الوطنية في ذلك الوقت إذ اشتعلت النيران في كنيسة بالسويس ، ولقي خمسة من الاقباط مصرعهم على يد بعض المتطرفين ممن لا يتصفون بالمسئولية وتقدير المواقف ، فقد كانوا خاضعين لانطباع خاطيء بأن ضحاياهم كانوا جواسيس للانجليز في منطقة قناة السويس في تلك الفترة العصيبة من العلاقات البريطانية ــ المصرية ، وقد كان لذلك الحادث أصداء عنيفة بين الاقباط ، خصوصا أبناء مدينة السويس وبعض مدن الوجه القبلي ، ويتصورالدكتور محمد أنيس ــ المؤرخ المعاصر ــ أن هذا النزاع الطائفي العارض كان يمكن أن يؤدي إلى انسحاب الاقباط من الحركة الوطنية المصرية ، وقد كانت خطورة رد الفعل القبطي واضحة

في برقياتهم إلى رئيس الوزراء النحاس باشا وإلى بطريك الأقباط (يوساب الثاني) وإلى جميع الصحف اليومية ، إلا أن أهم برقية هي تلك التي أرسلها بعض الأقباط إلى إبراهيم فرج باشا ــ الوزير القبطي في الحكومة الوفدية ــ وطالبوه فيها بتقديم استقالته فورا من الحكومة ، وإلا وقع تحت طائلة العقاب بالحرمان من بركات الكنيسة القبطية ، وطلبوا ــ علاوة على ذلك ــ من جميع السياسيين الأقباط الامتناع عن المشاركة في أية حكومة حتى تتم الموافقة على مطالبهم ، وكان من بين أعنف الاحتجاجات وأكثرها صخبا احتجاج باسيليوس إسحاق ــ القسيس القبطي لمنطقة غبريال بالأسكندرية ــ والذي بعث ببرقيات نيابة عن طائفته إلى رئيس الديوان الملكي ورئيس الوزراء ووزير الداخلية والصحف القبطية ، يطالبهم فيها بأن تقوم لجنة حكومية بتحقيق فوري في الجريمة بحضور ممثلين للأقباط . كما كان من أعنف ردود الفعل القبطية للحادث ما حدث في مديرية سوهاج عندما عقد الأقباط اجتماعا في الكنيسة الرئيسية بالمدينة حيث ألقت بعض الشخصيات القبطية البارزة خطب احتجاج غاضبة ، وبعثوا ببرقيات إلى النحاس باشا ، وإبراهيم فرج باشا ، والبطريك القبطي ، وجميع الصحف المصرية ، يطالبونهم فيها بالمساواة الكاملة بين الاقباط والمسلمين ، وأعلنوا رفضهم لأية مساعدة حكومية لأسر الضحايا ، أو أية مساعدة حكومية في إعادة بناء كنيسة السويس ، وطالبوا أيضا باستقالة إبراهيم فرج باشا من منصبه كوزير قبطي ، وطالبوا ــ علاوة على ذلك ــ جميع الشخصيات القيادية القبطية البارزة برفض تعيينهم في المناصب الوزارية ، ووقع على البرقيات عدد من كبار الأعيان والمحامين الأقباط ، مثل فايز عبد النور ، وفؤاد نجيب ، وكامل زكي ، ورياض بشاي ، وعزيز عازر ... إلخ » .

وقد اكتشفنا اختفاء الوثائق البريطانية عن حريق القاهرة ! ولكن حرق كنيسة السويس لا يحتاج لعبقرية لكي نرى فيه يد الانجليز وأسلوبهم التقليدي في ضرب الحركة الوطنية . أسلوب رخيص ومكرر لدرجة الابتذال ، بل كان متوقعا مقدما .. وإذا كنا نذكر ، فقد كان الوطنيون من أكتوبر إلى يناير ينبهون بعضهم بعضا ويتساءلون متى سيحرق الانجليز كنيسة .. ؟! بعضهم قلقا من نتائج هذا الفعل

المرتقب ، وبعضهم ساخرا من بلاهة الانجليز ·شديد الثقة في وعي المصريين وقدرتهم على فضح المؤامرة فور وقوعها وأنها لن تصيب الوحدة الوطنية بخدش بل ستكون فرصة لتصعيد الوحدة الوطنية في مواجهة أعنف مع الاستعمار القذر الأساليب والأهداف .. وصحيح أن المراهنة على وعي الشعب المصري كانت لها ما يبررها وأثبتت الأحداث صوابية حيثياتها .. فرغم تحرك كل الأجهزة المعادية للشعب المصري لاستثمار حرق الكنيسة ، وعلى نحو لم تشهده مصر من قبل .. بل على نحو كان جديرا بأن يكشف عمق تغلغل هذه الأجهزة وخطورة ما حفره وشيده دعاة الفتنة والمخططون لها .. إلا أن الشعب المصري تقبل الحادث في هدوء ووعي بأن المقصود به إثارة فتنة مسلمة قبطية .. فلم يكن له أي أثر .. أكرر .. أي أثر على المستوى الشعبي ، رغم التهييج المكثف الذي قامت به أجهزة ومؤسسات بعضها بأوامر مباشرة من المخابرات البريطانية وبعضها لحساباته الخاصة في الفتنة أو حساباته مع الوفد أو حساباته مع الحركة الإسلامية . لكن وعي الشعب كان أكبر ولم تقع الفتنة .. مما اضطر المخابرات البريطانية لتدبير حرق القاهرة كلها بأقباطها ومسلميها ..

على أية حال فإن القيادات الوطنية التي كانت تتشكل على عجل ، بعد إلغاء المعاهدة لم يكن لديها لا من الوعي ولا من الوقت ما يمكنها من الإعداد لمواجهة المؤامرة المتوقعة ، من المخابرات البريطانية .. وبريطانيا كانت تخوض آخر معاركها اليائسة مع الحركة الوطنية المصرية في ظل حكومة الوفد وجربت كل الوسائل ولم يبق إلا الحل القذر .. حرق الكنيسة .. تصرف معروف ومجرب من قبل أجهزة المخابرات المعادية ، ومفيد للانجليز وحدهم .. ما الذي يدفع حركة وطنية إلى ارتكاب هذه الجريمة الشديدة البلاهة والواضحة التخريب .. سيقولون الآن .. لأنها قوى رجعية عميلة ؟ .. عظيم لماذا لا نقول ذلك من البداية .. لماذا نلبسها للوطنيين المتطرفين المسلمين ولماذا نتهم الاقباط بالتجسس .. من الذي أعطاك الحق وبأي دليل تقرر أن الفاعلين هم ” من المتطرفين “ .. ؟! من أنبأك أنهم ليسوا أعضاء بارزين في تنظيم إخوان الحرية .. أو خاضعين مباشرة لتوجيه

عميل قذر أو بريطاني فاجر من رجالات المخابرات البريطانية النشطين بشكل محموم في ما اسميته '' الفترة العصيبة من العلاقات البريطانية ــ المصرية '' وهو تعبير أكاديمي صنع وركب تحت إشراف الناشر الانجليزي .. وهي بالأحرى فترة شهدت صداما دمويا ــ في ما نكرر وصفه ــ بأنه آخر معارك الاحتلال البريطاني مع الحركة الوطنية المصرية ..

لماذا جعلت للأوباش الذين نفذوا مؤامرة الانجليز هدفا وطنيا « انطباع خاطيء بأن ضحاياهم كانوا جواسيس للانجليز '' هل الذين يمكنهم تحديد الجواسيس وتدبير حرق كنيسة ليقتلوا الجواسيس ، يفتقدون إلى الحس البسيط بأن هذا العمل يخدم الاحتلال وحده ؟! وإذا كان هذا حادثا فرديا قام به بعض المتطرفين ممن لا يتصفون بالمسئولية وتقدير المواقف .. فكيف فات كل الهيئات والمجالس والشخصيات التي تعالى صراخها نافخة في نار الفتنة ، وكأن مسلمي مصر شعبا وحكومة هم الذين دبروا ونفذوا الجريمة ... ألم يكن رد الفعل المباشر عندما أذيع خبر حرق الكنيسة عند القيادات السياسية الواعية .. أنها مؤامرة لضرب الحركة الوطنية باستثارة الاقباط .. وعند القيادات غير الواعية التي يمثلها المؤرخ المعاصر محمد أنيس : « أنها حادثة عارضة يمكن أن تؤدي إلى انسحاب الأقباط من الحركة الوطنية » .. كيف فات هؤلاء وأولاء أن منع هذا ، هو الواجب الوطني الأول .. وكيف قبلوا إذن تحقيق هذا الهدف بالنفخ في الفتنة ، وعقد الاجتماعات الصاخبة ، وإصدار القرارات الملتهبة ، والاستبسال والاستشهاد ضد المسلمين والحكومة الوطنية ولا كلمة عن الانجليز .. لماذا تركز رد الفعل من هذه القيادات على تحطيم حكومة الوفد وإثارة الاقباط ضد المسلمين وليس ضد الانجليز .. كيف لم يصدر من هذه القيادات صوت واحد يحذر من الفتنة ويدعو الجماهير إلى الاتحاد وتخطي المؤامرة حتى ولو كان على اقتناع بأنها فعلا من تدبير الوطنيين المتطرفين وأن الانجليز لا دخل لهم فيها .. حتى إذا كانت هذه قناعاتهم بل وحتى إذا كانت هذه هي الحقيقة .. ألم تكن الوطنية تفرض تخطى الحادث العارض، بل استغلاله في ضرب الاستعمار .. هل مصر والوطنية قضايا تخص المسلمين فقط

بحيث يفرض عليهم مجاملة الاقباط ورشوتهم والتحسيس على عواطفهم ثمنا لاشتراكهم في الحركة الوطنية أو على الأقل عدم ضربها .. هل يخون الاقباط مصر وينسحبون من الحركة الوطنية بسبب كنيسة وخمسة أفراد .. ياللعار . .

أقباطنا هم الذين قال قائلهم في ١٩١٩ .. عندما انتشر عملاء الانجليز يخوفونهم من خطر العيش في مصر المستقلة .. فقال قائلهم '' لو كان ثمن استقلال مصر إبادة النصف مليون قبطي فمرحبا بهذه التضحية في سبيل مصر '' . هذا هو موقف القبطي المصري الشعبي الأصيل .. ابن مصر التي لا يمس فيها شعرة من قبطي إذا ما كانت مستقلة .. لماذا خاضت تلك التشكيلات الفتنة خوضا ، مرحبة نشطة بل مهرولة ؟! .. لأنها كانت تنتظر هذا الحادث العارض بل المنتظر بتدبير وإحكام لكي تتحرك ، تحت تأثير بعض العناصر العميلة ، وبعض العوامل التي تكشف بعضها وما زال بعضها الآخر يتكشف إلى اليوم .. ما الفرق بين من يحرق الكنيسة وبين من يستجيب على الفور ببرقية تطالب الأقباط بمقاطعة جميع الحكومات المصرية ؟ ! ..

على أية حال إذا كانت المخابرات البريطانية تفخر بفعلتها .. بل وتفخر بنجاحها في دسها في تاريخنا كأنها فعلة مصرية .. إلا أن شعبنا لم تنطل الخديعة القذرة عليه فرغم كل الاجتماعات والبرقيات وأسماء الموقعين ومراكزهم .. لم تقع فتنة بين الجماهير ولا حادثة واحدة لاصطدام على مستوى جماهيري ..

وهناك أيضا العناصر المعادية للاسلام ، من الذين فتحوا دكانا مرخصا لممارسة الشيوعية ، من الذين تعودوا أو استمرأوا استغلال ورقة الطائفية لابتزاز الحركة الوطنية المطالبة بالحل الاسلامي .. وقد ورثوا ذلك عن الانجليز ، بل عن الاستعمارية الغربية عموما فعندما كانت الحركة الوطنية تطالب بوطنية الحكم وإخراج الانجليز كان رد الاستعمار هو إثارة قضية الأقليات حتى بلغ بهم الفجور حد جعلها ضمن التحفظات الأربعة على قدم المساواة مع حماية مواصلات الامبراطورية وحماية مصالح الامبراطورية في السودان .. ! .. كان الادعاء

البريطاني هو أن الحكم الوطني ــ حتى ولو لم يطرح وقتها شعارات اسلامية ــ لابد في منطق الانجليز أن يكون اسلاميا لأن المسلمين أغلبية ، ولأنهم مسلمون فهم بالحتمية متعصبون ! وبالتالي فكل حكم اسلامي أو حكم المسلمين ، لابد أن يهدد الاقباط ويضر بمصالحهم ، وعليه فحماية لهذه الأقليات يجب أن يبقى الحكم الاستعماري الانجليزي ويجب شجب الاستقلال أو المطالبة بالحكم الوطني .. واليوم إذ اتخذت الحركة الوطنية ، بعد التحرر من الاحتلال ، الصيغة الحتمية والناضجة ، وهي المطالبة بتأكيد هوية ومكونات الوطنية المصرية من خلال الحل والصيغة الاسلامية .. فإن أيتام الاستعمار يهرعون إلى ترسانة دار المندوب السامي يخرجون الأسلحة الصدئة التي يطعنون بها تطلعات شعبنا المشروعة .. وهذا الذي سماه أحمد فؤاد نجم باليويو .. هاجم قيام التحالف بين الاخوان وحزب العمل الاشتراكي .. ودبج مقالا طويلا عريضا عن تاريخ الصراع بين حق الملوك الإلهي وحق الشعب في الحكم .. ثم حاول أن يدخل تاريخنا الاسلامي في هذا التحليل فتمزق التحليل بالطبع لأن الكنيسة عندنا لم تحكم .. لسبب بسيط ــ أنه لأسفهم الشديد ــ لا كنيسة في الاسلام ..ولأنه ما من حاكم اسلامي عاقل زعم أنه إله أو يتمتع بقدسية تجعله معصوماً بموجب علاقة خاصة بينه وبين الله .. هذا ما لا نعرفه في تاريخنا الاسلامي وما لا أساس له لا في الفكر ولا الممارسة الاسلامية .. فلما اسقط في يده هرول ــ كما قلنا ــ إلى ترسانة الاستعمار يستخرج سلاحا صدئا يطعن به مطلب الأغلبية .. ألا وهو سلاح التهديد بالأقليات .. فهو يروج أن المطالبة بدولة اسلامية يستفز المسيحيين ويجعلهم يطالبون بدولة مسيحية ..[٣٥] وهو يعترف أن تساؤلاته هذه مزعجة ويتطوع بالتبليغ ــ كعادته ــ عن وجود جماعة قبطية تطالب بذلك .. ولنستمع ماذا قال أولا : " إذا كان مشروعا قيام الإخوان المسلمين أو أي جماعة اسلامية أخرى في صورة حزب سياسي أو تحالف بين مجموعة أحزاب بهدف بناء الدولة الاسلامية المصرية . فهل يكون مشروعا في المقابل لإخوان مسيحيين أو جماعة مسيحية أن تنشيء حزبا أو تحالفا سياسيا يستهدف بناء دولة مسيحية في مصر

أو على جزء منها ، وبالمناسبة فإن الدولة المسيحية برنامج معلن بالفعل لجماعة قبطية محدودة مهاجرة في أمريكا وكندا وعلى علاقات بالحركة الصهيونية تدعو من أجل إقامة هذه الدولة بصعيد مصر بحجة إنقاذ الأقباط من تسلط واستغلال المسلمين ،، [٣٦] .

وهذا الذي قاله يعد حقا نموذجاً أصيلا لأسلوب هؤلاء في التضليل والخلط والابتزاز والافتراء .. فليس هناك أي علاقة ولا وجه للشبه أو المقارنة بين حزب يريد تغيير النظام السياسي على نطاق الوطن وبين حزب يريد فصل جزء من التراب الوطني .. قسمة الوطن .. تمزيق التراب .. صاحب هذه الدعوة خارج كل نقاش ، واضح الخيانة الوطنية عقوبته الاعدام بلا تحفظات .. سواء أكان يريد إقامة دولة اسلامية على هذا الجزء من الوطن أو مسيحية أو شيوعية [*] .. ومن ثم فمن الاجرام أن يقارن الكاتب بين مثل هذه الدعوة وبين تحالف الإخوان وحزب إشتراكي ونزولهم الانتخابات على النطاق القومي .. وفي ظل الدستور الوطني .. وبموجب قانون الانتخاب العام وخضوعا للوائح وزارة الداخلية .. بل ونزول مرشحين مسيحيين على قائمتهم .. من الاجرام جعل هذا الموقف معادلا ومبررا لقيام حركة مهاجرة متعاونة مع الصهيونية تطرح مطلب تقسيم مصر إلى دولتين .. ومن الغريب أن الكاتب يعلم بموقف هذه الجماعة منذ زمن ولكنه لم يوجه كلمة نقد واحدة ضد الذين يطالبون علنا بتجزئة الوطن .. متى كتب ضدهم .. ؟ متى حذر منهم .. ؟ متى حرض الحكومة على اتخاذ إجراء ضدهم .. ؟ متى طالب الكتاب الأقباط بشن الحملات عليهم .. ؟ متى طالب الكنيسة باتخاذ إجراء واضح صريح ضدهم مثل الحرمان وطردهم من الكنيسة .. ومن يستحق الحرمان إن لم يكن الخائن الداعية لتمزيق الوطن .. ؟ ! لا .. الكاتب لم يقتصر على عدم استنكار موقف هؤلاء .. بل طرح مطلبهم كمطلب معقول ومشروع في مواجهة الدعوة لقيام الدولة الاسلامية .. وكحق من حقوق الدفاع عن النفس ضد هذا المطلب

(*) هاجمنا بعض الاسلاميين الذين قالوا أنهم لا يبالون بانفصال جنوب السودان إن كان ذلك يسهل إقامة دولة اسلامية في ما يتبقى من السودان !

فهو معهم ، رغم علاقاتهم بالحركة الصهيونية .. وتأمل صياغة '' الخاطبة '' التي عرض بها تآمرهم مع اسرائيل ضد وطنهم .. قال : '' **علاقات مع الحركة الصهيونية** '' .. ما هي العلاقة التي يمكن أن تكون بين جماعة قبطية مهاجرة والصهيونية إلا علاقة العمالة وإلا التعاون ضد مصر وشعب مصر .. ثم ما هي الحركة الصهيونية هذه .. ؟ هذا تعبير غابر كان يمكن استخدامه قبل قيام دولة اسرائيل أما بعد قيامها وخضوع جميع التنظيمات لسيطرة الدولة اليهودية .. فإنه يصبح تعبيرا ضالا مضللا مزورا ومزورا .. الحد الأدنى من الصياغة الشريفة هي : '' على صلة باسرائيل '' (٣٧) .

وقد قلنا رأينا في هذا الابتزاز الخطر واللعب بالنار ، أي التلويح بورقة الأقليات بل الانحطاط إلى درك تحريض الأقليات ضد الحركة الوطنية أو الحركات المعارضة ، لخدمة المعتقدات والأهداف الخاصة أو الحزبية الضيقة .. وقد أوضحنا منذ سنوات الفارق بين حركة سياسية تستند للدين ، وبين الدعوة الطائفية التي تدعو إليها حركة أو تشكيل أو مؤسسة تقتصر عضويتها وتوجهها على طائفة بعينها .. وأنا الذي قلت منذ سنوات إنه لا يجوز أن تتطلع إلى حكم مصر حركة تقتصر على أبناء دين واحد وتفشل في اقناع أبناء الأديان الأخرى — أو على الأقل نسبة مؤثرة منهم — بقومية وصلاحية برنامجها السياسي .. فهناك فرق بين حركة سياسية تستند إلى الدين ولكنها تتقدم برنامج سياسي وتفتح صفوفها لكل المواطنين بلا تمييز بسبب الدين بل وتبذل جهدا صادقا ، لتجنيد المواطنين من الأديان الأخرى للانخراط في صفوفها والعمل لتحقيق هذا البرنامج .. وبين حركة طائفية تهدف إلى تحرير المسلمين من اضطهاد الاقباط أو إبادة الاقباط لكي لا يعبد في أرض الكنانة الهين !! فهي حركة مرفوضة تماما كما نرفض حركة مسيحية تريد تحرير المسيحيين من حكم المسلمين وتقسيم مصر وإقامة وطن قومي مسيحي أسوة بما فعله اليهود .. هذه قضية أخرى لا تجوز مقارنتها ولا التهديد بها . .

وهنا يعن لنا أن نتحدث عن حكاية الحزب المسيحي الذي على ما يبدو يدخل

في باب ذبح القطة .. أو إتخاذه مبررا لاستنكار أي تشكيل اسلامي بحجة أن من ساواك بنفسه فما ظلم . .

نحن نتحفظ كثيرا على محاولات نسبة فضل منع الحزب لتدخل الكنيسة ، فنحن — كما أوضحنا — لا نعتقد بوجود دور سياسي للكنيسة ، وخوفنا يشتد عندما يلقى هذا التدخل استحسانا عاما لأننا نعتقد أن بداية الشر كله ، هو في التدخل الذي نباركه ونقره لأنه يتفق مع وجهة نظرنا .. لأن هذا التأييد ، يكرس المبدأ الذي يتعذر معارضته بعد ذلك .. أعني قبول أو حق تدخل الكنيسة ، وما دامنا قد وافقنا مرة ، على تدخل يتفق مع رأينا فنحن لا نملك الاعتراض على مبدأ التدخل إذا جاء ضد رأينا ، ويشاركنا في هذا الموقف ، جمهرة المسيحيين الذين يؤمنون بقولة المسيح عليه السلام : دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. والذي رفض أن يشرع حرفا في شئون الدنيا أو يقضي في أبسط قضية .. '' وطلب منه أن يقسم ولأخته ميراث أبيهما فرد عليه .. يا رجل من جعلني قاضيا أو حاكما عليك '' لوقا ١٠/ ١٤ .

كان المسيح واضحا وصريحا وقاطعا في رفض أية محاولة لاقحامه في قضية السلطة أو جعله ملكا أو قيصرا أو حتى قاضيا .. والتزمت الكنيسة من بعده في القرون الأولى بهذا المفهوم فلم تتعرض لقضية السلطة ولادخلت في صراع حولها فضلا عن أن تكون قد حاولت إقامة هذه السلطة أو تسليط الكنيسة .. وعندما خرجت الكنيسة الغربية عن هذا المبدأ الأساسي في الدين المسيحي بدأ الانحراف والصدام — الذي ميز تاريخ الغرب — بين الدين والسياسة أو الكنيسة والمعارضة ، بين الكهنوت والعلمانية .. وكانت الانشقاقات ثم الثورات ضد الكنيسة ورجال الدين المسيحيين . فجاء لوثر وكالفن بمسيحية ، متأثرة بالاسلام ، تلغى دور البابا ، وتلغى الكهنوت وأيضا تجعل من الكنيسة الجديدة مؤسسة وطنية تتبع سياسة الدولة ، وكذلك كان خروج هنري الثامن على البابوية ، ثم الثورة الفرنسية التي كان شعارها شنق آخر نبيل بأمعاء آخر قسيس .. إلى الثورة الروسية التي ألغت

الدين دهرا من الزمن .. حتى اضطرت الكنيسة الغربية إلى قبول مبدأ فصل الدين عن الدولة الذي هو في الحقيقة لا يعني أكثر من منع الكنيسة من أن تحكم باسم الدين أو أن يتدخل رجالها في السياسة باسم الله .. وبدا لفترة أن السلام قد استتب بين خليفة المسيح والدولة الحديثة بقبول خليفة المسيح ما حدده المسيح بوضوح من فصل بين الكنيسة والدولة .. ولكن كان من الصعب جدا أن تقاوم الكنيسة — الغربية بالذات — اغراء استخدام السلطة الهائلة التي تمتلكها ، في '' إصلاح أحوال البشر '' على نحو أسرع وأفعل .. باستخدام السلطان .. وقد استقر في ضمير كنيسة الغرب ، أنها سجلت انتصارها الأكبر عندما جندت قيصر روما وارتبطت بالسلطة . .

أما الصيغة الاسلامية فهي عدم وجود كنيسة أصلا يخشى من خطر انحرافها .. والمفلسون الذين لم يجدوا نصا واحداً يؤيد زعمهم عن الحق الالهي في الاسلام ، تشبثوا كالغرقى بقولة عثمان .. ما كنت لأخلع قميصا ألبسنيه الله .. وحتى إذا فهمنا النص على أنه يعني اقتناع عثمان بأنه معين من قبل الله ، وغير قابل للخلع ، مع أنه لم يقل أكثر من أنه لا يستقيل أو لا يتخلى عن مسئولية حمله الله لها . ومع ذلك فإن الحق الالهي — وهو ما يتغافل عنه هؤلاء — لا يقوم من طرف واحد بل لابد من اقتناع المحكومين أولا بهذا الحق وقبولهم له .. فالحاكم يستطيع أن يدعى أو يؤمن بما يشاء أو حتى يعلن ما شاء كمصدر لشرعيته .. ولكن إذا لم يقبل المحكومين منه هذا الادعاء فلا أهمية له ولا يحسب ادعاؤه لا على الأمة ولا على الحضارة في زمان ومكان الادعاء .. والمحكومون لم يدر بخلدهم لحظة واحدة وجود حق إلهي لعثمان .. بدليل أنهم افترضوا فيه الخطأ وأعطوا لأنفسهم حق نقده ثم محاصرته طلبا لخلعه .. فلما رفض قتلوه .. والفقهاء الذين استنكروا قتله في ظل الملك العضوض لم يستنكروا بسبب من قدسية الحاكم أو عدم قابليته للعزل ، بل لأن قتلة عثمان لم يتبعوا الأساليب الدستورية في خلعه ، ولم يتيحوا له محاكمة عادلة . وقد خلع المسلمون ، وقتلوا أكثر من خليفة ، ولم يقل أحد إنه لا يجوز وجود خليفتين ، ولا أن الخليفة المخلوع سلطاته الدينية مستمرة !

وبالنسبة لكنيستنا المصرية فقد نجت من هذه المحنة فهي لم تكن أبدا في السلطة .. ولا كانت السلطة تابعة لها ، ومن ثم لم تنحرف عن تعاليم المسيح ، ولم تفسد بالسلطة ولا أفسدت بهذه السلطة . بل ظلت تمارس دورها الطبيعي بين الشعب وفي مملكة القلوب ..

« الفقيه الكنسي أبو البركات بن كير قسيس كنيسة المعلقة في القرن الثالث عشر يقول : « ليس للأساقفة إلا التكريز ، وأما التعيين فهو لأهل الاقليم »[٣٨] .

ولكن دعاة الفتنة اليوم يحاولون جر الكنسية الوحيدة التي لم تنحرف في قضية السلطة .. يحاول صناع الفتنة جرها إلى هذا المنزلق الخطر بداية من استفتاء البطرك في كل قضية سياسية .. ثم بدفع الأحداث إلى جعل الكنيسة هي القيادة السياسية للمسيحيين .. بما يجره ذلك من نتائج خطيرة .. من العجيب والمثير حقا أن نفس العناصر التي تحاول خلق قيادة سياسية دينية مسيحية ، هي التي تحذر المسلمين من مخاطر ذلك .. خالعة كل خصائص المسيحية وصراعها في الغرب على الاسلام .

وقد يبدو متناقضا أن نعارض نحن تدخل الكنيسة في الدين وفي نفس الوقت نؤيد حركة البعث الاسلامي .. ولكن أية مراجعة أمينة لما كتبناه خلال السنوات التي انصرمت من عمرنا ، تؤكد أنه لا تناقض .. فالخلاف بين الدعوتين يتلخص في الآتي :

١ ــ إن دعوة البعث الاسلامي هي دعوة سياسية يدعو لها أفراد من الناس لا قدسية لهم ولا يمكن وصفهم برجال الدين .. وهو الشرط الأول في العمل السياسي الديمقراطي .. لأن السياسة الديمقراطية تعني الاختلاف بين متساويين .. يفترض كل منهما الخطأ في الطرف الآخر .. ومن ثم الحق في معارضته ، بل واجب المعارضة في كشف الخطأ ونقده وادعاء القدرة على تصويبه .. وبالتالي حق عزل القيادة المنحرفة أو الخاطئة والتولي مكانها .. ليس في السياسة الديمقراطية قيادة لها قداسة أو معصومة أو تنتخب ، مرة ، مدى الحياة[٣٩] .. والكنيسة هى ذلك

كله .. أما أية حركة إسلامية فليس لها ذلك ولا يجوز لها ادعاء ذلك ولا ادعت ذلك بصفة جدية قط .. وهذا ليس نقدا للكنيسة ما دامت تمارس عصمتها في إطار الدين وبين وعلى المؤمنين بهذه العصمة الراضين بها .. ولكن الاعتراض يثور بشدة إذا ما حاول أصحاب القداسة المعصومون إدارة حياة الناس اليومية بما فيها من اقتصاد واجتماع وسياسة .. لأن الحياة الانسانية تقوم على سنن طبيعية ، أهمها التجربة والخطأ ، ولا تجربة إذا لم يتوافر حق الخطأ وحق محاسبة المسئول وعزله .. ولا أظن أنني سأستشهد هنا بأكرم ولا أقوى حجة من البابا نفسه الذي قال عندما سألته مجلة « صباح الخير » عن رجل الدين والسياسة فقال غبطته : « ليس من اختصاص رجل الدين أن يقود حركة سياسية حتى لو لم يتفرغ لها لأن السياسة موضوع نقاش وأخذ ورد وشد وجذب بينما رجل الدين مفروض أن يكون لهيبة فكره الديني الرأي الفصل وليس الرأي الذي يتعرض للنقد أو التحليل فهذا أمر لا يليق بكرامته الدينية .. الأمر الآخر هو أن رجل الدين من المفروض أن يترك لأولاده أو تلاميذه حرية اختيار الهوية السياسية والاتجاه السياسي ، فإذا هو أخذ جانبا معينا فإنه يدفع الجميع في هذا الجانب وهذا لا يليق بالحرية الدينية لكل فرد » (أظن غبطته قال الحرية السياسية وليس الدينية فهي تصحيف)[٤٠] .

وفي حديث مع مجلة « أكتوبر » سألوه عن اشتغال رجل الدين بالسياسة فقال غبطته .. « إذا قصد الفصل التام بين السياسة والدين ، فالسياسة إذا كانت بلا دين ، فهذا أمر لا يوافق عليه أحد ، ولكن لعل المقصود هو اشتغال رجل الدين بالسياسة ، وأنا أرى من باب التخصصات أن يعمل كل في مجاله وإبداء الرأي في السياسة يختلف بالضرورة عن الاشتغال بها »[٤١] .

والعجب العجاب أن الذين إذا تصدوا للفتوى بما لا يعلمون شهروا في وجوهنا شعارات من طراز : ليس في الاسلام كهنوت ولا كنيسة ولا عصمة لبشر .. وهذا صحيح وحق وإن أريد به باطل .. فإن واجهوا تحركا إسلاميا انقلبوا على أعقابهم وأكلوا كلامهم وصاحوا : كهنوت .. حكم الأكليروس .. الثيوقراطية الدينية ..

إلخ ، أما لهؤلاء من شرف .. ألم تشهدوا من قبل أن ليس ذلك في الاسلام ولا من الاسلام ؟!

٢ ـــ الحركة السياسية تقوم على مبدأ الاختيار الحر فعضويتها بالاختيار والانفصال منها بالاختيار .. بعكس الكنيسة وأظن أن الفارق أوضح من أن يحتاج لتفصيل .

٣ ـــ الحركة السياسية الداعية لتأكيد الهوية الاسلامية ، تقوم على أساس المواطنة فعضويتها مفتوحة لكل مصري يصرف النظر عن دينه . بل اشترطنا لجديتها أن تضم نسبة مؤثرة من المخالفين دينيا .. ولا مانع لدينا أن ينص في قانون الأحزاب على اشتراط تمثيل عنصري الأمة في قيادة كل حزب .. أما الكنيسة فهي بالضرورة قاصرة على طائفة واحدة .. .

إن العمل السياسي يجب أن يقتصر على من تعتبر معارضتهم ممارسة للديمقراطية وليست كفرا ، على بشر لا عصمة لهم ولا ينطقون باسم الله أو الروح القدس بل باجتهادهم وباسم الجماهير التي انتخبتهم (٤٢) .

وهذا لا يمنع بالطبع من قيام أحزاب سياسية تستمد برامجها من الدين .. ولا يمنع أن يدعي المشتغل بالسياسة أنه خير من يفسر كلمة الله وخير من يضمن تطبيقها .. ما دام ذلك في إطار التسليم بأن كل رأي سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي .. وكل ما يتعلق بتنظيم حياتنا الدنيا هو مجرد اجتهاد بشري قابل للصواب والخطأ والجرح والتعديل والمساءلة والعقاب . .

ومنعا للاستغلال السيء لكلامنا أو استشهادنا نضيف المزيد من التوضيح فنقول إن الحظر المطلوب لا يعني منع المسيحي من العمل بالسياسة ـــ وكما قلنا ـــ بوحي من دينه ، ولا يعني منع المسلم المتدين من الاشتغال بالسياسة والحديث في السياسة من منطلق إسلامي ، معتقدا أنه منطلق ديني .. فالاعتراض هو على اشتغال ‘‘ المؤسسة ’’ الدينية بالسياسة ، وهو اعتراض صائب تدعمه التجربة

التاريخية والحجج المنطقية كما بيّنا .. ولكن لا يجوز أن يمتد هذا الاعتراض ليشمل المتدينين أو الدين أو يكون سببا في ترديد الشعار الأجوف .. فصل الدين عن السياسة ، أو مقولة السادات الأسخف : لا سياسة في الدين .. ربما ، ولكن الدين موجود في السياسة منذ كان الدين وكانت السياسة .. !

من هنا كان قلقنا من هذا الالحاح من جانب جهات عديدة وشخصيات بعينها على الزج '' بقداسة '' البابا في حلبة السياسة وانتزاع التصريحات منه في شتى قضايا الدنيا والحكم .. الخ .. وإذا كانت تصريحات غبطته محل القبول والاعجاب .. فإن المباديء لا توضع للأشخاص .. وبالذات لا توضع للأفراد الطيبين بل للأشرار ولمواجهة كل الظروف والاحتمالات .. .

في حديث واحد أجرته مجلة '' أكتوبر '' مع غبطة البابا وجهت له المجلة أسئلة في كل هذه القضايا : الوضع في فلسطين ولبنان .. والارهاب الدولي .. وتزويد أمريكا إيران بالأسلحة أو فضيحة إيران جيت كما عرفت .. تحديد النسل ..

وفي حديث مفيد فوزي سأله في الآتي : عودة مصر للجامعة العربية .. مجلس التعاون .. مبارك حاكما .. رجل الدين والسياسة .. أحزاب وصحافة المعارضة .. رحيل الخوميني .. الاعدام للمخدرات .. ما فات هيكل في خريف الغضب .. تحديد النسل .. القدس .. عصر التكتلات السياسية .. نزار القباني .

وما كان مندوب مجلة حوار بالذي يتأخر عن القافلة ــ وكان أن نشر مقابلة مع البابا في مجلة الوطن العربي ٣/ ٢/ ١٩٨٩ وندعو القاريء إلى مراجعة هذا الحديث في المجلة المذكورة .. تأمل الأسئلة وتأمل كيف تفاداها أبونا بحكمته وإخلاصه .. تأمل كيف يزيف التاريخ .. وبداية نحب أن نقول إن ناصرية غالي شكري تحتاج إلى أكثر من ليمونة وكيلو ملح لابتلاعها[٤٣] ولكنه على الأقل في هذا الذي كتبه يكشف زيف إدعاء الليبرالية أو تأييد ثورة ١٩١٩ وعلمانية الوفد التي يحلو لهم أحيانا التظاهر بها .. فهو يسجل من مفاخر الناصرية .. '' بالنسبة

للكنيسة كان الأمر يعني استقرار الصيغة التي دشنها عبد الناصر والبابا كيرلس يوم تدشين الكاتدرائية الكبرى . وهي الصيغة التي منحت البابا تقريبا حق بناء الكنائس دون تعقيدات بيروقراطية أو حساسيات طائفية كذلك هي الصيغة التي عوضت الأقباط عن غيابهم السياسي بنوع من الحضور في مختلف درجات السلطة ولو بنسبة قليلة ’’ .

الذي يقرأ هذا يظن أن الاقباط لم يدخلوا الحكومة ولا البرلمان قبل عبد الناصر .. رغم أن الرجل الثاني في أكبر حزب قبل عبد الناصر ، كان قبطيا بصفة دائمة .. وأعلى نسبة تمثيل لأقلية في العالم كانت في البرلمانات الوفدية .. ! ثم تأمل محاولات مندوب مجلة المخابرات الأمريكية في تفجير الفتنة ، فهو يفرش حقل الألغام للبابا على هذا النحو : الرئيس أنور السادات سمى نفسه الرئيس المؤمن وأضاف إلى اسمه الاسم إياه الاستفزازي .. محمد .. فأصبح محمد أنور السادات بدلا من أنور السادات ، وهو يختم خطبه بآيات قرآنية .. بعكس الزعيم الاشتراكي الديمقراطي التقدمي جمال عبد الناصر الذي ’’ لم يخلع على نفسه قط صفة الايمان ولم يختم خطبه مطلقا بالآيات القرآنية ’’ .. باختصار إن السادات الذي شهر إسلامه استحق الموت .. ولكن هذا لا يكفي لإحداث الفتنة بالحجم المطلوب وإنما يجب أن يكون هذا السادات قد استوجب عداء الكنيسة ودخل في معركة شخصية مع البابا انتصر فيها البابا بالطبع .. فهو ينثر شباكه ويبث ألغامه لكي يدفع البابا إلى قبول هذا التفسير الذي لاشك في أضراره المخيفة إن راج بين العامة من المثقفين .. ولكن البابا شنودة وهو من هو في وطنيته ووعيه يقذف بشباك مندوب مجلة حوار في وجهه ويرد ألغامه في نحره وأحيانا بشكل حاد .. البابا في وعيه جعل الخلاف بينه وبين السادات جزءاً من خلاف عام يضم كل المصريين أو الجانب الأكبر منهم بلا تفرقة دينية .. هو يركز على قراره بمنع الاقباط من السفر للقدس بعد أن سافر الرئيس المؤمن ، ويجعله سببا لنقمة السادات علية .. قال البابا : ’’ ماذا حدث حتى يغير الرئيس ويغير رأيه في .. ؟ باختصار كان ما حدث هو أنني استخدمت سلطتي الروحية وحرمت على أبناء الكنيسة زيارة

القدس طالما ظلت تحت الاحتلال الاسرائيلي .. لن يكون الاقباط خونة الأمة العربية . سيدخلون القدس مع اخوتهم العرب لا قبل ذلك .. ''

وهكذا يكون الخلاف من وجهة نظر البابا ــ ولنا تعليق يأتي في موضعه ــ وطنيا عربيا بل إسلاميا ، غضبة لاحتلال القدس . ولكن تأمل محاولات الممثل المختار من قبل المخابرات الأمريكية لتوعية وتقدمية صحافتها .. .

المندوب السابق لمجلة الـ « السي. أي. ايه » : أريد أن أسألك عن البداية الحقيقية للخلاف مع السادات ؟

غبطة بابا المصريين : '' لم يكن هناك أي خلاف شخصي مع الرئيس السادات .. ولم يحدث قط إن كان خلافه معنا منعزلا عن خلافه مع كل فئات المصريين .. وكل الاتجاهات .. '' .

وليست المصلحة الوطنية وحدها مع تفسير البابا بل حقائق التاريخ فلم يحدث أن استقطب حاكم مصري عداوة كل القيادات والقوى مثلما فعل السادات (ولنا تفسيرنا) .. ومعجزة البابا التي يرويها المؤمنون تمت على يد تنظيم اسلامي متطرف .. أو هكذا يقال .. ومن مصلحة الوحدة الوطنية ألَّا يقع عزل أو تركيز على خلاف خاص بين الكنيسة ورئيس مصر وخاصة '' المؤمن محمد '' .. ولكن فئران مأرب شديدة الدأب .. لذا يعود المندوب السابق لمجلة المخابرات الأمريكية فيسأل :

ــ إذن كان من الممكن تفادي الصدام مع السادات ؟

وينفجر البابا .. '' مرة أخرى أقول لك إنه لم هناك ثمة صدام مع الرئيس .. بل صدام مع سياسة أو ممارسة .. '' .

ويعود فأر الفتنة .. مندوب مجلة الـ « سي. أى. ايه » سابقا : '' فلم يبق سوى الانفجار '' ..

البابا : '' لماذا تسميه انفجارا .. '' ؟

ــ كان الصدام حتميا إذن .. ؟
البابا .. : '' بالعكس تماما ''

ثم تأمل قضية النص في الدستور على الاسلام التي يجعلها منظمو الفتنة في الخارج والداخل قضية مصيرية ومحور الحرب الصليبية .. بل إن مندوب مجلة حوار يستقصى هذه الجريمة فيسجل في غبطة عن ثوار حركة عرابي ان دستورهم : '' خلا من النص على أي دين للدولة '' (غالي شكري في كتاب : المسألة الطائفية في مصر) وقد حاول أن ينتزع من البابا نصا يؤيد زعمهم هذا ولو حدث لعلقوه على المنابر .. ولكن حاشا أن يكون خليفة بنيامين أداة في يد عملاء قيصر .. بل قال البابا لا فض فوه وقهر شانئوه : '' في عام ١٩٧١ أضيفت إلى المادة الثانية من الدستور عبارة '' والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع .. وكانت المادة تكتفي من قبل بعبارة '' الاسلام دين الدولة '' .. فهل اعترضت الكنيسة بأي شكل من أشكال الاعتراض على هذه الاضافة ؟ وفي ١٩٧٩ عدلت العبارة الجديدة بأداة التعريف ، فأصبحت '' الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع ، فهل اعترضنا ؟ .. أبدا لم يحدث .. '' (الوطن العربي ٣ / ١٩٨٩/٢).

وإذا كانت سيطرة الكنيسة على الجماهير والقيادات القبطية على جميع المستويات وخاصة المستوى السياسي ، قد تمت من خلال الفراغ الذي أحدثه نظام عبد الناصر عندما صفي القيادات المدنية .. فتقدمت الكنيسة لملء الفراغ .. فقد كانت هذه السيطرة تحتاج أيضا لاثبات أن الكنيسة تملك سيف قيصر وذهبه ، وهذا يتأتى بالأموال الضخمة التي تحت يد الكنيسة ، والتي لا تخضع لأي لون من الأشراف الحكومي .. (تذكر أن أسقفا واحدا جمع وترك للكنيسة ١١ مليون جنيه استرليني أو ما يقرب من ستين مليون جنيه مصري !!) وبنظام الاعانات وبالتدخل لحل الخلافات الشخصية والتوظيف والتسفير .. لقد كان القبول في مدرسة خاصة غير مسيحية في الزمالك يتم بتوصية من الكنيسة حتى لأولاد المسلمين .. لمجرد أن الناظرة مسيحية ! ثم باستعراض العضلات في التصدي

للدفاع عن الاقباط .. وتحدي المسلمين أو التيار الاسلامي مثل الفيتو الذي فرض بنجاح ضد قانون الردة .. مع بعض المعجزات مثل مصرع القمص الذي عارض .. ووفاة مفاجأة للصحفي القبطي الوحيد الذي أيد .. وأخيرا إعدام الرئيس الذي تجاوز .. وعودة أبونا معززا مكرما .. (٤٤) .

وتأتي الدولة فتكرس السيطرة الكنسية ، بجعل تعيين القبطي في المناصب العليا رهن بموافقة أو مباركة الكنيسة . ويتطور الأمر حتى يصبح القبطي مطالبا بأن يحصل على الاذن مقدما من الكنيسة قبل أن يقبل المنصب المعروض عليه من الدولة . وهو ما رفض عبد الناصر منحه للإخوان رغم أنهم كانوا حركة سياسية وكانوا يرون أنفسهم شركاءه في الانقلاب .

ونقف هنا عند واقعة تتجسد فيها أكمل أشكال الممارسة السياسية من جانب القيادة الدينية .. ونعني بها قرار البابا بمنع الاقباط من التوجه للقدس .. لقد ثار السادات وحق له أن يثور من هذا القرار الذي يعتبر من صميم العمل السياسي ، والذي بلا شك أضعف موقفه كمفاوض يعرض مبادلة اسرائيل الأرض بالسلام فإذا بالعرب يشنون ضده حملة تخوين ، أدت إلى إضعاف دعواه في قدرته على الحديث باسم العرب ، فضلا عن فرض السلام على العرب ، كذلك شن الفلسطينيون حملة ضده وصلت للاغتيالات ، مما عزز دعوى اسرائيل بأنه لا يصلح للتفاوض باسم الفلسطينيين .. وها هي الكنيسة تثبت أنه لا يستطيع فرض السلام ولا حتى على المصريين كلهم .. وأن الصلح المصري الاسرائيلي الذي عقده رئيس الدولة لا يخضع له الاقباط ولا يحل مشكلتهم .. وها هو شاهد الملك يسأل والبابا يجيب :

« قلت لقداسة البابا .. يشاع أن العداء بينك وبين الرئيس السادات يرجع سببه إلى عدم استجابتك لتطبيع العلاقات مع اسرائيل خاصة أنك أصدرت أوامرك لاقباط مصر بعدم زيارة بيت المقدس مما سبب غضب السادات منك .. هل هذا صحيح ؟

البابا : الأماكن المقدسة كثيرة .. وموجودة في كل مكان .. مصر نفسها من

البلاد الوحيدة التي زارها المسيح .. فالمسيح ولد في فلسطين ولم يزر في العالم سوى مصر ، وعندنا له أماكن مقدسة موجودة في مصر .

قال البابا : دير السلطان بالقدس هو ملك للاقباط من قرون عديدة .. وبينما كان مطراننا الأنبا باسيليوس مطران القدس يصلي صلاة العيد الكبير في كنيسة القيامة يوم ٢٥ أبريل عام ١٩٧٠ اعتدى رجال الشرطة الاسرائيليون على الدير واستولوا عليه ومكنوا الرهبان الأثيوبين من الاستيلاء عليه ، وأقاموا المتاريس ومنعوا مطراننا القبطي من دخول الدير بعد انتهائه من الصلاة .. أقمنا دعوى في المحكمة العليا الاسرائيلية وحكمت المحكمة لصالحنا وأدانت وزير الشرطة الاسرائيلي . لكن الحكومة الاسرائيلية لم تنفذ حكم المحكمة الاسرائيلية واعتبرت قضية الدير قضية سياسية وليست قضائية ومنذ ذلك الحين ومطراننا يحاول جاهدا العودة إلى الدير ولكن وعودا كثيرة تعطى ولا شيء من التنفيذ .. »[٤٥] وفي موضع سابق ــ كما أشرنا ــ قال : « **وحرمت على أبناء الكنيسة زيارة القدس طالما ظلت تحت الاحتلال الاسرائيلي .. لن يكون الاقباط خونة الأمة العربية . سيدخلون القدس مع إخواتهم العرب لا قبل ذلك** .. » .

فالبابا رفض صلح السادات ، رفض صلح الدولة ، حكم بالخيانة على السادات الذي ذهب إلى القدس ، وعلى القبطي الذي يزور القدس .. ولم تكن هذه مسألة نظرية بل اعتبر حتى سفر الصحفي المرافق لرئيس الدولة تحديا لقرار البابا كما حدث من ولموسى صبري ، قال الناطق باسم الكنيسة :

« ويستمر الكاتب الصحفي موسى صبري في هجومه العنيف على الأنبا شنودة بابا الاقباط والرمز الروحي لهم جميعاً .. يؤلف كتابا عن السادات « السادات الحقيقة والأسطورة » وخصص فيه باباً كاملاً للهجوم على قداسة بابا الاقباط .. ولم يكتف بذلك .. بل في حديث مع جريدة « الأنباء » الكويتية يوم ١٠ أبريل ١٩٨٩ جاء فيه بالنص عن البابا شنودة :

* ذهبت إلى اسرائيل متحدياً قرار البابا بمنع المسيحيين من زيارة اسرائيل والتعامل مع الاسرائيليين .. فما ردك ؟

** متى أصدر البابا هذا القرار ؟!! .. لقد سافرت إلى اسرائيل مع الرئيس السادات ولم يكن البابا قد أصدر قراره . وحتى إذا أصدر البابا قراراً بذلك فأنا مالي ، ليست للبابا أي سلطات سياسية .

* بل كان القرار دينياً يتعلق باليهود الذين صلبوا المسيح ؟

** لم يكن البابا رافضاً للسلام مع اسرائيل ولم يكن هناك أحد في مصر يرفض ذلك ، سافرت مع السادات إلى اسرائيل ثم أحد زعماء المعارضة كان معنا « مصطفى كامل مراد » وهو الآن ضد التطبيع ولم يكن كذلك عند سفره !! ثم إنني مقتنع إن سلطات البابا سلطات روحية فقط .. يقيم الصلاة .. ويدعو الناس إلى العبادة وليس لأي رجل ديني مسيحي أو عالم اسلامي هذه السلطة السياسية ولا أعتبر نفسي مكلفاً بالخضوع لتلك السلطة إن وجدت .

* هل تصلي في الكنيسة ؟

** نعم .. لأنه ليس للبابا دخل في صلاتي .

* كيف قاطعك البابا إذن ؟

** لا يدعوني إلى الاحتفالات التي تقيمها الكنيسة ولا إلى الاجتماعات أو المناسبات الاجتماعية فيها .

التعليق : إهمال أفضل !! .. لأن الكنيسة وقيادتها والاقباط قد رفضوا التطبيع وزيارة القدس إلا مع المسلمين . (ص ١٩١ من كتاب البابا والسادات) .

فقرار البابا كان قرارا سياسيا ، وتحديا للدولة .. وهو قرار يستمد قوته من المكانة الدينية للبابا ، ومخالفته تعرض المخالف لعقوبة دينية ، في السماء ، فضلا عن العقوبات الأخرى التي يتعرض لها في هذه الدنيا من المؤمنين ، والتنظيمات التي تدين بالطاعة والولاء لمصدر القرار .. إنها الحكومة الدينية في أوضح صورها .. الحكومة التي يجأر بعض الكتاب المسلمين في اتهام الحركات الاسلامية بها مع يقينهم أنه لا أساس لها لا في الاسلام ، ولا هي في قدرة الداعين ، اليوم ، لاسلامية الدولة . فليس فيهم — كما قلنا مرة — رجل دين .. فهم يفترون

على تشكيلات سياسية ، بتهمة لا وجود لها في الاسلام ، ولكن عندما تقوم الحكومة الدينية فعلا من غير المسلمين وتتحدى الدولة في صميم اختصاصها وبسلطة الدين ، لا نسمع لهم ولا همسة استفسار ولا نقول همسة احتجاج ! وهذا فضلا عن كونه في إطار لعبة الفتنة ، فهو أيضا يؤكد الطابع الكهنوتي لهذه السلطة وأنها فوق النقد حتى في السياسة والصلح مع اسرائيل .. بل إننا لا نعرف هل ما زال هذا القرار ساري المفعول ؟ هذا القرار الذي لا نستطيع مناقشة صوابه من خطئه إذ تفترض فيه العصمة من جانب الاقباط .. ؟

وهناك قرار أشد خطورة اتخذته الكنيسة ، وهو الانضمام لمجلس الكنائس العالمي ، هذا التشكيل الذي وصمه الفكر القبطي تاريخيا بالصهيونية والأهداف الاستعمارية ، ولكن البابا اتخذ قرار الانضمام إليه دون مشورة ، ولا موافقة ، وأخطر من ذلك دون همسة احتجاج من كتاب لهم مؤلفات ضخمة في الهجوم على ذلك المجلس والسبب هو الاستسلام الشامل للزعامة السياسية ــ الدينية ، وربما الخوف من النهاية العجائبية .

□ هل تبقى كنيستنا مصرية ؟

وقد شرحنا مخاطر هذه السيطرة على التطور السياسي والديموقراطي والوحدة الوطنية في مصر .. غير اني اتوقف هنا عند نقطة خطيرة لا ينتبه إليها أحد ، فإذا كانت الثقة في قيادة الكنيسة الحالية تقلل من مخاوف الحريصين على مصر . فإن هذه القيادة غير خالدة .. والأمر الذي يتغافل عنه الجميع ، هو أن هناك الآن كنائس قبطية ، أجنبية الولاء ، بعضها كندي وبعضها أمريكي وبعضها استرالي .. لم يعد قولي **كنيستي القبطية** يعني أو ينطبق على **كنيستي المصرية**[٤٦] بل تعددت جنسياتها .. والأمر البالغ الخطر هو أن تجبر كنيستنا على قبول قيادات هذه الكنائس على قدم المساواة مع القساوسة المصريين ، وفي هذه الحالة يمكنهم ، بدعم من بلادهم ، فرض إرادتهم على الكنيسة المصرية . بل ربما يستولون على كرسي البطريركية ذاته .. ويحققون ما فشل فيه القياصرة .. ولا ننس أن الكنيسة

الكاثوليكية الأمريكية استطاعت أن تفرض نفسها على مجلس الكرادلة في روما وتلاعبت في اختيار الباباوات .. .

وقد أشار البابا شنودة في حديث صحفي إلى العجز الخطير في القساوسة في مواجهة الزيادة المطردة في عدد كنائس المهجر ، فقال البابا إن هناك « ما يقرب من ٣٦ كنيسة مصرية ستفتتح في عدة دول أوروبية .. وهذه الكنائس أقامها المصريون الذين هاجروا إلى تلك الدول ، والمشكلة التي تواجهني هي العثور على القساوسة الذين يستطيعون الاقامة هناك وخدمة المسيحيين المصريين من أبنائنا بالخارج .. القساوسة الذين يستطيعون أداء هذا الواجب أكثرهم لا يريد الاغتراب ، والذين يرحبون بالسفر أعرف قدراتهم التي لن تسمح لبعضهم بالتأقلم مع مجتمعات أوروبا ، والعطاء الضخم المنوط بهم في كنائس خارج مصر . »[٤٨] .

هذا ما يحسه البابا ويحذر منه بوضوح وصفاء رؤية يتميز بهما البابا شنودة وطنية مصرية صافية النقاء ، فهو واضح التمييز بين الشرق والغرب ، وهو يخشى التغريب الذي لابد أن يتعرض له المصري في المهجر ، وغبطته يريد إبقاء الطابع الشرقي ، التميز الحضاري بالانتماء والولاء لحضارة الشرق .. وهذا يعني ضمن ما يعنيه رغبة البابا في استمرار ارتباط المهاجرين الاقباط بكنيستهم القبطية المصرية أحد رموز ومكونات هذا التميز الشرقي ، فقد قال البابا : « لا نستطيع أن نترك أولادنا في الخارج يذوبون في التيار الغربي دون رعاية من البلد الأم ومن الكنيسة الأم .. وهذا هو السبب الذي جعلني بين الحين والآخر أؤسس كنائس في الولايات المتحدة الأمريكية التي لا توجد بها كنائس حتى لا يذوب أولادنا في التيار الغربي .. ومن أجل هذا كنت أقول لكثير من المسئوليين : ينبغي أن نهتم بالتراث الشرقي وكيف يحفظ لأولادنا في المهجر ، مسلمين كانوا أو مسيحيين ، وكان هذا عن أحد طريقين إما تعليم اللغة العربية هناك .. وإما ترجمة التراث الشرقي إلى اللغة الانكليزية .... الأمر الذي يخشى ، هو هؤلاء الذين يولدون في الخارج أو الذين ينتقلون من هنا أطفالا .. يأتي وقت ربما يفقدون فيه طابعهم المصري وطابعهم الشرقي « وممكن يقولوا إحنا أمريكان » . وتلك هي الخطورة .. ..

ترك أولادنا لكي يصيروا غربيين تماما بعد سنين قصيرة فهو أمر في منتهى الخطورة »[٤٩] .

وهذا الذي يخشاه البابا ــ ويبدو في ظل الظروف والعوامل المرئية نتيجة محتومة للأسف ــ تعرض لها المهاجرون المسلمون . وربما يقال إن وجود الكنيسة يمكن أن يكون عامل مقاومة لهذا الذوبان .. وهذا صحيح إلى حد كبير .. ولكن يخشى أن يقال من بيت أبي ضربت .. فما لم يقله البابا ولكن يبدو واضحا من تحليله وعرضه للمشكلة هو أن النتيجة الحتمية للوضع الصعب الذي عرضه البابا هو اضطرار البطريركية في القاهرة لرسم قساوسة من أبناء المهجر الذين بلاشك وبدون إدانة أو تجريم سيكون ولاؤهم الأول لوطن إقامتهم ، حيث مصدر ارتزاقهم ومستقبل أولادهم .. وكما تجبرهم قوانين تلك البلاد التي يحملون جنسياتها .. بل وكما توصيهم تعاليم المسيحية ذاتها أو كما جاء في النص :

« المسيحيون ليس لهم بلد خاص بهم أو لغة أو ملابس تميزهم عن سائر الناس ، فهم لا يسكنون مدنا قاصرة عليهم .. ولا **يتكلمون لغة مخالفة لغيرهم** ، ولا يتبعون أسلوب حياة غير مألوف .. يعيشون وسط جميع الشعوب ، وبينما هم يمارسون العادات المحلية في ملابسهم وطعامهم وطريقة معيشتهم ، يظهرون الطابع المميز لحياتهم .. يؤدون واجبهم كمواطنين .. يطيعون القوانين الوضعية ، ولكنهم بسلوكهم يسمون على القوانين »[٥٠] .

وبالتالي فسيدخل في الأكليروس القبطي قساوسة .. أساقفة .. مطارنة غير مصريين لا بالولاء ولا بالانتماء .. والخطوة التالية .. ياللهول !! هي بابا أمريكي أو استرالي للكنيسة المرقصية .. !! .

هذه نقطة يجب أن تنتبه لها الكنيسة والدولة فتحظر مثلا عضوية المجمع المقدس إلا على المصري المولود في مصر الذي لا يحمل جنسية غير الجنسية المصرية ، والذي قضى أكثر من ثلاثين سنة في كنيسة أو دير مصري داخل مصر .. الخ .. كما يحظر نهائيا ترشيح غير هؤلاء لكرسي مرقص الرسول .

إن الكنيسة القبطية مؤسسة مصرية كاملة ومصريتها هي سر تفردها .. فإذا فقدت هذه المصرية تحت إغراء العالمية .. فقدت تفردها وتميزها ..

ولعل الكنائس الغربية التي يئست من التبشير بين الاقباط للقضاء على كنيستنا المصرية .. قد عمدت إلى هذا الأسلوب الجديد الذي يحقق نفس الهدف بدون استفزاز للمصريين الاقباط .. وكل الطرق تفضي إلى روما .. نعم روما التي رفضت كنيستنا التوجه إليها منذ عشرين قرنا .. والتي بدورها لم تفقد الرغبة أبدا في القضاء على كنيستنا .. .

« وكان المشروع الصليبي الجديد أن تطبق أوروبا على مصر من الشمال . وإن يجري العمل على فصل الكنيسة الحبشية عن الكنيسة المصرية تمهيدا لضم الأولى إلى الكنيسة الكاثوليكية . »[٥١] .

'' وإن كانت خطة الأمريكين هي القضاء على الكنيسة القبطية وضم أبنائها إلى كنيسة بروتستانتية جديدة . بينما كانت خطة الانجليز الابقاء على كنيسة مصر مع التغلغل فيها والسيطرة عليها من داخلها . ,,[٥٢] .

« ويذكر الدكتور جرجس سلامة ، أن التعليم الأجنبي في مصر انتشر على يد الارساليات التبشيرية . وقد حاول باباوات روما إخضاع الكنيسة القبطية وإجبارها على الاعتراف برياستهم ، وذلك بما أرسلوا من رهبان الفرنسسكان إلى مصر حتى قبل الحملة الفرنسية ، وتوغلوا في الصعيد حيث يكثر الاقباط . وبلغ بهم الأمر أن كان الفرنسسكان يمسكون بالأطفال ويرسلوهم إلى روما لتعلم الكاثوليكية إلا أن الاقباط قاوموا هذه الحركة إلى حد أن استولوا على كنائس الفرنسسكان وطردوهم منها . »[٥٣] .

فهل نجحت المسيحية العالمية في حفر قبر كنيستي القبطية ، وهل سنرى يوما بابا في القاهرة من أصل أمريكي يعلن إلغاء الكنيسة الصرية كما أعلن بابا المخابرات الأمريكية إلغاء لعن اليهود وجريمتهم من الدين المسيحي .. ويعترف به وبقرارته

مجلس الكنائس العالمي الذي أصبحنا عضوا فيه ؟! إلا أننا أخوف على كيان واستقلال كنيستنا القبطية من كثير من دعاة الفتنة من غير المسلمين .

ومرة أخرى لا نستطيع أن نفهم ولا أن نقبل تعليق الدكتور العوا (الشعب ٩١/٥/٧) حول انتخاب البابا المصري رئيسا لمجلس الكنائس فبعد أن استعرض الاتهامات أو الحقائق التي قدمها كتاب « الاقباط والمسلمون » حول أهداف المجلس الصهيونية والاستعمارية .. بعد أن استعرض الدكتور « العوا » ذلك كله دعا البابا لتغيير المجلس ودعا له بالتوفيق ! .

ومهما تكن ثقتنا في البابا فكما قال أبو حنيفة إذا سقط السابح في المحيط فما عساه يسبح ؟! إننا ندعو للبابا لكي يكتشف دخائل المجلس وينسحب منه ويعيد كنيستنا لاستقلاليتها ومصريتها ، وندعو كل قبطي شريف غيور على كنيسته أن يطرح هذا المطلب .. لقد وجدنا العديد من الكتاب المسلمين يهاجمون شبحا اسمه الحلف الاسلامي .. مع أن مصر كانت ستكون القائدة في أي تشكيل اسلامي .. وقد عارض بعض الكتاب الاسلاميين اشتراك مصر في المؤتمر الاسلامي بعد حرق المسجد الاقصى ، والقرار على أية حال يصدر من حكومة كل المصريين وليس من مشيخة الأزهر ولا من تنظيم الجهاد .. والاتهامات التقليدية للاسلاميين أنهم يتبعون أو يشتركون في تنظيم اسلامي خارجي ، ورغم تعرض الاسلاميين بصفة دورية لمحاكم تفتيش النظام لم تثبت مرة واحدة تهمة الاشتراك في تنظيم خارجي ، ولكن ها هي كنيستنا عضو وتترأس تنظيما عالميا ، شهادة المثقفين الاقباط عنه إنه معاد للكنيسة المصرية عميل لاسرائيل ، تأسس على يد المخابرات الأمريكية وفي عام ميلاد اسرائيل .. فهل يوفر علينا قادة الاقباط حرج مهاجمة هذا المجلس ويقومون بالمهمة الوطنية .. نعم الوطنية مصريا وقبطيا .. !

* * *

* *

*

ولعلني لا أظلم أحدا إذا قلت إنه من العوامل التي دفعتني للعودة إلى حديث الوحدة الوطنية أو إن شئت '' الفتنة '' .. تصريح استفزازي لخالد محيي الدين الذي اشترك في ندوة عن المشكلة الطائفية فإذا به يبدأ حديثه بقوله إن بعضا من خيرة أصدقائي من الاقباط !! وهي عبارة منقولة عن أوباش البيض في الولايات المتحدة ، الذين إذا ما أرادوا إظهار إنسانيتهم وتسامحهم مع الزنوج ـــ وخاصة في موسم الانتخابات ـــ عندها يتجشأ أحدهم تصريحا يقول فيه : إن بعضا من خيرة أصحابي من الزنوج .. وقد عاد خالد محيي الدين فمّن علينا مسلمين واقباطا في مقدمته لكتاب مشبوه عن المسألة الطائفية في مصر فافتخر : ؟ أنا شخصيا اتعامل في خياطة ثيابي (البدل) مع ترزي قبطي لم أغيره هو الأستاذ صبحي ليون الذي تربطني به صلة روحية وأخوية عميقة وأشعر براحة للتعامل معه حتى هذه اللحظة . » !!!

إنتابني الهلع ، وأنا أعرفِ أن الرجل حسن النية إلى حد الطيبة ، ورغم ذلك فدلالات كلماته خطيرة .. .. هل وصلنا إلى هذا الحد ؟! من هو المصري المسلم الذي ليس له خال وأن بعد من الاقباط .. أليست أمنا هاجر قبطية ؟ أليست أم المؤمنين زوجة رسول الله أم ولده إبراهيم هي مارية القبطية ؟ بل هل يستطيع أحد أن يدعى خلو دمه من الدم القبطي ؟ .. هو إذن غير مصري .. هل لدينا جيتو يسكن فيه المسلمون أو الاقباط فلا يختلطون حتى تحتاج صداقة المسلم لقبطي إلى التنويه ومِنْ مَنْ .. رئيس حزب مشتغل بالسياسة ؟ ! ثم تأمل ما أصفه

باللاطائفية السوقية ، فهو في واقع الحياة يحس بالفارق والتميز إلى حد إدعاء التحرر والفخر ، بتخطيه للحاجز والتعامل مع قبطي .. بل وله أصدقاء اقباط .. وفي نفس الوقت يتطرف فيقول أن بينه وبين فلان المسيحي صلة روحية .. ما هي هذه الصلة وكيف تكون . ليسمح لنا الأخ خالد أن نتخذه مثالا لشرح منهاجنا ، الذي يقوم على تأكيد التميز والاختلاف في كل ما يتعلق بالروح بين المسلم والقبطي .. وفي نفس الوقت ، رفض أي تميز أو امتياز أو اختلاف فيما يتعلق بهذه الدنيا .. فنحن أخوة متساوون وأصدقاء ومواطنون متكاتفون متحابون متعاونون .. أما صلة روحية فلا .. ولكن الأساتذة هم ، كما يقول المثل الصعيدي يا يحرق .. يا يغرق .. أي إما أن يعطش إلى حد احتراق الزرع أو أن يغرق الزرع بالري أكثر من اللازم .. !

• وكلمة أخرى للصديق العزيز القبطي المتدين الشريف الدكتور وليم سليمان قلادة فهو يعترض على تقسيم المواطنة إلى أغلبية وأقلية على أساس الدين .. ويقول أن العالم تعارف على اعتبار الاقلية والأغلبية كمصطلح سياسي وبمعايير سياسية .. والحق معه إلى حد كبير .. ولكن هذا لا يعني أن التقسيم الديني مرفوض أو لا أساس له .. والتغافل عنه أو إنكاره لا يحل مشكلا .. فهناك أغلبية عددية مسلمة وهناك أقلية مسيحية .. قف .. انتهى .. ولكن في كل قضايا الوطن والمواطنة فإن التصويت والتعداد وإحصاء الأغلبية والاقلية يجب ألا يتم على أساس ديني .. حتى أحكام الشريعة مثل الحدود عندما ستقر في المؤسسة الدستورية التي ستحولها إلى قانون عام ، لن يتم التصويت والاحصاء على أساس ديني ، وقد أطنبت في الرد على الذين يرون في مجرد وجود أغلبية مسلمة مبررا كافيا لفرض الشريعة .. وقلت انه لابد أن تقر الشريعة وتحول إلى قانون مدني وجنائي وتجاري .. إلخ بالأغلبية التشريعية .. أما ان واقع كون الأغلبية العددية مسلمة ومن ثم ستحدد الأغلبية السياسية فتلك قضية أخرى .. المهم أنه للوصول إلى الوحدة الدستورية التي تنهي التميز في المواطنة على أساس الأديان ، يجب أن نبدأ من حقيقة وجود هذا التمايز والاعتراف به .

ويثير الدكتور وليم قلادة نقطتين .. يقول لا تكفيني تأكيدات الاسلاميين .. بأن لكم ما لنا وعليكم ما علينا .. إذ يجب أن أعرف أولا ما هو الذي لكم ..

والنقطة الثانية هي قوله : « أن الشورى الشرعية لا يلزم الحاكم فيها برأي المستشار » ص ٢٢٢ .

والرد على ذلك يسير :

ما دمنا قد اتفقنا أن المواطن سيتساوى في الحقوق والواجبات أو ما له وما عليه ، فلا تفرقه بين قبطي ومسلم .. أصبح تحديد الحقوق .. مهمة ومسئولية وحق الشعب كله ! وهذا يعني أن يناقش الشعب البرنامج المقدم من التشكيلات السياسية فيقبل البرنامج الذي يعطيه ما يريد دون أن يعني ذلك رفض الفكرة المتفق عليها من الجميع وهي تأكيد الهوية الاسلامية الحضارية لهذا الوطن والاعتراف بمركز خاص فيه لكنيسته الوطنية من بين سائر الكنائس ..

النقطة الثانية .. نقول فيها أن كل حاكم في الدنيا ، بل كل من استشار غير ملزم برأي المستشار ! وإنما إذا كان المقصود بالشورى ، عكس الانفراد بالرأي من جانب الحاكم فالرأي السائد بين الاسلاميين ، انها ملزمة ، فالنبي التزم بها في أكثر من مرة .. في خروجه لغزوة أحد ، وفي إلغاء مشروع المصالحة مع الأحزاب .. حتى قال لأبي بكر وعمر لو اتفقتما على أمر ما عدوت رأيكما .. والمهم الآن ليست مناقشة مبدأ الشورى في الاسلام وتطبيقاته فهذه قضية قد تعني في الدرجة الأولى الفرق المسلمة المتنازعة ، ولكننا لن نقبل برنامجا ولا دستورا ولا تشكيلا إلا إذا قدم لنا ضمانات كافية بتنفيذ إرادة ممثلي الشعب وإلتزام السلطة بهذا الرأي .

وكمثال على الخطأ في تطبيق حقيقة وجود أقلية وأغلبية ، اذكر أنني كنت قد أثرت في جريدة الوفد قضية أجازات الاقباط فكتبت (٥٤) تحت عنوان : « آلام الميلاد .. أقول : « آلمني بعض ما رأيت وقرأت وسمعت في عيد الميلاد الجديد .. آلمني أن أكتشف أن المصالح الحكومية والمدارس والجامعات

والمحاكم لا تعطل في عيد الميلاد المجيد أكبر أعياد كنيستنا الوطنية ، رغم أن هذه المصالح تعطل في عيد الوحدة مع ليبيا .. جليطة وتنطع ! .

فورا .. يجب أن يتقدم نواب الشعب بمشروع قانون ــ يقر بالاجماع ، بإذن الله ، اعتبار عيد الميلاد وعيد القيامة وعيد الشهداء ، وفقا للتقويم القبطي ، أعيادا رسمية تعطل فيها جميع المصالح والمعاهد والمدارس والمؤسسات الحكومية بما فيها المحاكم . وحرصا على الانتاج اللي على ودنه تلغي اجازات جميع أعياد الوحدة الكدابة .

فورا يجب أن يتقدم نفس النواب بمشروع إضافة للمادة التي تنص على أن الاسلام دين الدولة والشريعة مصدر التشريع .. الاضافة هي : « والكنيسة المرقسية الأرثوذكسية هي كنيسة مصر الوطنية » .(ا . هـ)

وقد حدث بعد ذلك أن دار جدل حول المطلب الأول فعارضه المستشار طارق البشري وآخرون .. واستند المستشار إلى موقف قيادات حزب الأمة في المؤتمر الاسلامي المشهور عام ١٩١١ ، وما أخذت به قيادات مصر السياسية في موضوع ترجيح اجازة الأغلبية .. وعليه فلا حق لأحد في المطالبة باجازة رسمية في عيد الاقباط .

وهنا لبس بسيط .. فهذا الموقف الذي يشير إليه ، طارق البشري ، أو بالأحرى الحوار الساخن الذي دار في مطلع هذا القرن ، كان حول الاجازة الأسبوعية ، وهل تكون الجمعة أم الأحد .. وفي هذه الحالة فمن الطبيعي أن يرجح اختيار الأغلبية ، ولكن حالتنا اليوم ليست الاختيار بين التعطيل في المولد النبوي أو عيد الميلاد .. إنها إضافة عيد أو عطلة إلى عطلاتنا الرسمية ، ومن حق الاقلية أن يكون لها عيدها الذي تعطل فيه الدولة لكي يكون عيدا حقا وعطلة بلا تضحيات ، مثل أعياد الأغلبية .. أما المطلب الأخير وهو النص على أن كنيستنا الوطنية هي الكنيسة القبطية .. فقد أشرت إليه في غير هذا الموضع وأنا أول مسلم يؤيده فيما كتبته بالصحف .

والخط العام لهذه الدراسة هو أن الفتنة في مصر مرتبطة أصلا وفصلا ، وشكلا وجوهرا بالقوى الخارجية المعادية لمصر ، فأول فتنة طائفية عرفتها مصر في تاريخها الحديث ، كانت مع الاحتلال الفرنسي ، ومقاومة الشعب لهذا الاحتلال .. وتوارت الفتنة مع فشل الحملة الفرنسية لتعود مع الاحتلال ويشتد لهيبها في مواجهة ولتخريب مقاومة الحزب الوطني ، ونهوض الأمة بعد مذبحة دنشواي . حتى اشتد النحر في وحدة الأمة تماما كما هو الحال مع تصاعد هذه المواجهة مع الاستعمارية العالمية وفي مقدمتها الصهيونية ابتداء من الأربعينيات ثم استمرار التصاعد إلى يومنا هذا . ونجد وصفا لفترة مطلع القرن العشرين تكاد تنطبق على الفترة التالية فقد وصف الكاتب القبطي رمزي تادرس في كتابه الاقباط في القرن العشرين الوضع في الفترة الأولى ١٩١١ ” بمثابة انتحار عام للأمة المصرية فكثرت القلاقل الداخلية والاضطرابات ، وامتدت المشاغبات إلى سائر القرى والبلاد “ (٥٥) .

وقد سحقت هذه المؤامرة بثورة ١٩١٩ .. ثم عادت الفتنة تطل مع الأربعينات لسببين : وصول المواجهة المصرية ــ البريطانية مرحلة الحسم التي انتهت بحرق كنيسة السويس ثم حرق القاهرة كلها ..

أما العامل الثاني فهو دخول اسرائيل لاعب أساسي في الشرق الأوسط .. لاعب يعتبر أن مصر هي خصمه الأول . ويضع في مقدمة استراتيجيته اضعافها وبعثرة جهدها وتمزيق وحدتها التاريخية التي تمثل مصدر قوتها الأساسية .. وقد يبدو للمتغافل أن الفتنة اختفت في عهد عبد الناصر ، وهو غير صحيح وإنما كانت من ناحية تفتقد عناصرها ووسائل التعبير ، ومن ناحية تدعم مواقعها ، وتضرب بجذورها .. فلما بدأ التحرك ، اقترن ذلك بظروف خاصة تمر بها مصر على ثلاث مراحل اشتد فيها أوارها :

١ ــ مرحلة الاعداد لحرب أكتوبر .. فمنذ تولى السادات ونفذ انقلابه ضد الناصريين واتضح أنه يتبع سياسة جديدة مناقضة لسياسة ناصر ، أو كما كانوا

يشهرون به أنه يمشي على سياسة عبد الناصر باستيكة . وسياسة ناصر ، دون نقد أو مدح ، دون تحيز أو مكابرة ، هي السياسة التي بنت عليها اسرائيل استراتيجيتها ، وكيفت تحركاتها ، ووزعت قدراتها ، خاصه وإن سياسة عبد الناصر ضمنت لاسرائيل التفوق على جميع الجبهات وحققت أكبر نجاح يمكن لدولة أن تحققه أو حققته دولة في صراع عالمي مصيري مثلما فعلت اسرائيل في ظل عبد الناصر . ومن ثم فالخروج على الخط الناصري من جانب مصر يعني إجبار اسرائيل على تغيير شامل والدخول في مخاطرات غير محسوبة أو غير مجربة .. ومن هنا كان من الطبيعي جدا أن تحرك اسرائيل كل الأوراق .. العملاء ، وفي أذيالهم المخلصين المغفلين ، والبؤر القابلة للتقيح ، والمشاعر التي يسهل إثارتها لأسباب خاصة أو حتى ظاهرها وطني ، لشل السادات وإرباكه وإحراجه وإفقاده كل قيمة في مواجهة اسرائيل . وسنرى كيف تعرض الرجل لكل أنواع المحن وهو يعد لأول مرة في تاريخ انقلاب يوليو حربا حقيقية هجومية ضد اسرائيل .. أليس عجيبا أنه في تاريخنا حاكمان شنا الحرب على اسرائيل فقتلا ! وعلى يد الاسلاميين ! إن قوى عديدة ممن تحركوا ضد السادات لم يكونوا عملاء .. هكذا يقتضي الانصاف أن نقول ، وبنفس القوة يلزمنا الانصاف والتاريخ أن نقول عن هذه القوى أنها كانت من حيث لا تدري تصب في طاحونة اسرائيل وتخدم أهدافها بما أثارته للسادات من متاعب ..

بدأت أحداث الفتنة تتصاعد وتتفاقم وتدخل مرحلة جديدة لم تعرفها مصر من قبل .. وإذا وضعنا في الاعتبار حركة المعارضة السياسية التي قامت ضده من اليسار وفلول الناصريين والقوى التي خلعها في المرحلة الأولى ثم انضم اليهم كل المشتغلين بالسياسة في الوطن العربي ، وكل القوى العالمية المعادية تاريخيا لمصر والعرب . وإذا تذكرنا أن بعض الذين خلعهم السادات كانوا يسيطرون على أجهزة الأمن في مصر ولهم اتصالاتهم بل وسيطرتهم — بحكم عملهم — على العديد من الجماعات الدينية والحركات السرية .. إذا وضعنا ذلك كله في الاعتبار اتضحت لنا بعض أبعاد الصورة وستصبح أكثر من خلال العرض الذي سنقدمه .

٢ ــ مرحلة ما بعد رحلة القدس حيث أن السادات قد قرر أن يحصل بالسلام على ما لم يحققه بالحرب وأعني إخراج اسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة ، وكما لعب بالصولد في حرب أكتوبر ، لعب مرة أخرى بكل ما في جعبته من أوراق وقذف بها في قلب اسرائيل والبيت الأبيض ، وبدا انه قد أنزل ضربة قاصمة باستراتيجية اسرائيل وكسب الرأي العام العالمي كله والأمريكي خاصة وراءه ، ولم تعد هناك قوة تستطيع الهمس بمعارضة مطلبه العادل : الأرض مقابل السلام [٥٦] .

وكان لابد أن تتحرك اسرائيل لحماية وجودها ، وانطلقت حملة فريدة في نوعها ، فريدة في عناصرها ، سيقف المؤرخ أمامها مذهولا مبهورا من قوة اسرائيل وجبروت أجهزتها .. وكانت الفتنة في مقدمة ما جندته اسرائيل وأمريكا ضد السادات . الأولى لتحطيمه والثانية لتحجيمه لكي يرضى بالقليل ولا يسبب لها الاحراج . اسرائيل تعمل على ارباكة وشغله بعشرات المعارك .. واضعاف مركزه في أعين الأمريكين لكي لا يتحمسون في تلبية مطالبه . ومن ناحية أخرى فإن أمريكا وهي ترغب في عقد تسوية بين مصر واسرائيل كانت تفضل الضغط على مصر وليس اسرائيل ، وبالتالي فإن السادات الضعيف المهدد كل يوم بمؤامرة ، المقاطع من العرب ، الذي يسبه صبية الصحافة العربية .. ولا يجد وزيراً للخارجية ، والذي يخوض حربا مع كنيسته .. ولا يستطيع أن يبرم صلحا يخضع له مواطنوه الاقباط .. هو مفاوض يسهل انتزاع تنازلات منه .. تلك هي الفترة التي بدأت في ١٩٧٧ وانتهت باعدامه ..

٣ ــ المرحلة الثالثة هي مرحلة اسرائيل الثانية .. استقبال خمسة ملايين يهودي سوفيتي وتوطينهم في الأرض العربية المحتلة وما ستحتله من الأرض وفي هذه المرة ستصل الفتنة إلى مستوى لا يخطر على بال .

ويحسن أن نقول هنا كلمة حول موقف أمريكا فإذا كنا نجد دائما الاصبع الأمريكي خلف محاولات تمزيق مصر بالفتنة فهذا يرجع لعدة عوامل هي حسب ترتيب أهميتها :

أ ــ العنصر الاسرائيلي في السياسة الأمريكية .. وحرص أمريكا على سلامة اسرائيل باضعاف الجانب العربي وبالذات مصر .. واشتراك أو تبني الأجهزة الأمريكية السرية لخطط المخابرات الاسرائيلية .

ب ــ الجمعيات التبشيرية الأمريكية وهي تعمل على محاربة الاسلام في مصر والكنيسة القبطية منذ القرن التاسع عشر . وهذه تؤيد اسرائيل ليس فقط كراهية للعرب والاسلام بل لأنهم وصلوا لتفسير للانجيل يقول .. إن المسيح لن يعود إلا إذا تجمع اليهود مرة أخرى في فلسطين ليتمكن المسيح من إبادتهم !!

جـ ــ وراثة أمريكا للدور الاستعماري الأوربي في الشرق الأوسط والذي كان يقوم على ضرب مصر منذ حملة لويس التاسع إلى حرب السويس .

ونقل عن الأنبا غريغوريوس : « إن من مصلحة اسرائيل تفتيت مصر » و « لا ننس أن أمريكا من أزمنة طويلة تشجع إثارة الفتن الدينية وفي مصر بالتحديد » [٥٧]

ولنسمع لرأي السادات نفسه المتضرر الأول بالفتنة ، نقلا عن كتاب صدر أساسا للتعبير عن وجهة نظر خصوم السادات :

« غريبة ؟! وبعدين كنت أقول لممدوح اتصل بالقيادات اللي في الكنيسة وقل لهم الكلام ده عيب . ويتصل بيهم .. بدل ماالأمور تهدأ.. لا .. ألاقي الأمور ماشيه إلى تصعيد . غريبة ؟ ! في صيف ٧٢ أنا اللي بيشغلني في كل هذا .. المعركة .. لأنه المعركة هي مصير مصر » « جه صيف ٧٢ واللي أنا ملاحظه تصعيد .. يعني أنا بأبعث ممدوح سالم وبيتصل وبيوعي ولكن هناك تصعيداً متعمداً . قمت قلت مش دي معركتي النهارده . أنا باحضر لمعركة المصير اللي بدونها .. اللي هي أكتوبر .. بدونها ما كنا حنقدر نستعيد ثقتنا في نفسنا ولا نبني بناءنا ولا كان حيكون لنا وجود كشعب » .

« في الوقت اللي اتقال مصر انتهت فيه .. حصل نصعيد في ٧٢ ، ٧٨ الكلام

كله قبل كامب ديفيد .. أفاجأ وأنا جاي رايح كامب ديفيد برضه التصعيد يطلع قوي وإيه .. المرة دي بقى تصعيد غريب .. إنه مظاهرات تقوم في الأمم المتحدة وأنا في كامب ديفيد يقوم بيها اقباط من المهاجرين ويهتفوا بحقوق الانسان . وقامت فعلا في كل مرة . طيب يطلعوا الاقباط بقى المهاجرين ويمشوا قدام الأمم المتحدة .. يعملوا مظاهرات قدام البيت الأبيض لأنه الاقباط مالهومش حقوق الأنسان في مصر . وتلغرافات للرئيس كارتر .. ليه نعمل لمصر كده ؟ ليه ؟ لمصلحة من .. وبعدين زي ما قلت لكم حسافر يوم الاثنين .. الأحد عيد وعيد كبير .. عيد الفصح .. ارتفاع المسيح .. إمعانا بقى في المخطط قرار بعدم الصلاة في العيد وبعدم استقبال مندوبين الحكومة .. ليه ؟! لأنه فيه اضهاد للأقباط في مصر . التصعيد ماشي ومعمول ذروته يوم ما أكون في الولايات المتحدة تتوزع منشورات وتطلع مظاهرات أمام البيت الأبيض .. أمام الأمم المتحدة وأنا في أمريكا نرى ٧٨ بتاع كامب ديفيد .. ليه ؟ شوفوا بقى القرار بتاع الصلاة كان حيثياته إيه ؟ حيثيات القرار بتاع منع الاحتفال بالعيد وده أمر عندهم خطير .. إحنا عندنا كمسلمين ما يستطعش زعيم ديني أن يلغي احتفال عيد لكن عندهم الاحتفال ده خطير لما يلغى ده شيء رهيب أتاري المطلوب أن العالم يحصل فيه رجه » .

قبل ما أسافر بتلات أيام لقيت أن راديو لندن وراديو أمريكا حكى القصة والقرار . وقلت لرئيس الوزراء مصطفى خليل قلت له لا استنى أقف .. استنى لما يكمل المخطط كله .. وقف أي كلام .. كان بياخد ويدي دكتور مصطفى .. قلت له لا . لا أقف .. ليه ؟ لأن حيثيات القرار .. القرار اللي مش ها أوصفه إلا بعد ما نسمع حيثياته علشان نحكم جميعا ويسمعوه أولادي وبناتي من الشعب القبطي .. الحملة زي ما قلت . كان مرسوم لها أن أصل إلى أمريكا وهي في القمة .. المنشورات بتوزع .. قدام البلير هاوس والمظاهرة في الشارع قدام بيت الضيافة اللي أنا نازل فيه ومظاهرة أمام البيت الأبيض ومظاهرة أمام الأمم المتحدة وتتوزع المنشورات .. وقد كان يتحجز نصف صفحة في الواشنطن بوست .. كل ده عرفته قبل ما أسافر من هنا وعلشان كده قلت لرئيس الوزراء : لا استنى لأن

الموضوع بعيد والموضوع مخطط كبير . تعالى إما نوصل ما دام راديو أمريكا ولندن قالوه كده واللي بلغوه لهم .. أنا عارف مين اللي بلغه لهم هذا الكلام .. علشان يخوفونا وعلشان نجري وأجري على كارتر وأقول له أبدا والله وأدافع عن نفسي . الكلام ده لمين ؟ لمسيحي العالم وللرئيس كارتر وللأمم المتحدة القس والطلبة والعمال يعذبوا ويقتلوا .. أنا باتزعم الجماعات الدينية في مصر . كشف الحكومة المصرية أمام الرأي العام الأمريكي **وهي أنها تتبنى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ضد إراداتهم بينما تتجاهل عن عمد وسوء قصد آلام اقباط مصر نفسها** . اتصال بالهيئات الكنسية الدولية (الفاتيكان) . مجلس الكنائس العالمي . مجلس الكنائس الأمريكي .. القيادات الدينية المسيحية وشرح القضية القبطية لهم بعد إكراه الاقباط على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للتشريع المصري . ده بمناسبة الكنائس العربية دي .. حدث في يوم أن زعيم المقاومة الفلسطينية سنة ٧٢ . في بيروت راجل مهم قوي كان عندي قال لي إحنا وإنتم عارفين أن منظمة التحرير أول ما وقعت مع الكتائب اللي هم المسيحيين المارونيين في لبنان والكتائب بيجهزوا جيش كانوا ومتطوعين اللي بيحاربوا بيه دلوقت وجدوا السلاح من اسرائيل .. وبيحاربوا بيه .. جاني الزعيم الفلسطيني سنة ٧٢ وقال لي إلحق . قلت له إيه ؟! قال لي إحنا مسكنا من الكتائب خمسة إمبارح وجبتهم استجوبهم في مقر المنظمة طلع منهم ثلاثة مسيحيين مصريين بيشتغلوا مع الكتائب ضد المقاومة الفلسطينية أنا بأقول الكلام ده لأنه حكاية الكنائس العربية موش بس مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان .. و .. ولا مع بعض الكنائس العربية اللي هي الكنيسة المارونية . قلت له إنت متأكد . قال لي طبعا متأكد وابعتهملك كمان وممدوح سالم كان وزير الداخلية قلت له قل لقيادات الكنيسة قول لهم بيقول لكم اقباط مصريين بيحاربوا جنب المارونيين هناك في لبنان .. إيه اللي جرى .. ده عيب !! .

العمل على عقد مؤتمر عالمي للمغتربين الاقباط في أسرع وقت يحاط بإعلام منسق في كل وسائل الاعلام الكنسية والعالمية لبحث أوضاع الاقباط في مصر في ضوء تعديل الدستور والنص على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للقوانين

ولجنة الاعداد لهذا المؤتمر بالاسم عندي أهي قدامي . اللي نلاحظه من ده إيه . المخطط ده ماشي لغاية النهارده وأنا واقف قدامكم .. وفاهمين أنه سري . بس هوه مش محتاج إلى نباهة كثير علشان الانسان يقدر يستنتجه .. التركيز كله على المادة الثانية من الدستور وأن دي فرصة يلموا المسيحيين من غير الأرثوذكس في مصر .. إحنا عندنا الاثنين يعني كاثوليك وبروتستانت يلموا الطوائف الأخرى مع الاقباط باسم المسيحية بقي كلها . ويبعتوا للفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي لتشوية سمعة مصر .. إن مصر قالت المادة الثانية من الدستور الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع يبقوا همه خلاص . وده تعصب من مصر .. وده التصعيد اللي ماشي إلى اليوم . آخر حاجة بعتها لأولادي النواب الاقباط .. مندوب من هنا قام راح الفاتيكان ومعاه صور متخذة في أسيوط .. لمظاهرة طلعت علشان يقولوا اتفضلوا آدي اللي بيجرا ضد الاقباط في مصر .. برضه لمحاولة ضرب سمعة مصر .. طبعا التركيز على المادة الثانية في الدستور .. المادة الثانية بتقول الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي .. وأنتم جيتوا في مذكرتكم قلتم المصدر الرئيسي .. وقد تكون فيه مصادر أخرى .. وجه وزير العدل فيما أعلم قال إن قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين يتفضلوا يبعتوه علشان نصدره لهم بشريعتهم .. محدش بيفرض الاسلام على حد .. أبدا .. كل واحد حر في اختيار العقيدة اللي هو عايزها . لكن ليه الكلام ده ؟ .. إيه أثر الكلام ده ؟ .. هل مجلس الكنائس والفاتيكان وكارتر ومجلس الكنائس الأمريكي . والأمم المتحدة أقرب لأقباط مصر من إخوانهم مسلمي مصر ؟ .. ما هو ده المطلوب النهارده .. وأنه التهديد بالمسيحية وتشوية صورة الاسلام .. .

« وقبل سفري مباشرة إلى الولايات المتحدة في إبريل ١٩٨٠ حاولت قيادة الكنيسة القبطية إحراجي أمام صديقي كارتر علما منها بأنه شديد التدين وقررت عدم الأحتفال بعيد الصعود ، بدعوى أن الكنائس المسيحية تحرق وأن الاقباط يذبحون وكانت لبعض المنشورات مغزاها العميق فكانت موجهة للمواطنين الأمريكيين وكانت تقول : « بلغوا نوابكم في الكونجرس ليعلموا مع من يتعاملون »

وقامت ضدي مظاهرات بمدينة واشنطن وخاصة أمام البيت الأبيض وبعدها عمدت قيادة الكنيسة إلى تصعيد نشاطها في القاهرة .[٥٨] ».

هذه هي القضية ببساطة شديدة .. وضع السادات في موقع المدافع عن نفسه أمام الرئيس كارتر .. الشديد التدين . والذي أعلن من قبل أنه مهتم جدا بوضع المسيحيين في مصر .. وموقف الدفاع أمام الرأي العام الأمريكي الذي كان أقوى أوراق السادات في مناوراته مع اسرائيل والادارة الأمريكية .. وإذا كانت الادارة الأمريكية تعرف الحقيقة وتعرف الأصابع المحركة سواء في الزاوية الحمراء وكودية الرحمن أو في نيوجرسي .. وواشنطن ، وتستخدم ذلك في الضغط على المفاوض المصري .. فإن المواطن الأمريكي العادي لا يعرف الخبايا ، ومن الطبيعي أن يفتر تأييده لرئيس دولة تعتدي على المسيحيات وتحرق القساوسة أحياء ويغتصب فيها الراهبات .. وتعطل فيها الأعياد المسيحية .. وربما كان هناك بعض المخدوعين أو الطيبين الذين قيل لهم أن فرصة المفاوضات خير مناسبة للضغط على السادات لانتزاع مكاسب للمسيحيين والاستفادة من الحشد الاعلامي الذي يحيط برحلاته إلى أمريكا .. ولكن لابد أيضا من الاعتراف بأن رجال اسرائيل والمخابرات الأمريكية قد استفادوا إلى أقصى حد من قرارات إلغاء العيد والتظاهر في أمريكا .. ونحن نعرف أن هذه الأجهزة تعرف ما يفيدها ولا تجلس في انتظار رزقها بل تسعى للحصول عليه .. يقول مؤلف وجهة نظر الكنيسة :

« واضطر (.. !ج) المجمع المقدس أن يعلن عدم الاحتفال بعيد القيامة المجيد في ١٩٨٠ وأصدر أمره إلى كل رجال الكنيسة بعدم تقبل التهاني بالعيد من أي مسئول رسمي تبعث به الحكومة كعادتها كل عام للتهنئة بالعيد المجيد .. .

” كان يجب أن تكون صرخة المجمع المقدس محل اعتبار من الرئيس السادات ليتخذ من الاجراءات ، وهو رئيس السلطة التنفيذية .. الاجراءات الكفيلة بحماية الاقباط من الاعتداءات المتكررة على الاقباط أبناء مصر . “[٥٩]

في لحظة المفاوضة على استرداد سيناء ؟!

حقا غريبة وعيب !

وأظن أنني قلت رأيي في موقف المتخلفين من المسلمين ، وخاصة في كتابي « خواطر مسلم في الجهاد والاقليات والأناجيل » وهو الكتاب الذي شرحت فيه كيف تقوم الوحدة الوطنية حول مطلب استرداد الهوية الاسلامية للدولة ، وأن هذا الاسترداد لن يتم إلا إذا اقتنعت غالبية الاقباط المصريين به انطلاقا من قناعتهم بالاسلام الحضاري اسلام الهوية والتاريخ والجغرافية والمصالح ، وكافحوا مع المسلمين ضد أعداء تاريخنا وهويتنا .. وقلت أنه في ظل هذه الدولة المرتقبة التي لابد أن تكون ديموقراطية ، تتحقق المساواة المطلقة بين المصريين بصرف النظر عن الدين وأن جميع المناصب مفتوحة أمام الجميع بلا استثناء بما فيها رئاسة الدولة ، وأن أحدا لن يبعد من موقع بسبب دينه ، وأن أحدا لن يفرض في موقع بسبب دينه . غير أني — كعادتي — أحب أن أقدم شرحا أوسع لمفاهيمي ، وما ادعو إليه ، وذلك من خلال مناقشة كتابات الآخرين فيما يلي ذلك من صفحات .[٦٠]

٢٢/ ٧/ ٩١

الزمالك/ القاهرة

* * *

* *

*

□ هوامش وملاحق ومراجع المدخل

(١) للمزيد من الدراسة انظر رسالة ماجستير من جامعة يوتاه الامريكية للاستاذ خالد كشك عن الدولة المتعددة الاديان الموحدة المواطنة التي أراد الرسول إقامتها في المدينة قبل الثورة الفرنسية بألف عام . ولكن اليهود رفضوها واصروا على الحرب الدينية فكان القتال وتشريع الجزية والذمة .

(٢) ص ٤٢٣ فتح العرب لمصر . ا . بتلر . ترجمة محمود فريد ابو حديد .

(٣) الاقباط في السياسة المصرية ــ مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية / د . مصطفى الفقي عن جاك تاجر .

« في عام ١٨٥٥ اسقطت الجزية عن القبط وفي عام ١٨٥٦ صدر أمر عال بدعوة أبناء الاقباط إلى حمل السلاح اسوة بأبناء المسلمين » ص ١١٠ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٤) ادمون رباط ص ٦٤ عن كتاب THE MIDDEL EAST AND THE WEST .

(٥) ص ٣٥ / ٣٦ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(٦) كتاب : '' من يحمى المسيحيين العرب '' تأليف « فيكتور سحاب ــ الناشر دار الوحدة ــ بيروت ١٩٨١ » .

(٧) واعتذر للقارىء من انفعالي لما تتعرض له افكاري من سرقات ، فقد ضاق صدري لا من جرأتهم في السرقة والانتحال فهم مفلسون يحترفون الكتابة في الاسلام بلا اقتناع ولا دراسة متعمقة ، وهذا الصنف لا يمكن أن يكتشف فكرة جديدة أصلية . فهذا الذي احترف السطو على افكاري .. انظر فهمه إذا ما اعتمد على نفسه : قال في تفسير .. '' بقية السيف انمى عددا وأكثر ولدا '' قال : '' وهي مقولة خطيرة خلاصتها : قاتلوا إلى النهاية وإن بقى من عتادكم جزء من السيف ففيه الكفاية '' !! .

وكم ذا بمصر من المضحكات .. ! فليس العجب منه ولكن العجب من الذين يعرفون سرقاته هذه ثم يتعاملون معه ككاتب اسلامي !! ما هو الإسلام إن كان لا ينهاك عن السرقة .: يا ويل المسلمين وسمعة الإسلام من لصوص يصلون ليسرقوا حذاء المصلين ويتكسبون بسرقة أفكار المفكرين .

(٨) الأهرام ٣ / ٤ / ١٩٨٧ .

(٩) الشعب ٢٠ يناير ١٩٨٧ .

وقد نشر الاستاذ طارق البشري ما يمكن وصفه ببرنامج الفتنة الذي طبق بالتمام في مصر .. بعكس تعليق المستشار البشري عليه .. قال :

« لقد أصدر مؤلف أمريكي في ١٩٦٣ كتاباً عن الأقباط أسماه « الأقلية المعزولة » A lonely minority, the modern story of Egypt's Copts,Edwar waken,New York 1963,

أصدره في سياق تاريخي من تصاعد حركة القومية العربية المناوئة للنفوذ الأمريكي والغربي عامة . وينطوي الكتاب على دراسة تفتقد العمق والأصالة ، ولكنها تفتش من خلال دراسة أوضاع الاقباط ، عما إذا كان ثمة إمكانية للتحريك أم لا . ويذكر أن القومية العربية التي يترنم بها نظام عبد الناصر ، لا تعني على ألسنة المسلمين غير الإسلام فهي صنو له ومرادف ، وأنه حتى مع اختفاء الاخوان المسلمين فلا يزال طعم الاضطهاد عالقاً في حلوق القبط ، الذين يستشعرون روح الاخوان بغير جسدهم .. .

ثم تكلم عن أن ظروف الكنيسة القبطية قد صارت أكثر مواتاة ، إذ حلت مشاكلها مع كنيسة أثيوبيا وحلت الصراعات بين القبط بعضهم وبعض وحلت مشاكل الأوقاف التي كانت تستنفذ جهودهم . كما وجد بالكنيسة جيل من المحدثين ضرب لهم أمثلة منها الأب مكاري السرياني المتحدث الرسمى باسم البطريك ، والمتخرج من جامعة القاهرة والحاصل على درجة علمية من المعهد الديني ببرنستون بأمريكا ودرجة أخرى من الجامعة الأمريكية بالقاهرة . ويذكر أن البطريرك الأنبا كيرلس السادس ، وأن كان يؤخذ عليه انصرافه للأمور الدينية وحدها وعدم إدراكه أن « السياسة جزء من وظيفته » فإن تطوير الكنيسة صار إمكانية واضحة ، **كما يمكن لراهب مثل البطريرك أن يسيطر على خيال القبط وأن يحركهم بمثل الصدمة الكهربائية إلى العمل** ، فيتحول من النظر وحيد الجانب للعالم الاخر إلى الاهتمام بالمشاكل الحديثة . وأن المخاطر المحدقة بالديانة القبطية وقلة عدد الأقباط في الوظائف الكبرى وغيرها ، يمكن أن تحفز على التحول ، وأن تصوغ راهباً في هالة بطولية يتحدى الأغلبية المسلمة والضغوط المتعددة ضد الأقلية . **وأنه يمكن في أي وقت أن يظهر من أحد الكهوف المنعزلة في الصحراء راهب يتخذ مسوح المخلص . وذكر أن القبط بإقامتهم الروابط مع التيار الأساسي للمسيحية في العالم** ، ومع تنمية انتماءاتهم الدولية ، يجعلون من الصعب علي أي نظام مصري أن يهاج كنيستهم بغير أن يتعرض هذا النظام لردود فعل قوية . وبقدر ما تهتم الحكومة المصرية بالدعاية الخارجية ، يجب على

الأقباط أن يهتموا بهذا السلاح الاحتياطي فإن خطبة واحدة تظهر شكاوى القبط في أي اجتماع دولي وتصطحب بالتغطية المناسبة ، لقادرة على جذب اهتمام عبد الناصر إلى صيحات القبط في بلده ص ٦٩٩ البشري .

ويمكن القول أن المشروع وأن وضع في عهد عبد الناصر فقد تحقق في عهد السادات .

كذلك نلاحظ اهتمام زعماء اسرائيل بحقيقة الوحدة الوطنية في مصر المنبثقة من اختفاء الطوائف .. من بن جوريون إلى موسى شاريت « لكن مصر هي الدولة الأشد تماسكا ورسوخا بين الدول العربية والاغلبية العظمى كتلة متراصة مكونة من جلدة عرقية واحدة في الدين واللغة » عن ابو سيف يوسف .

(١٠) ص ١٠٠ كتاب '' نعم اقباط .. ولكن مصريون '' ..

(١١) البيريسترويكا ص ٢٣٠ .

(١٢) ذكر الدكتور ميلاد حنا أن الصهيوني المعادي للاسلام برنارد لويس أشرف على مؤتمر في جامعة برنستون لرسم خريطة طائفية للشرق الاوسط (يونيه ١٩٧٨) .

(١٣) ص ١٣١ / ١٣٢ السادات والباب : أنور محمد .

وقد نشر باب بريد القراء في الأهالي الذي يشرف عليه الاستاذ فيليب جلاب بتاريخ ١٢ / ٤ / ٨٩ هذه الرسالة والرد عليها :

* ما رأيكم في « جمعية الاقباط في كندا وامريكا » التي نشرت اعلانا في جريدة الـ « واشنطن بوست » اثناء زيارة الرئيس للولايات المتحدة الامريكية تدعو فيه الامريكيين إلى التبرع للجمعية وتزعم أن الاقباط في مصر محرومون من حقوقهم وانهم يتعرضون للقتل والضرب والتعذيب وحرق بيوتهم وكنائسهم .. ؟! د / أ . ناجى مصر الجديدة ــ القاهرة .

الاهالي : لا يكفي أن نستنكر مثل هذه العمليات المخططة بإتقان لتشويه صورة مصر في الخارج لأهداف لا تخفي على احد . ولا نريد أن يستدرجنا احد كل يوم لكي ننفي شائعات سخيفة كاذبة ومزاعم تثير السخرية عن الاقباط « المحرومين من حقوقهم » أو الذين يتعرضون للقتل والتعذيب » .

لكننا نريد أن نعرف من الجهات المسؤلة ومن المؤسسة الدينية المسيحية الرسمية : هل هناك اقباط فعلا بين مروجي هذه الشائعات . وما موقف الكنيسة الرسمية منهم عندما يعطون لأنفسهم الحق في التحدث باسم الاقباط والتشهير بوطنهم في الخارج ؟ وما هو موقف الاجهزة المصرية

الرسمية ؟ هل تعرف الجهات والاشخاص المختبئين وراء حملات الدعاية المسمومة ؟ وإذا كانوا يتمتعون بالجنسية المصرية فما هو الموقف القانوني ازاء ما يرتكبون من اكاذيب ومفتريات ؟ ولماذا لا ننشر على الناس اسماء اعضاء مثل هذه التجمعات إذا صح أن وراءها مصريين ؟ .

ليست هذه هي المرة الأولى التي يلجأ فيها بعض « الخوارج » إلى استعداء دول اجنبية ضد بلادهم . لكن من الصعب أن يلجأ وطني مصري إلى دولة اجنبية يستعديها ضد وطنه حتى لو كانت له قضية ، فما بالك إذا كانت القضية وهمية ؟ ! » .

ويسجل غالي شكري مغتبطا هذا النشاط الاعلامي المعادي لمصر بالخارج '' بقوله : وهكذا اصبحت هناك مسألة قبطية في الاعلام الخارجي . '' ص ٩٠ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي '' .

(١٤) ص ٩٠ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(١٥) صحيفة الأخبار ، مقال الأستاذ موسى صبري ، ١٣ إبريل ١٩٨٠ — ص ٧٠٠،٦٩٩ — البشري .

(١٦) شهد هيكل أن الأنبا صمويل اسقف الخدمات والعلاقات الخارجية كان مرتبطا بمجلس الكنائس العالمي وكان نشطا في توطين الاقباط بالخارج . ولما مات وجدوا له حسابا في بنك بسويسرا بمبلغ احد عشر مليون جنيه استرليني أوصى بها للكنيسة .. ومع كثرة ما يفترى حول تمويل الجماعات الاسلامية لم يكتب أحد حرفا حول مصدر هذه الثروة ولا مشروعية ميراث الكنيسة لها .

(١٧) ص ١٣٢ السادات والبابا : انور محمد .

(١٨) سأل مفيد فوزي غبطة البابا في قضية تحديد النسل فأجاب مؤيدا محذرا من مخاطر زيادة النسل (صباح الخير ١٥ / ٦ / ٨٩) ومثل هذه التصريحات تخفف طبعا من المخاوف والشكوك التى يروجها البعض ولكن الامر يحتاج لمصارحة أكثر وبالارقام حتى لا يتذكر البعض سلامة موسى أول داعية لتحديد النسل في مصر والذي انجب هو أكبر من المعدل العام حتى في الريف .

وبمناسبة الحديث عن سلامة موسى الذي يتهمه البعض بالتقدمية بينما اثبت أنا في دراستي بعنوان : « سلامه موسى صفحة عار » أنه طائفي عنصري فاشي .. ولا بأس هنا من شهادة المستشار البشري .

« وذكرت « مصر » تمهيداً للدعوة « منذ شعر القبطى الكريم بنهضة الشعوب الأخرى التي تعيش معه في بلادنا المصرية .. » .

صور سلامة موسى الاقباط في عبارته هذه ، وفي غيرها أحيانا ، على أنهم جماعة متميزة ، ... وبذلك كان سلامة موسى طائفيا واضحا في هذه الفترة . » ص ٥٥ البشري .

« وسلك هذا السبيل سلامة موسى أيضاً ، ورشح نفسه لعضوية المجلس الملي في فبراير ١٩٣٩ ، وكتب في « المجلة الجديدة » عما يتعين أن يكون عليه عضو المجلس ، قال « لو أني طلبت المثل الأعلى في عضو المجلس الملي لقلت إنه يجب أن يعرف اللغة القبطية كشرط أول لترشيحه ، ولكنا وصلنا إلى حال من التفكك نسينا معها المقوم الأول للقومية ، ونسينا بعد ذلك كل ما تستتبعه اللغة من درس للدين واحترام للكنيسة ، واتصال بأسلافنا الفراعنة ، عضو المجلس الملي يجب ألا يكون قبطياً فحسب ، بل يجب أن يكون مثقفاً في تاريخ الأقباط عارفاً بمصالحهم الاقتصادية والاجتماعية مهتماً بالثقافة الدينية ومركز الكنيسة القبطية بين كنائس العالم .. » [المجلة الجديدة ــ فبراير ١٩٣٩] ٥٣٣ البشري .

(١٩) والوسائل الثلاث الأولى واضح التعريض فيها بالاسلام الذي بتعدد الزوجات واباحة الطلاق يسبب زيادة النسل في رأيه ! .

(٢٠) ص ١١٦ السادات والبابا : انور محمد .

(٢١) نفس المصدر عن كتاب سيدة من مصر .

(٢٢) ص ٨٦ « نعم اقباط .. ولكن مصريون » .. وقارن هذا بالمناخ الذي كان في مصر في ظل الديموقراطية المحدودة قبل كارثة يوليو عندما كان الصعايدة في بلدتنا المراغة يسقطون الشيخ المراغي وينتخبون بطرس النصراني في برلمان الوفد ! .

وذكر البشري : « وقف ويصا واصف في إحدى دوائر المنيا يقول « إنني أمثل في البرلمان دائرة لا قبطى فيها غير نائبها » ص ٢٠٩ لبشري .

(٢٣) ص ٧٠٠ البشري . .

عام ١٩٠٧ كان عدد المسيحيين (وطنيين واجانب) يبلغ ٨٨٢٠٠٠ بنسبه ٨٧و٧ بالمائة .. احصاء ١٩٧٦ إن عدد المسيحيين في مصر بلغ ــ ٢٢٨٥٦٢٠ ــ '' ومعنى هذا ان نتائج احصاء ١٩٧٦ الرسمى لا تبعد كثيرا عن الرقم الحقيقى لتعداد القبط '' من كتاب الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٢٤) ولو أني وقفت طويلا عند تصريح للبابا شنودة ـــ أطال الله عمره ـــ يقول فيه : " ما اكثر الافكار التي ظنها الانسان في فترة من حياة معصومة من الخطأ وفوق مستوى النقاش يثبت له فيما بعد ما فيها من خطأ .. " (الاهرام ٢٨ / ٣ / ١٩٨٧) فهل يشمل ذلك قداسة البابا ؟ أليس البابا في الكنيسة القبطية مثل بابا الكاثوليك .. معصوم من الخطأ لأن روح القدس تقمصه عند وقوع ارادة المسيح بتنصيبه نائبا عنه في الكنيسة ؟! .. اعترف بجهلي .. وعسى أن ينبهني أحد أو لعل غبطته يقصد مرحلة ما قبل تنصيبه أو أنه يتحدث عن الناس عموما وليس عن شخصه .. هذه قضية فرعية ولكنها مهمة .

واحب أن اشير هنا لقضية الامام عند الشيعة ، والتي جعلت البعض يتهم الشيعة بأنهم أخذوا بالباباوية المسيحية لأن الأمام معصوم مثل البابا .. ولكني ذكرت قبل ذلك أن قوة اليقين الاسلامي بالتوحيد وبالتالي رفض قبول العصمة لانسان انتصرت في النهاية حتى عند الشيعة وذلك بغياب الإمام ، وبالتالي ، وإلى عودته فرج الله كربه وعجل خروجه ، فقد رد الأمر للناس الخطائين غير المعصومين .

(٢٥) الكتاب الذى اعترض متطرف في صحيفة الشيوعيين لأن استاذا طلب من تلاميذه التعليق عليه ! .

(٢٦) « نعم اقباط ولكن مصريون » ص ٩٥ .

(٢٧) « الوطن العربي » غالي شكري ٣ / ٢ / ١٩٨٩ .

(٢٨) كان أبي غفر الله له هو الذى اصدر أول حكم شرعي في مصر بتكفير البهائيين . ومعروف أن للبهائيين تنظيما له جذوره واتصالاته بالصهيونية . وكانت خلاياهم في العريش مرتبطة بالمخابرات الصهيونية وإلا كيف نفسر اعتناق بدوي وزوجته للبهائية وهي القضية التي عرضت على الوالد ! .

(٢٩) طارق البشري ص ٥ الاقباط في السياسة المصرية ـــ مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية / د . مصطفى الفقي .

(٣٠) الأهرام ٢٧/ ٣/ ١٩٨٧ وكما حدث مثلا في حوادث الحريق ببعض الكنائس فمن المعقول أن يسارع بعض المسيحيين إلى اتهام المسلمين بها .. ولكن المريب هو مبادرة بعض المسلمين إلى استباق أي تحقيق والاعتراف بها .. ! ولحسن الحظ فإن كاتبا قبطيا وطنيا قد شهد بالشهادة التالية : « أكدت جميع لجان « تقصى الحقائق » البرلمانية . ونصف الأعضاء بها جميعاً من الشخصيات العامة القبطية ـــ أن الحوادث التى وقعت للمسيحيين يتم تجسيمها بصورة

تشوه الحقائق كما يتم تضخيمها والمبالغة فيها وتصويرها كمخطط إضطهاد المسيحيين ونسف الكنائس بالقنابل وسحل الاقباط وقتلهم بطرق وحشية بربرية . لم يحدث أي إعتداء اسلامى على كنيسة ما فى أرض مصر كلها لأن كل كنيسة في مصر إنما هى في قلوب أبناء مصر جميعاً لها كيانها واحترامها ، وما أذيع وأشيع عن حرق كنيسة قصرية الريحان الأثرية الثمينة التي تعد ملكاً للحضارة المصرية في عام ١٩٧٩ فقد قرر خبير المعمل الجنائى وهو مسيحى — أن سبب الحريق شمعة تركت سهواً على مكونات خشبية !! وحرق دير الفاخوري في جبل اسنا عام ١٩٧٧ كان بسبب سرقة عادية ولا توجد أية أسباب طائفية وراء الحادث ... » .

والحريق الوحيد لكنيسة قبطية هو ذلك الحريق المجهول الهوية الذي وقع لأكبر كاتدرائية بناها الاقباط فى المهجر من أموالهم الخاصة وهى « كاتدرائية ماري جرجس والأنبا شنودة » بمدينة جرسي سيتي بولاية نيوجرسي الأمريكية يوم ٢٣ / ٤ / ١٩٧٨ أي ثاني أيام عيد القيامة المجيد وتبلغ الخسائر حوالى مليون دولار » « وقد طلب الأنبا بفانيتوس أسقف سمالوط من النائب العام في ٧ / ١١ / ١٩٧٨ حفاظاً على الوحدة الوطنية حفظ القضية بعد أن تم الصلح بين الطرفين إلا أن رئاسة الكنيسة السابقة رفضت هذا الصلح ووجهت اللوم للأسقف الوطني !! » .

وصل الأمر بالقيادة الدينية السابقة أن أبلغت رسمياً — عن طريق الأنبا صموئيل — عضو اللجنة البابوية حالياً — عن حادث مفتعل لعريف في القوات المسلحة زعمت أنه سجن في غرفة مظلمة ويتم تعذيبه لاعتناق الاسلام ثم أثبت التحقيق أن المذكور مسجون ومن ذوي السوابق في القوات المسلحة وافتعل هذه الحادثة وتم تجسيمها عن طريق الكنيسة ظناً منه أن ذلك يعفيه من عقوبة السجن » . عن كتاب البابا والسادات — أنور محمد ص ٢٠١ .

ولكى نعرف زراع الفتنة فإن مؤلف الكتاب الذي تكاد تكون قيمته الأولى أن اسمه فيه « محمد » .. قدم لهذا الكلام بهذه العبارة . .

« طلعت يونان كتب مقالا خطيراً جداً « بالأهرام » بعد قرار السادات بحوالي خمسة عشر يوماً استاء منه جميع الاقباط .. وفى اليوم التالي توفي طلعت يونان ! ص ١٩٢ .

ثم خشى أن يفوت القارىء تلميحه فكرره بعد صفحة واحدة قائلا :

« على مدى الأحداث في شهر سبتمبر ٨١ كتب طلعت يونان أربعة مقالات فى « الأهرام » وبعدها توفى .. » ص ١٩٤ .

وهكذا فالذي يحاول أن يقول رأيا معارضا يثير الغضب ويموت موتا عجائبيا . !! .

لم يحدث أن خضعت فئة من الشعب المصري لمثل هذه السيطرة المطلقة ، التي تتحكم حتى في الضمائر ، قال غبطة البابا : « وفي وقت الاوقات كانت هناك مشكلة بسبب الملصقات الدينية التي توضع على السيارات وتدخلت في هذا الموضوع لمنع الاقباط من استخدام هذه الملصقات . قلت لهم : **إذا كان ضميركم يتعبكم فانا مسؤل عن ضميركم** » . ص ١٦١ السادات والبابا : أنور محمد .

والبابا يعلن أن القساوسة المصريين لا يمكنهم مقابلة رئيس الدولة المصرية إلا بإذنه : « كان السادات في زيارة لأمريكا في اغسطس ٨١ قبل قرارات سبتمبر . وطبعا لم يكن ممكنا أن الكهنة يقابلوه واثنين من الاساقفة يذهبان إلى أمريكا ليحتفلا به في أمريكا إلا بأمر منى !! » ص ١٤٦ السادات والبابا : انور محمد .

(٣١) نشر المفتي السابق عشية رمضان أنواع المفطرات وقال إن لعاب الصديق إذا دخل الفم لا يفطر . فهاج أحمد بهاء الدين واتهم المفتي بإباحة الشذوذ الجنسي ..! مع أن المفتى كان يقصد عمليات الاسعاف التي بقبلة الحياة والتي يقوم بها رجال الاسعاف او حتى بعض المتطوعين وهؤلاء من حقهم أن يتساءلوا هل اختلاط اللعاب في هذه الحالة يفطر رجل الاسعاف .. ولكن العقل المريض أو المتربص جعل المفتى وكأنه يفتي صائمين شاذين يمصان اللسان ويسألان هل يفطر ذلك ؟ وكذلك الطين الذي تحدث عنه المفتي هو نوع من اللبان كان يمضغ في ذلك الوقت ويصلح أساسا للحكم في لبان اليوم الخالي من السكر . وقد توفي الشيخ غما من الحملة الظالمة التي شنت عليه ، وعجزه عن التصدي لها .. غفر الله له وجزاه خيرا ..

(٣٢) مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية / د . مصطفى الفقي عن :
A.J.ARBERY. RELIGION IN THE MIDDLE EAST, CAMBRIDGE 1969 VOL 1 (CHAPTER 8 P 433)

(٣٣) يمكن الرجوع لعرضنا لكتابي البشري وقلادة في الفصول التالية .

(٣٤) « ساويرس كتب بعد .. حوالي أربعة قرون من الفتح يقول إن سانوتيوس الذي كان من رؤساء القبط وقتئذ وتولى ادارة شئون الكنيسة مدة اختفاء البطريرك بنيامين « عرف عمرو أمر الاب المجاهد بنيامين البطرك وأنه هارب من الروم خوفا منهم . فكتب عمرو بن العاص إلى عمال مصر كتابا يقول فيه الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والامان ، السلامة من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدير حال بيعته وسياسة طائفته . فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الاسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة فلما ظهر فرح الشعب وكل

المدينة بمجيئه .. » ، « .. حينئذ أمر عمرو بإحضاره بكرامة واعزاز ومحبة .. وانصرف من عنده مكرما مبجلا » .

« كان هذا هو اللقاء الأول بين المسيحية والاسلام على أرض مصر .. لم يكن سحقا وما يعطيه قيمته التاريخية أنه يعقب قهرا كان يمارسه مسيحيو بيزنطة ضد مسيحيي مصر . ومن الواضح أن اساس اللقاء لم يكن اعتناق أحد الطرفين لعقيدة الآخر ـــ رضاء أو جبرا » ص ٢٤ المسيحية والاسلام على ارض مصر ـــ د . وليم سليمان قلادة .

ويتحدث الدكتور وليم عن موقف المسيحيين من الدولة الرومانية التي نكلت بهم فيقول :

ماذا كان موقف المسيحيين من المجتمع والدولة وقتئذ .. لم يتخل المسيحيون عن التزاماتهم نحو الدولة والمجتمع ، كانوا يؤدون أعمالهم بكل أمانة ـــ صحيح انهم رفضوا نهائيا أن يقدموا الولاء والعبادة للملك كإله ، إلا أنهم من ناحية أخرى لم يكفوا مطلقا عن الصلاة من اجله . ومن أجل خير الدولة وسلام العالم . » ص ٨٧ المسيحية والاسلام على أرض مصر ـــ د . وليم سليمان قلادة منشورات كتاب الحرية ٩٠٠ فبراير ١٩٨٦ .

مرقس الرسول الانجيلي سفك دمه عام ٨٦ في عهد نيرون .

مجمع خلقدونية عام ٤٥١ خلع البطرك المصري .

واصبح المصريون فريسة لاضطهاد عقائدي ـــ يدعي هذه المرة الانتساب إلى المسيحية . كان القائد العسكري للحامية البيزنطية هو رئيس الجماعة الدينية التابعة لبيزنطة . واستمر هذا الوضع قائما إلى أن وصل عمرو بن العاص إلى ديار مصر : » ص ٩٢ وليم .

« في مجزرة بيزنطية واحدة قتلت الدولة في مصر مائتي ألف قبطي .. »... .

ووقت كانت جميع دول الأرض لا ترضى بدين آخر داخل تخومها ، وكانت دولة المسلمين في عز انتصارها وقوتها ، وغناها عن الملاينة والمسايرة ، أحدثت نظام تعدد الاديان في الدولة الواحدة ، نظام أهل الذمة . » « من يحمى المسيحيين العرب » تأليف « فيكتور سحاب الناشر دار الوحدة ـــ بيروت ١٩٨١ »

(٣٥) روى لي عثمان أحمد عثمان أن الرئيس الراحل أنور السادات استخدم هذا المنطق .. ولكن بالمقلوب مع الرئيس الامريكى كارتر الذي سأل السادات لماذا لا توافقون على تحويل لبنان إلى دولة مسيحية فقال الثعلب .. اسرائيل دولة يهودية والعالم قبل ذلك فإذا قبلنا أيضا دولة مسيحية لن تكون لنا حجة في رفض المطالبة بدولة اسلامية .. وأخذ كارتر بالمبدأ الاسلامي :

دفع الضرر مقدم على طلب المنفعة .. فسكت عن تنصير لبنان .. ولو إلى حين ! .

ولكن تأمل ما يكتبه الآخرون :

عن حسين أحمد أمين عن الليموند عن أحدهم أن « الاقباط قد يضطرون في مستقبل غير بعيد إلى أن يحملوا السلاح دفاعا عن حقهم في المواطنة الكاملة . وإن تدفق التيار الاسلامي يدفع الاقباط إلى تعصب طائفي لا يقل في رجعيته عن طائفية الخصوم . » .

« وفكرة الدولة الدينية في حد ذاتها تعطي المبرر لوجود اسرائيل في قلب العالم العرب وتضفي الشرعية عليه . » الطائفية .. إلى أين ! ؟ ص ٧ / ٨ .

(٣٦) أهرام ٤/ ٤/ ٨٧. .

(٣٧) صرح غبطة البابا أن : « مسألة دولة في أسيوط هي فكاهة أكثر منها شائعة » أكتوبر ١٩٧٨/١/٤ .

واذكر هنا نموذجا من الابتزاز الوضيع لجأ إليه الدكتور يوسف ادريس ، وهو اشهر من أن يعرف .. وقد شغل الصحافة لسنوات بحملته ضد الميكروفونات التي تذيع الصلاة والقرآن وتمنعه من النوم ، وقد رأى الدكتور أن يثير فتنة بدعوته المنسيحيين إلى الانضمام إليه في استنكار صوت الآذان والصلاة والقرآن .. وتهيص الحكاية طبعا !! ولكن المسيحيين كانوا اشرف وأذكى من أن يجروا إلى هذا الفخ الكريه الذي تفوح رائحته .. فلم يستجيبوا له ، وانظر ماذا كتب : « أما الشيء المذهل حقاً ، فهو أني لم أتلق في أكوام الخطابات كلها إلا خطابين اثنين من مصريين مسيحيين ، فكل الخطابات التي جاءتني ، من مسلمين اجلاء .. من حجاج بيت الله الحرام وممن أدوا العمرة أكثر من مرة ، ومن سيدات محجبات ومنقبات ، هكذا قلن ، وكان وجه استغرابي أني أعرف أن اخواننا المسيحيين ، حتى لو لم يكونوا مسيحيين شديدي التمسك بتعاليم المسيح ، اعرف أنهم جميعا ضائقون بالضجة ، ضيق المسلمين وربما أكثر ، ورغم هذا لم يصلني منهم إلا خطابان .. ومعنى هذا خطير جداً ، معناه أن إخواننا المسيحيين بدأوا (ينعزلون) عن المجتمع ، وبدأوا يكونوا مجتمع أقلية خاصا بهم أو بمعني ادق يصنعون لأنفسهم نوعا من (الجيتو) القبطي يبتعدون فيه عن المشاكل التي يسببها لهم نفر قليل من مدعى الدين الاسلامي والغيرة عليه ، وهذا قد حدث في السنين الأخيرة فقط ، من هوجة الفتنة الدينية التي احدثها حكم السادات ، واستعانته بالجماعات الاسلامية المسلحة بالخناجر والجنازير للقضاء على الماركسيين أو اليساريين الوطنيين في الجامعات والتجمعات هؤلاء اخذوها (حلوانة في سلوانه) وقالوا : ولماذا لا نضايق المسيحيين أيضا ونحرق الكنائس ونجعل حكم الاغلبية الميكروفونية يسود ؟!! »

من مفكرة يوسف ادريس ١/١/ ١٩٩٠ ولا حاجة لتعليق .

(٣٨) وليم قلادة .

(٣٩) يجدر أن نقول هنا كلمة حول انتخاب الخليفة مدى الحياة .. فمما لا شك فيه أن الخلفاء الراشدين انتخبوا مدى الحياة ، فكيف نكون دعاة لدولة اسلامية الهوية ونعارض مبدأ الانتخاب مدى الحياة .. واستشهد هنا بالرجل الوحيد الذي انجز ثورة اسلامية حتى الآن وهو الخميني الذي قال ان الملكية الوراثية حتى وان جاء الملك الأول فيها عن طريق الانتخاب ، ألا أنها تصادر حرية الاختيار للأجيال المقبلة .. هذا من ناحية الملكية الوراثية .. أما مبدأ الانتخاب فتقره وتلتزم به كل الحركات الجادة .. ومن ناحيتنا فإن اسلامية الدولة لا تعني أبدا الالتزام الحرفي بنظام الخلافة ، ولا أظن جادا يتصور ذلك .. ولا حتى المسلمون الاوائل التزموا به ولا كان في وسعهم ... فالقاعدة الاسلامية الثابتة هي أنه ليس في القرآن ولا السنة صيغة محددة للحكومة ، باستثناء المبادىء العامة وهي إسلامية الدولة ، وإن الأمة مصدر السلطات وإن الاختيار الحر هو الوسيلة ، والتسليم بقابلية العزل .. بدليل : فإن اخطأت فأقيلونى .. وبدليل محاولة خلع عثمان .. وخلع بيعة على والحسن . وخلع المأمون .. الخ ومن ثم لا يوجد أي دليل يستند إليه من يدعون أن إسلامية الدولة لا تكتمل إلا بخليفة واسخف منه من يضيف وخليفة بنفس سلطات الخلفاء الراشدين . .

(٤٠) صباح الخير ١٥/٦/١٩٨٩ .

(٤١) أكتوبر ٤/١/١٩٨٧ .

(٤٢) كتب الاستاذ فيليب جلاب يقول : « إن قداسة البابا وهو أهم شخصية مسيحية في البلاد يعبر عن المسيحيين من الناحية الدينية أو الروحية لكنه لا يملك التعبير عن مواقف المسيحيين السياسية التي تختلف من حزب إلى آخر وتختلف من الحزبيين إلى المستقلين عن الاحزاب .. إن أوروبا الغربية التي لا يختلف حول ديموقراطيتها البرلمانية أحد ، لا يملك فيها البابا الكاثوليكي أو الاسقف الانجليكاني أو البروتستانتي أن يتحدث باسم المسيحيين سياسيا رغم أن الدين المسيحي هو السائد في تلك المجتمعات . (أخبار اليوم ١٨/٢/٨٩) ولكن مفيد فوزي وهو مسيحي بالطبع بدأ حديثه مع البابا شنودة بالاشارة إلى دور رجال الدين في سياسة أمريكا اللاتينية .. وأن أكبر رجل سياسي في إيطاليا مثلا هو قداسة البابا يوحنا بولس الثاني . (صباح الخير ١٥/٦/١٩٨٩) » .

(٤٣) مجلة حوار ظهرت في بيروت واسندت رئاسة تحريرها إلى توفيق صايغ وظهرت مقالات

وتحليلات عن دورها الرائد في حقل التقدمية والعلمانية وتحضر الوطن العربي وانها تصدر بقروش العاملين فيها وتبرعات أنصار التحرر ولكنها من فرط احترامها للكلمة تدفع أعلى أجر في الصحافة العربية ــ وقتها ــ للكاتبين والعاملين فيها بل وخصصت جائزة للفكر العربي .. كان واضحا أنها تنفق عن بذخ وأن لها دورها المرسوم وبالطبع اختارت التقدمي اليساري العلماني .. غالي شكري.. ليكون مراسلها وممثلها ومدير مكتبها في القاهرة .. وبدأت تحارب التخلف .. ولكن كأحد الآثار الجانبية لحرب فيتنام وثورة الستينات ، انفجرت التناقضات في واشنطن ، وشنت الحملة ضد نشاط المخابرات الأمريكية في العالم الثالث وبخاصة في ميدان الفكر وكان أن أعلن النبأ الرهيب في تقرير لجنة تشرش المشكلة من قبل الكونجرس .. وهو أن مجلة حوار تصدر مباشرة من المخابرات الأمريكية .. وهرب رئيس تحريرها إلى الولايات المتحدة حيث عثر عليه ميتا في أحد المصاعد في ظروف علمها عند الله ورجال الـ « س . أي . أيه » . وحاول غالي شكري الخروج من مصر ومنعه عبد الناصر .. الذي عبر عن موقفه من مجلة حوار بأن منح يوسف ادريس تعويضا ماليا لرفضه جائزة المجلة . وجُندت كل القوى لاخراج غالي شكرى من مصر خوفا عليه من أجهزه عبد الناصر أو التيار المضاد لأمريكا ومخابراتها ، واختفى فترة نسى فيها الناس مجلة حوار وفضيحة حوار '' وآفة حارتنا النسيان .. '' ومع الهجمة الصليبية التي تشن حاليا ضد مصر والاسلام .. عاد غالي وبالعصا السحرية احتل مكانا بارزا على صفحات الأهرام مع استمرار الطفح الذي ينشره في الصحافة العربية ..

(٤٤) ذكر البابا أكثر من مرة ومع أكثر من محاور ومتساءل ، أن السادات لو استمع إليه لما قتل في حادثة المنصة .. وربما كانت هذه الرواية التي نقدمها هنا هي أكثر الروايات قربا إلى الفهم .. '' يتوقف قداسة البابا شنوده لحظات يفكر فيها بعمق .. ثم يسترسل في الحديث فيقول : اتذكر عندما زارني اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية في عهد الرئيس مبارك عندما كنت محاصرا في الدير بوادي النطرون .. قلت له : هؤلاء الناس الذين بلغت بهم الجراءة أن يغتالوا رئيس الجمهورية علنا وأمام قواته المسلحة وأمام أجهزة الاعلام والتصوير .. هل تستكثر عليهم أن يقتلوا كاهنا أو يحرقوا كنيسة ؟! '' .

قال أبو باشا : معلش .. دي حاجات قديمة .

قلت له : صدقني .. شكوانا إلى الرئيس السادات كانت نوعا من جرس إنذار نقول له فيه خطر يحيط بنا لو أنه قد أخذ شكوانا محمل الجد دون أن يثور ويملأ الدنيا ضجيجا كان قد أنقذ نفسة من القتل ، أن زعماء عملية المنصة الذين قتلوه هم الاشخاص الذين اشتركوا في

الأحداث السابقة بدليل واحد زي عاصم عبد الماجد الذي كان زعيما للطلبة في أسيوط .. والرئيس السادات اعترف بالاعتداءات على الطلبة في اسيوط عندما زار الجامعة في ١٤ و ١٥ أبريل عام ١٩٧٩ وقعد يذيع قائمة فلان اعتدى على فلان وفلان اعتدى على فلان لدرجة أن بعض المحيطين به قالوا له يا ريس أنت بتتكلم على الهواء فقال السادات يجب أن أصارح الشعب وأنت سامعني يا محمد .. (يقصد محمد عثمان محافظ أسيوط) . ، وفي رواية أخرى : '' قال قداسة البابا لقد كان ممكناً تفاديه لأنه من الصدامات النادرة بين الحاكم والشعب التي تحتاج كثيرا إلى صوت الحكمة فالبديل كان حادث المنصة . وأكرر أنه كان من الممكن تجنبه ولكن المأساة اكتملت !! » ص ١٧٤ السادات والباب : أنور محمد .

(٤٥) ص ١٦٥ السادات والبابا : أنور محمد .

(٤٦) انظر مقال جلال كشك بعنوان « كنيستي المصرية » مجلة الحوادث ٢٤ نوفمبر ١٩٧٢ ص ٢٤ .

(٤٧) ولهذا نحن لا نوافق الدكتور محمد سليم العوا على ما جاء في تعليقه على توجيه البابا للأطباء للاشتراك في الانتخابات ، فقد قال تحت عنوان « البابا والنقابة » « هو تطور ايجابي — من وجهة نظري على الأقل — يجب الترحيب به .. يجب الترحيب به .. ومراقبة تحوله من تطور آني محدود إلى تقليد دائم ومستقر من تقاليد كنيستنا القبطية في رعاية العمل المهني والنقابي والاجتماعي كما رعت طول تاريخها الحياة الروحية لأبنائها . » .

وفسر سروره بأنه يحقق دعوة وجهها هو من قبل للاقباط للتخلى عن موقفهم السلبي من الحياة العامة ، وهو يقصد بالطبع العمل السياسي .. وبالذات الانتخابات بمختلف اشكالها.. .

وبينما يشير إلى بعض الكتابات التي انتقدت اشتغال الكنيسة بالسياسة ويدعو لاعادة قراءتها تراه يقول : « إن الصيغة السياسية للتوجه الكنسي تأتي هذه المرة من رأس الكنيسة القبطية البابا شنودة نفسه .. الأمر الذي يجعل لها أهمية خاصة ويجعل الترحيب بها أشد حرارة .. » .

ويقول « لقد طالما نادينا بأن الدين والسياسة لا ينفصلان وبأن الدين يجب أن يقود العمل العام ويرشده ويوجهه ... وكان يُرد علينا دائما بأن لا دين في السياسة ولا سياسة فى الدين .. وكان يُحتج علينا بقاعدة يقال أنها مسيحية أن ما لقيصر لقيصر ومالله يختص الله به . وقد نقض بيان البابا عن انتخابات نقابة الاطباء هذه الحجة من أساسها .. وتبين صدق ماكنا ندعو إليه وصوابه .. لهذا كله سررت ببيان البابا ورحبت به . » الشعب ١٧/ ٤ / ١٩٩٠ .

وأظن أن هذه الفقرة تكشف سر سرور الدكتور .. وملخصها أن الاسلام طلع صح ! وهذه قضية لا تهمنا ولا تشغل بالنا . فنحن نعرف أن الاسلام صح ولا نحتاج لشهادة الشهود .

لقد قلنا أنه في هذه القضايا لا يجوز الكلام بالرمز والغمز .. نحن غير سعداء على الاطلاق ببيان البابا أو دعوته الأطباء للاشتراك في الانتخابات لأن الذي يملك الحض على الاشتغال بالسياسة يملك الحض على عدم الاشتغال بها .. والسلبية التي نشكو ويشكو الدكتور منها كانت بسبب قرار حظر من الكنيسة احتجاجا على نتائج الانتخابات . والقضية في الدين والسياسة تحتاج لتفسير فالاسلام واليهودية لا يفرقان بين مملكة قيصر ومملكة الله بل يؤمنان بالدولة الاسلامية واليهودية .. أما المسيحية فهى تؤمن بالعكس أن ليس للكنيسة أي دخل في السياسة أو الحكم ، وليس هذا خطأ أو قصورا أو صوابا أنه عقيدة والعقائد لا تناقش على الأقل في مجال الوفاق والتعايش . ومن ثم حكاية بطلان الفصل بين الدين والسياسة صادقة بالمفهوم الاسلامي أو بالتفسير الماركسى ، وبنفس القوة فإن الفصل بين الدين والسياسة مقولة صادقة وصحيحة مسيحيا .. المسيحي الكامل لا يقبل تدخل الكنيسة في السياسة أو الانتخابات ، وعندما تدخل الفاتيكان في الانتخابات والسياسة الايطالية صاح الماركسيون نفس صيحة الدكتور المسلم .. ألم نقل لكم أن الدين هو سياسة ، الكنيسة كانت لا تتدخل يوم كانت الرجعية مسيطرة ولكن عندما لاح احتمال انتصار الشعب تدخلت .. الخ .

ونحن بالطبع لسنا في موقع من يحدد السلوك الديني للكنيسة ، ولكننا ضد اشتغال الكنيسة بالسياسة ، منقبضون أشد الانقباض ، قلقون كأسوأ ما يكون القلق بسبب تدخلها في السياسة ، كما قلنا أكثر من مرة لأن الكنيسة مؤسسة تقوم على العصمة ورفض التعددية ، ومن ثم فهى لا تصلح أبدا ولا ينبغى لها أن تعمل بالسياسة التي لا قوام لها ولا حرية فيها الا بحق الخطأ والتعددية . ونفس الموقف سنتخذه من أية فرقة اسلامية تعتبر نفسها معصومة ، في هذه الحالة لا يجوز لها الاشتغال بالسياسة . وإذا تدخلت الكنيسة اليوم في السياسة فإن طبائع الأشياء وقوانين الحياة ، وتجارب التاريخ ، تؤكد كلها أنه لابد أن يظهر مخالفون ، وفي هذه الحالة لن يقع انشقاق سياسي فحسب بل وانشقاق في الكنيسة ذاتها ، وكل الانشقاقات على الكنيسة الكاثوليكية بدأت سياسة وبسبب من اصرارها على مخالفة التعاليم المسيحية ، بتدخلها في حياة الناس غير الروحية وبالتالي أصبحت معارضتها كفرا من وجهة نظرها واضطر معارضوها لتكفيرها هي .. وفي حالتنا فإن المعارضين لموقف البابا السياسي أو النقابي سينتقلون للمذاهب الوافدة و هي خسارة لكنيستنا ومصريتنا .

والغريب أن الدكتور العوا بينما رحب بتدخل الكنيسة في السياسة نراه يزرجن في دعوة البابا إلى الحرص على عدم توافق أيام الانتخابات مع الاعياد المسيحية ، ويقول أن ذلك قد يصادف عيدا للمسلمين .. الخ وهى قضية قتل ناطور وليس أكل العنب .. يجب ألا تجري انتخبات في يوم عيد أو مراسم دينية لأي طائفة . ومن السهل جدا على كل نقابة أن تحدد موعد الانتخابات بحيث لا يفسد عيد أحد .. وماذا يحدث إذا عقدت الانتخابات هذا العام يوم ١٧ والعام القادم يوم ١٨ لأن ١٧ سيكون عيد الشعانين أو مولد النبي أو السيد البدوي إذا كانت النقابة في طنطا . أهذه قضية أم أنه يعمل بالمثل الصعيدي .. قال يابويا علمني التبات قال تعالى في الهايفة واتصدر .

(٤٨) حديث مع حمدي لطفي المصور ٢/ ١/ ١٩٨٧ .

(٤٩) حديث مع جريدة العرب ٢/ ٧/ ١٩٨٦ .

(٥٠) وليم قلادة نقلا عن : A DIOGNETE, SOURES CHRETIENNES. PARIS, PP 63, 119 ETS THE EPISTLE OF MATHETES TO DIOGNETES, THE ANT-NICENE FATHERS, VOL 1 MICHIGAN, 1956,P26 .

(٥١) ص ٩٣ الاقباط والقومية العربية ــ أبو يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن أحمد دراج ، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري ــ الـ ١٥ ميلادي .

(٥٢) ص ٣٥ الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ، وليم قلادة ص ٢٣ .

(٥٣) ص ٣٥ البشري .

(٥٤) جلال كشك .. جريدة الوفد ١٣/ ١/ ٩٠ .

(٥٥) الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٥٦) كان العرب زمن السادات يعتقدون أنهم سيمنون على اسرائيل بالسلام ، ومن ثم يتوجب عليها أن ترد التحية برد ارضهم .. أما الآن وبعد مصيبة العراق فشعار الأرض مقابل السلام يمكن فهمه من وجهة نظر اسرائيل أنه يعني إعطاء اسرائيل الأرض مقابل منحها السلام للعرب ! ! وإلا فمن هو العاقل الذي يظن أن اسرائيل متلهفة على مسالمة العرب ؟! .

(٥٧) ص ٢٠٤ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن سعد عبد الملك .

(٥٨) ص ٩٩ السادات والبابا : أنور محمد .

(٥٩) ص ٧٣ السادات والبابا : أنور محمد .

(٦٠) هذا منشور تلقيته من استراليا ، كما تقول طوابع البريد ، وهى كما تنبه الدكتور الديواني في منشور آخر غير مختومة ، مما يعزز الظن أنها توزع من داخل البلاد لتجنب المرور على الرقابة البريدية في مصر ، والتى كانت بلا شك ستصادره ، والطوابع ليست إلا للتضليل ، وربما يختمونها بعد نشر كلامنا هذا .. وكاتب المنشور يقول أنه كان استاذا في إحدى جامعات المغرب العربي ، وكان رغم مسيحيته يهاجم الاسلام ، ويحرض عليه بين تلاميذه ، الذين هم جميعا من المسلمين ! والمنشور كما سيرى القارىء لا يتميز فقط بالسفه والحقد والحرص على زرع الفتنة .. بل أيضا يكشف عن جهد لا نعلم وسيلته ، في دراسة الكتب الاسلامية لا ستخراج الشبهات التي تغرر بالجاهلين . كما يكشف المنشور الدور الذي يلعبه بعض الكتاب من حملة الاسماء الاسلامية في خدمة الذين هم خلف هذا المنشور .. وقد حرصت على نشره كما هو بما فيه من أخطاء وسفالة يتميز بها نشاط الذين يسمون أنفسهم الاقباط في المهجر فهم أسفل من يسبون الاسلام والمسلمين بالخارج من دون سائر غير المسلمين ، وهذا بالطبع مقصود في إطار إثارة الأحقاد وتمزيق المصريين بالخارج وإثارة المسلمين بالداخل لكى تكون فتنة حقيقة . وأتساءل .. هل يريد الذين يطالبوننا بمنع الحديث في العقائد أن نترك أولادنا يتعرضون لهذه الكتابات التي لا سبيل إلى منعها ، فقد وصلت لي وللدكتور الديواني كما تفيد رسالته إلى الأهرام .. هل نترك شبابنا فريسة هؤلاء الذين يجاهرون بوقوفهم في صف واحد مع اسرائيل ضد العرب .. أم هل نترك عملاءهم من أصحاب الاسماء الاسلامية بدون رد وكشف للنوايا والباطل الذي يروجونه ؟! .

المنشور بعنوان : **أبحاث وجيزة عن الاسلام**

وهو حرفيا : (*)

مقدمة : لقد درسنا القرآن على اعلام مفسريه ، وبحثنا في الاسلام على اعلام مؤرخيه ومتكلميه ، وتعمقنا في فهم السنة المحمدية المطهرة والسيرة النبوية الشريفة .. .

الأمر الذي فرض علينا أن نقرأ كتبا كثيرة من الكتب الاسلامية ، وكتب التراث الاسلامي

(*) كان رأيي أن ينشر كما هو بأخطاءه اللغوية ولكنه وقف في زور المصحح فأبى إلا تصحيحه ويثاب الطائفي رغم أنفه !

الطاهر .. وكلها تأليف كبار الأئمة والعلماء المسلمين : القدامى منهم والمحدثون .. الأحياء والأموات .

كما قرأنا كتب بعض الأدباء وقادة الرأي المثقفين من المسلمين . وأخيرا ، قرأنا مؤلفات بعض المسيحيين الغيورين الذين تعمقوا في دراسة الاسلام : دينا ، وتفسيرا ، وتاريخا ، وتشريعا . الخ .

وفي الصفحات التالية ، قارئنا العزيز ، سنسرد غيضا من فيض معلوماتنا الصحيحة عن دين الاسلام الحنيف .

هيا بنا ـــ قارئنا العزيز ـــ ندخل بستان الاسلام الحنيف ، ونتفيأ روائحه العطرة ، ونتمتع بتعاليم شريعتة السمحة .

١ ـــ جوهر التشريع القرآني :

إن جوهر التشريع القرآني الاسلامي هو استنباط شريعة وسط للأمة الوسط دون سواها . ودليلنا على ذلك أن القرآن المدني أسس الاسلام : أمة وسطا بين الموسوية والنصرانية . وفسر البخاري عن ابن عباس '' الأمة '' بالدين .

فيكون تشريع القرآن تشريع وسط بين تشريع التوراة وتشريع الانجيل . وهذا الهدف العام في تشريع القرآن يحدد اعجازه ويحده .

وانتهى القرآن في سورة المائدة : ٥ : ٤٤ ـــ ٥٢ إلى تخصيص شريعة القرآن بأمة محمد : '' لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة '' .

وتفسير ابن عباس لهذه الآية هو : '' الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق '' . (من كتاب الاتقان ١ : ١٢٢) . كما جاء في الاتقان (١ : ٢٨) عن عائشة أنها قالت : '' آخر سورة نزلت المائدة ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه '' .

وبما أن سورة المائدة هى آخر السور نزولا (أوما قبل الأخيرة) ، فهذا التشريع الأخير : في اختصاص أمة القرآن بشريعتها، واختصاص أمة التوراة بشريعتها ، واختصاص أمة الانجيل بشريعتها ، هذا الاعلان التشريعي الأخير في نزول القرآن لم ينسخ . وهو يكذب فرية من افترى على القرآن بأنه نسخ التوراة والانجيل في شريعتيهما .

ليس ذلك فحسب ، بل أن القرآن نفسه يقول في آخر عهده وأمره : '' وكيف يحكمونك

وعندهم التوراة فيها حكم الله * إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور.. * ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون '' (سورة المائدة : ٥: ٤٢ــ ٤٤) . ويقول : '' وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم (مصدقا لما بين يديه من التوراة) وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ' . (سورة المائدة : ٥ : ٤٦ ، ٤٧) . ويقول : '' وانزلنا إليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب (الكتاب المقدس) ومهيمنا عليه : فاحكم بينهم بما أنزل الله (عليهم ــ بقرينة ما قبله وهو قوله : وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة '' .

هذا هو تعليم القرآن الأخير ، فلم يأت بعده ما يعدله ..

هذا هو تشريع القرآن الأخير ، ولم يأت بعده ما ينسخه ....

فتشريع القرآن خاص : '' بالأمة الوسط '' ولا يفرض على أهل الكتاب . أن شريعة القرآن لم تنسخ شريعتي التوراة والإنجيل ، بل صدقتهما وفرضتهما على أصحابهما (وفقا لآيات سورة المائدة السابقة) ، بل وامرت النبي محمد واتباعه (حتى اليوم) أن يحترموهما ويحكموا بهما إذا احتكم إليهم أهل الكتاب : هذا هو منطوق سورة المائدة المنطقي .

٢ ــ هل التشريع وجه من وجوه الاعجاز في القرآن :

إلى اليوم أجمعت كتب '' علوم القرآن '' أن اعجازه في بيانه .

وقد يذكر المسلمون اعجاز في الغيبيات ، ثم في الكونيات . ولكن لم يذكر أحد أن اعجاز القرآن هو أيضا في تشريعه . والشاهد العدل هو كتاب '' الاتقان '' ، للسيوطي ، الذي يذكر جميع وجوه الاعجاز سوى الاعجاز في التشريع . ولا غرور في ذلك ، فإن آيات الأحكام فيه مابين المائة والخمسين آية والخمسمائة . وهذه الأحكام يسيطر عليها ميزة النسخ (سورة البقرة : ٢ : ١٠٦) التي يقول عنها السيوطي : '' أنها ــ ميزة النسخ ــ مما اختص الله بها هذه الأمة '' ، أي الاسلام .

والاعجاز في التشريع ، والنسخ فيه ضدان لايجتمعان .

ويريد استاذ الشريعة السابق بكلية الحقوق ، والمرحوم محمد أبو زهرة ، أن يرى إعجازا في التشريع القرآني حيث لم يره سواه من المسلمين ، وأن يرى أكبر معجزة للقرآن في شريعته ، حيث لا يرى غيره سوى عبقرية تشريعية بالنسبة للبيئة الجاهلية التي نزل فيها : '' تشريعا وسطا .

قال أبو زهرة : ''ولكن وجها آخر (من الاعجاز) لم يبينه العلماء باطناب ، ونعتقد أنه اقوى دلالة في خطاب الناس أجمعين من كل ما ذكر (من الاعجاز البياني والغيبي والعلمي) وهو شريعة القرآن . وقد أشار إلى ذلك الوجه ، إشارة عابرة ، القرطبي . فقال في كتابه (أحكام القرآن في وجوه اعجاز القرآن) : '' ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام الانام في الحلال والحرام ، وسائر الأحكام '' . هذا كلام القرطبي ، وهو يشير إلى أن شريعة القرآن وما اشتملت عليه من أحكام منظمة للاسرة ، والتعامل الانساني ، هي وجه من وجوه الاعجاز (ثم يقارن بين الشريعة القرآنية والقانون الروماني اليستنياني في بعض الأحكام ويستنتج) ، ولذلك نقول : أن شريعة القرآن هى أقوى وجوه اعجاز القرآن ، وهى القائمة الدالة على الاعجاز إلى يوم القيامة ، وهى قائمة إلى اليوم حجة على العربي والاعجمى ، لا يفترق في قبولها من يعرف لسان القرآن عمن لا يعرفه ، فهى شفاء لأدواء المجتمع في كل العصور والأزمان '' (من كتاب '' مصادر الفقه الاسلامي ، تأليف أبو زهرة الصادر بالقاهرة سنة ١٩٥٦ : ص ٢٤ ، ٣٢) .

وقد نسي ، المرحوم ، أبو زهرة التطور الذي طرأ على القرآن في اتخاذ السنة مصدرا آخر للتشريع الاسلامي ، ومع ما بين أهل السنة وأهل الشيعة من خلاف في ذلك ، ومن رد الحديث جملة وتفصيلا . إذ إنهم يقولون : لو كانت السنة مصدرا للتشريع مع القرآن لكان النبي محمد أمر بجمع الحديث ، كما أمر بجمع الكتاب .

ولما كان مقررا في الفقه الاسلامي أن السنة قد تنسخ القرآن ، كان التشريع الذي يفتقر في بيانه إلى السنة ليس بالتشريع المعجز في ذاته .

ثم ظهر للجماعة ــ أي المسلمون ــ أن القرآن والسنة لا يكفيان مصدرين للتشريع في تطور الأمة الاسلامية الصاعد ، فكان : أخذ الرأي بطريق الاستشارة مصدرا جديدا ظهر العمل به بعد وفاة الرسول فيما لا نص فيه من الكتاب أو السنة ، أو فيما فيه نص محتمل .

وتشريع يفتقر بعد الكتاب ــ كتاب الله ، كما يزعمون ــ والسنة إلى الرأي والاجماع كمصدر ثالث لتشريعه ، ليس بالتشريع المعجز في ذاته ، الشامل الكامل ، والجامع المانع .

ويعترف المسلمون ، كما سبق القول ، أن سنة النبي محمداً تنسخ القرآن . وقد نسي المسلمون ــ أو تناسوا ــ أن نسخ شريعة القرآن بسنة الرسول محمد ، أو بإجماع الجماعة ، هو خيانة لكلام الله وجناية عليه ، وفيه إشعار بتقصير التنزيل من رب العالمين .

إن إيمان المسلمين بأن سنة محمد تنسخ القرآن ، وبالضرورة تنسخ شريعة الاسلام ، تصبح هذه الشريعة منقوضة ومنسوخة وملغية ، ويصبح العمل بأحكام إله القرآن وحدوده باطلة .

ونحن نعلم — من كتب الفقهاء المسلمين — أنه لا يحق لأحد أن يشرع عقيدة ، لأن هذا من اختصاص الله وحده عز وجل .

فكيف جاز لفقهاء المسلمين وأئمتهم — الراسخين في العلم — أن يسمحوا لأي إنسان ، حتى ولو كان هذا الانسان النبي محمد نفسه ، أن يزيد أو ينسخ من شريعة الله المصونة في اللوح المحفوظ ، والقديمة قدم الله نفسه ...

نقول .. من يلومهم على ذلك ، والنبي محمد نفسه (أسوتهم الحسنة) هو الذي وضع الأساس في تزوير شريعة الله عندما ما أيد بدعة الاجتهاد التي مارسها قاضيه معاذ لما لم يجد — هذا المعاذ — حكما في كتاب الله ولافي سنة رسوله .

أخيرا نقول : إذا كان كتاب القرآن كتابا إلهيا — كما يدعي المفترون — لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. فكيف فات إله القرآن أن شريعته ناقصة وبايظة وتحتاج إلى الاصلاح والتهذيب والترميم بأقوال رسوله محمد ، وأقوال خليفته أبي بكر الصديق ، ومن جاء بعده بإحسان من خلفاء وولاة وطغاة .. .
خزاكم الله يا مسلمين يا زنادقة .

من السرد السابق ، يبدو واضحاً أننا أثبتنا بما لا يدع مجالا للشك ، وبأقوى الأدلة والأسانيد ، أن شريعة القرآن هي شريعة مهلهلة غير صالحة للتطبيق ، وإن العمل بها ملغي وباطل .

إلا أنه حتى اليوم يطالب المسلمون الجاهلون ، من علماء وأئمة ومثقفين ، بضرورة سرعة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

مجتمع فيه العقل معطل والمنطق مرذول ، لابد أن يكون الترويج للباطل مستمرا في هذا المجتمع المريض .

عدم ملاءمة الشريعة الاسلامية للعصر الحاضر (حوار مع الشباب العرب) .

« عندما كنت مدرسا في كلية حقوق الرباط بالمغرب (٨٠ — ١٩٨٢) ناقشت الشباب العرب حول تطبيق الشرعية الاسلامية فقلت لهم أنه لا يجوز بأي حال فرض شريعة دينية في

مجتمع تتعدد فيه الأديان كمصر ولبنان ، فسألني طالب من موريتانيا : « نحن في موريتانيا مسلمون ١٠٠ ٪ ، أليس من حقنا تطبيق الشريعة الاسلامية في بلدنا ؟ ، فقلت له : ’’ لو كان المجتمع الموريتاني لا يزال يعيش في بداوة القرن السابع الميلادي ، فلا تترددوا في تطبيق الشريعة الاسلامية لأنها أفضل شريعة أخرجت للبدو في هذا القرن ‘‘ .

ولما تعرضت ، في يوم آخر ، لسوء المعاملة التي يلقاها الاقباط في ظل الشريعة الاسلامية عاد الطالب الموريتاني يسألني : ’’ لا يوجد في موريتانيا اقباط ، فالمجتمع كله اسلامي ، فما الذي يمنعنا إذن من تطبيق الشريعة الاسلامية ؟ ‘‘ .

فقلت له : ’’ حقا لا يوجد عندكم مسيحيون ، ولكن يوجد عندكم نساء ... فابتسم الطالب النجيب ولم يعترض لأنه يدرك تماما استغلال المرأة ، استعباد المرأة ، تشيءالمرأة ، استهلاك المرأة في المجتمعات الاسلامية (انظر د . هيثم مناع ‘‘ المرأة في الاسلام ’’ ــ دار الحداثة ــ بيروت ١٩٨٠ ، انظر أيضا ، د . نوال السعداوي ‘‘ الوجه العاري للمرأة العربية ‘‘ ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٧٧) ولأنه يعلم حق العلم أن المرأة ، في أفضل الظروف ، لا تجاوز عند فقهاء الشريعة الاسلامية ، نصف الرجل في الميراث وربع الرجل في الزواج .

الجوانب السلبية للشريعة الاسلامية

لا يوجد قانون فوق النقد أو يعلو على المناقشة ، وأحكام الشريعة الاسلامية ليست فقط منتقدة أو محل نظر واختلاف بين الفقهاء حيث تجد في كل مسألة ، الرأي وعكسه تماما ، وهى ليست فقط صالحة الاستغلال بواسطة رجال الافتاء لتبرير كل سلطة سياسية باسم الاسلام من اقصى اليمين إلى أقصى اليسار (انظر د . صادق جلال العظم ’’ نقد الفكر الديني ‘‘ ــ دار الطليعة بيروت ١٩٨٢) بل هى علاوة على ذلك ، تتضمن قواعد تصطدم اصطداما صارخا مع حقوق الانسان ، وهى القواعد الخاصة بمركز المرأة ، بالنظام العقابي ، وبوضع غير المسلم ، والحديث في هذا المجال يطول بناء على الوقائع التاريخية والأسانيد الفقهية .

النظام العقابي الاسلامي .

حدث بلا حرج عن عدم عدالة النظام العقابي الاسلامي فحد الردة يعني قتل المسلم الذي يبدل دينه بل يرى بعض الفقهاء أن من يقول بعدم جواز قتل المرتد يعد بدوره كافرا مستوجبا

الاعدام ، كل هذا يصطدم بشدة مع حرية العقيدة ويهدم فكرة الدين من أساسها ، فالدين الحق لابد أن يعتمد على قوته الذاتية وليس على سفك الدماء ، أما حد السرقة فيكون بقطع يد السارق (وقد حدث في السودان) وهذه العقوبة اقبح من الذنب فالمال المسروق يعوض واليد لا تعوض ، بل هي ليست عقوبة وإنما عذاب ونكال للجاني الذي كان من واجب المجتمع اصلاحه وعلاجه وليس بتر أحد أعضائه ، وكيف يمكن اعتبار هذا الحد عقوبة إلهية وهو أصلا مجرد من ابسط معاني الانسانية ؟ أما رجم الزاني ، في حالة الإحصان فيكفي ذكر كلمة السيد المسيح '' من كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر '' .

معاملة غير المسلم

إهانة غير المسلم في بلده واذلاله بكل الطرق وابتزازه لحمله على كراهية عقيدته وعشيرته واكراهه على اعتناق الاسلام هو هدف الشريعة الاسلامية ، وقرأ في التفاصيل أمهات الكتب الاسلامية (انظر ملخص داني في رسالة الدكتور جاك تاجر اقباط ومسلمون '' منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م '' ـــ الهيئة القبطية جرسي سيتي ١٩٨٤) هذه الشريعة الاسلامية التي ينادي البعض بتطبيقها على الاقباط بلا خجل ، بلا خزي ، وبلا حياء ، وهذه الشريعة بأحكامها المشينة الخاصة بأهل الكتاب لا يوجد مسلم على وجه الارض يقبل تطبيقها على نفسه ، فلماذا تحب لاخيك مالا ترضاه لنفسك ؟ هل يقبل عرب الجزيرة (أو مسلمو افغانستان) الخضوع لحكم أجنبي يخيرهم بين الدخول في عقيدة الفاتح أو الموت بحد السيف أو دفع الجزية '' عن يد وهم صاغرون '' (سورة التوبة آية ٢٩) ؟ إن امتهان غير المسلم موجود في لفظ الجزية ذاته ، في النص القرآني ، وكتب الفقه وشواهد التاريخ ، امتهان لا يحتمله إنسان ، امتهان وصل إلى درجة إن ابن القيم الجوزية في '' أحكام أهل الذمة ''طبعة دار العلم للملايين بيروت (١٩٨١) قد أفتى بأنه لا يجوز للمسلم أن يضمن غير المسلم في دفع الجزية '' لأن الجزية حقار '' كما يقول ، وحتى لا ينتقل الصغار والاحتقار من الكافر إلى المسلم ، كما أن من أسلم سقطت عنه الجزية المتأخرة فورا مما يدل على أن الجزية لم تكن مقابل الزكاة التي يدفعها المسلم بل كان القصد منها الاهانة والاذلال للاجبار على الدخول في الاسلام ناهيك عن كيّ أيدي النصارى بالنار لحصر الضرائب وقطع يد كل من ضبط بدون علامة الكي .. الخ (أنظر وليم رول '' موجز تاريخ القبط '' في صفحة من تاريخ القبط '' مطبوعات جمعية مارى مينا العجايبي ـــ الاسكندرية ١٩٥٤ '') .

(عصر الرسول والسلف الصالح)

الشريعة الاسلامية انتهى زمنها وانقضى ، وأنصار الشريعة الاسلامية يعلمون ذلك جيدا ، وإن

كانوا يطالبون بتطبيقها بحجة العودة إلى عصر الرسول والسلف الصالح فهم يسعون في حقيقة الأمر إلى الاستيلاء على الحكم والسيطرة على البشر .

فالاسلام لم يعرف في أي عصر من العصور أي حرية أو عدل أو مساواة (د . زكي نجيب محمود '' تجديد الفكر العربي '' دار الشروق ــ ١٩٨٠) والشريعة لم تكن سوى أساس الفتح والغزو والسلطان ، وأداة الاستيلاء على الحكم والبطش بالخصوم .

ومن هنا كان التنكيل فيمن يمس الشريعة الاسلامية لأنه يهدد في الواقع الفتح والغزو العربي والسلطان الاسلامي ، ولو كان انصار الشريعة الاسلامية يريدون حقا الرجوع إلى عصر الرسول لفقدوا كل صلة بعناصر الحضارة الحديثة ، لماذا يلجئون إلى دراسة الطب الحديث واكتساب التكنولوجيا الحديثة والتمكن من أدوات العلم الراقية التي لم تكن معروفة في عصر الرسول ؟

لماذا يطلبون من الغرب أن يمدهم بأحدث معدات الحرب ولا يكتفوا '' بالسيف والرمح والقوس والسهم والدرقة والدرع '' التي كان يستعملها جيش خالد بن الوليد ؟ (انظر د . طه حسين '' مستقبل الثقافة في مصر '' فصل ٩ ــ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣) .

إن واقع العصر الحاضر يقرر أن الشريعة الاسلامية بعناصرها السلبية التي تريد المؤسسات والجمعيات الدينية تطبيقها سواء بالاغراء أو بالتهديد ، سواء بالتدريج أو بصورة فورية ، قد انتهى زمانها وولى ولا ينبغي أن يعود مطلقا ، فلا تقتلوا الاحياء لبعث ماضٍ انقرض إلى الأبد .

عقول اسلامية حرة ضد تطبيق الشريعة الاسلامية

كثر الجدل الساخن في مصر في الشهور الأخيرة حتى يومنا هذا حول تطبيق الشريعة الاسلامية . فقد انتقل الحوار من مجلس الشعب إلى الشارع والصحافة المصرية تتنازعه اتجهات وتيارات مختلفة .

واتخذت هذه الاتجاهات عدة أنماط يمكن تحديدها في ثلاثة : الأول حوار من خلال القنوات الشرعية يقوده الاخوان المسلمون داخل مجلس الشعب وخارجه ويحتل الصفحات الدينية . والثاني من خلال جماعات اسلامية غير منظمة ولكنها تتحرك تلقائيا داخل المساجد والتجمعات الدينية مستخدمة اسلوب الدعوة كجماعة الشيخ حافظ سلامة وجماعة الشيخ كشك . أما النمط الثالث فتقوده جماعات سرية تنطلق من تحت الأرض لا تجمعها بالضرورة قيادة واحدة ولكن كلا منها يتحرك في سرية لتجميع الشباب وتنظيمه ودفعه لفرض آراء هذه الجماعات والاتجاهات

الاسلامية ممولة تمويلا كاملا من المملكة العربية السعودية ، كذلك لا تنسى دور الازهر في هذه القضية الاسلامية .

أما بالنسبة للحوار العام في مصر حول تطبيق الشريعة الاسلامية فيدور في ثلاثة إطارات رئيسية : إطار يؤكد ضرورة التروي '' والتنفيذ المرحلى '' بحيث لا يتكرر ما حدث في سودان النميري نتيجة التطبيق والتنفيذ الفوي : وإطار آخر يدعو إلى التنفيذ الفوري بدون قيد أو شرط دون النظر للاعتبارات الخاصة ومخاطر انعكاسات مثل هذا التسرع ويتزعم هذا التيار الفوري الشيخ حافظ سلامة والشيخ صلاح أبو اسماعيل وجماعة الاخوان المسلمين .

أما الاطار الثالث فهو الاطار الحر المستنير الذي يجاهر علانية نهارا جهارا بأنه ضد تطبيق الشريعة الاسلامية فأصحاب هذا التيار الحر المستنير يتزعمه عقول اسلامية حرة تعارض معارضة شديدة تطبيق الشريعة الاسلامية مستندا إلى حجج دينية وتاريخية واقتصادية وعصرية . هذا التيار الحر وإن كان أصحابه قلائل يعدون على أصابع اليد فإنهم يتعرضون لهجوم سافر عنيف من قبل الجماعات الاسلامية التي ترهب الناس إرهابا فكريا ، ومع ذلك فإن أصحاب هذه العقول الاسلامية الحرة اثبتوا أنهم بحق لا يخشون فى الحق لومة لائم ويضعون نصب أعينهم مصلحة مصر أولا وأخيرا لا يطمعون في كراسي الحكم مثل الجماعات الاسلامية التي تتخذ الدين الاسلامي ستارا للوثوب إلى كراسي الحكم وإقامة حكومة دينية اسلامية على غرار الخميني في إيران .

إننا نحيي تحية احترام وتقدير وإعجاب هؤلاء المسلمين الأحرار المختصين لوطنهم الذين رفضوا ان يركبوا الموجه الاسلامية فنذكر بكل تقدير الدكتور فرج فوده مؤلف كتاب '' قبل السقوط '' (طبعة يناير ١٩٨٥) والدكتور فؤاد زكريا أستاذ قسم الفلسفة بكلية الآداب الذي نشر عدة مقالات جريئة في جريدة '' الأهرام '' والاستاذ محمد أحمد فرغلى خبير القطن ورجل الأعمال الذي نشر مقالا رائعا في '' الأهرام بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٩٨٥ تحت عنوان '' حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية '' ، والمحامي الكبير مصطفي مرعى الذي كتب عدة مقالات نشرتها مجلة المصور ، والمستشار محمد سعيد العشماوي والاديب الكبير توفيق الحكيم الذي نشر عدة مقالات في جريدة الأهرام ، والأديب الكبير زكى نجيب محمود الذي نشر عدة مقالات في جريدة الأهرام أيضا ، والأستاذ الصحفي الكبير مصطفي أمين الذي قال قولته المشهورة '' لو كانت الشريعة الاسلامية مطبقة في مصر منذ مائة عام لما ظهر أمثال أحمد لطفي السيد والدكتور طه حسين والعقاد والمازني وقاسم أمين محرر المرأة وتوفيق الحكم وكل عباقرة مصر '' هذه العقول الاسلامية الحرة يرفضون علنا وصراحة تطبيق الشريعة الاسلامية وكما يقال لقد شهد شاهد من أهله .

والآن وازاء هذا الجدل الساخن أين صوت الاقباط في كل هذا ؟ اين أقلام الاقباط ؟ لقد ارتفع صوت قداسة البابا المعظم فعارض بكل جرأة وشجاعة يوحنا المعمدان تطبيق الشريعة الاسلامية على الاقباط لما في تطبيقها ما يمس العقيدة المسيحية والكيان القبطي فدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، وستظل الأجيال تذكر موقف قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث حفظه الرب لنا سنين عديدة مديدة واخضع اعداءه تحت قدمية . اين رجالات الاقباط العلمانين ؟؟ أين صوتهم وأقلامهم ؟ .

قد يقول قائل '' لماذا نحشر انفسنا في هذا الخضم من المناقشات الحساسة فلنترك إخواننا المسلمين يتناحرون ويتجادلون فيما بينهم في هذا الشأن ما لنا من هذا النقاش الساخن الحساس ؟ ونحن نرد على هذا الرأي بالقول إننا نحن الاقباط أحفاد الشهداء جزء لا يتجزأ من مصر بل قطعة منها يجب علينا ألاّ نكون سلبيين متفرجين صامتين كصمت أبو الهول في أمر حيوي كهذا يمس عقيدتنا المسيحية وكياننا القبطى كشعب له حق المواطنة مثل اخواننا المسلمين ، أنكون سلبيين متفرجين إلى أن تطبق علينا في يوم من الأيام الشريعة التي ستجعلنا ذميين من الدرجة الثانية ، من منا لا يعرف المبدأ الاسلامي المعروف '' لاّ ولاية لغير المسلم على المسلم '' مما يترتب عليه عدم جواز أن يتقلد القطبى منصبا قياديا كالوزارة أو البوليس أو العمادة أو أي مركز من المراكز القيادية ولا يجوز لغير المسلم تولي مناصب القضاء ، ولا تجوز شهادة غير المسلم على المسلم سواء في القضايا الجنائية أو المدنية ، والأهم هو عدم الاعتراف بأية ديانة أخرى غير اسلامية تطبيقا لمبدأ '' إن الدين عند الله الاسلام '' وفرض الجزية على الاقباط ، وتطبيق مبدأ تعدد الزوجات كما سبق أن حكمت إحدى المحاكم في مصر ، أو مبدأ الطلاق لاية علة وتطبيق حد الردة وهو الاعدام لمن يرتد عن الاسلام يهدر دمه وتنعدم أهليته ويفرق بينه وبين زوجه واولاده ، وعدم بناء أو ترميم الكنائس والأديرة .. الخ ، الحدود الاسلامية مثل قطع يد السارق ورجم الزانية وجلد شارب الخمر وخلاص النفوس ويوم الدينوية .

إن عقلاء المسلمين يعارضون بشدة تطبيق الشريعة الاسلامية مؤمنين أن المجتمع الاسلامي المثالي الذي تنادي به الجماعات الاسلامية لا وجود له على مدى تاريخ الخلافة الاسلامية حتى في أزهى عصوره وإن قيام حكم ديني سوف يدخل مدخلا مباشرا للفتنة الطائفية وتمزيق الوطن الواحد وقيام دولة دينية مثل إيران ولذلك يطالبون بفصل الدين عن السياسة (الدكتور فرج فوده '' قبل السقوط '' بل وقد ذهب إلى ابعد من هذا الدكتور فؤاد زكريا في مقاله المنشور بجريدة '' الأهرام '' حينما قال : إن المسلمين مختلفون في موضوع رؤية الهلال وبداية الصوم وعيد الفطر فكيف يتفقون على أحكام الشريعة الاسلامية ، وهم مختلفون حتى يومنا هذا على ابسط

الأمور ألا وهى رؤية الهلال ، ثم قال إن الشريعة الاسلامية لا تصلح في هذا العصر ويجب عدم الخلط بين الدين الاسلامي والسياسة ، فكما ترون لقد شهد شاهد من أهله) .

والآن نتساءل مرة أخرى أين أصوات وأقلام الاقباط ؟ أين صوت المجلس الملى ؟ أين اقلام جريدة '' وطني '' بعد أن عادت إلى الظهور مرة أخرى ؟ أليس بالاحرى على جريدة وطني أن تكتب في موضوع الشريعة الاسلامية . عار علينا كل العار أن يرتفع صوت بعض العقول الاسلامية الحرة معارضة تطبيق الشريعة الاسلامية ونحن صامتون متفرجون سلبيون وكأن الأمر لا يهمنا بتاتا ولا يخصنا وكأن مصر ليست بلدنا وكأننا غرباء فيها .

ورغم ذلك لا نتكلم ولا نرفع صوتنا ، ماذا جرى للاقباط ؟ هل اصيبوا بخوف ورعب نفسي بعد ضربة السادات للكنيسة والشعب القبطي ؟ ؟ إن السادات اراد أن يرهب إرهابا '' فكريا '' ونفسيا الاقباط فضرب ضربته فكان جزاء الرب عليه بعد شهر واحد من ضربته ، وكما قال مكرم عبيد '' اللهم لا شماته بل عبرة وتذكيرا '' فعلينا جميعا واجب مقدس أن نعلن رأينا بصوت عال رافضين رفضا باتا تطبيق الشريعة الاسلامية على الاقباط ومواجهة هذا الارهاب الفكري بكل الشجاعة والوضوح والحسم .

حقيقة ارتفع صوت قلة من الاقباط العلمانيين أمثال اصطفان باسيلي جرجس وفهمي ناشد والبرت برسوم سلامة ووليم نجيب سيفين وعدلي عبد الشهيد ارتفع صوت هؤلاء مؤيدين كل التأييد تطبيق الشريعة الاسلامية ، للأسف الشديد فهؤلاء شواذ الاقباط وشواذ القاعدة كما وصفهم بحق الأخ المسلم الدكتور فرج فوده في كتابه '' قبل السقوط '' .

فلنبعد عنا الخوف واليأس والسلبية والاستسلام للأمر الواقع ولنتحلى بشجاعة يوحنا المعمدان فنرفع صوتنا عاليا مدويا واضعين أيدينا في ايدي بعض ، رعاة ورعية بكل محبة واحترام وتعاون وإخلاص لنعلن رأينا علنا نهارا جهارا معارضين كل المعارضة تطبيق الشريعة الاسلامية ومواجهة المخططات الاسلامية التي تحاك ضد الاقباط للقضاء على قوميتهم وعقيدتهم وكيانهم '' فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له '' (يع ٤ : ١٧) .

رجال الدين المتطرفون يريدون الحكم

حديث لمجلة '' شبيجل '' التي تصدر في المانيا (٩/ ٩/ ١٩٨٥) مع الكاتب المصري الدكتور فرج على فوده عن حملة المتطرفين دينيا . ترجمة الاتحاد .

نفوذ المسلمين الراد يكاليين يزداد في مصر ، منذ نحو أسبوع كادوا يسددوا ضربة ضد رئيس الدولة مبارك (؟ ! ج) ، المتطرفون وزعيمهم الشيخ حافظ سلامة يقاومهم فرج علي فوده ، محاضر في جامعة القاهرة ، هو يريد تجميع كل القوى العلمانية في حزب لفصل الدين عن الدولة .

شبيجل : يا أستاذ فوده ، الحكومة حبست ٤٨ مسلماً متعصباً ووضعت كل المساجد تحت رقابة الدولة ، هل هذا يوقف زحف غلاة الدين في مصر ؟ .

فوده : لا ، ولكن الحكومة لأول مرة قامت بخطوة في الطريق السليم وجرأت على المواجهة الدينية ؟ .

شبيجل : ولمَّ لم تجرأ على المواجهة الدينية ؟ .

فوده : ينبغي علينا التمييز بين ثلاثة أنواع من المثقفين .

أولا : الخائفون ، ثانيا : المقتنعون بأن رجال الدين سوف يقبضون على زمام السلطة قريبا ، ولذا يلزم التقرب منهم في الوقت المناسب ، ثالثا : المستعدون لقبول الرشاوي المالية .

شبيجل : إلى أي حد تمثل خطورة المسلمين المتعصبين في مصر ؟ .

فوده : اغتيال الرئيس أنور السادات ومذبحة أسيوط في وسط مصر دلت على أي شيء هم قادرون .

شبيجل : هذا حدث منذ أربع سنوات ، منذ ذلك الحين تتفادى الحكومة المواجهة .

فوده : نعم ، ولكنها تعلن باستمرار ، ضد نيتها الحقيقية عن عزمها على تطبيق الشريعة الاسلامية بقصد تهدئة خواطر المتطرفين .

شبيجل : الرئيس مبارك معارض معروف لفكرة تحويل مصر إلى جمهورية اسلامية .

فوده : بالتأكيد ولكنني أعتقد أن طابور خامسا دينيا يعمل في وسائل إعلام الدولة وممول من الخارج ، هؤلاء الناس يكتبون في مطبوعات ممولة من العربية السعودية وليبيا ومنشورة بعضها في لندن وباريس وقبرص .

شبيجل : هل يلعب المال أيضا دوراً لدى المتطرفين دينيا ؟ .

فوده : لسوف تدهش لو علمت مدى الاتعاب التي يقبضها بعض كبار رجال الدين مقابل عقود الاستشارة في المؤسسات والبنوك الاسلامية .

شيجل : من يريد إذن تطبيق الشريعة الاسلامية في مصر ؟ .

فوده : الطبقة الثانية من العاملين في حزب الحكومة (ح . و . د) وفي وظائف الدولة تستهدف سياسة التطبيق بالتدريج ، في خلال السنوات العشر القادمة سوف تصدر تشريعات غير مهمة نسبيا القصد منها تهدئة الرءوس الاسلامية المشتعلة بدون إجبار الدولة على تغيرات جوهرية .

شبيجل : هل المعارضون للتطرف الديني يريحون أنفسهم بهذه التدابير ؟ .

فوده : عندما تبدأ العجلة في الدوران فإنها تسحق كل شيء ، أولا القائمين بتهدئة الأمور ، حتى أنور السادات كان يظن أنه مسيطر على المتطرفين الاسلاميين باستخدامهم أنه في استطاعته محاربة الماركسيين والناصريين بهم .

شبيجل : ولكن السادات ارتكب خطأ فادحا ؟ .

فوده : لقد ارتكب الخطأ التاريخي في تغيير الدستور وجعل الشريعة الاسلامية أهم مصدر للتشريع المصري ، مامن أحد حتى الآن تذلل في مواجهة التطرف الديني مات في فراشه .

شبيجل : ولكن الرئيس مبارك والحكومة المصرية قبلوا الآن التحدي ؟ .

فوده : المسيرة إلى قصر الرئاسة التي خطط لها المتطرفون كانت تهدد حتى الرئاسة ذاتها ، الشروع أخيرا في اغتيال أمير الكويت شجع المسؤلين عندنا على رؤية الخطر بوضوح ، كونى مازلت على قيد الحياة اضاف إلى تقوية عزم الحكومة في عدم التهرب من المتطرفين .

شبيجل : كتابكم الذي ترفضون فيه للمتعصبين الحق في التدخل في السياسة أو في السعي إلى السلطة في الدولة يجعلكم في عداد المرشحين للموت بواسطة المتطرفين المسلمين ؟ .

فوده : لقد تلقيت في الواقع تهديدات بالموت بما فيه الكفاية ولأن الانسان على كل حال لابد أن يموت ، فإنى أفضل الموت من أجل قضية تستحق الدفاع عنها ــ مصر الحرية وكرامة الانسان .

شبيجل : كتابكم أحدث رواجه ضجة مما شجع الصحف بفضلكم بعد وقت طويل ، على إعطاء الكلمة مرة أخرى للكتاب لفرملة زحف المتعصبين في المؤسسات ؟ .

فوده : أثق في أصحاب الفكر المصريين ، ولكني أشك في قدرة الحكومة الحالية على مواجهة غلاة المسلمين .

شبيجل : هل في وسع الغرب عمل شيء يمكن مصر من الانتصار على الهوس الديني ؟ .

فــوده : نعم ، ديمقراطيات العالم من واجبها دعم الاتجاهات العلمانية (أليس هذا استعداء لقوى أجنبية ضد وطنه ومواطنيه ؟ ج) في هذه البقعة من الأرض ولا ينبغي لها أن تمتطى التطرف الاسلامي كجواد رابح اعتقادا منها أنها على هذا النحو تسد الطريق أمام الشيوعية كما فعلت وتفعل الولايات المتحدة .

تعليق : (كتبة المنشور ج)

هذا الحديث درس من الدكتور فوده إلى :

ــ الحكومة المصرية التي تباطأت في مواجهة التعصب الاسلامي ولأنها تعلن بخلاف ما تبطن .

ــ المثقفين في مصر الخائفين من التعصب الاسلامي والذين يقبلون الرشاوى المالية .

ــ كبار رجال الدين الاسلامي الذين باعوا أنفسهم للمؤسسات والبنوك الاسلامية .

ــ الصحافة المصرية الخائفة .

ــ الحكومات الغربية التي ركبت الموجة الاسلامية اعتقادا أنها بذلك تحد من الشيوعية .

ذكر الدكتور فرج فوده للمجلة الألمانية شبيجل '' إن الاخوان والجماعات الاسلامية نسبة بسيطة ورغم ضخامة قوتهم في سنة ١٩٥١ لم ينجح منهم أحد في البرلمان '' وقد برهنت الانتخابات الاخيرة على حجمهم الحقيقي ، فقد نجح منهم ٨ أعضاء من ٤٥٠ عضوا ، أي بنسبة أقل من ٢ ٪ وقد ذكر أيضا سيادته بأنهم يستعملون الارهاب حتى يخاف منهم رجال الحكومة والصحافة والمعتدلين من إخوتنا المسلمين ، وبعد أن طالب الدكتور فرج فوده بالعلمانية تجرأ الكثير من الكتاب في الكتابة ضد تطبيق الشريعة الاسلامية موضحين خطرها على الشعب المصري مسلمين واقباط .

ونحن نطالب شباب الشعب القبطي بتكوين منظمات تقاوم الارهاب ، فالمسيحية تبيح الدفاع عن النفس والممتلكات وإذا كانت المسيحية تبيح الدفاع عن الوطن فبالأحرى أن ندافع عن شعبنا وممتلكاتنا حتى لا يشعر المتطرفون بأننا فريسة سهلة فالسكوت على تعديات هذه الهيئات الاسلامية المتعصبة هو مشجع للتمادي في تصرفاتهم وهي أنانية لا تتفق مع المسيحية فالساكت عن الظلم شيطان أخرس فهذه الهيئات تستخدم الارهاب ، رغم معارضة اغلبية المسلمين وكل الاقباط لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ويجب أن نضم صوتنا لصوت إخوتنا المسلمين الأحرار

في المطالبة بالعلمانية ، إن المسؤلية خطيرة وتقع على عاتق الشباب القبطى في مقاومة هؤلاء الذين أصيبوا بهلوسة دينية بكل وسائل المقاومة لأن الذين يدعون بأنهم كبار الاقباط إما أنهم جبناء أو باعوا ضمائرهم بمناصب تافهة ، ومناصب لها أسماء بدون مسئولية .

وقد ذكر الدكتور فرج فوده أيضا أن الذي يمول هؤلاء المتعصبين والبنوك والشركات الاسلامية هي حكومات السعودية وليبيا ودول الخليج . فقد **اتضح بدون شك أن الصراع بين العرب وإسرائيل هو جهاد إسلامي عربي ضد الشعوب غير الاسلامية في منطقة الشرق الأوسط ، هو جهاد ضد اليهود والمسيحيين عامة ، فهذه الدول العربية تمول مسلمي لبنان في حربهم ضد مسيحيي لبنان ، حتى صار الآن ١٠٠ ألف مسيحي لبناني لاجئين في بلادهم ، فقد دمرت القوات الاسلامية العربية بمساعدة سوريا والسعودية وإيران القرى المسيحية في جنوب لبنان وغيرها ، وهذا طبقا لتقرير مجلس كنائس أمريكا الأخير والذي أبدى قلقه على مستقبل المسيحية في منطقة الشرق الأوسط** حيث يوجد ١٨ مليون مسيحي ، غير أن التقرير لم يذكر شيئا عن تدمير القرى المسيحية في شمال سوريا وجنوب تركيا حتى صارت الآن خالية من سكانها الذين هاجروا إلى الغرب وعن حبس زعماء الاشوريين وهدم القرى المسيحية في العراق ، فالحرب ليست ضد اليهود والصهيونية فقط كما يدعون بل جهاد إسلامي ضد كل الشعوب غير الاسلامية في المنطقة **فالعدو الحقيقي للاقباط في مصر ومسيحيي الشرق الأوسط عامة هو العرب والعروبة ، ومما يؤسف له وجود بعض المسيحيين الذين يتحمسون لحقوق عرب فلسطين وعروبة القدس غير مدركين أن أي تحدث عن العروبة هو تأيد الحرب الاسلامية العربية ضد كل من هو غير مسلم في المنطقة** متناسين حقوق المسيحيين والشعوب غير العربية في المنطقة ، فرجو من الشعوب والقوميات المسيحية التي هاجرت من المنطقة لدول الغرب عدم التعاون مع العروبيين فهم الأعداء الحقيقيون لشعوبهم .

الاسلام يا حضرات المثقفين ، ليس بدعة فحسب ، وإنما هو : ضلالة .. وهو عبث .. وهو إنحراف عن سواء السبيل .

الاسلام هو دين مستنقع من مستنقعات الرذيلة الآسنة العفنة .

الاسلام هو أس السفه والانحلال ، ودين الحيرة والضلال ، ومثار الزي والذندقة . ومن قبل الاسلام دينا عميت بصيرته عن محاسن شريعة المسيح الطاهرة المؤيدة بالحجج والبراهين الباهرة . ومن مارس تعاليم الاسلام وشريعته ، لازمه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان .

الاسلام هو ورم خبيث يجب استئصاله بمشرط الكلمة الصادقة ، وفضح كتاب القرآن العفن الكريه بسرد الحقائق التي نعرفها عنه ، وقد حصلنا عليها من مصادرها الاسلامية .

وهذه هى مسؤليتنا المقدسة .

كيف تسمح ضمائر المسلمين .. وكيف تقبل عقولهم أن تصدق نبوة وحش مفترس اسمه محمد بن عبد الله كان يطبق أخطر تعليم مآله أنه لا محل لخلافات بينك وبين أي إنسان إلا أن تذبحه ..

وهذا مفهوم متوحش ومتعفن ولاتدين به حتى القبائل البدائية . إذا ظهر كتاب وقيل فيه إن في الله صفات شريرة .. وان الله يحرض على ارتكاب الآثام الفظيعة .. ويحض على القتل والسلب والنهب ، فيجب أن ننادي جميعنا أن مثل ذلك الكتاب لا يكون موحى به من الله ، ولما كانت تعاليم كتاب القرآن كلها شر في شر وتحريض سافر على ارتكاب الآثام ونهب الأبرياء واغواء على خطف (أسر) النساء ثم اغتصابهم ...

فكيف يكون القرآن كتابا موحياً به من الله الحق ...

صدق من قال عنكم : '' لقد أخذ المسلمون عامة ، والمثقفون منهم على وجه الخصوص ، لقاحا ضد معرفة الحق والحقيقة '' .

لقد ارتضى قادة المسلمين ، من رجال الدين والمثقفين ، ان يضعوا المسلمين في محجر صحى ليحميهم من ميكروبات الأفكار الحرة والحق الواضح . » بحروفه .

كذلك نشر بريد الأهرام هذه الرسالة :

تروس مشبوهة !

كنت جالسا الى مكتبي اتصفح بريد اليوم الذي قدمته لي السكرتيرة ، فوجدت هذا الخطاب .. انه خطاب بخط اليد ومصور يذكر فيه المرسل مناهج الدين المسيحي ويدعوني لتذوقها وبه صور للسيد المسيح عليه السلام والخطاب موجه الى رئيس قسم طب الأطفال ... كلية طب الأزهر وعلى الظرف طابع بريد غير مختوم بختم مكتب البريد ! .

بعد أن انتهت المفاجأة .. سألت نفسي من الذي أرسل هذا الخطاب ؟! لا أظن أن مسيحيا مصريا مهما كانت بساطة تفكيره يظن جادا أنه بامكانه أن يدخل استاذا مسلما ومن الأزهر في

دين المسيحية بخطاب .. وليس لمسلم بالطبع مصلحة في ارسال هذا الخطاب أيضا !!

فلا يبقى اذن الا أن يكون المرسل شخصا أوجهة أو هيئة ترمى الى اذكاء روح الفتنة بين عنصري الأمة . وقد رأيت أن أرسل لك هذا المظروف الذي علمت أن كثيرين غيري قد تلقوه ، حتى نتنبه جميعا مسيحيون ومسلمون الى أمثال هذه الطرق الساذجة ، فلا نتفاعل معها بسذاجة أكثر لأنها طرق تضاف الى الملصقات المشبوهة التي كانت تلصق على العربات ، وتلك الأحداث التي تصيب دور العبادة ، كلها تروس في آلة كبيرة تخطط لانقسام هذا الشعب الذي عاش قرونا في وحدة مثالية بمثابرة وهدوء شديدين وقد نصح البعض بعدم الكتابه في هذا الموضوع ولكن كثيرا ما يتحول الخدش البسيط الى خراج مؤلم اذا لم يتعرض للهواء والنور . »

توقيع

أ . د . خليل مصطفى الديواني

أستاذ طب الأطفال ــ جامعة الأزهر

....

الفصل الأول

صناعة الفتنة باسم الوحدة !

حديثي هنا عن فئة انتحلت صفة الكتاب الاسلاميين ـــ وتعبير الكاتب الاسلامي يستخدم الآن بطريقة أقل ما توصف به أنها هزلية .. فاللقب تطلقه بسخاء الصحافة المعادية للاسلام والاسلاميين على شخصيات من طراز حسين أمين بل والعشماوي وفرج فوده .. وأعتقد أن الشرف والصدق مع النفس يفرضان احتجاج هؤلاء الأشخاص ورفض هذا اللقب .. لأن الحد الأدنى المطلوب في الكاتب الاسلامي أن يكون موافقا على وجود قضية إسلامية .. أي وجودِ دور للاسلام مطلوب على مستوى الدولة وتنظيم المجتمع .. وهؤلاء الكتاب هم ضد أي دور للدين في هذه الميادين ، والدين الاسلامي بالذات (*) .. حتى أصبح المؤهل الوحيد للحصول على لقب كاتب إسلامي ، هو كتابة مقال ضد الاسلام وضد الدعوة إلى تطبيقه ، أو تحليل الربا أو تحريم قانون الردة !! ـــ وهذا اللون من الكتاب ، يتولون نشر الفتنة من موقع المدافع لا المهاجم .. يمزقون الصف من خلال الدعوة إلى وحدة مشبوهة الأهداف والوسائل .. ومنهم فئة ، تلعب دور شاهد الملك ، تفرضها الأجهزة على الإعلام أو تختارها من بين العاملين فيه ، وتدعمهم الأجهزة وتخلى أمامهم الطريق ليتربعوا في مراكز التوجيه الإعلامي .. ليصبحوا هم الدعاة الاسلاميين ، أو الفيل الأبيض الذي يقود القطيع للعبودية من خلال دسهم وافترائهم على الاسلام والعمل الاسلامي ، والتطوع للشهادة ضد القوى التي تعمل حقا

(*) انظر تصريح حسين أحمد أمين عن أن المسيحية هي الحل !

لتأكيد الهوية الاسلامية . وسأتناول هنا واحدا منهم يعد من المتخصصين في هذا اللون من الدس الذي يتم تحت الشعار المطلوب جماهيريا ويؤدي إلى العكس !

ولنضرب على ذلك مثلا .. فهو ككاتب للسلطة يتمتع بتسهيلات خاصة في النشر في كبرى الصحف الحكومية المصرية ، وكان ولا يزال من أقرب المقربين لأستاذه محمد حسنين هيكل ، وأقربهم لرضاه في عهد تربع فيه هيكل على عرش الناصرية ، وعلاقتهما مستمرة إلى اليوم ، فهما يسافران معا للتفتيش على الثورة الإيرانية ويتبادلان المجاملات والإشادة والاقتباسات .. هو يدعوه '' استاذه '' وهيكل يدعوه '' زميلي '' ويترافقان في المهام الصحفية[1] .. ولا يستطيع أشد فقهاء السلطان بهلوانية أن يجد علاقة بين هيكل والحركة الاسلامية إلا النفور والعداء والتاريخ المرير .. أما الصداقة الحميمة بين كاتب إسلامي وهيكل الناصري العلماني فهو ما يستحيل تفسيره بكل حسن النية المتوافر عند البلهاء .. .

ثم لما عاش في الخارج فترة عمل في الكويت تحت رعاية السلفي الأصولي الاسلامي المتطرف الأستاذ أحمد بهاء الدين الذي مكنه من مواصلة الجهاد في سبيل الدعوة ! وفي لندن عمل في صحيفة سعودية .. وما زال يكتب في الصحف السعودية . وهو ناصري حتى النخاع وإلى اليوم يشهد لعبد الناصر بالثورية ، حتى عبد الناصر طبعة ١٩٥٤ الذي يستحي الكثير من الناصريين ذاتهم أن يدافعوا عنه .. ولكن الكاتب الاسلامي يفعل .. فهو يحلل الخلاف بين نجيب وعبد الناصر كالآتي : '' كانت المواجهة في حقيقتها بين نمطين مختلفين في التفكير .. ثوري يمثله عبد الناصر وإصلاحي يمثله نجيب ''[2] ولا عزاء لضحايا الاخوان .. شهد الكاتب الاسلامي أن الذي قتلكم ونكل بكم هو النمط الثوري .. ويا ويل من بالت عليه الثعالب .. .

والخلاصة أن مثله لا يمكن أن يتعاطف مع الثورة الإيرانية فضلا عن أن يكون من دعاتها .. ورغم ذلك فقد كتب عنها '' بتأييد '' شديد .. وسافر إلى هناك

أكثر من مرة حتى أصبح الشاهد .. المقبولة شهادته عند المتعاطفين والمحايدين فلما تمكن .. بدأ ضرب ’’ الزمبات .. ‘‘ .

فدوره هو ما يطلق عليه في العرف السياسي ’’ مخرب ‘‘ الذي يندس في مظاهرة ويهتف بحماسة شديدة ثم يدعو المتظاهرين لحرق أتوبيس أو قتل طفل لكي يمكن السلطة من ضربهم . ويتطوع بالشهادة الزور ضدهم بحجة الحرص على قول الحق ، وتنقية الساحة من الانحرافات ، فهو يهرع للتقول ومهاجمة جبهة الانقاذ في الجزائر مبررا مذبحة الديموقراطية ، ومذبحة الشعب والاسلام هناك التي نفذتها الطغمة الذين هتكوا عرض الديموقراطية ثلاثين عاما ولم تخرج من فمهم كلمة الديموقراطية والتعددية إلا بعد أن ظهرت قوة الاسلاميين الكاسحة ، والذين تتفق جميع المصادر أنهم كانوا على اتفاق مع قوى الاستعمار والصليبية العالمية في ضرب جبهة الانقاذ .. ولكن الكاتب الاسلامي يبرىء ساحة القتلة بكيل التهم لجبهة الانقاذ ويستعطف القتلة ألا يحسبوه معها ، فهناك إسلاميون لطاف ظراف ، يتعاملون بمحبة وتفهم مع الأجهزة ، كل الأجهزة . ويعملون في صحف الدولة ويطوفون العالم ويعودون لمسكن لو رآه أبو ذر لعلاه بالدرة .. وهناك مسلمون أشرار يحرمون طيبات ما أحل الله يستحقون ما نزل بجبهة الانقاذ ، بل هو يقسم أنه سمعهم ورآهم يهاجمون الديموقراطية !

فهو في العمل السياسي أو الفكري يضرب الحركة الاسلامية لا من موقع المعارضة مثل حسين أمين أو العشماوي أو لويس عوض مثلا بل على نحو أخطر ، فهو ينطلق من موقع إشهار الإيمان بالحركة الاسلامية ، والدفاع عنها ، وترديد الشعارات المتفق عليها .. ثم طرح الروايات المشبوهة أو الاقتراحات المدمرة ، وهو شاهد ملك أو المتطوع بالشهادة بما يصيب الحركة الاسلامية بأبشع الأضرار وهو — في نفس الوقت — لا يكف عن تأكيد إسلاميتها ، وان هذه الانحرافات لا تؤثر على جوهر الفكرة !! أول من انبرى يتهم جبهة الانقاذ بأنها معادية للديموقراطية ، وأنها السبب ، أو على الأقل انجرت إلى الفخ أي تسببت في ما جرى عليها من ذبح واعتقال ، ويهمس لمن يعرفهم أنه شاهد بعين رأسه لافتة

للجبهة تقول : تسقط الديموقراطية ! وهو الذي أفتى شيوخ اليمن بالتخلي عن الاسلام في الدستور في سبيل الوحدة وخسروا الاثنين !

هو يدافع عن الثورة الإيرانية ولكنه يعارض الحكومة الاسلامية وهو يهاجم بعنف دعاة الفتنة الذين يفرقون بين الشيعي والسني .. الذين يتهمون الشيعة بالانحراف عن المسلك الاسلامي .. وفي نفس الوقت نشر في كتاباته من الاتهامات والشبهات عن إيران وثورتها ، ما لا أظن أن أحدا قبله قد جمعه ضد الشيعة ، وما يسيء إلى هذه الثورة بما يفوق كل ما حاوله خصومها العلنيون مجتمعين . فهو أول بل المصدر الوحيد الذي نشر صورة زنكوغرافية لصفحات من كتاب نسبه للخميني يلقب فيه مؤلفه أبا بكر وعمر ، مؤسسي الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية بعد رسول الله ، يسميهما الخميني بشهادة أو وشاية هويدي : " **صنمي قريش** " .. ولا أظن أن خصوم الثورة الإيرانية قد نالوا منها عشر معشار ما فعلته هذه الوثيقة التي سرعان ما انتقلت إلى جميع الكتابات المعارضة للثورة الإيرانية والشيعة بوجه عام .. وهو الذي انفرد بإخبار القراء بأن المواطنين الشيعة الإيرانيين إذا ما بدأوا رحلة بالسيارة أو عملا يريدون مباركته استفتحوا بالصلاة على النبي وقراءة الفاتحة ثم لعن عمر بن الخطاب .. [٣] (رضي الله عنه) .. بل هو حريص على أن يؤكد أن هذا الموقف من أئمة الاسلام ليس موقفا جاهلا من جانب العامة المتعصبين منذ العهد الصفوي كما يعتذر بعض كتاب الشيعة المتنورين ، بل يثبت بالدليل والوثيقة أنه موقف فقهي على أعلى مستوى ، فينقل لنا نصوصا من كتاب نسبه للخميني يتهم فيه أبا بكر وعمر بما لا يمكن أن يقبله مسلم من مسلم .. يقول : " في ١١٣ ــ ١١٤ ذكر (الخميني) أن أبا بكر خالف نص القرآن بموقفه من مسألة فدك " .

ولأنه كاتب وثائقي فقد أورد لنا عنوان البحث بالفارسي هكذا .. " مخالفتهاي أبو بكر بانص قرآن " وترجمتها : " مخالفات أبو بكر لنصوص القرآن " .. وكذلك " مخالفت عمر باقرآن خدا " [٤] .

وفي هذا الجزء يقدم لنا نموذجا لفن التمزيق باسم الوحدة وكذلك نموذجا لفهمه الاسلامي .. فهو بعد أن أورد النصوص التي نسب فيها للخميني إتهام أبي بكر وعمر بمخالفة نصوص القرآن وهي أشنع تهمة يتهم بها مسلم فضلا عن صحابي وأمير المؤمنين ، يفتي لنا بالآتي :

« ورغم المكانة السامقة التي بلغها الخلفاء الراشدون ، إلا أن أحدا لم يقل بعصمة أي منهم وتظل ممارستهم معرضة للصواب والخطأ ، وإذ نشك في أن أي خطأ ينسب لهم يمكن أن يصل إلى حد مخالفة القرآن الكريم (هو يشك ولا يجزم ! ج) إلا أنه ليس هناك ما يمنع من غض الطرف عن ملاحظات من هذا النوع لاعتبارات عدة : أولها أنها ليست مما يمس الاعتقاد ولا هي من أصول الدين أو مما يعد معلوما عن الدين بالضرورة ، هي نوع من سوء التقدير أو سوء الفهم ، ثانيهما أنها صدرت في مرحلة مبكرة بالفارسية مما قد يحمل على أنه عدول من مؤلفه عن بعض الآراء التي وردت فيه » .

(ويحس أن هذا الاعتبار يمكن أن يتشبث به من يريدون الوحدة فعلا .. أعني احتمال عدول الخميني عن هذا التقول على الشيخين .. فيبادر بالتبليغ) : '' ورغم أنه أعيد طبعه في « قم » بعد عام من قيام الثورة بصورة حديثة — على غلافه — لآية الله الخميني عن دار انتشارات ازادي بمدينة قم إلا أنني سمعت من آية الله على المشكيني رئيس مجلس الخبراء أن ذلك تم بدون علم الإمام وبغير موافقته ''ص ٣٣٣ (!!)

« رابع تلك الاعتبارات أن التجاوز عن مثل تلك الهفوات المبكرة يعد مطلوبا من أجل الوصول إلى هدف أكبر يتمثل في مد الجسور والبحث عن مجالات التلاقي والاتفاق لا تصيد الأخطاء وتتبع نقاط الشقاق والتنافر » ص ٣٣٣ .

وهو أول من تصيد هذه الأخطاء وأول من نشرها بالعربية ، بل ويستمر في تصيد أخطاء الخميني ، فيعرفنا أن الإمام الخميني أصدر فتوى ببطلان الصلاة وراء الإمام السني ، وعدم جواز إقامة صلاة الجمعة في غيبة الإمام « ولكنه يطمئننا أو

يطيب خاطرنا أو بالأحرى يؤكدها بأنها '' آراء حذفت من الطبعات العربية بعد عام ١٩٧٥ '' ص ٣٣٣ .

وتعليقنا:

١ ـ نحن '' لا نشك '' أبدا في استحالة أن يخالف أبو بكر أو عمر لنص قرآني . نرفض ذلك بالفارسي والعربي والتركماني . نرفض الشك في إمكانية ذلك في عصر الصحابة وعلي بن أبي طالب حي يرزق ، وكذلك مئات الصحابة ، بل الألوف ، ولا يظهر منهم من يفهم النص القرآني أو من يفهم ولا يملك الشجاعة لتصحيح الخليفة وهم كانوا يثورون على ما هو أدنى من ذلك بكثير(٥) .

٢ ـ مخالفة نص قرآني من جانب حاكم يفترض فيه العلم بالنصوص تعني الكفر وخاصة في أمر كان فيه نقاش وأخذ ورد مثل قصة فدك أو زواج المتعة ، فالخلاف كان حول تفسير النصوص وليس مخالفة نص ..

٣ ـ إذا قبلنا أن أبا بكر وعمر خالفا نصا قرآنيا فإما أن نقبل كفر الإمامين أو أن نفتي بأن مخالفة الحاكم للنص القرآني لا تخرجه من الاسلام بل هي مما يتجاوز عنه !! وإذا كان النبي موسى والنبي هارون ـ كما يدعى ـ فوتا الشرك ذاته من أجل الوحدة حندق إحنا على مخالفة نص قرآني .. يا راجل فوت .. .

٤ ـ لا يجدي الاعتذار والتلفيق فنشر الكتاب بالفارسية وعدم نشره بالعربية أو حذف هذا الجزء من الطبعة العربية هو عذر أقبح من ذنب .. إذ لا يجوز دينا ولا سياسة أن يقال للفرس ما يشككهم ويوغر صدورهم على مؤسسي التاريخ الاسلامي ثم يخفي ذلك عن العرب لخداعهم .. ! حتى يأتي به واش .. .

إن كان هذا الذي ينسبه للإمام الخميني صدر عن اقتناع اسلامي فلماذا يحرم العربي أو المسلم السني من الهداية بنور اجتهاده ؟! أليس ذلك ما يعزز اتهامهم بالباطنية والتدرج في الكشف عن طعنهم في الاسلام وأئمة المسلمين .. وإن كان قد اقتنع ببطلانه ووجوب مواراته فلماذا يستمر نشره بالفارسية على الشيعة الإيرانيين ليفسد تفكيرهم ؟!

٥ ــ ثم نهبط إلى مستوى الإعلام الناصري ، أو حتى كتابات مساعدي هيكل عندما يقول إن كتابا يتهم أبا بكر وعمر بمخالفة نص قرآني يطبع في إيران الثورة دون علم بل دون موافقة الإمام الخميني !! يا للعجب .. من فجور صاحب الغرض .. من الذي يملك أن يرغم '' الإمام في بطح طهران أو قم .. ؟ وإذا كان الإمام لا يعلم ، فماذا عن آية الله '' علي المشكيني '' ألم يعلم هو أيضا أم تراه أرغم مع الإمام المرغم .. ؟ وماذا أفاد اعتذاره ما دام آية الأهرام فهمي المشكيني حتى يتمكنيني .. لم يخبرنا أن الكتاب صودر أو أن طابعه ضرب حد الافتراء ! .. من يقول إن أبا بكر وعمر خالفا نصا قرآنيا فقد افترى .. ومن يقول إن الالتزام حرفيا بالنص القرآني ليس من أصول الدين فقد فسق وارتد .. .

وهو الذي فوت عبارة صغيرة من خلال تحليله '' المؤيد '' للثورة ، عبارة تقول إن رجال هذه الثورة إذا اختلفوا وأرادوا أن يسبوا خصومهم فيقذعوا ، شبهوا الخصم بأنه مثل الشيخين أبي بكر وعمر !! وإذا أرادوا تشويه عمل وصفوه بأنه سقيفة ثانية يعنون سقيفة بني ساعدة التي بدأ بها تاريخ الاسلام خارج الجزيرة العربية[٦] .

لو كان حريصا حقا على الوحدة واتقاء الفتنة لما نكش في الملفات القديمة واستخرج لنا نصوصا نشرها بالزنكوغراف تثبت أن الإمام الخميني وشريعتمداري يلقبان أبا بكر وعمر بصنمي قريش .. وكتب لنا تحتها :

« نموذج للمطبوعات التقليدية التي راجت في الماضي بين الشيعة ويحاول البعض استخدامها في الوقيعة مع السنة الآن في كتاب تحفة العوام بالإعلان عن فتاوي للخميني وشريعتمداري . '' وعلى شدة الخلاف بين الأثنين ولكن المخبر هويدي يعرفنا أنهما اتفقا على حقيقة واحدة هي لعن أبي بكر وعمر ، فهي ليست موقفا شخصيا بل عقيدة مذهبية ج) وفي مقدمته تجريح لسيدنا أبي بكر وعمر باعتبارهما صنمي قريش » ص ٤٣٤ .

وفي الصورة الزنكوغرافية التي جاء بها على قدر ما استطعنا فك الخط دعاء :

« اللهم العن صنمي قريش وطاغوتيهما ، اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصينا رسولك وحرفنا كتابك وأحبا أعداءك وعطلا أحكامك .. وجحدا امامته وأشركا بربهما فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر » ص ٣٣٤ .

ونحن لا نجد ما يثبت أن المقصود هما الشيخين الفاروقين سيدا قريش وأفضلها بعد رسول الله ﷺ .. ولكن إذا أخذنا بوشاية المرشد هويدي فإن أي مسلم سيعتبر قائل هذا خارج جماعة المسلمين بل من الكافرين .. نعم مع كل تحفظنا في اتهام الناس بالكفر إلا اننا لا ننجو نحن من الكفر إن لم نشهد على قائل هذا بالكفر .. وتفسير ذلك أن قائله يتهم أبا بكر وعمر بتحريف كتاب الله .. وكتاب الله الذي بأيدينا وصل إلينا عن طريق أبي بكر وعمر .. فهما قررا جمعه وهما أشرفا على جمعه . وليست لدى الشيعة رواية تقول إن عليا أو أحدا قد قام بتصحيحه بعد هذا الجمع الذي تم في عهد أبي بكر وبالتالي فقبول زعم هؤلاء أن أبا بكر وعمر قد حرفا كتاب الله .. يعني أن كتاب الله الذي بيدينا محرف أو على الأقل غير موثوق فيه .. أليس هذا كفراً ؟! أليس من شروط الاسلام الإيمان بالله ورسوله وكتابه ؟ .. من أجل تأكيد إيماننا بصحة قرآننا ، نحن ملزمون بتكفير قائل هذا الإفك وأي عذر بعد ذلك .. هل الخميني وشريعتمداري .. من عامة أصفهان الذين يدعون بلعن عمر كلما أرادوا التبرك .. هل هما من العصور الوسطى وزمن الجاهلية ؟ وإن كان ذلك خطأ مضى وانقضى .. فلماذا تنبش أنت في الماضي وتستخرجه لنا وتقول إن البعض يحاول استخدامه .. والله ما علمنا أحدا استخدمه ونشره بالزنكوغراف قبلك !

دعنا من شريعتمداري فهو لم يكن مع الثورة بل كان الراية التي التفت تحتها كل خصوم الثورة وهو متهم من الثورة بالاتصال المشبوه بالشيطان الأكبر ، فلا يستبعد أن يرى أولياء الله أصناما ويدعو لهم بسقر وفيها يستقر هو بإذن الله .. إن كان قد قاله .

أما الخميني فقد بدأت علاقته بالمسلمين السنة منذ الثورة ، والرجل اختار أو

تطلع لأن يكون زعيما اسلاميا لا طائفيا ، ويشهد الله أننا لم نسمع على لسانه شيئا من هذه الترهات ، بل اتخذ عدة خطوات تقرب إليه السنة ، وإن خالفت آراء الشيعة المتعصبين .. وقد أمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ، ولا نفتش في أضابيرهم ، فالاسلام يجب ما قبله . أما التنقيب عن ذلك وإعادة نشره وإخراج اللسان لنا والقول بأنها مسائل بسيطة لا تفسد للود قضية ، فهو العبث والتخريب ، كما سنبين في حديثنا عن دوره في تخريب الوحدة الوطنية .

ثم جاء بقاصمة الظهر وهي نشر نص السورة التي يُتهم الشيعة بإضافتها للقرآن . وأعتقد أنها نشرت بواسطته لأول مرة باللغة العربية ، وهو كمخرب من طراز عال يحوقل ويبسمل ويقول إنها مدسوسة في بعض كتب الشيعة .. (ولما هي مدسوسة تنشرها ليه .. ؟ لماذا تدسها أنت بدورك في كتب السنة .. ؟!) ومن استرعى الذئب ظلم بالفتح والضم .. والسورة كما أثبتها ليثير بها ثائرة السنة ، وينسف أي أمل بل أي حديث عن الوحدة المزعومة .. السورة المدسوسة تقول على ذمته : '' يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالنبي وبالولي الذي بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم . نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير .. وسبح بحمد ربك وعليّ من الشاهدين '' .. .

وهكذا بينما أضاعا الشيخ النمر وظهيري وقتهما في إثبات هذه التهم على الشيعة من كتابات ابن تيمية والكليني والطوسي .. وهي كتابات عمرها عدة قرون جاء الكاتب المؤيد للثورة الإيرانية ، الداعية للوحدة الاسلامية بالدليل يقطر دما ساخنا .. فلا عجب إن طبعت مقالاته في وزارة الدفاع العراقية لتوزع على الجنود المقاتلين لإيران .. ولا عجب أن تفتح له صفحات الأهرام يتظاهر فيها بالدفاع عن الثورة الإيرانية ، في الوقت الذي تخوض فيه الدولة ، مالكة الصحيفة ، حربا على جميع المستويات ضد ثورة إيران ، واسلامية هذه الثورة ، فهو بالمصطلح السياسي يسمى مخربا لأن التخريب هو الذي يتم من الداخل . ويشفع ذلك بتأكيد أن ذلك لا يمكن أن يحول دون وحدة السنة والشيعة فهذه من الفرعيات !!

ولا يخفى أن هذا الأسلوب أخطر في زرع الفتنة من الذي يصرخ ضد الشيعة داعيا لقتلهم بمثل هذه الاتهامات ، لأنه في هذه الحالة سيسهل وصفه بالتعصب ومن ثم يشك الناس في اتهاماته . أما الذي يورد هذه الاتهامات وهو يدعو السنة لعدم الاهتمام بها فهو يبدو معتدلا رزينا ، وهذا بالطبع يعطي لاتهاماته ثقلا ومصداقية أكبر ، ويثير فزع السنة . الذين سيقولون إن كانت هذه الاتهامات ، هي ما أحصاه المعتدل الداعية للوحدة معهم فكل ما يقوله خصومهم قابل للتصديق .. ومن يدس سورة مزعومة في القرآن أو يقول إن أبا بكر وعمر حرفا القرآن ويطلب لهما سقر لابد أن يكون هو من أكلة لحوم البشر ، والغريب حقا ألا يكون له ذيل وحوافر وقرون ينطح بها هذا المخبر عنه .. !

خلافنا مع أمثاله هو أننا نصر على اختلافنا في العقائد ولا نقبل أبدا التجاوز عن هذه الكبائر التي يسميها الهفوات .. ولا نعتقد أن الطريق إلى الهدف الأكبر يقوم على جعل إيمان وسيرة الخلفاء الراشدين جسرا تدوسه أقدام المقربين .. ونحن لا نعتقد أبدا في مزاعم دعاة التقريب بين الأديان ، أو السنة والشيعة ، فالتقريب يعني تنازل كل جانب عن بعض مواقفه أو حتى معتقداته .. وهذا قد يكون ممكنا في السياسة بين الأحزاب عند إنشاء جبهة أو تحالف ولكنه لا يُقبل أبدا في الأديان ..

وإنما نحن ندعو لما هو أبسط من ذلك وأقرب منالا لأنه الأكثر صدقا .. ندعو إلى الاعتراف بالخلاف العميق الجذري ، ثم قبول التعايش معه .. لا تجاوز .. لا تنازل .. لا ترقيع .. لا تسويات .. وإنما توضيح كامل وتمسك حرفي بمعتقداتنا والاتفاق على أن ذلك لا يمنع وجود مصلحة مشتركة في مواجهة الخطر المشترك .. إن المسلم العربي يتحد مع المسيحي العربي في مواجهة الخطر الأجنبي دون توحيد ديني ولا تقريب ، فلماذا لا يتحد السني والشيعي أو العربي والإيراني ضد الخطر المشترك .. ؟

هذه مقدمة ضرورية للتعريف بالداعية الذي أصبح المتحدث الرسمي ، المقبول

من السلطة ، باسم الاسلاميين . وقد انتشر أخيرا انتشارا يثير أكثر من علامة استفهام في زمن الضيق هذا .. وانتشرت له فتاوي مذهلة في جرأتها على الحق والأدب .. وقد فوجئت بشاب يتصل بي ويقول ، أدركنا ، فلان يقول إن ابن عابدين أفتى بأنه إذا تنازع طفل رجلان أحدهما مشرك يدعى أن الطفل ابنه والآخر مسلم يدعي أن الطفل عبده حكم للمشرك .. « لأن نشوء الطفل في الحرية مشركا خير وأفضل من إسلامه مع العبودية !! » فوجدتني أرد على الفور بما عرف عني من « حس إسلامي سليم وأيضا ـــ مع الأسف ـــ بما بقى معي من سلاطة لسان الشيوعيين .. وجدتني أرد عليه قائلا : '' يقبى كذا الأبعد على .. ابن عابدين .. لأن الله سبحانه وتعالى يقول .. « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم .. » فهل تصدق ابن عابدين وابن هيكل ونكفر بالله ؟ (أعتقد ـــ إن صح القول عن ابن عابدين ـــ انه ذهب إلى ترجيح صدق المشرك لأنه يدعى البنوة بينما الآخر شهادته مجرحة لأن المصلحة فيها واضحة وهي الحصول على عبد بالمجان ..) .

وقد اضطر إلى إخفاء هذه الفتوى بعد أن انتشر ردنا بواسطة عدد ممن سمعوه مني وكتبوه .. ولكنه ما زال يتشبث بفتوى أخرى ملخصها أنه إذا كانت الوحدة الوطنية تتطلب أن يكفر المسلمون بالله ويخرجوا من دين الاسلام فليكفروا وليخرجوا حماية للوحدة الوطنية .. !! ودليله .. بنص كلامه :

« **قصة النبي موسى عليه السلام وأخيه هارون ـــ التي استشهدت بها أكثر من مرة ـــ وفيها مرر** (كتبت لفظة مرر بحروف سوداء ومعناها فوت .. ج النبي موسى انزلاق بعض بني إسرائيل إلى **الشرك** (الشرك أيضا كتبت سوداء ج) ـــ مؤقتا ـــ حفاظا على هدف أسمى هو وحدة القوم .. »(٧) .

وقد جمع هذا الخبث في كتاب وأضاف إليه ، فبعد أن حكى واقعة بني إسرائيل والعجل افترى الآتي : « وهو ما سكت عليه هارون مؤقتا .. من أجل وحدة القوم وسدا لباب الفراق والشقاق ، سكت هارون على هذا المظهر من مظاهر الشرك « (عبادة العجل مظهر .. امال إيه الشرك نفسه .. ج ؟) ويتابع : « وهي حجة قدرها النبي موسى وأقرها ، إذ لم يشر النص القرآني إلى أنه رد الحجة أو اعترض

عليها ، أي أن هارون عليه السلام ، عندما خير بين احباط الدعوة إلى الشرك بالله ، واحتمال تفتيت المجتمع وشق وحدته ، وبين السكوت المؤقت على بادرة الشرك في سبيل دوام الوحدة والتئام الصف ، فإنه اختار الموقف الثاني .. ولم يعترض النبي موسى .. وجاء النص القرآني محملا بهذه الإشارة ذات الدلالة المهمة .. وإذا أحسنا قراءة النص ، وتدبرنا معناه ، فقد نضيف بعدا آخر شرعيا ، يستزيد الاسلاميون به في تقدير الأهمية البالغة لوحدة القوم والوطن والأمة ، خصوصا إن الملابسات الراهنة أخف كثيرا من تلك التي ألمحت إليها النصوص القرآنية في قصة موسى وهارون .. » ا هـ(٨) .

والغريب أن أحدا من شيوخنا لم يرد على هذا الإفك والتزوير في الوقائع والتفسير .. .

ويبدو أنه هو وحده الذي أحسن قراءة النص .. ونستغفر الله قبل القول .. بأن رسول الله الذي أنزل عليه هذا النص لم يحسن استيعابه مثلما فعل هذا .. لأن الرسول آثر رفض الشرك على وحدة قومه وعشيرته ، فشاققهم وفرق بينهم بل وقاتلهم وقتل منهم ٢٣ عاما حتى اتحدوا على وحدانية الله .. ولا أبو بكر استوعب النص لأنه خاض حربا أهلية من أجل الالتزام بنص الله في الزكاة .. حتى رزئنا بالهويدي فأحسن استيعاب النص .. ورضي الله عن علي بن أبي طالب إن كان قد قال ما نسبوه إليه .. .

وقد ورد خبر العجل ثماني مرات في القرآن قال تعالى :

﴿ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا * ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم

إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى * قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يَبْنَؤُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي * قال فما خطبك يا سامري * قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي * قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلٰهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ﴾

[سورة طه الآيات من ٨٥ ـــ ٩٧]

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٤٢]

﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٤٥]

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين * قال رَبِّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين * إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾

[سورة الأعراف : ١٤٨ ـــ ١٥٢]

﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة

للذين هم لربهم يرهبون ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٥٤] .

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٤]

﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٢]

﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٣]

﴿ ... ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك .. ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٣]

وتعليقنا :

* هل يمكن القول بأن « وحدة القوم » هدف أسمى من التوحيد ورفض الشرك .. وعند من .. نبي .. ؟! محال عقلاً ونقلا .. فالهدف الأسمى للدين والأنبياء بل الهدف للانسان والوجود كله هو توحيد الله .. فإن قال مسلم أن هناك هدفا أسمى يباح من أجله الشرك بالله وعبادة العجل .. فما رأي مشايخنا في هذا المسلم .. ؟

* افتراء وكذب على النبي موسى صلوات الله عليه وسلامه فهو لم يمرر (إذا جاز أن نستخدم مثل هذا التعبير في الحديث عن نبي وقضية التوحيد والشرك .. ج) موسى عليه السلام لم يشهد ولا فوت ولا مرر ولا تغاضى فضلا أن يتخرص عليه بأنه أقر .. بل كان غائبا لميقات ربه ولما عاد وعرف بشرك قومه غضب غضبا شديدا جعله يلقي الألواح رغم أهمية هذه الألواح كما يفهم من نص الآيات فهي كانت موضوع ميقات ربه وقد كتب الله سبحانه وتعالى في هذه الألوح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وأمره المولى عز وجل أن يأخذها بقوة ويأمر قومه يأخذونها .. ورغم ذلك فقد بلغ الغضب بموسى عليه السلام ، لما

علم بشركهم ، أن ألقى الألواح بل واندفع في عتاب أو مؤاخذة عنيفة لأخيه ، فقبض على لحية أخيه ورأسه يجره إليه يريد أن يبطش به . ونحن نعرف قوة قبضة موسى .. وهجم موسى على العجل أو إله قومه ، أو هذا البعض من قومه ، فأحرق الههم ونسفه نسفا ثم قذف به إلى اليم . ولم يفكر لحظة واحدة في انشقاقهم أو مساومتهم على عبادته أو حتى استبعاد هذا الاله الصنم ، بأسلوب أقل إثارة ، حفاظا على الهدف الأسمى وهو الوحدة الوطنية المزعومة .. وحاشا لله أن يساوم نبي على الشرك أو أن يرى هدفا اسمى من التوحيد .

وقد فرض الله عليهم أشد عقوبة ، فرضت على خاطئين .. فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم .. أما الذي صنع العجل فقد عوقب أشنع العقاب في الدنيا وأنذر بعقاب الآخرة .. إن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه .. ومن مفهوم الآيات .. لا نجد مبررا لاتهام موسى صلوات الله عليه بأنه هادن أو ساوم .. بل بادر على الفور بمواجهة غاية في الحدة ضد الشرك وأهله .. فهو لم يناقش ولا حاور فضلا عن أن يكون قد هادن أو خاف من فرقة .. بل عمد إلى إله القوم فنسفه نسفا وإلى صانع الاله فلعنه وعاقبه فنكل .. وإلى أخيه فجذبه من رأسه ولحيته لولا أنه اعتذر بضعفه وخوفه من القتل .. مع أن أخاه نبي وقريب من درجته ومحاسبته تكون أمام الله ، أو على الأقل ليس بهذا الأسلوب الذي ينتقص من هيبة الأنبياء ، أو كما قال أخوه ، يشمت به الأعداء .. ولكن موسى كان في قمة الغضب لا المهادنة كما يزعم الفجرة .. حتى إنه كما قال العزيز المتعال احتاج فترة حتى ذهب عنه الغضب .. .

أهذا يوصف بأنه فوت الشرك ؟ يا للبجاحة والقحة والتقحم بغير عدة ولا أمانة .. .

* لا نستطيع أن نجد حالة إصرار على الشرك واجهت موسى فآثر السلامة وفوتها ، فالنص القرآني لا يسمح بمثل هذا الاستنتاج .. بل العكس أقرب للصحة .. النص يقول : ﴿ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري *

فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسى * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا * ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ [سورة طه الآيات : ٨٥ ــ ٩٧] .

فالقوم اعتذروا بأنهم ضللوا أو ضلوا بأوزار القوم وفتنة السامري .. والعجل الذي له خوار ، ثم إدخال الغفلة عليهم بقولهم ؛ هذا إلٰهكم وإلٰه موسى .. ثم هم علقوا عكوفهم على العجل إلى أن يعود موسى .. وواضح من الحديث أنهم تخلوا بسرعة عن هذا العكوف ولم يعارضوا ولم يحتجوا .. ولسنا نناقش اعذارهم ولا منطقهم .. فكفرهم وضلالهم واضح .. وإنما نستدل من هذه الأعذار المرفوضة انهم لم يصروا على الشرك ولا واجهوا موسى بهذا الاصرار .. ومن ثم فلا مجال للحديث عن شرك واجه موسى فقال لهارون فوت دي يا واد الوحدة القومية أهم .. .

قول باطل وتزوير معيب .

يبقى هارون المرشح الوحيد للفوز بلقب بطل الوحدة الوطنية على حساب الله سبحانه وتعالى تحت راية العجل وعبادة العجل .. وسنرى لأسف المفسر الجديد ، أنه لا يستحق الجائزة .. لأن هارون أيضا لم يفوت ، بل يفهم من الآيات أنه قاوم إلى حد التعرض للقتل .. إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء .. فالرجل إن كان قد سكت فعن ضعف وبعد اشتباك حاد ومقاومة وصلت إلى حد التهديد أو محاولة القتل فعلا .. ثم عن تأويل لمعنى وصية موسى الذي استخلفه على القوم ومن ثم لا يجوز للوكيل أن يتجاوز وصية الأصيل .. لأن موسى قال له .. « اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبل المفسدين » .. ولذلك لما

رأى هارون أن الأمر سيصل إلى حد قتله ، تأول أن ذلك ضد تعليمات موسى ، خاصة أنه بلا حول ولا قوة .. وهذا التأويل رفضه موسى بل هجم عليه يريد أن يبطش به وقال له : ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري .. ؟ فلم تكن هناك استراتيجية للوحدة الوطنية ولا اختيار حر .. بل سكت على مضض بعد أن ضرب علقة في انتظار حضور موسى !!

ورأى موسى أن يستغفر له .. ربنا إغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك .. فهو لم يهنئه على حمايته للهدف الأسمى ولا دعا له بحسن الجزاء على حسن ما فعل ، ليكون نصا دينيا تهتدي به الجبهات الوطنية في الزمن الرديء .. بل طلب له المغفرة .. فمن أين استنتج أنه فضل الوحدة الوطنية على التوحيد والإيمان ؟! بل ان الوحدة تحققت بموقف موسى الصلب وتمسكه بالتوحيد ، فالله سبحانه وتعالى يقول عنهم .. « ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين .. » فموقف موسى العنيف هو الذي كشف لهم ضلالهم وأعادهم إلى حظيرة الوحدة والتوحيد .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول للابن عن والديه .. ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما .. ﴾ [سورة العنكبوت] .

وكرر الأمر في سورة لقمان : ﴿ وإن جاهداك علىٰ أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما .. ﴾ .

فإذا كان الشرك لا يقبل من الوالدين ولا حتى ثمنا للوحدة العائلية فهل يقبله الأنبياء حفاظا على هدف أسمى مزعوم .. !

وعجيب أن يصر هؤلاء على اتهام أنفسهم بالدعوة إلى الحل الاسلامي وهم يعلنون استعدادهم لقبول الشرك في دينهم حفاظا على مايصفونه بالوحدة الوطنية .. عجيب مريب أمرهم لأن العلمانيين يدعونهم لما هو أدنى من ذلك .. مجرد تنحية الدين من الميدان السياسي .. الاحتفاظ بإيمانهم وتوحيدهم لأنفسهم .. وبناء

الوحدة الوطنية على أسس وقواعد لا دخل للدين فيها .. فلا أحد يجبر أحدا على قبول الشرك ولا الإيمان .. فلماذا يرفضون دعوى العلمانيين بحرية الاعتقاد بعيدا عن الدولة .. ثم يقترحون هم الوحدة الوطنية حول راية الشرك بالله ؟!

ويجب أن نوضح هنا نقطة في غاية الأهمية فنحن في الحقيقة نقبل المشركين لا الشرك من أجل الوحدة الوطنية ولكن بأي مفهوم .. نحن كأقباط نقبل شرك المسلمين برفضهم ألوهية المسيح .. نقبلهم كمواطنين شركاء متساويين في الحقوق والواجبات .. ونرفض شركهم وكفرهم . ونفس الموقف من جانب المسلمين فنحن نقبل المشركين الاقباط الذين يؤلهون المسيح ويجعلون لله إبنا .. ولا نرى أن ذلك ينتقص شيئا من حقوقهم كمواطنين .. وفي نفس الوقت نرفض أيضا هذا الشرك والكفر منهم .. .

ولكن كما أن هناك المتشدد داعية الفتنة الذي يرفض أن يكون على ظهرها مشرك .. ويزعم أننا مكلفون بشن الحرب على كل مشرك حتى يسلم .. هناك أيضا من يؤدي نفس الدور ولكن بالمقلوب أي الذي يدعو للتساهل فيطالب الاقباط بمسايرة المسلمين والتراجع عن القول بألوهية المسيح منعا للفتنة وحفاظا على الوحدة الوطنية .. أو العكس ! وبالطبع لا تعنت المتشدد ولا تفريط المفرط سيثمر إلا الفتنة وضياع الوحدة الوطنية التي علقها كل منهما ، بمستحيل ، كما يقول الفقهاء والفلاسفة .. .

فهذه الدعاوي إلى '' التنازل '' في سبيل الوحدة ، هي في الحقيقة من أدوات الفتنة ووقوداً للتشدد والانشقاق .. فهي بذرة خبيثة تلقى عن وعي لتنبت المر والزقوم في حقل الوحدة الوطنية ، وهي مستوى خاص من فن الفتنة يجب أن ننتبه له فتنتبه إلى أننا دخلنا به مرحلة جديدة في الشر الذي يدبر لنا ، لأن مستوى الفتنة وصناعتها كما تعلمنا من لبنان درجات ومستويات .. فهناك البلطجية من الطرفين الذين يعتدون على أبناء الطائفة الأخرى عدوانا سافرا يفضي إلى اشتباك وتوتر ، ولكن هذا اللون هو أضعف الأسلحة في صناعة الفتنة لأنه مباشر ومفضوح وتسهل

إدانته وإزالة أسبابه .. والفتنة تحتاج إلى زرع سموم تنمو ببطء ، ولكنها تترك جروحا لا تبرأ . ومثال ذلك إثارة قضايا لم تكن تخطر على بال الأقلية ولا اشتكت منها قط ولكن يتطوع بعض المشبوهين من ــ الأغلبية عادة ــ بإثارتها باسم الوحدة الوطنية والدفاع عن الأقليات والإنصاف .. ومن ثم تظهر قضية جديدة أو حق جديد مغتصب وترفض الأغلبية التسليم بهذا الحق وتتشبث عناصر الفتنة من الأقليات بالمطلب حتى يتحول إلى مطلب عام للأقلية ، وهكذا يضاف وقود جديد للفتنة .

مثال ذلك قضية الزواج المدني في لبنان فقد تطوع عدد من المشبوهين المسلمين فطرحوه كمطلب للوحدة الوطنية ، ويقصدون بذلك حق المسيحي في الزواج بالمسلمة أسوة بحق المسلم في الزواج بالمسيحية .. وهو مطلب لم يخطر ببال مسيحي خلال أربعة عشر قرنا .. وبدا شاذا وغريبا في بلد تقسم فيه الوظائف في البلدية وكنس الشوارع ، وليس في البرلمان والجيش فحسب ، وفقا لجدول طائفي صارم ! ولكن لأن المطلب المشبوه يثير حنق المسلمين ويتعارض تعارضا صريحا مع دينهم ، فسرعان ما تبناه وكلاء الفتنة من المارونيين . وتقاتل اللبنانيون وتذابحوا على الهوية من أجل السماح بالزواج المختلط بلا قيد ولا شرط .. ولم يقل أحد إن إلغاء التفرقة والتمييز الديني في البرلمان أولى وأكثر تعبيرا عن الوحدة الوطنية من الزواج واستفزاز الأديان والمتدنيين .. [٩] .

ومثل المقالة التي كتبت في مجلة ، يشتبه في أنها من مصانع الفتنة والتي فسرت عدم تدخل مصر في الأزمة اللبنانية بأنه حرص على مشاعر الأقلية القبطية !! وهكذا أضيفت الفتنة إلى سياسة مصر العربية والخارجية .. وهو أمر لم يكن يخطر ببال أحد ولا سبق أن طرح على لسان قبطي ، وبالطبع طرح على لسان مسلم ، وكوفيء عليه بعد ذلك بوظيفة ومرتب خرافي عند أشهر عميل للمخابرات الأمريكية والاسرائيلية في المنطقة .. ثم أصدروا له مجلة خاصة من مال دافع الضرائب المصري ! ومثل : « في أوائل السبعينيات رفض المهندسون المسلمون والمسيحيون اقتراح ميلاد حنا مقبرة مشتركة .. واستنتج أحدهم من ذلك « رغم

كل مظاهر الوحدة بين الأقباط والمسلمين في مصر إلا أن هناك غلالة رقيقة تعزل بينهما وتتحول في الأزمات إلى صراع ظاهر » .

أليس الأولى أن نتعلم العيش معا قبل أن ندفن معا .. ؟!

ومثل الدعوة التي ظهرت على لسان مسيحي في رسالة إلى بريد القراء ، والله أعلم بمن بعث بها . (ولاشك أن معامل الفتنة تستخدم سلاح البريد في نشر فتنتها فهي ترسل رسائل بأسماء مسيحية تطرح مشاكل أو تدعى اضطهادات ، ثم ترد عليها هي نفسها ، برسائل أخرى بإمضاء أسماء اسلامية تهاجم المسيحيين وتزدريهم ، فعسى أن يتنبه المشرفون على أبواب رسائل القراء لهذه المخاطر) الرسالة تطالب بحذف الآيات القرآنية ــ كل الآيات ــ من برامج اللغة العربية في المدارس لأنها عدوان على حرية العقيدة للطالب المسيحي .. وقد تصدى عدد من المواطنين المسيحيين الشرفاء للرد على هذا المطلب الغريب ولكن معظمهم ركزوا على أهمية دراسة القرآن في إتقان اللغة العربية (ومن المؤسف أن بعض الكتاب الاسلاميين المتأثرين بإرهاب أمثال هويدي سرعان ما لجأوا للمساومة ، فاقترح أحدهم جعل النصوص القرآنية اختيارية '' إنني أقترح على واضعي كتب النصوص والمطالعة أن تكون هناك نصوص اختيارية يختار منها الطالب ما يشاء ، وتكون صيغة الامتحان بحيث تسمح بهذه التعددية .. ففي ظل هذا الاقتراح يستطيع أولئك المسيحيون أو المسلمون الرافضون لأن يسمع أبناؤهم آيات من القرآن أن يختاروا نصوصا أخرى يمتحنون فيها '' (١٠) .

وهو من أعجب الآراء التي سمعنا بها أن يختار الطالب نصوص اللغة التي يتعلمها وفقا لمعتقداته .. ولماذا لم نسمع أي احتجاج من طالب مسيحي على نصوص اللغة اليونانية واللاتينية لما فيها من وثنية .. ؟! أو على تدريس شكسبير وفيه عشق الولد لأمه .. إن اللف حول المشكلة لا يجدي والذين حاولوا إثارة الحمية بالدفاع عن حق وواجب الدولة في تدريس اللغة العربية باعتبار القرآن هو أفضل نص عربي .. ولو لغويا فقط .. فات هؤلاء أن من يحرك هذه الفتن يعمل أيضا للقضاء

على اللغة العربية وخلق لغة ثانية للأقباط ليتم الفصل النهائي . ومن الغريب أن ذلك يتم في صمت ولا أحد يثير هذه القضية .. لابد أن توجه الأضواء لتلك الجهود والأموال التي تبذل لخلق لغة قبطية .. رغم منافاة ذلك ، لا أقول لحقائق الحياة والمصلحة الوطنية بل منافاة ذلك لصميم تعاليم المسيحية التي نهت أن يكون للمسيحيين في أي بلد لغة خاصة أو أحياء خاصة ، فالمسيحية هي دين أممي دين الاندماج ، لأن المسيحية في إحدى خصائصها هي النفي للعزلة اليهودية . وأعيد هنا كلمات الأخ الكريم الدكتور وليم سليمان قلادة المتبحر في اللاهوت والسياسة والتاريخ ، وهي الكلمات التي استشهدنا بها في المدخل ، حيث قال : « المسيحيون ليس لهم بلد خاص بهم أو لغة أو ملابس تميزهم عن سائر الناس ، فهم لا يسكنون مدنا قاصرة عليهم .. ولا يتكلمون لغة مخالفة لغيرهم ، ولا يتبعون أسلوب حياة غير مألوف .. يعيشون وسط جميع الشعوب ، وبينما هم يمارسون العادات المحلية في ملابسهم وطعامهم وطريقة معيشتهم ــ يظهرون الطابع المميز لحياتهم .. يؤدون واجبهم كمواطنين .. يطيعون القوانين الوضعية ، ولكنهم بسلوكهم يسمون على القوانين » .

فالدعوة لإحياء اللغة القبطية مخالفة للدين المسيحي مما يؤكد أن دعاتها لا يعنيهم الدين بل الفتنة ! .

والذين يتباكون على اللغة القبطية يفسقون في عقول الدهماء بما يوحي وكأن هناك قرارا سلطويا حرم هذه اللغة لحساب اللغة العربية ! بل إن أحدهم كتب مرة يقول : انها منعت في عهد محمد علي !! والحقيقة التي يعرفها أي دارس شريف ؛ هي أن الغة القبطية ماتت في زمن مبكر جدا ، ونتيجة عملية اختيار حر من المصريين لتفوق العربية أساسا .. وربما ــ وإن كنت لست دارسا لهذا الأمر ــ لوجود عناصر مشتركة بين اللغتين سهلت فناء إحداهما في أختها الأقوى والأقدر على تلبية الاحتياجات المعاصرة ، وإلا فإن الحكم العربي لم يستطع إلغاء اللغة الفارسية .. والذي يتجاهله هؤلاء إن اللغة القبطية كانت قد تراجعت بشكل حاسم في القرن العاشر الميلادي حتى أن أشهر كاتب ومؤرخ في تاريخ الكنيسة القبطية

وضع تاريخها باللغة العربية ، بل كان هو شخصيا لا يعرف اللغة القبطية ويحتاج لمترجم لقراءة النصوص القبطية .. وقد تكون هذه حقيقة مذهلة تكاد ألّا تصدق كما قال الفريد بتلر ولكنها الحقيقة .. وقد شهد الدكتور/ ميلاد حنا أنه '' لم يكن في مصر عبر تاريخها الطويل ــ في العصر الواحد . إلا لغة واحدة وليس لغتين '' . (١١) .

ولكن صناع الفتنة يعتمدون على الكذب والجهل .. فهذا الكاتب البريطاني اعتمد على نص صريح من ساويرس نفسه . ولكن الصبية الذين يفسقون في عقولهم يكتب أحدهم إلى جريدة الأهالي يقول : '' تسأل هل هناك ثقافة غير ثقافتنا العربية في مصر وأقول لك نعم هناك الثقافة القبطية وهي فيما يلي :

اللغة القبطية وهي بحر كبير قضى كثير من الأشخاص حياتهم في السباحة فيه ، منهم في العصور الوسطى ابن كير السمنودي ثم في العصر الحديث مفتاح عريان وأقلاديوس لبيب .. كما ألف العلامة الإنجليزي '' كرام '' القاموس القبطي الإنجليزي .

وهناك معهد للغة القبطية يشرف عليه الدكتور أميل ماهر .
الطقوس الكنسية وتشمل العديد من الألحان .
الكتاب المقدس .. تاريخ الكنيسة وقصص الشهداء .
تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع والخريدة النفسية وغيرها

سامح وديع عياد
دير الملاك ــ القاهرة (عن الأهالي ٢٢/٢/ ١٩٨٩) .

واضح أنه إما نصاب أو جاهل منصوب عليه .. فاللغة القبطية لغة ميتة والاهتمام بها أو بدراستها أو وضع قاموس لها لا يعني أنها حية أو يمكن بعثها ، فالاهتمام بسابقتها اللغة الفرعونية أكبر منذ شامبليون ، ولا تكاد توجد لغة متحضرة ليس فيها قاموس للغة الهيروغليفية .. ومع ذلك لا أحد يتحدث عن إحيائها أو انها من مظاهر وجود ثقافة غير العربية في مصر !! وأنا على يقين أن كاتب الرسالة لم يقرأ تاريخ الكنيسة وقصص الشهداء إلا باللغة العربية وأهم من ذلك الكتاب المقدس

نفسه ، وأتحداه هو أو من فسق في عقله أن يكذبوا ذلك[١٢] . والبابا غبطة الأنبا شنودة له ١٦ كتابا كلها بالعربية وله أشعار جيدة باللغة العربية ولا يمكن أن يوصف أو يصفه أحد إلا بأنه عربي الثقافة .. أما عن الترانيم فإن كاتب الرسالة لابد أن يعلم أن إخوانه الاقباط الكاثوليك بل الكاثوليك في العالم كله يغنون ويصلون بترانيم لاتينية ولا أحد يتحدث عن ثقافة لاتينية يجب بعثها .. .

أما التزوير الفاضح فهو قوله أن ابن المقفع ساويرس القبطي كان من علماء اللغة القبطية ورموزها وبالذات في كتابه « تاريخ البطاركة » .. هذا تزوير واستثمار للجهل المتفشي .. وإليكم شهادة مؤرخ بريطاني لا من دينه ولا من ديني .. بل مؤرخ غير متعاطف مع الاسلام هو الفريد بتلر الذي أشرنا إليه فقد علق على كتاب ساويرس ابن المقفع هذا بالذات فقال : « وقد قال ساويرس (ابن المقفع) في مقدمته التي كتبها بنفسه (كتاب تاريخ حياة البطاركة) أنه كان يلجأ إلى بعض القبط ليترجموا له الوثائق القبطية واليونانية إلى اللغة العربية إذ إن اللغتين المذكورتين كانتا حتى عند ذلك (الوقت) غير معروفتين لأكثر المسيحيين ، وهذا عظيم الدلالة إذ يظهر الحال من الاضمحلال التي هوت إليها لغة القبط ولغة اليونان ، كما أنه يظهر جهل ساويرس بهاتين اللغتين ، والحق أن ذلك الدليل على جهل اللغة القبطية عجيب مدهش حتى ليلوح لنا أنه لا يكاد يصدق » .[١٣] .

فهذا المؤرخ بل المرجع الوحيد لتاريخ الكنيسة القبطية ، الأسقف القبطي للأشمونيين كان قد اندمج في اللغة العربية والثقافة العربية ، وكان اسمه الذي اختاره اسما عربيا لمندمج قبله في هذه الحضارة العجيبة الخصيبة وهو '' ابن المقفع '' وكاتبه ومتمم تاريخه الشماس « محبوب بن منصور » .. ويروي الجاحظ أن النصارى على عهده كانوا يتسمون بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى .. وهذه الظاهرة تلاحظ في مصر في عهود الاستقلال ، فأشهر كاتب مسلم في مصر يشترك في نفس الاسم مع أشهر طبيب مسيحي نجيب محفوظ .

كما كان جهل المؤرخ القبطي العظيم باللغة القبطية دليل انقراض هذه اللغة

قبل عشرة قرون من قيام اسرائيل وإصدار البطاقة الخضراء والتكسب بالتباكي على الثقافة القبطية بل وقبل إضافة السادات '' محمد '' إلى اسمه .. الأمر الذي لا يغفره أبدا مندوب مجلة المخابرات الأمريكية ! .

وإذا كان كاتب الرسالة والصحيفة التي نشرتها ، يجهلان تاريخ ابن المقفع القبطي فهذا بالطبع يعفينا من مناقشة بقية ما جاء بها وإن كانا يعلمان ويتغابيان فهذا كلام له خبيء معناه أنهم يعتقدون أننا بلا عقول .. .

ويجدر أن نتأمل هنا موقف تلاميذ الفتنة طلاب بطاقة الإقامة في كندا من يسعون لهدف واحد هو تمزيق وحدة المصريين لكي لا يكون لمصر كلمة في مصير الشرق الأوسط .. هذا هو الهدف لا الاقباط ولا المسيحية .. .

قارن موقف هؤلاء وبين موقف القبطي المتدين المصري الأصيل حماه الله الدكتور وليم سليمان قلادة الذي يقول بالحرف الواحد في موضوع اللغة مسجلا غبطته كمصري بوحدة المصريين على لغة واحدة قال لا فض فوه وشرفت به مصر : '' على أن العامل الرئيسي الذي دعم وحدة الشعب المصري هو أنه منذ وقت مبكر أخذ الشعب يتكلم ويتعامل بلغة واحدة هي العربية . ذلك أنه مع دخول الاسلام إلى أرض مصر جاءت معه اللغة العربية وصار في مصر لسانان العربي والقبطي . ولو أن هذا استمر لكان على أرض مصر شعبان ، لكل منهما ثقافته ووعيه ونظرته للعالم ولمصر ، ولصعب التفاهم بين الشعبين في هذا التجمع .. فماذا كان اختيار المصريين ؟ .. '' وبعد أن يتحدث عن ابن المقفع القبطي .. واختيار الاقباط للغة العربية يقول : « وبهذا حدثت معجزة التفاهم داخل الشعب المصري : ان اللغة هي التي تصنع التصور وتكون الوعي والنظرة إلى الذات وإلى العالم وتربط العلاقات بين البشر وتعبر عن العلاقات فيما بينهم .. والحاصل أن ما حدث في مصر في هذا المجال فتح الطريق أمام شعب مصر كله ليتفاهم بلغة يتحدث بها بشر في رقعة من الأرض تمتد كما نقول اليوم من المحيط إلى الخليج . وبهذه اللغة يدخل الشعب المصري بكل قوته البشرية والمادية وبكل تراثه الحضاري في

حوار وينهض بقيادة معركة التحرر القومي والاجتماعي والثقافي مع مجموعة تبلغ اليوم ما يزيد على مائة مليون نسمة يقدم لهم نموذجا رائدا في الوحدة والتفاهم وتشكل المؤلفات المسيحية المصرية المكتوبة باللغة العربية جزءا هاما من التراث الثقافي المصري » . (ص١٦٤ ــ ١٦٥) .

أنظر كيف دفعته مصريته إلى الإيمان والتمسك بالدور العربي الذي تقوم فيه مصرنا بدور القائد ، وهو نفس ما وصل إليه مكرم عبيد ، أي الإيمان بالعروبة انطلاقا من الإيمان بمصر ، فهو القائل : '' إن التاريخ سلسلة متصلة بسبب وحدة اللغة والثقافة العربية ، وإن الوحدة العربية هي حقيقة مؤكدة قائمة '' . وقد أشار مؤلف سيرته (الدكتور الفقي) إلى رحلة مكرم عبيد في بلاد الشام بمفهومها التاريخي ــ أي سوريا ولبنان وفلسطين ــ سنة ١٩٣١ والتي هاجم فيها الدعوة الفرعونية كدعوة لفصل مصر عن الدول العربية الأخرى . وكذلك كتاباته في عام ١٩٣٩ وهذا كله قبل قيام الجامعة العربية أو حتى طرح فكرتها . بل يسجل المؤلف أن مكرم هو الذي استخدم تعبير الجامعة العربية قبل إنشاء المنظمة التي تحمل هذا الاسم بخمس سنوات . وإن كنا لم نفهم التعليل الذي قدمه المؤلف لعروبة مكرم واهتمامه بدور مصر الاسلامي .[١٥] .

الوطني المصري مسلما[١٦] كان أو قبطيا لابد أن يكون عروبيا شديد الاعتزاز بالاسلام وبدور ومكانة مصر في العالم الاسلامي . ليس مصريا هذا الذي يريد أن يحرم مصر من مكانه الزعامة بين ألف مليون مسلم .. هي وحدها المرشحة لنيل هذه الزعامة ، التي يأباها عليها حفنة من الذين أعمى الحقد الطائفي بصائرهم عن رؤية مصالح وطنهم ، يشجعهم ويثيرهم ويفلسف لهم ، أعداء مصر التاريخيين من أساتذة في جامعات الغرب واسرائيل ، انتقلوا من العمل في أجهزة المخابرات الاستعمارية إلى كراسي الأستاذية أو يجرى إعدادهم لرحلة بالعكس ...

هكذا تكلم أقباطنا من رضعوا المصرية والوطنية ونبتوا من اللحم الحي لكنيستنا رمز الوطنية المصرية بل اقدام مؤسسة مصرية خالصة .. ثم تأمل الموقف المضاد لعملاء الفتنة اليوم ، الذين يتعاونون مع إسرائيل ويهاجمون العروبة .

وإذا كانت فتنة نصوص مادة المحفوظات تكشف في نفس الوقت عن سر العداء التاريخي للغة العربية من قبل العناصر المشبوهة الحاقدة على الاسلام ، وأعني هذا الربط في نفوسهم بين اللغة العربية والقرآن فهم يعادون اللغة العربية كيدا للقرآن والاسلام .. وها هو مندوب مجلة المخابرات الأمريكية وأستاذه يرحبان بكل دعوة تقضي على العربية وتبعدنا عن النص القرآني .. .

فإذا عدنا لحديث شاهد الملك نجد أن هذا المخرب بدأ فتنته لضرب الوحدة الوطنية بمقال سيىء العنوان هو '' مواطنون من الدرجة الثانية ''[١٧] وبالطبع قامت أهرام نيويورك التي يشرف عليها حمدي فؤاد بنقل المقال في طبعتها .. لتلتقطه المنظمات العاملة من أجل الفتنة في أمريكا وكندا واستراليا .. والتي تتكسب بترويج إدعاء اضطهاد المسيحين في مصر ، والتي يمثل لها مثل هذا المقال حجة ، وأي حجة ، تواجه بها الدولة المصرية والعقلاء من الوطنيين المصريين الذين يحاولون توضيح حقيقة الوضع ، ونفي وجود اضطهاد للمسيحيين ، فيأتي هذا المقال الذي يكفي عنوانه ليكون أقوى دليل يروج ضد مصر في الخارج وأي دليل أقوى من اعتراف كاتب « اسلامي » وفي كبرى الجرائد الحكومية في مصر .. بأن الاقباط مواطنون من الدرجة الثانية في مصر .. .

ألم أقل لكم إنه يلعب دور شاهد الملك .. .

وقد بدأ المقال هكذا : « اسمحوا لنا بأن نسجل اعتراضنا صريحا على ما يصدر من بعض الدعاة الاسلاميين من مقولات تمس الاقباط وتنال من عقائدهم » . ووصف ذلك بأنه « ينسف وحدة الوطن ويمزق شمله » وكعادته في لعب دور شاهد الملك ــ كما رأينا في تعامله مع الثورة الإيرانية والوحدة الشيعية ــ السنية ــ تطوع بالشهادة بأنه سمع : « بعضا من تلك الاساءات التي ننكرها في خطب الجمعة . وتكرر ذلك على فترات متباعدة من جانب بعض المتحدثين عبر الإذاعة والتليفزيون » . وزعم أنه تلقى العديد من الرسائل تطالبه بفتح '' الملف '' وأنه تلقى من أحدهم « شريطا مسجلا تضمن فقرات من خطبه أو لعلها عدة خطب

لواحد من الخطباء في المنصورة لم يترك شيئا في عقائد المسيحيين لم يتعرض له بالنقد والاتهام وأرفق بالشريط رسالة تقول هل يرضيكم هذا .. » .

وهكذا ثارت حمية تلميذ هيكل وقرر فتح الملف .. ملف القرآن بالطبع .. وتطوع بأن يضع لنا ميثاقا للوحدة الوطنية لا نضل من بعده .. حقا هزلت .. وسامها كل مفلس .. .

وبداية نتساءل في بلاهة ، لكي نكون في مستوى الحديث والحوار ، وقد شاءت إرادة الله أن يبعث لكل قوم رسولا بلسانهم ، ولو كان سبحانه وتعالى هاديا البقر لأرسل لهم ثورا يخاطبهم .. نتساءل ما حاجة صاحبه لعناء التسجيل والرصد لشيخ مغمور في المنصورة ؟! لماذا لا يكتفي بأن يرسل للكاتب الحكومي نسخة من المصحف الشريف المتداول في مصر منذ ألف وأربعمائة سنة أو شريطا مسجلا مرتلا أو غير مرتل مما يذاع من آيات الله البينات في الإذاعة والتليفزيون والميكرفونات لأكثر من نصف قرن .. وأنا أشهد وكل مسلم يشهد بل كل ملم بالقراءة يشهد ، أن كتاب الله لم يترك شيئا في عقائد المسيحيين لم يتعرض له بالنقد والاتهام بل وما هو أكثر .. فهل يريدنا كاتب الحكومة أن ندرج المصحف تحت قائمة الممنوعات ، وهل يشمله اتهامه « بنسف الوحدة الوطنية وتمزيق شمل الوطن ومفسدة ينكرها العقل والنقل وتجرح وجه الاسلام ذاته » ؟ (١٨)
قاتله الله وأخزاه

هذه هي مقدمة برنامج الوحدة الوطنية الذي طرحه ، وهي كما رأينا .. فماذا في البرنامج ذاته .. ؟ نناقش بعض ما جاء في البرنامج مما له علاقة بموضوعنا .. .
« يمتنع على أي طرف أن يجرح عقائد الآخر ، بأي تصريح أو تلميح .. » .

وكما قلنا هذه دعوة لمصادرة القرآن والتوراة والإنجيل أو على الأقل تحريم تلاوتهم علنا أو نشرهم بكافة الصور . وهو افتئات لم نسمع به في أي دولة في العالم -حتى التي أخذت بمبدأ فصل الدين عن الدولة أو حتى التي ذهبت إلى حد إلغاء الأديان .. لأن القرآن هو أكبر وثيقة تجرح عقائد غير المسلمين وتثبت

بطلانها .. والإنجيل هو وثيقة معادية لليهود تحرض عليهم وتزدري وتجرح عقيدتهم . ونصوص الإنجيل وجوهر تعاليمه تشكل تناقضا وتجريحا لعقيدة المسلمين .. وسيكون من حق أي مسلم أن يطالب بمنع أي قداس يتحدث عن صلب المسيح أو أنه ابن الله .. أو على الأقل سيكون من الجنون تصور ترك المسيحي يتحدث عن ابن الله ومنع المسلم من أن يشرح عقيدة التوحيد وبطلان التثليث فهي كما ترى دعوة مجنونة مستحيلة لا يمكن أن تثمر إلا اشتعال الفتنة .. [١٩] إنها كما قلنا تضيف إلى قائمة المشاكل مطلبا مستحيل التنفيذ لم يكن مطروحا من قبل ..

ومنذ متى كان اختلاف العقائد يمس وحدة الوطن ؟! ولكنها اللاطائفية السوقية التي تحدث عنها بإبداع الثائر الجزائري عمار أوزيجان .. أي أولئك الذين يحاولون التبرؤ من تهمة الطائفية بالتخلي عن الدين ذاته .. !! ولكن هؤلاء يفتقدون حتى لشجاعة الذين هاجمهم أوزيجان . أم هل نقول يفتقدون أساسا لاخلاصهم ، فهم في الحقيقة لا يخافون الفتنة بل يسعون إليها سعيا ، وإلا لطالبوا بقصر الدين على العبادات وإلغاء كل حديث عن الحكم الاسلامي وتطبيق الشريعة والدعوة لإقامة المجتمع العلماني الذي يستبعد الدين تماما من كافة مؤسسات الدولة .. إذا كان هذا هو الحل لحماية الوحدة الوطنية في رأيهم فلماذا لا يطالبون به .. لقد فقدوا حتى شجاعة العلمانيين .. إن هذا المطلب أسهل قبولا عند الجماهير من الدعوة إلى حظر الآيات التي تنتقد عقائد غير المسلمين .. والغريب أن يصدر هذا المطلب من دعاة الاسلامية كما يدعون !!

هناك فارق ضخم بين رفض ونقد معتقدات فئة من المواطنين وبين مهاجمة هؤلاء المواطنين ، سبهم أو التطاول عليهم أو التعرض لهم أو انتقاص حق من حقوقهم كمواطنين أو ادعاء نقص ما في أهليتهم أو حقوقهم بسبب معتقداتهم الفاسدة من وجهة نظر الآخرين .. [٢٠] .

الطائفية ليست في الإيمان بدين ورفض معتقدات الآخرين ، ولا في التعرض

لمعتقدات الآخرين بالتفنيد أو النقد ، بل الطائفية هي في ترتيب حق أو انتقاص حق ، مدنيا كان أو سياسيا ، بناء على هذه المعتقدات .. والمسيحيون يتحدون معتقدات المسلمين ويهينون تصورهم لله كل يوم وكل أحد في الإذاعة والتليفزيون . وفي بعض المناسبات عندما يبدأون صلاتهم باسم الاب والابن .. ولم يطالب مسلم واحد بمنع الصليب ، أو مواراته ، كما طالب أستاذهم المودودي قبل أن نتصدى له وحدنا .. وبعدنا جرأوا على النطق .. أما إذا ذهب مسلم « يتصنت » على القداس أو تربص بوقت إذاعته في التليفزيون ، ليصرخ : أهانوا معتقداتي ! فهو نطع حقا .. كذلك منذ اعتنق شعب مصر الاسلام ونحن نقول ليل نهار .. وما قتلوه وما صلبوه .. ونعلن كذبهم على الله إذ قالوا اتخذ الرحمن ولدا .. وحدث ولا حرج عن رأي الاسلام في اليهودية .. ومع ذلك لم يحدث قط أن اشتكى مواطن مسيحي أو يهودي ولا أعتبر ذلك مساسا بحقوقه كمصري أو تهديدا للوحدة الوطنية .. ومرة أخرى ما نوعية هذا المواطن غير المسلم الذي يحضر صلاة الجمعة أو يتسمع عليها ليسمع الآيات التي تخالف دينه .. أو الذي يرفض كل القنوات إلا القناة التي تذيع حديث الشعراوي .. لماذا يشاهد غير المسلم الشيخ الشعراوي إلا عن ترصد وترقب وسعيا للفتنة سعيا .. .

لذا فنحن نرفض دسه الخبيث عندما يحرض المواطنين المسيحيين ويثيرهم بقوله : « هؤلاء الذين ما انفكوا ينتقدون عقائد المسيحيين ينالون من كرامة إخوة لنا في الوطن .. عندما يجرحون صلب معتقداتهم على هذا النحو .. » .

لم يحدث أن روج للفتنة بأخبث من هذا الأسلوب أبدا .. .

يقول :

« إن ما هو مختلف عليه بين العقائد ، يحترم ما هو ثابت فيه ولا ينبغي أن يروج له بين عامة الناس وإنما هو مما يجوز لأهل العلم والتخصص أن يتبادلوا الرأي في صدده ، على أن ذلك في مجالس العلم وليس من خلال المنابر العامة » .

يصعب الاحتفاظ بالهدوء للتعليق على هذا البند في بيان : « تأصيل الفتنة .. »

هل يعقل أنه يطالب بمنع الكنيسة من شرح عقيدة التثليث للعامة ومنع المسلمين من تدارس أو حتى التلاوة العلنية لسورة الإخلاص التي تنفي أن الله قد ولد أو ولد .. يطالب بمنع تداول هذه الأفكار بين العامة وتحولها إلى أسرار بوذية أو ماسونية أو باطنية لا تعطي إلا للأتباع عندما يصلون إلى الدرجات العالية .. ! ثم يدعو إلى عقد مجالس المحاورة بين المتخصصين لتبادل الرأي .. تبادل الرأي في ماذا ؟ هل يأمل أن يصل علماء المسلمين والنصارى إلى اتفاق حول طبيعة المسيح وهو الخلاف الذي لم يحل في ألفي سنة بين المسيحيين أنفسهم ؟ أم يريد مصارعة حرة يتسمع أخبارها العامة ويتحزبون حولها ثم يتقاتلون .. ؟ لم يحدث أن روج للفتنة في بلادنا بأخبث من هذا الأسلوب أبدا .. ثم إن الدعاة أو المتخصصين — كما يسميهم — إذا تحدثوا للعامة فهم في الغالب الأعم يتحدثون إلى بني دينهم مما لا يحمل خطورة استفزاز ، بعكس هذه الندوات للحوار أو المصارعة التي يدعو إليها والتي لابد أن يتتبع العامة أنباءها .. .

والحوار الاسلامي المسيحي أو الحوار بين الاسلام والمسيحية الذي يدعو إليه هو فكرة شيطانية من اختراع مجلس الكنائس العالمي الوثيق الصلة بالمخابرات الأمريكية وقد عارضنا الفكرة والتسمية ، فور ظهورها ومنذ سنوات . وقلنا إنه لا حاجة ولا جدوى من مثل هذا الحوار المتأخر عن وقته أربعة عشر قرنا ، وأنه إذا كان من حوار مطلوب فهو حوار بين المسلمين والمسيحيين لا حول صحة العقائد أو بطلانها .. بل حول تنظيم علاقة الحياة الدنيوية بين الطرفين .. فالتعايش والتآخي والوحدة لا معنى لها إن لم تقم على قبول الاختلاف ولا أمل فيها إن لم يتخل الطرفان عن أية محاولة لإلغاء رأي أو اعتقاد الآخرين ، ولذا نحن نرفض بإصرار ، دعواه إلى '' الحوار الاسلامي المسيحي وتوسيع نطاقه '' ! نرفضه على جميع المستويات فهو لا جدوى منه ولا يثمر إلا الفتنة .. نرفض أن يقف قس وشيخ يتحاوران ما هو أفضل الاسلام أم المسيحية .. الحوار المطلوب هو بين المواطنين مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، إن وجد ، ويدور حول سبل بناء وطن حر يتساوى فيه الجميع في ظل الاعتراف بالهوية المصرية العربية الاسلامية لهذا

الوطن .. نرفض منطق الذمة إذا ما استخدمت لتبرير اضطهاد المسيحي المواطن أو انتقاص حقوقه ونحن أول من قال ذلك من منطلق إسلامي .. كما نرفض التحدث عن المسيحيين بلهجة الأخ الحاني المشفق أو الأخ الأكبر كبير القلب !

الاسلام الحضاري لا يعني تخلي المسلمين عن عقيدتهم أو تشككهم في صلاحيتها أو تهاونهم في نشرها والذود عنها ؛ بل يعني أن تكون إسلامية الدولة منبثقة من دين وعقيدة المسلم ومن اقتناع غير المسلم بأنها الدولة المثلى التي تلبي احتياجات العصر وتعبر عن التاريخ والهوية وتعمق دور المصري إقليميا وعالميا .

ثم تعالوا نتكلم بصراحة .. .

لقد طرح البعض خطأ مشروع قانون الردة .. وسأبين وجه الخطأ في نهاية هذا القول .. المهم أنه فور تقديم قانون يدعو لمعاقبة المسلم الذي يرتد عن دينه .. تحركت الكنيسة في أول وأخطر وأكبر وأصرح مواجهة لها مع الدولة منذ التقاء عمرو وبنيامين .. فقد عارضت الكنيسة مشروع القرار ودعا البابا شنودة إلى ما يشبه العصيان المدني وألغى العيد احتجاجا والتف حوله أو أطاع أمره جمهرة الاقباط [٢١] .

وقد روى د / ميلاد حنا الآتي : « وقبيل عيد القيامة بأيام وفي ٢٣ مارس ١٩٨٠ الموافق ١٧ برمهات ١٦٩٦ للشهداء صدر قرار من '' المجمع المقدس للكنيسة القبطية الارثوذكسية '' وهو أعلى سلطة كهنوتية للاقباط ــ قرارا مسببا ينتهي إلى إلغاء الاحتفالات الرسمية بعيد القيامة المجيد هذا العام والاكتفاء بالصلاة في الكنائس ، مع عدم تقبل التهاني بالعيد .. وذلك تعبيرا عن الآلام التي يعانيها الاقباط ، كما قرر أعضاء المجمع المقدس الاعتكاف في الأديرة خلال العيد .. وكان هذا البيان الذي أذيع في جميع كنائس مصر .... '' وقال : '' لم تستطع القوى التقدمية أن تواجه الموقف ولكن الأنظار اتجهت إلى قيادة الكنيسة لاختبار أسلوبها وطريقتها في معالجة الأزمة . وقد أعلن البابا شنودة الثالث حالة الصيام لجميع الاقباط لعدة أيام . وأعلن ذلك في جميع الكنائس في مصر فكان ذلك هو

الأسلوب المبتكر الفعال الذي أدى إلى تراجع الحكومة وإعلانها الصريح سحب مشاريع القوانين . وقد ساعد أبناء الجاليات القبطية الموجودة في أمريكا واستراليا في الضغط على الحكومة من الخارج ''[٢٢] .

أما إدوار خراط الذي يدير مجلة « الكرمل » ، ويعرف نفسه بأنه المتخصص في وصف حياة الاقباط .. والذي يستدل على واقع التوتر في المجتمع المصري من عدم رواج مؤلفاته ! (ص ٧٣) فقد علق على الثورة القبطية ضد قانون الردة بقوله :

« بديهي أن يرفض الاقباط في مصر التيار الاسلامي الأصولي فمقررات المجمع الكنسي المقدس في يناير ١٩٧٧ استنكرت وأدانت عقوبة الردة التي تقضي بإعدام المرتد عن الاسلام . هذه المسألة تندرج في جملة الضغوط التي تعاني منها الكنيسة في مصر ، مما حدا بها إلى رفض أسلمة المجتمع المصري وقد دعا البطريريك حينها للصيام ثلاثة أيام احتجاجا »[٢٣] .

أما مندوب مجلة « حوار » الصادرة عن المخابرات الأمريكية ، فقد وصف التحرك الكنسي بأنه « أخطر مؤتمر ديني مسيحي في تاريخ البلاد منذ ٦٦ سنة (الأول كان مؤتمر ١٩١١) »[٢٤] .

وشهد غالي شكري أن التحرك المنظم الموحد للمسيحيين في الخارج أثناء أزمة قانون الردة « لا يسمح بالتفكير في '' حسن النوايا '' أو التلقائية »[٢٥] وهذه حقيقة لا تحتاج لشهادته ، ولكنها ليست موضوع بحثنا هنا .. وإنما نناقش موقف الكنيسة من الدفاع عن حق الردة للمسلمين .. .

وأظن أننا أكبر وأشرف من أن نقول إن الكنائس العالمية دخلت هذه المعركة ، وزجت بالكنيسة المصرية فيها ، وفي هذا الوقت الحرج ومصر تحاول استرجاع أرضها المحتلة ، أقول من المهانة أن نقول إنهم خاضوا هذه المعركة ، دفاعا عن حرية العقيدة للمسلم !! وتمسكا بوثيقة حقوق الانسان أو دفاعا عن المبدأ الاسلامي .. لا إكراه في الدين كما تبذل بعض الأفاقين من المحسوبين على

الاسلام ودخلوا الساحة إلى جانب القوى المعادية لمشروع القانون ، بحجة أنه ضد حرية العقيدة التي كفلها الاسلام .. لا .. البابا والكنيسة وقيادات الاقباط دخلت المعركة دفاعا عن حقها في تنصير المسلمين واقتناعا بأن القانون يشل يدها عن هداية الضالين المسلمين وإدخالهم ملكوت الله .. لو أن البابا تقدم بمطلب تطبيق القانون أيضا على المسيحي الذي يرتد عن دينه لفهم الموقف على أنه مطالبة بالمساواة أو خوفا على الاقباط أن يغيروا دينهم .. ولكن ذلك لم يحدث بل دخلت الكنيسة معركة صريحة دفاعا عن حق المسلمين في الردة وحقها في تنصيرهم[٢٦] وكسبت المعركة .. ترى هل هي كنيستنا التي كسبتها ؟! .. .

وهنا نقطة فرعية ولكنها هامة جدا وهي أن هذا الموقف يثبت بطلان كل إدعاء بوجود أي اضطهاد فضلا عن تهديد للاقباط أو عقيدتهم .. فالأقلية التي تراودها أمال تغيير دين الأغلبية إلى حد المخاطرة بدخول معركة مع الدولة .. لا يمكن أن تكون مضطهدة أو مهددة بالفناء كما يزعم تجار الفتنة في أمريكا واستراليا وكندا .. .

وهل يمكن اقناع المسلم بالتخلي عن دينه واعتناق المسيحية كما يرجو الذين عارضوا قانون الردة .. هل يمكن أن يتم ذلك إلا بنقد الدين الاسلامي وتفنيد معتقداته .. ؟ وهل يعقل أن تطلب الكنيسة هذا الحق لنفسها وتستنكر أن يدافع خطباء الجمعة عن هذه المعتقدات حماية لاتباعهم من شبهات المبشرين .. ومحطات الإذاعة التي تحيط بمصر ولا يملك البيان الوطني للوحدة أن يخضعها لقراراته ؟!

أما وجه الخطأ الذي أشرنا إليه ، في أول الحديث عن قانون الردة وأزمته ، بل إن شئت فضيحته ، فهو الكذب على النفس ومحاولة خداع الذين لا يخدعون فالذي حرك قانون الردة هو الغضب على نشاط المبشرين الذي وصل إلى مستوى استفزازي في عهد السادات وما زال يخرب في مصر ويدمر في قواعدها .. وكنت قد كتبت الكلمة التالية بعد أحداث أبو قرقاص وبعثت بها للوفد في مكاني الأسبوعي واعتذرت الجريدة عن نشرها :

« حديث صريح في الفتنة !»

أحب المصارحة وطرح الأمور على بلاطة ، فلم يعد في العمر متسع لخشية ولا في أزمة البلاد مكان للمناورة والمداورة .. والمشكلات تخنقنا في جميع الاتجاهات . وأكبر مشكلة نواجهها على صعيد الأمن ، هي ما تعودت الصحف تسميته بالفتنة أو الاضرار بالوحدة الوطنية .. وأنا أوجه حديثي للمخلصين الذين يروعهم تطورات الأحداث وتكرارها ، ولست اهتم بالضالعين في الفتنة ولا أصحاب الثارات الذين ينتهزون الفرصة ويطلبون رأس الاسلام والمسلمين ، الذين يصورون الأمر وكأن تعليمات أو نوبة جنون تجتاح المسلمين فجأة وبلا أية مبررات فيفتكون بالمسيحيين ويحرقون الكنائس ! وهم يكتبون هكذا منذ كانت هذه الفتنة فلم يحققوا إلا زيادة الأحقاد وإعطاء مادة للإثارة والتشهير في الداخل والخارج . وكلنا نعرف أن عناق رجال الدين ، وتدبيج المقالات في سب المتطرفين لن يحل مشكلا ولن يعالج وضعا . وقد كنت أتمنى لو تصدى كاتب غير مسلم لبحث الأسباب التي تستفز المسلمين وتجعل فئات منهم تتصرف بهذا الجنون المخالف لكل تاريخنا وطباعنا .. ولن استعرض ، كل الاستفزازات بل أود أن ألفت انتباه وزير الداخلية إلى عامل أساسي في استفزاز المسلمين . ولا أعني ما تخصهم به الدولة وإعلامها من عداوة وما تمارسه بعض الاقلام المشبوهة من تطاول . وإنما أعني سببا أكثر عمقا .. لقد اجمعت كل الدراسات (وأتمنى أن يقرأ وزير الداخلية كتابين : الاتجاهات الوطنية للمرحوم الدكتور محمد محمد حسين ، والمسلمون والاقباط للمستشار طارق البشري) أقول كل الدراسات تجمع أن نشأة الجمعيات الدينية الاسلامية في مصر كانت ردا على حركات التبشير ، بل إن تخلي بعض الأحزاب والشخصيات عن العلمانية ، بل والليبرالية ، كان مقترنا بارتفاع حدة التبشير في عشرينات هذا القرن ، كنوع من رد الفعل ، أو الدفاع عن النفس ضد خطر الإبادة . إن الشباب بل المجتمع الاسلامي كله يرقب في فزع جماعات غريبة الجنس والدين ، مسلحة بالمال والتكنولوجيا والدعم العالمي ، وأهم من ذلك مسلحة بانعدام الضمير والخلق ، شديدة الوقاحة في

استغلال الدين ، يأتي هؤلاء فيسطون على مواطنينا ومواطناتنا . ويسلبونهم دينهم ، ويختلسونهم من مجتمعهم ومن أهلهم .. وأرجو من وزير الداخلية أن يطلب من واشنطن التقرير الذي وضعته كنائس البروتستانت في أمريكا عام ١٩٧٨ لتنصير مصر والقضاء على الاسلام فيها . وسيجد أنه ينفذ حرفيا — وهذا التقرير يكشف أننا لا نواجه جماعة دينية يحركها الإيمان ولا الصدق ، بل منطق نشالين ونصابين ، يقررون الاعتماد على الخرافة والدجل والتعديل والتبديل في تعاليم المسيح ، بهدف واحد هو نشل بعض المسلمين . ولابد أن لدى الوزارة التقارير العديدة عن انتشار المبشرين في حواري وقرى مصر يستخرجون العفاريت والجن ! أين الدولة الملتزمة بمطاردة الدجالين ، أين دعاة العلمانية والمستقبلية في بلادنا الذين لا ينامون الليل إذا قرأ مسلم آية الكرسي قبل السفر ، ولكنهم لم يسمعوا عن أكبر حملة لمطاردة العفاريت واستخراج الجان تجري في مصر الآن ، وعلى يد مبشرين من حملة الدكتوراه ! شيخ الأزهر حلم مرة — ولا حرج على الأحلام — أنه رأى جيشنا يعبر القناة .. فلم يغفرها له كاتب واحد من كتابنا التقدميين وما زال ينتقد إلى اليوم هو والأزهر والاسلام الذي أنجبه . ولكن كل الصحف نشرت خبر عملية إزالة الورم السرطاني وقدمت القطن والدماء ولم ينبس تقدمي واحد ببنت شفة ! إن المسلمين يتعرضون لاستفزاز وقح مذل من المبشرين .

أوقف هذا يا سيادة الوزير ومعك تأييد كل المسيحيين المصريين فالتبشير الذي أعنيه يمسهم وضد كنيستهم وعقيدتهم التي لا تؤمن بالتبشير ولا مارسته طوال عمرها .. ومن المعروف أنه عندما يثور غضب المسلمين ضد المبشر الأمريكي أو الكاثوليكي فإن الانفجار يتجه جهلا إلى أقرب مسيحي فنخسر مرتين .. طارد هؤلاء الذين يغتصبون السذج والمحتاجين وستجد أن ستين بالمائة من أسباب التطرف قد زالت .. ! »[٢٧] .

والمعروف أن اسرائيل حظرت نشاط المبشرين وطردتهم شر طردة ولم تهتم بإرضاء أو غضب أمريكا وكان جل هؤلاء المبشرين منها .. والتبشير لا يختلف

كثيرا عن حكاية مفيستوليس حيث يبيع الرجل روحه في سبيل مزايا دنيوية . ولا يمكن أن نحصي على مدى الأربعة عشر قرنا ، ألف حالة لمسلمين بالغين اعتنقوا المسيحية عن اقتناع عقلي ولن نسهب في هذا الموضوع فقد اعترف به المبشرون ذاتهم وعللوه بتعصب المسلم !! وإنما التبشير كما رأيناه يعتمد على التفوق المادي للمبشرين .. فهم يقدمون المدرسة أو العلاج أو السفر للخارج أو الطعام كما في أفريقيا الجائعة بفعل السلب والنهب من الاستعمار المسيحي الذي ضن عليها بدينه وماله يوم كان يحكمها ، ويأتي اليوم يشتري روحها برغيف ومصل أو بالاتفاق مع السلطات بتنصير أبناء المسجونين وأيتام الذين أعدمتهم السلطة كما حدث في أندونيسيا بعد الانقلاب على سوركانو .. وكل هذا إكراه واستغلال لحاجة الناس وهو محظور في ديننا .. .. وهناك التبشير في الصغار الذين لا تكافؤ بينهم لا في العلم ولا الفهم مع المبشر المحترف ، وهذا في رأيي جريمة اغتصاب كاملة الأركان فإن استغلال نفوذ الكبير على الصغير لسلبه دينه ليس أقل جرما من استخدام نفس النفوذ لهتك عرضه الذي هو أعز ما يملك كما يقول العامة ولكن بشرط أن يفهم العرض أنه يعني الدين .. التراث .. الهوية .. التاريخ .. ويصعب تصور أي نوع من الإيمان هذا الذي يسمح لرجل دين بأن يغرر بقاصر في قضايا اللاهوت والناسوت ثم يفرح بهدايته .. وفي مصر بالذات فقد استغلوا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور وكانوا يتصيدون الشباب الذين لم يحصلوا على مجموع في الثانوية العامة يؤهلهم لدخول الجامعة ، وكلنا نعرف حالة هذا الشاب النفسية واستعداده لأية تضحية للخروج من هذا المأزق الرهيب . فكان المبشرون يأتون له بقرار قبول في جامعة كندية أو أمريكية وتأشيرة هجرة وتذكرة الطائرة مقابل أن يتنصر .. وقد فكر بعض الشباب في قبول هذا العرض مع نيتهم في الاحتفاظ بدينهم في قلبهم وإلى أن تنتفي الحاجة . ولم يكن المبشرون يهتمون بذلك فهم من ناحية يعرفون أنهم سيضعونهم هناك في قبضة شبكة ستعرف كيف تبقيهم في هذه القبضة .. وهم أيضا يهتمون بالجيل الثاني الذي سيكون مسيحيا عن

انتماء .. وأيضا لأن معظم هذا النشاط لم يكن يهمه إلا الفتنة التي لابد أن تحدث عندما تعرف العائلة بتنصر ابنها وتحاول الانتقام من القس الذي تسبب في ذلك .. وأهم من ذلك كله ، الزج بالكنيسة المصرية في معركة مع المسلمين تنتهي بقبولها الحماية الأجنبية .

والجامعة الأمريكية التي أقامها في مصر مبشرون لم يهتموا — وقتها — بإخفاء — عدائهم الشرس للاسلام .. هذه الجامعة تصدر الآن دراسات عن المسلمين الذين تنصروا .. ما أهمية ذلك لجامعة يقال لنا ليل نهار أنها عالمية أو علمانية ومتحضرة .. ؟!

هذا ما كان في خاطر الذين تقدموا بمشروع قانون الردة .. ولكنهم خافوا إغضاب أمريكا وغيرها فلم يطالبوا صراحة بمنع التبشير .. وكان هذا هو الخطأ فبدلا من أن يتقدموا كمدافعين عن حرية الاعتقاد التي يمتهنها إكراه المبشرين ، باستغلالهم حاجة ضحاياهم ، سمحوا لخصومهم بأن يصوروهم في صورة أعداء هذه الحرية .. وبدلا من كسب الكنيسة المصرية إلى جانبهم .. وهي بالتأكيد ضد التبشير لأنها من ناحية لا تمارسه ولأن التبشير منذ أن ظهر في مصر كان موجها بالدرجة الأولى ضد الكنيسة القبطية ، وها هم المنشقون عن كنيستنا القبطية خير شاهد . (وأسوأ إنشقاق في الكنيسة القبطية هو الذي يسمى بالاقباط الكاثوليك ، وعنه يقول الدكتور ميلاد حنا : '' مركزهم طهطا أصلهم فقراء الاقباط الذين جندهم الأب عيروط من الجزويت في مطلع القرن العشرين ولهم بطريرك برتبة كاردينال .. '') أما أنا فأعتقد أن أخطر دعاة وأدوات الفتنة في بلادنا هي الكنيسة البروتستانتية الأمريكية . ويقول الدكتور وليم سليمان قلادة : '' ولقد صدم (المبشرون) من المقاومة الشديدة التي لاقوها في البلاد وبالذات من الكنيسة القبطية رئاسة وجمهورا .. ويصف المبشر '' يوحنا هوج '' مقابلة جرت بينه وبين البطريرك بحضور القنصل الأمريكي ، حاول فيها القنصل إقناع البطريرك بالعدول عن مقاطعة الارسالية . وقال له '' إن هؤلاء المرسلين الأمريكان لا يعلمون الناس إلا الإنجيل الطاهر فكان ينتظر أن تكون غبطتكم

شاكرا لأفضالهم لأجل الخير الذي يفعلونه لأولاد الاقباط وغيرهم ''. أجاب البطريرك في حدة ، والرواية هنا أثبتتها ابنة هوج وكاتبة سيرته .. الإنجيل الطاهر ! وهل الأمريكان وحدهم هم الذين عندهم الإنجيل ؟ ولماذا لا يعلمونه لعبيدهم (الزنوج) إذا كان عندهم الإنجيل ، لماذا يذهب الأخ إلى الحرب ضد أخيه (كانت الحرب الأهلية الأمريكية على أشدها) أن الإنجيل عندنا قبلما تولد أمريكا في الوجود '' ويكمل الدكتور قلادة : '' وتمتليء صفحات كتب المرسلين بوصف الجهود التي بذلتها الكنيسة القبطية لتجميد نشاطهم في وادي النيل كله . إذ قام البطريرك في سنة ١٨٦٧ برحلة في الوجه القبلي لمواجهة نشاط المرسلين (المبشرين) وتكتل شعب الكنيسة لمواجهة عمل الوافدين '' ويكمل القبطي الشريف : '' لقد كانت مقاومة الارساليات عملا شعبيا ، تمثلت فيه روح الكنيسة القبطية وطابعها الشعبي الأصيل '' . [٢٨] .

ويعرض الدكتور وليم — كعادته — للجذور الدينية والتاريخية والوطنية لكراهية كنيستنا المصرية لأعمال التبشير فيقول الآتي :

« منذ البداية — رفضت الكنيسة القبطية ربط السلطة الزمنية بالدين . ولقد حفظ لنا البطريرك المصري أثناسيوس المعاصر لهذه الحقبة (تولى البطريركية من ٣٢٨ — ٣٧٣ م) حديثاً موجهاً إلى الامبراطور : « لا تقحم نفسك في المسائل الكنيسة ولا تصدر إلينا أمراً بشأن هذه المسائل .. لقد أعطاك الله المملكة وعهد إلينا بأمور الكنيسة .. فليس مسموحاً لنا بأن نمارس حكماً أرضياً وليس لك سلطان أن تقوم بعمل كنسي » .

« ولقد كانت مصر مستعمرة تستغلها الدولة الرومانية ، ولهذا لم تطل المدة التي انتفعت خلالها بهذا السلام بين الدين والدولة . وحتى في هذه الفترة ، كانت الامتيازات الجديدة ممنوحة في مصر لكنيسة إقليم مستعمر (بفتح الميم) ، يعيش فيه شعب مقهور ، على أن عهد السلام قد انقضى تماماً ونهائياً عام ٤٥١ م في مجمع خلقدونية الذي تحالفت فيه روما وبيزنطة ضد الاسكندرية وأخرجتاها من حظيرة الرعاية التي تسبغها الدولة على الكنيسة . وعاشت كنيسة مصر وشعبها من

جديد ــ وبعد حوالي مائة عام فحسب من سلام قسطنطين ــ تحت وطأة اضطهاد عنيف متواصل ، تنظمه دولة تصف نفسها بأنها مسيحية ، ويشترك فيه وينفذه الأساقفة المعينون من قبل الامبراطور البيزنطي . ويفوق ما كان يصنعه الأباطرة الوثنيون الذين جاءوا قبل قسطنطين . واستمر الوضع على هذا إلى أن دخل الاسلام مصر عام ٦٤٠ م . وبعد أن أورد أستاذنا الدكتور حسين فوزي نصاً للبابا أثناسيوس يصف واقعة الأحداث الكبيرة التي جرت في ولايته حين حاصر آلاف الجنود من البيزنطيين كنيسة العذراء بالاسكندرية وقت الغروب ، يتساءل : « فهل كان أولئك الجند الروم من الوثنيين . » ثم يجيب : « كلا بل هم جنود الامبراطور البيزنطي المسيحي ، في العام السادس والخمسين بعد الثلاثمائة للميلاد ! والذي لا يعرفه إلا قلة من المصريين ــ وما أقل المصريين معرفة بتاريخهم ! ــ وهو أن أجدادهم القبط تعذبوا واضطهدوا على يد حكام بيزنطة المسيحيين . أشد بكثير مما عرفوا من مهانة وتقتيل واستشهاد أمام الأباطرة الوثنيين ساويرس ودقيوس ودقلديانوس لا لسبب إلا لأنهم حرصوا على عقيدتهم المسيحية التي أقرها أعظم المجامع الكنسية ، وأولاها بالاحترام وهو المجمع المسيحي الأول ، المنعقد بمدينة نيقيا ، ولم تنس كنيسة مصر هذه الحقبة من تاريخها قط . وهي تذكر أبناءها أثناء اجتماعات الصلاة الدورية بما لاقاه آباؤهم على يد الملكانيين ــ الذين باسم المسيحية ساموهم أشد أنواع العذاب . ولا يكاد يمضي شهر إلا وفيه ذكر أحد شهداء هذه الفترة . والواقع أنه لما دخل الصليبيون دمياط أساءوا إلى الاقباط وأنكروا عليهم حقوقهم ، وعينوا مطراناً لدمياط من قبل كنيسة روما اللاتينية ، كما أنهم قتلوا كثيرين وأخذوا الأطفال من أحضان أمهاتهم . وفي سنة ١٢٠٤ م في أيام الملك العادل فاجأ « الإفرنج » مصر من جهة رشيد وتقدموا إلى فوة وتحصنوا فيها . وكان فيها اقباط كثيرون ولها أسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم وسبوا البعض والبعض الآخر لم يسعه إلا الهرب . ومن هنا نفهم السخط الذي تمتليء به كتابات الغربيين على اقباط مصر وكنيستهم إذ يسجلون على الاقباط هذه المواقف ويعيرونهم بأنهم كانوا محل رعاية خاصة من صلاح الدين وأنه استعان بهم في حملاته » . ويقول د/ وليم سليمان قلادة :

« ولو رجعنا إلى المفاهيم الأصلية التي نادت بها المسيحية الأولى لوجدنا المسيح يرفض أن يكون الإيمان بدينه ثمرة التهديد أو الرشوة . فالمبشر الذي يملأ كيسه مالاً أو يحتمي بعلم الكتائب العسكرية المنتصرة ، هذا المبشر في نظر المسيحية الأصيلة يعطل عمل المسيح . ومن باب أولى ذلك الذي يستغل تبشيره بالمسيحية لتحقيق المنفعة واستغلال الشعوب » . « ولقد واجهت كل من الارساليتين (البروتستنتية الأمريكية والبريطانية في مصر ج) كنيسة مسيحية قديمة في البلاد . واتخذت كل منهما إزاءها موقفاً مغايراً لموقف الأخرى . كان رأي الأمريكيين هو القضاء التام على هذه الكنيسة وضم فلول أبنائها في كنيسة بروتستانتية جديدة ، أما الانجليز فكانوا يريدون الابقاء على كنيسة مصر مع العمل على التدخل في أمورها وبالذات من أجل السيطرة على تعليم الكهنة فيها . وفي نظرهم أن هذا هو الطريق لجعل هذه الكنيسة تتجه إلى تحقيق نفس أهداف المبشرين ، وتسير طبقاً للمخطط الذي يصنعونه . ولكن مصر كلها وقفت في مواجهة هاتين الموجتين واستطاعت أن تخرج من غمارها » .

« ولقد جاء هؤلاء الشوام من أعوان الارساليات محملين بكل الطاقات والمشاعر التي ولدتها في نفوسهم الفتن المتلاحقة التي كانت بلادهم مسرحاً لها . وحتى بعد مجيئهم إلى مصر كانت رحلاتهم متصلة بين مصر وسوريا من حين لآخر . وبالفعل أحدث واحد من هؤلاء الوافدين ـــ فارس حكيم ـــ فتنة كبيرة في مدينة أسيوط ، في أثنائها جاءت الأوامر من سلطات الولايات المتحدة في واشنطن إلى الخديو لتعزيز مركز المبشرين وأعوانهم . ويصف واطسن التأثير الذي أعقب ذلك فيقول : إن الشعب يعرف الآن النفوذ المتزايد للبروتستانتية . ولقد تبنى المبشرون الأمريكيون هذا الاتجاه وتضمنت كتاباتهم أقوى تعبير عنه . وفي رأيهم حاجة الاقباط إلى التبشير المسيحي ليست بأقل من حاجة المسلمين (فأولئك ليسوا أقل بعداً عن المسيحية من هؤلاء . بل هم أكثر انحرافاً . وفي سنة ١٨٦٩ م نشر أحد المنضمين للبروتستانت كتيباً بالعنوان الآتي : « لماذا صرت إنجيليا ـــ إني كنت أعمى والآن أبصر .. رسالة إلى أحد إخواني الاقباط في مدينة أسيوط رداً على

سؤاله المتقدم » يقول الكاتب : « .. إن الكنيسة القبطية سقطت بالفعل .. فأنا لا أريد أن أدفن تحت خرابها .. فطلباً لخلاص نفسي من القصاص المزمع أن يقع على المضلين والمضلين قد نويت بنعمة الله الانفراد عن الكنيسة القبطية الساقطة » ويكتب المبشر الأمريكي أندرو واطسن عام ١٨٩٨ م يصف كنيستنا بأنها « مسيحية في الاسم ، مسيحية في الشكل ــ إنها تشبه تماماً جسماً إنسانياً محنطاً خارجاً من القبور . فمن الخارج جسم كامل ، ولكن بلا عقل في الرأس ، ولا حركة في الأعضاء ولا حياة في القلب » .

« ويواصل إبنه تشارلز واطسن ــ وهو كما سبق القول أول مدير للجامعة الأمريكية بالقاهرة ــ التهجم على كنيسة بلادنا فيقول إن الحركة التبشيرية الحديثة حين جاءت إلى وادي النيل واجهت شكلاً فاسداً ومنحطاً للمسيحية هو الكنيسة القبطية . والحل هو التفتيت الكامل لهذه الكنيسة العتيقة » .

« وكان المبشرون يندهشون حقاً حين يجدون أن الاقباط يفضلون عليهم مواطنيهم المسلمين وينفرون من أولئك الإفرنج الغرباء الوافدين » .

ويختم عرضه قائلا :

« وثمة حقيقة مؤكدة في تاريخ مصر ــ إن الدين لم يكن مؤهلاً أو مانعاً لتولي وظيفة عامة إلا بعد دخول الانجليز . يقرر هذه الحقيقة بصراحة تامة الكاتب الانجليزي « س. هـ. ليدر » في كتابه الذي أتمه قبل الحرب العالمية الأولى ونشره بعدها . يقول إن أصدقاءه من بين كبار المسلمين ذكروا له أن فكرة التمييز أوحى إليهم بها من الانجليز أنفسهم ، وقد أقر هؤلاء الأصدقاء بأنه ليس في السوابق التاريخية للبلاد وجود لهذا المبدأ . ثم أورد ليدر شهادة أستاذ إنجليزي جامعي « الأستاذ سايس » زار مصر ــ قبل الاحتلال وقال إنه لم يجد أي تفرقة بين المسلمين والنصارى ــ الجميع كانوا مصريين . وشهد ليدر بأنه رأي كنائس بناها المسلمون ومساجد بناها الاقباط[٢٩] .

هذا هو موقف المثقف القبطي الشريف (*) .. وهكذا تكلم باباوات كنيستي الذين يوصفون بأنهم غير مثقفين .. وقبل أن يندفع الشباب الجامعي إلى صفوف الرهبنة .. ولكن الوطنية لا تحتاج لثقافة والدفاع عن الذات تصرف طبيعي من كل إنسان حر الارادة .. والعملاء الذين يتفرغون اليوم لحرب الاسلام ويضعون أيديهم في يد المبشرين ويدافعون عن نشاط المبشرين باعوا الكنيسة القبطية أول ما باعوا .. وتذكر ما فعلوا في كنيسة الحبشة .. ان البروتستنتية الأمريكية التي تقمصتها روح القدس (أورشليم) الصهيونية تتبع نفس الهدف القديم وهو القضاء على الكنيسة المصرية ، ولكن التكتيك تغير فبدلا من التبشير بين صفوف الاقباط ، يعملون على جر الاقباط إلى معركة أو حتى مذبحة مع المسلمين ، وقد لفت ابني نظري إلى حقيقة .. أنه ما من تصريح ولا موقف جارح ضد المسلمين يصدر من قبطي أرثوذكسي .. وراجعوا قوائم الفتنة .. .

ودعني ألخص خسائر معركة قانون الردة .. التي يحسبها البعض انتصارا :

١ ــ المعركة لم تكن أبدا لحساب الكنيسة القبطية التي كما رأينا لا تعمل في التبشير بل هي الهدف الأول للمبشرين .. وكان المبشرون في الماضي إذا ما ثارت ثائرة الوطنيين وطالبوا بوقف نشاطهم حركوا السفراء والقناصل وأحيانا الأساطيل .. في هذه المرة سجلوا أكبر نصر في تاريخهم إذ حركوا قوة مصرية ، ضد مصلحتها وضد إرادة مصر .. ونجحوا .. إنه أكبر نصر على الاسلام والكنيسة القبطية معا .

٢ ــ بصرف النظر عمن كسب ومن خسر فقد ثبت للمسلمين وللاقباط وجود قوة قبطية قادرة على منازلة الدولة وتحديها وإخضاع جميع الاقباط لإرادتها .. .

وأخيرا فقد طالبت ــ كما تقدم ــ في جريدة الوفد بالنص في الدستور على أن الكنيسة القبطية الارثوذكسية هي الكنيسة الوطنية ، كما أن الاسلام هو دين

(*) وقارن ذلك بما يقوله حسين أمين وفرج فوده عن الاضطهاد الدائم للاقباط .

الدولة . وأدعو لإصدار قانون يحرم ويجرم أية محاولة لتغيير دين المسلم أو القبطي .. فهل يتبني الأخوة الاقباط هذه الدعوة ؟ .. فنبطل مكر الكنائس الأجنبية التي لا تستهدف إلا الفتنة والكيد للكنيسة القبطية ذاتها .. وأنا لا أعارض حرية العقيدة ، ولكن أعارض الاعتماد على الكيس أو النفوذ للتأثير على المواطن لكي يغير دينه (٣٠) .

إن وسائل المعرفة بالأديان متاحة ، وربما يقول البعض ، أكثر من اللازم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .. ولكن بدون تدخل خارجي ، يؤثر على حرية قراره ، بل باقتناعه الشخصي وعندما يبلغ السن التي تؤهله لاتخاذ القرار .. .

نعم .. نحن مع حرية الاعتقاد .. وليس حرية الغواية والتغرير بقاصر .. واشعال الفتنة .

وفي شهر أكتوبر ١٩٩١ فوجئت بمقالات عنيفة للأستاذ « س.س. » وهو مسيحي لم ينتقد حكومة في حياته الصحفية التي وصل فيها لأعلى المناصب ، وكانت حملته حول برنامج أذيع في التليفزيون البريطاني يتهم الحكومة المصرية بممارسة التعذيب .. ودهشت فحتى لو كانت إحالته على المعاش وانتهاء الطمع خلف شجاعته في انتقاد الحكومة وتحديها أن ترد على اتهامات التليفزيون البريطاني ، فلا يعقل أن يتحمس هو في هذه القضية بالذات حيث لا يعذب عادة إلا الذين يسمونهم بالمتطرفين الاسلاميين .. ثم جاءني التفسير من لندن فقد أخبرني أحدهم أن البرنامج المذكور يهاجم الحكومة المصرية لأنها ــ بزعمهم ــ تعذب المسلمين الذين يتنصرون .

* * *
* *
*

□ هوامش وملاحق ومراجع الفصل الأول

(١) هذا بعض مما يتبادلانه من إشارات وتقريظات .. '' أول زيارة إلى قم جئت إليها مع الأستاذ محمد حسنين هيكل الكاتب والصحفي المعروف عندما زار إيران في عام ١٩٨٠ أثناء إعداده لكتابه ... وذهب الأستاذ هيكل للقائه هناك حيث كنت في صحبته ثم قفلنا راجعين إلى طهران في مساء اليوم ذاته ''ص ١١٦ ، وبهذا أثبت أن له صحبة لكاتب عبد الناصر ومن ثم فهو من رواة الحديث قال '' الملاحظة الصائبة التي انتبه إليها في وقت مبكر الأستاذ محمد حسنين هيكل عندما قال للامام الخميني إنني أسمع دوي مدافعك لكني لا أرى أثرا لمشاتك '' ... ص ١١٧ وامرأة جحا طالق ثلاثا إن كان هو أو أستاذه يفهمان معنى ذلك القول الذي هو من طراز الشعارات المسبوكة التي لعنت في انفجارات ١٩٦٨ .. وعسي أن يكونوا قد رأوا مشاته ليس في إيران وحدها بل وعبر الحدود !.

(٢) إنظر كتاب إيران من الداخل لفهمي هويدي ــ مركز الأهرام للترجمة والنشر .

(٣) روى في كتابه : أن الايرانيين الشيعة '' يبدأون رحلتهم بلعن عمر مرتين ولعن أبا بكر ولعن عثمان ص ٣٢١ وروى أيضا هذه الرواية : في شهر يونيو ١٩٨٥ تلقى أحد رجال الامام مكالمة هاتفية بعد منتصف الليل من مجهول رفض ذكر إسمه ولكنه اكتفى بابلاغه الرسالة : لقد نجحنا في عقد مجلس '' لعن عمر '' وسوف ننتظر اليوم الذي يعود فيه احتفالنا بقتل عمر .. '' .

وهو يعرفنا بتقاليد الشيعة وتدينهم فيقول : '' لعن الخلفاء الثلاثة على المسابح حينا وفي حلقات تعقد خصيصا لهذا الغرض وفي شهر المحرم من كل عام ، وفي ذكرى مصرع الحسين كانوا يقيمون تمثالا من القش أو القماش يرمز إلى عمر بن الخطاب ويتسابقون في طعنه وتجريحه فيما يسمى '' عمر كفش '' أو قتل عمر . » !!! .

ولا أظن أنني بحاجة إلى تعليق عن أثر ذلك على الوحدة التي يدعو إليها فلا أتصور أن مسلما يمكن أن يصدق احتفال مسلم بقتل عمر .. ما علاقة عمر باستشهاد الحسين ؟ هؤلاء ينقمون على عمر أنه ثل عرش كسرى وملك فارس هؤلاء يحتفلون بفعلة لؤلؤة المجوسي ، وما شتمك إلا من أبلغك ! .

(٤) وقد كوفيء باستكتابه بصفة دائمة في مجلة خليجية .

* وأخر الزومبات أنه في الوقت الذي انتشرت فيه حركة معارضة من الجماعات الاسلامية لمؤتمر

مدريد وتصادف ذلك أو تم توقيته مع انعقاد مؤتمر الرفض في طهران وتوجه الشيخ الغزالى في ركاب وزير الأوقاف وحراسة ضباط الداخلية والمباحث إلى الجامعة لتهدئة الشباب وتعريفهم بالفتح المبين الذي تحقق بصلح الحديبية .. ويبدو أن الشيخ الغزالي اتفق مع الدولة أن يدعو لسياستها في المؤتمرات ثم يكذب ما قاله في جريدة الشعب .. ولا ندري لماذا ذهب أصلا .. ما هى القضية التي استوجبت ذهابه وعرضته للاقاويل !

المهم في وقت تتعلق به أنظار بعض الجماعات بالرفض القادم من طهران سافر ف .هويدي إلى المؤتمر مدعوا بالطبع وعاد ليكتب أن طهران باعت القضية ولاينت الامريكان وذهبت إلى السعودية قال :

« .. وعلى صعيد آخر فإن البيان لم يتحدث لا عن جيش المليوني مسلم ، ولا طالب ولا تحدث عن إقامة الدولة الفلسطينية على كل أرض فلسطين . وبينما أسقط البيان اقتراحا تمت الموافقة عليه باعتبار يوم ٣٠ أكتوبر الذي ينعقد فيه مؤتمر مدريد يوم الغضب الذي يعلن فيه الاضراب العام بأنحاء العالم الاسلامي ... كان البيان بمثابة إعلان للمواقف لم يلزم إيران بقرارات أو إجراءات محددة ولم يتبن موقفا اشتباكيا مع أحد باستثناء تلك الادانة للموقفين الأمريكي والاسرائيلي وهى التي تمثل الحد الأدنى في الخطاب السياسي الايراني . لما أبديت تلك الملاحظة لمن أعرف من العالمين ببواطن الأمور في طهران ، قالوا أن ذلك ليس موقفا جديدا للدولة الايرانية التي تعتمد الآن سياسة مد الجسور مع الجميع حتى أولئك الذين سيحضرون مؤتمر مدريد أو يؤيدون عقده . في اليوم التالي قرأت خبر الاجتماع الذي تم لترتيب زيارة الرئيس هاشمي رافسنجاني للسعودية . وكان ذلك أول ما وقعت عليه عيناي بعد إنفضاض مؤتمر الارهابيين في طهران » الأهرام ٢٩/ ١٠/ ١٩٩١ .

مسكين الشيخ الغزالي واضرابه راحت عليهم ما عساهم يقولون للشباب ليثبطوا همتهم أفعل من شهادة نصير إيران هذا وضيفها .. انبطوا يا رافضين .. إيران تراعى مصالحها وتدهن للسعودية والامريكان .. لعل السيدة الفاضلة التي أدهشها أن تتعرض للتفتيش والتعسف في مطار القاهرة عند عودتها من المؤتمر بينما فتحت الأبواب بالترحيب للأستاذ لعلها عرفت السبب الآن .. هكذا يعامل شاهد الملك !

(٥) حادثة المهور فيها ردت امرأة من العامة على عمر لما توهمت أنه خالف نصا وقبل عمر تأويلها .. وإن كنا لا نعتقد أن النص يمنع الدولة من تحديد المهور فالنص يقول إذا أعطى الرجل المرأة أي مبلغ ولو قنطارا من الذهب لا يجوز أن يسترده ، وهذا على سبيل المثال ، كما قال الله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، لا يعني أنه لو استغفر ثمانين مرة فسيغفر لهم .

وقد أخذت أكثر من دولة إسلامية الآن بوجهة نظر عمر ضد رأي أشهر معارضة في التاريخ الاسلامي . فالحادثة تعتبر دليلا على ديمقراطية النظام ، حرص الشعب على تطبيق ما يعتقد أنه الدستور وتقبل الحاكمين للنقد ، ولكننا نتأكد الآن أنه لم تكن هناك مخالفة لنص قرآني ، وإن رأي عمر كان الأصوب .

(٦) فقد جاء في كتابه أن صادق روحاني أحد آيات الله في قم تزعم المعارضة ضد تعيين الخميني لمنتظري خليفة له فلم يجد ما يشين به هذا القرار مثل وصفه بأنه " تلك سقيفة اخرى " ثم يتطوع بالشرح خشية ألا يفهم السنة عمق الاهانة فيقول " وكان يشير بذلك إلى الاجتماع الذي عقد بعد وفاة الرسول في سقيفة بني ساعده حيث تم اختيار أبي بكر خليفة للنبي وهو ما اعتبر عند الشيعة اغتصابا لحق على بن أبي طالب .. " ثم يكرر الشرح خشية أن يفوت أحد قصده ، فيعود ليقول " كان آية الله روحاني يقول إن مجلس الخبراء بقراره تنصيب منتظري اغتصب حق غيره في خلافة الإمام الخميني كما اغتصب حق الإمام عليّ في خلافة النبي في إجتماع السقيفة ثم يقول دي حاجات بسيطة لا تبرر الخلاف " ص ١٥١ .

(٧) الأهرام مقال بيان من أجل الوحدة الوطنية ٩/ ٥/ ١٩٨٩ .

(٨) ص ٢٧٠/ ٢٧١ كتاب : " حتى لا تكون فتنة " .

(٩) ولاحظ النفاق الذي يناقش به المبشرون هذه القضية ، فهم يتهمون الاسلام بأنه يبيح الزواج من المسيحية ويمنع الزواج من المسيحي .. ومن يسمع ذلك من الجهلاء يظن أنهم هم يبيحون الزواج للجميع .. ولكن الحقيقة هي أن كل الأديان تحرم الزواج من دين آخر للرجل والمرأة على السواء وتعتبره باطلا .. سواء زواج الرجل بكافرة أو زواج المرأة .. بينما الاسلام — إن صح التعبير — قطع نصف الطريق .. الاسلام هو أول وآخر دين أباح الزواج المتعدد الأديان ، ومنحه الشرعية والقدسية .. وبالتالي قبل الأسرة المتعددة الأديان ، وهذه واحدة من معجزاته وتفوقه وسر التعايش الذي حققه ونجاته من التعصب . وبدلا من أن يجتهد المبشرون لتحقيق ما حققه الاسلام أو تجاوزه أو حتى الاعتذار عن تخلفهم عنه ، إذا بهم ينتقدون أنه لم يكمل المشوار الذي لم يبدأوه هم رغم مرور أكثر من ألف سنة على خطوة الاسلام الرائعة التي لم يسبق لها مثيل ، والتي لا حد لما تعبر عنه من مفاهيم لو انهم درسوها بقلب سليم .

(١٠) د/ سيد دسوقي حسن — الشعب ٦/ ٦/ ١٩٨٩ ونشر فيليب جلاب في الأهالي يقول : « من كان يتصور أن يرى أو يقرأ لمصريين مسيحيين ينغلقون على أنفسهم ويتهموننا « بالخيانة » لأننا نؤمن بأننا عرب لغة وحضارة وتراثا ، ثم يطالبوننا بأن نكفر عن سيئاتنا ونبدأ بتعلم اللغة القبطية ؟ » ٣١/ ٥/ ١٩٨٥ .

ولا يفوتني هنا أن اعيد نشر رسالة لمواطن قبطي نشرت في الأهرام قال فيها : « حمانا الله وإياكم .. لم يخرجني من صمتي سوى رسالة (هذا الحرج) لكاتبها القارىء سمير بنايوتي من المحلة الكبرى شاكيا فيها من الزام ابنته بدراسة بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في كتاب القراءة بالمدرسة الابتدائية وقد ضايقني حين قرأتها سطحية رأيه ، ولست ألومه في ذلك لكني أخذت على سيادته أنه اختار وقتا سيئا للغاية في الخوض بلا حرص في قضية هى أساسا تربوية مطلقة لا دخل فيها للملل (على حد تعبيره) والخوض في الاسلام والمسيحية ، وأقول لسيادته . « إذا كانت ثقافته أجنبية » فإن لغة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هي قمة البلاغة لدراس اللغة العربية وهى لغتنا الأصيلة وأننا ونحن ندين بالمسيحية كان أساس موضوعات الانشاء وقمة البلاغة في كتاباتنا وسر تميزنا في لغتنا العربية الرفيعة هو الاستشهاد ببيت شعر أو حديث شريف أو آية قرآنية كريمة ، ولم يكن هذا يضعف من تمسكنا بديننا أو معرفتنا بكتابنا المقدس . ولم يكن على أيامنا ــ وليست بعيدة كثيراً ــ ما نراه اليوم من تزمت وفرقة بل كان هناك الحب والاخاء والتعاون والمشاركة والترابط والمحبة . لم يكن هناك التعصب والتخلف كما في هذه الأيام من بعض هواة اثارة النزعات والمتطرفين والحمد لله أنهم قلة جاهلة أصفها بالسطحية تتمسك بالقشور بعيدا عن المعرفة الحقيقية لمعاني الحياة وأعوذ بالله إذا وصفتها بأنها بعيدة كل البعد عن عن معرفة الله سبحانه وتعالى . والله محبة والاديان السماوية تدعو للسماح والمجادلة بالحسنى ولكل حرية الاختيار والعبادة .. وأقسم أنني كنت أحضر اجتماعات الأخوان المسلمين بدراهم بالزقازيق بعلمهم وبترحيب الأخوة الزملاء وكانت الاجتماعات كلها سماحة وحضا على التمسك بالدين دون المساس بشعور أحد . وكان الحب رائدا للجميع وحدث ذلك عام ١٩٥٠ .. فلنعد إلى اخلاقنا وترابطنا ليعود الحب والوئام والخير يوم كان راعى الكنيسة حين ينصح يستشهد بايات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بجانب ضربه للأمثلة والحكم من الكتاب المقدس ، كلها كتب مقدسة ومنزلة من عند الله سبحانه وتعالى وهدفها الأكبر ترسيخ الحب والتراحم والتقدم والاستقرار » .

حمانا الله وإياكم وبلادنا العزيزة شر الجهل وضعف العقول ، وتحيا مصر ويحيا راعي الوحدة الوطنية رئيسنا الانسان المتزن الانسان الفاضل وعاش الهلال مع الصليب .

اميل بشاي مجلي

موجه عام بالتعليم الثانوي بالزقازيق

هؤلاء هم اقباطنا .. اقباط مصر الخالدة .. لا من باعوها بمال الأمريكان واسرائيل .

(١١) الأهرام ٢٥/ ٥/ ٨٧ . مقال في المسألة الطائفية .

(١٢) كتاب « تعاليم الرسل » أو « الدسقولية » وهو واحد من مصادر القانون الكنسي القبطي .. ولا يوجد إلا في النسخة العربية وقد أعاد نشره الدكتور وليم قلاده ص ١٠٠ .

(١٣) ص ٣٠ بتلر ترجمة محمد فريد أبو حديد .

في مطلع القرن العشرين في عنفوان التخريب البريطاني للوحدة الوطنية ظهرت الدعوة لاحياء اللغة القبطية . طرحها واحدا اسمه جورجي صبحي في مجلة عين شمس عام . ١٩١٠ (ص ١١٦ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية) .

(١٤) وتأمل التغريب اليوم في أسماء جورج ولويس وشارل .. الخ .. كان '' وليم '' مكرم عبيد هو أول من تنبه إلى أجنبيه اسمه '' وليم '' فتخلى عنه مفضلا أن يدعى مكرم . ففي خطاب عام ألقاه في سبتمبر ١٩٢١ أعلن صراحه أنه لن يحتفظ باسم وليم لأنه اسم أجنبي ، وأكد أنه يرغب من ذلك الوقت فصاعدا في أن يعرف باسم مكرم عبيد » ص ٦٠ '' اقباط في السياسة المصرية ــ مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية/ د . مصطفي الفقي '' .

وقد كتبنا في هذا الموضوع منذ سنوات ولا بأس من وقفة صغيرة هنا حول هذا الموضوع لعلاقته بموضوع الاقليات .. ذلك أنه في سنوات الوحدة الوطنية ، أو على الأقل في سنوات الاستقلال الوطني .. عندما يتلاشى عنصر التحريض الخارجي لهذه الأقليات ، نجد اتجاها لتبني الاسماء المشتركة أو حتى الاسماء الاسلامية وان لم تصل إلى المستوى الذي يتحدث عنه الجاحظ .. وقد انطبقت هذه الظاهرة على المسيحيين واليهود ، فبعد جيلين ليس الا من قيام الدولة الاسلامية أصبحت اسماء حتى البطاركة والحاخامات من الاسماء المشتركة التي يصعب معرفة دين صاحبها من مجرد الاسم ، فإذا انقلبت الدول وجاء حكم صليبي تغيرت الاسماء زلفي إليه .. والمثل واضح في عائلة مكرم عبيد نفسه جده وجد جده اختارا لأولادهما أسماء اسلامية عربية بل أحسب أن مكرم عبيد والد وليم قد عاش في زمن عمر مكرم الزعيم المصري الشهير ونقيب الاشراف فلما جاء الغزو البريطاني يحاول خلق رابطة أو تعاطف ، ويثير غرائز مشبوهة واطماعا طائفية أو عنصرية .. فتحاول فئات من هذه الأقليات التقرب للسلطة الجديدة باظهار الانتماء بتبني الاسماء الأجنبية .. اسماء المستعمر .. وأيضا لأن إعلان الطائفة يصبح مفيدا في كسب المزايا التي يعطيها السيد الأجنبي لهذه الأقليات سواء أعلن ذلك أو ستره .. وهنا نجد السيد مكرم هذا يسمى أولاده ... وليم وفيكتور .. فلما قامت ثورة ١٩١٩ خلع مكرم باشا اسم وليم .. كمظهر من مظاهر الوعي بخلفيات هذه التسمية وأيضا من مبشرات مرحلة الوحدة

التي فجرتها ثورة ١٩١٩ ، وتسمى اخوه فكري . كذلك لما ولد أخ للمعلم غالي في ظل الحملة الفرنسية سموه فرنسيس ...

(١٥) ص ٨٦ اقباط في السياسة المصرية ــ مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية / د . مصطفى الفقي .

(١٦) وستجد تطابقا في موقف وليم مكرم عبيد والشيخ الإمام حسن البنا .. « إذ كتب طه حسين مرة يقول إن الأمة العربية غزت مصر واذاقتها صنوف العدوان ، فرد عليه الشيخ حسن البنا ، متحدثاً عما يربط مصر بالعرب من علاقات الدم واللغة والدين والعادات والثقافة ، ثم قال « أما خطأ الفكرة (فكرة طه حسين) من ناحية القومية المصرية ، فلأن تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسي .. إن من يحاول سلخ قطر عربي من الجسم العام للأمة العربية ، يعين الخصوم الغاصبين على كسر شوكة وطنه واضعاف قوة بلاده ... » [صحيفة الاخوان المسليمن . غرة جمادي الآخرة ١٣٥٢ هـ] ص ٥٨١ البشري .

(١٧) الأهرام ١٤ يونيو ١٩٨٨ .. والغريب أنه هاجم بشدة مثقفا وسفيرا مصريا لأنه في حديث له أورد '' اشارة مهذبة إلى فكرة المواطنة من الدرجة الثانية التي تتردد على ألسنة الكثير من الغربيين وأقرانهم وأشياعهم في بلادنا '' ص ٢٧٠ الحمد لله يكاد المريب يقول خذوني .. ها أنت قد أعلنتها ومن فوق منبر الأهرام بل وجعلتها عنوان فصل في كتابك الذي ستعذب بقراءته .. يوم لا أجهزة .

(١٨) روت لي الكاتبة الاسلامية '' ص .. '' إنها سألت هذا الهويدي .. هل يريد إلغاء الآيات التي تتعرض لعقائد المسيحيين واليهود في القرآن ؟ فرد قائلا .. لا .. تبقى في المصحف لكن لا تتلى في الاذاعة والتلفزيون والاجتماعات العامة ! .

أي تهذيب القرآن ! .

ونفس الشكوى من القرآن في الاذاعة يرددها صنوه فرج فودة : « زيادة التطرف الديني وتراجع الدولة .. الحرص على إذاعة آذان الصلاة كاملا مهما كانت البرامج المذاعة بعد إن كان الأمر يقتصر على الاشارة إلى موعد الآذان ثم تطور الأمر لاذاعة حديث ديني .. » ومحطة إذاعة القرآن (مع إنها أنشئت في عهد عبد الناصر ج) .

الطائفية .. إلى اين ! ؟ فرج فودة ص ٣١ .

(١٩) واشتدت الحملة على الشيخ الشعراوي . اقرأ لفرج فودة : « ثم الشيخ الشعراوي الذي عاد من السعودية .. يغمز في عقيدة الاقباط وهو ما يقع في تقديري تحت طائلة القانون الذي يعاقب على تسفيه عقائد الآخرين » (الطائفية .. إلى أين ! ؟ فرج فوده) .

وهناك هجوم اعلامي من الخارج ضد عقيدة المسلمين ، فقد روى الأستاذ جمال بدوي في كتابه « الفتنة الطائفية في مصر » : « ومن يطلع على كتيبات مثل (الصليب في القرآن والانجيل) و (شخصية المسيح في القرآن والانجيل) بقلم الأستاذ (فادي) يلمس بوضوح كيف تحاول الجهات التي أصدرتها أن تجر المسلمين الى جدل عقيم حول موضوعات لا تدخل ضمن اهتمامات عامة المسلمين ، مثل : « الوهية المسيح » ومحاولة التدليل عليها بتأويل بعض معاني القرآن الكريم ، ومثل مسألة (صلب المسيح وأثره في الاسلام) لاقناع المسيح بأن ما جاء في القرآن الكريم حول صلب المسيح لا يتماشى مع العقيدة المسيحية الصحيحة لأنه تأثر بالضلالات التي كانت شائعة عند نصارى العرب وقت نزول القرآن ، وبعض هذه الكتب صدر عن دور نشر تبشيرية في أوروبا والولايات المتحدة ومطبوع باللغة العربية على ورق مصقول ، ولكن بعضها مجهول الهوية مثل كتاب (الباكورة الشهية في الروايات الدينية) الذي يقول غلاف طبعته الثامنة انه من تأليف (أحد الأفاضل في القطر السوري) وانه (من أشهر كتب العالم وموجود بلغات كثيرة) ، والكتاب عبارة عن مناظرة مزعومة بين رجال الدين الاسلامي ، ورجل دين مسيحي يدعى (يوحنا الغيور) وتنتهى المناظرة التي تشغل ٢٢٠ صفحة بهزيمة رجال الدين الاسلامي واعترافهم بسلامة الأفكار التى يدعو اليها يوحنا الغيور .. ! ص ٧٢ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي » .

ويقول كتاب « ثقتي في الكتاب المقدس » بقلم جوش مكدويل ترجمة القس منيس عبد النور .. الصادر عن الكنيسة الأنجيلية بقصر الدوبارة ٧ شارع الشيخ ريحان ــ جاردن سيتي ويوزع في مصر : « وزاد توزيع الكتاب المقدس في كل جزء من العالم يحمل البركة أينما وجد . فمثلا بنيت الكاتدرائية الأنكليزية في زنزبار على موقع سوق العبيد القديم . ووضعت مائدة العشاء الرباني فوق البقعة التي كان العبيد يجلدون فيها » ص ١١ .

وهو ترديد لأكذوبة الاستعمار عن المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الرقيق الى أن جاء المستعمرون الاوربيون فأبطلوه ! وهي فرية نتعفف عن الرد عليها في مثل كتابنا هذا ولكن هل نترك هذا الكلام بدون رد وفي كتب من مستواه ؟ ! .

ويقول نفس الكتاب وكأنه يخرج لسانه :

لم يمش على أرضنا شخص واحد كامل الا المسيح ابن مريم ص ١٤ .

هل نمنع هذا الكتاب لأن فيه تعريضا بنبينا . لا ... لو فعلنا لكنا نعتدي فعلا على حرية العقيدة .. ولكن وبنفس القوة ومن منطلق حرية العقيدة ، لا يجوز منعنا من تفنيد ذلك والقول بأن الكمال لله وحده ، ليس كاملا من يولد ويتعذب على الصليب حتى يصرخ الهي لماذا سبتني .. ثم يموت ويبعث ليطلب لحما يأكله مصداقا لقول القرآن ان المسيح وأمه كانا بشرين يمشيان في الأسواق ويأكلان الطعام .. وما يعقب أكل الطعام بالطبع . هذا الجدل لا يثير فتنة ولا اثار في أكثر من ألف عام . وهل ننسى محطات صوت الانجيل التي تحاصر مصر ؟ ! .

وهذه كلمة نشرت في الأهرام بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٨٩ للدكتور عبد الناصر العطار عميد كلية الحقوق بأسيوط جاء فيها :

« وقد قيل أن ما هو مختلف عليه بين العقائد لا ينبغي أن يروج له بين عامة الناس وهذا أمر يتنافي مع الرغبة في الارتقاء بالناس الى أعلى مسالك الوعي واليقظة ومزايا الشورى والتناصح كما يتنافى مع منهج القرآن الكريم الذي تضمنت آياته عرض الخلاف في العقيدة بين المسلمين وغيرهم ويقرأها من يقرأ كما يسمعها من لا يقرأ من عامة الناس وخاصتهم ولا يرتقي شعب اذا اقتصر الوعي فيه على الخاصة بل ويستذل الشعب بترك عامة الناس فيه بدون معرفة ووعي .

وبالتالي لا يمس الوحدة الوطنية في شيء أن يعتقد المسيحي في مصر ، أن المسيح هو الله وأنه ابن الله أو ان الأب والابن والروح القدس اله واحد ، رغم أن هذا الاعتقاد يخالف عقيدة الأغلبية في مصر . ولم يعرف عن النبي محمد ﷺ أنه عاقب أو ضايق مسيحيا في عهده أعتقد هذا الأعتقاد أو أمر بذلك على الرغم من أنه صلى الله عليه وسلم علم المسلمين أن الاسلام يختلف معها اختلافا جذريا .

ثم ان الدعوة الى أن يقتصر الدعاة الى الدين على الأمور المشتركة في هذا الدين مع الأديان الأخرى أو ما يسمى بدعوى المصالحة بين الأديان انما هي دعوة الى مسخ الدين وافساد له ، لأنها انقاص للتدين وتشويه لكمال الدين . هي دعوة تستهدف أن يعيش الانسان ببعض دينه دون البعض الآخر ، وهي فتنة في الدين ومساومة عليه ، وهى دعوة يرفضها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ ان الاهتمام بالجانب الأخلاقي في الدين دون الجانب العقائدي يجعل الناس تنسى الدين شيئا فشيئا لتتفكك عراه عروة عروة ، لأنه ما جدوى أن ندعو الناس الى الصدق اذا نسوا أن الله عليهم رقيب ؟ ! » .

(٢٠) لقد حرصت في كتابى « خواطر مسلم في الجهاد والاقليات والأناجيل » على ابراز

هذا المعنى فهو الكتاب الذي أكد الوحدة الوطنية والايمان بالمساواة المطلقة التي لم يسبق ولا وصل اليها أحد ، وفي نفس الوقت ضمنته فصلا فيما ورد من نقد الانجيل ، فالوحدة المنشودة لا تقوم على التخلي عن الدين ولا المساومة على العقيدة .

(٢١) لم أشهد ولا سمعت ولا قرأت في التاريخ مثل الحشد الذي جند فيه إخواننا الاقباط أنفسهم للعمل ضد قانون الردة في الداخل والخارج ولا مثل الانضباط الذي سادهم في تنفيذ قرار إلغاء العيد . وقد كنت بسبب اقامتي وقتها بالخارج غير متنبه لحجم القرار ، فاتصلت — كعادتي سنويا — بباشا سابق يتخطى الثمانين ويفترض أنه من رموز الوحدة الوطنية وكذلك اتصلت بصديق يصغرني بعشر سنوات يعمل في الطباعة في عاصمة أوروبية اهنئهما بالعيد وذهلت برفضهما أن يقولا .. وأنت طيب .. فهما على إختلاف السن والمكان والثقافة ملتزمان بقرار البابا ! وهو ما لا يمكن لأي سلطة إسلامية الوصول إلى ربع انجاز مثله .. كذلك فوجئت في زيارة للخليج بالشيخ سلطان القاسمي يعارض قانون الردة معارضة شديدة واكتشفت أنه تعرض لعملية غسيل مخ من صحفيين مسيحيين مصريين يعملان في مجلة (...) ولهما معه معاملات.. وقد أشار المرحوم السادات إلى هذا الموقف عندما قال : « .. احنا عندنا كمسلمين ما يستطعش زعيم ديني أن يلغي إحتفال عيد لكن عندهم الاحتفال ده خطير لما يلغى . ده شيء رهيب اتاري المطلوب أن العالم يحصل فيه رجه . » .

والحقيقة إن الكل منشغل بمحاربة خطر احتمال قيام دولة دينية مسلمة مع ان ذلك مستحيل .. بينما يتغافل الجميع عن حقيقة قيام دولة دينية مسيحية بمعنى الكلمة .

(٢٢) ميلاد حنا ص ٢١٩ رأيهم في الاسلام .

(٢٣) أدوار خراط .. رأيهم في الاسلام ص ٧٥ ، أما فرج فوده فيرى ان إعلان الصيام كان ردا منطقيا على تضخم مكانة شيخ الأزهر إلى حد أنه ذهب إلى مجلس الشعب وتصدر مقاعد كبار الزوار !! قال : « ويتملك الاحساس بالقوة شيخ الأزهر إلى الدرجة التي يذهب فيها إلى مجلس الشعب ويحتل صدارة كراسي كبار الزوار ، مراقبا النواب وهم يناقشون قضايا الشريعة ، وفي المقابل كان منطقيا أن يدعو البابا شعبه إلى الصيام والغاء الاحتفالات الدينية .. » (الطائفية .. إلى أين !؟ فرج فوده ص ٢٦/ ٢٧) .

ونضيف هنا نكتة فقد كان حسين أحمد أمين ضمن الذين استضافهم كتاب « رأيهم في الاسلام » فقال الناشر في التعريف بسي حسين ، بالرجوع إليه طبعا قال : '' إن الحكومة المصرية أخذت برأيه حين تخلت عن تطبيق الشريعة '' ص ٨٠ .

(٢٤) ص ٣٦ من كتاب '' المسألة الطائفية في مصر '' .

(٢٥) نفس المصدر ص ٣٨ ــ كذلك وردت الفقرة التالية في عرض غالي شكري لمسلسل الفتنة قال : '' وفجأة سافر البابا شنودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقابل الرئيس كارتر . ولا يدري أحد عما دار في هذا الاجتماع سوى أن الرئيس الأمريكي ، في حضور السفير المصري أشرف غربال ، أشار عامدا إلى أنه لا يمكن تجاهل المشاعر الدينية لثمانية ملايين قبطي .. وفهم سفيرنا في واشنطن مغزى الاشارة من سيد البيت الأبيض '' . (ص ٤٧ المسألة الطائفية يفي مصر) .

(٢٦) ويحرص كتاب الدفاع عن البابا على تذكيرنا بأن أول خطاب للبابا شنودة بعد انتخابه قال فيه : '' ولي خراف أخر ليست في هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضا '' (ص ٣٩ السادات والبابا : أنور محمد) .

(٢٧) ولم أقر رئيس التحرير على سبب رفضه النشر . وها أنا أعيد نشرها ليرى القارىء هل كان بها ما لا يجوز نشره حتى في صحيفة علمانية ؟! .

(٢٨) أرجع في ذلك لدراسة قيمة للدكتور وليم سليمان قلادة نشرت في كتاب « المسألة الطائفية في مصر » حيث أشار إلى دور المبشرين في خلق الفتن .. وإلى علاقتهم بالاستعمار والجامعة الأمريكية ..

(٢٩) ص ١٦٩ من كتاب المسألة الطائفية في مصر .

(٣٠) وقد عقد الأستاذ البشري فصلا في كتابه الموسوعي للعلاقة بين التبشير وظهور حركة الاخوان المسلمين هذا بعض ما جاء فيه :

« إن الوقت الحاضر بإمكاناته هو وقت العمل الهادىء ، والمسلمون يريدون أن يقوضوا منازلهم ، ولكنهم لا يريدون للأجانب أن يصنعوا ذلك معهم . فلنستمر في إظهار كفاية المسيحية أكثر من الدخول في هجمات جدلية حول الاسلام » (John Mott, Op, Cit., P .372) . وثانيهما أن التبشير يكون أكثر فاعلية وحسماً بين الأطفال لأن تعليم الديانة الاسلامية وترسيخها يتم بين المسلمين في سن مبكرة جداً . لذلك وجب أن يكون التبشير من خلال التعليم هو أساس نشاط المبشرين في البلاد الاسلامية (John Mott, Op, Cit., P. 372) ، ويذكر الدكتوران الخالدي وفروج أن المسلمين هم المقصودون أولا بالتبشير عن طريق التعليم) د . الخالدي وفروج . مرجع سابق . ص ٦٩) . ومن أهم ما تعرض له « موط » موقف التبشير من الكنائس الشرقية المحلية ، وبعد أن أثبت سياسة المؤتمر الانتقال بالتبشير من مجال المسيحيين الشرقيين إلى المسلمين ، رفض

فكرة الاعتماد أو الاستعانة بالكنائس الشرقية في تبشير المسلمين ، وأن ذلك في رأيه يكون خطأ يفقد حركة التبشير فرصتها المتاحة ، وذكر أن الكنائس الشرقية والكنيسة القبطية ليس لدى أي منها خطة ولا برنامج لتبشير المسلمين . (John Mott. Op. Cit., P. 375) ، وفي هذا المعنى ينقل الدكتوران الخالدي وفروخ عن المستشرق الفرنسي لويس ما سينون قوله : إن قبط مصر فهموا واجبهم الأول كنصارى قوميين عرب وعزموا ألا يلعبوا لعبة مزدوجة وألا يتوسلوا إلى حماية الدول الأجنبية [د . الخالدي وفروج . مرجع سابق ص ١٦١] ص ٤٥١ البشري .

واستمرت هذه الأمثلة تتعاقب فرادى على فترات ، تثير على قلتها الخوف والغضب . حتى كان عام ١٩٣٣ . إذا انكشف من أحداث المبشرين ما وصفه الدكتور محمد حسين هيكل بقوله « حدث حادث اهتزت له البلاد ، وكان له في موقفنا وموقف الحكومة (حكومة اسماعيل صدقي) أثر عميق . ذلك أن نشاط المبشرين المسيحيين ظهر فجأة في ثوب مخيف . وتناقلت الصحف يومئذٍ أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة هى مصدر هذه الدعايات التبشرية ، وأن بها أركان الحرب التي تنظم هذه الدعايات . وكان غريباً حقاً هذا النشاط الذي أبداه المبشرون لحمل السذج على اعتناق المسيحية ولتنصير الأطفال الأبرياء من أبناء المسلمين الفقراء . وارتاع الناس لهذه الحملة ايما ارتياع ، وجعلوا ينظرون إلى موقف الحكومة منها نظرة كلها عدم الرضا .. » وتألف على أثر ذلك جمعية لمقاومة التبشير كانت تجتمع بدار الشبان المسلمين ، ومن أعضائهما الشيخ مصطفى المراغي « وكانت الصحف تنشر عن هذه الحركات التبشيرية كل يوم جديداً .. وكنت من أشد الأعضاء تحمساً لمقاومة التبشير » . وذكر أن ذلك كان من العوامل التي دفعته إلى تأليف كتابه المعروف « حياة محمد » ثم كتبه التالية ومنها « الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » .. [د . محمد حسين هيكل مذكرات في السياسة المصرية . الجزء الأول ص ٣٢٨ — ٣٢٩] فكان خير ما أنتج الأديب المؤرخ الكبير هيكل هو من نتاج ردود الفعل ضد هجمة التبشير ، وبمراعاة مكانة الدكتور هيكل الأديب بين رواد الاستنارة الفكرية ، يظهر إلى أي مدى كانت هجمة المبشرين الضالة العقيمة تمس صميم الوجدان المصري وتلهبه .» ص ٤٥٩ البشري .

« وتتحصل الواقعة في أن المسز رتسو ناظرة مدرسة دار السلام بور سعيد عملت على تنصير تسع من طالبات الداخلي المسلمات وثمانية من طلبة وطالبات القسم الخارجي . واضطرت الحكومة إلى إبعاد الناظرة عن مصر ، وإلى توزيع الطلبة والطالبات على ملاجيء القاهرة والمدارس الأخرى ، ووعدت بانشاء ملاجيء لتربية اليتامى حتى يمكن إبعادهم عن أوساط المبشرين [مضبطة مجلس الشيوخ . جلسة ٢٧ يونيه ١٩٣٣] » .

وتعاقبت أحداث قليلة في السنين التالية ، منها اكتشاف مدرسة أنشئت بجوار الأزهر لتعليم العميان القرآن بالحروف البارزة ، وظهر أن مديرها كاهن ذو صلة بأحد المبشرين بمدرسة الأمريكان بالأزبكية وبالمبشر الأمريكي وريس [صحيفة الثغر ٧ يونيه ١٩٣٧] . ومنها غواية قبطى ارثوذكس واختفاؤه بتأثير المبشرين الكاثوليك مما اثار السخط بين القبط والمسلمين معاً [صحيفة النذير ٢٧ صفر ١٣٥٨ (١٩٣٩)] .

« ومنها الكشف عن الدور التبشيري الذي تمارسه ممرضات مستشفى هرمل بمصر القديمة التابع للارسالية الانجليزية وغوايتهن للفقراء من المرضى المسلمين [صحيفة مصر الفتاة ٨ ابريل ١٩٣٩] . ومنها توزيع كتب ومطبوعات تتضمن الطعن في الاسلام والدعوة للمسيحية [صحيفة « الاخوان المسلمون » ٢٧ جمادي الأولى ١٣٦٣ (٢٠ مايو ١٩٤٤) .] . واستمر الوضع على هذا المنوال حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، فهدأ نشاط الارساليات بسبب صعوبة المواصلات وصعوبة ايفادهم من بلادهم إلى مصر والشرق . [مضبطة مجلس الشيوخ . جلسات ٦ فبراير ، ١٧ ابريل ، ١٣ يونيه .] ص ٤٦٠ البشري » .

« ثم أعدت الحكومة مشروعا آخر في عهد الوزارة الوفدية ، ونيط اعداده بلجنة صيانة الآداب التي يرأسها وكيل وزارة الشئون الاجتماعية ، وتولى قسم قضايا الحكومة صياغته من الناحية القانونية توطئه لعرضه على مجلس الوزراء ثم البرلمان [صحيفة البلاغ ٤ ابريل ١٩٤٣] . وحرص المشروع الجديد على الاعتراف في صدر أحكامه بكفالة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد بما لايخل بالنظام العام أو الآداب ، وأن يكون الترخيص بانشاء الكنائس ومعابد غير المسلمين بأمر ملكي ، ثم نصت المادة الثالثة منه « لا يجوز اعداد أمكنة للخطابة أو الدعوة الدينية يباح الدخول فيها لأبناء أديان أو عقائد مختلفة الا بترخيص من وزارة الداخلية .. » ونصت المادة الرابعة » « لا يجوز أن تكون محلاً للدعوة الدينية الأماكن التي يجتمع فيها أبناء أديان وعقائد مختلفة ، سواء كانت منشآت معدة لأغراض انسانية كالمستشفيات ... أم منشآت صناعية أو تجارية أو غيرها ... » . ص . ٤٦٠ البشري .

ومنعت المادة الخامسة في معاهد التعليم اشتراك التلاميذ أو تركهم يشتركون في دروس دينية غير ديانتهم ، أو توزيع كتب أو نشرات عليهم تتعلق بدين غير دينهم . وحظرت المادة السادسة القاء خطب أو توزيع نشرات في المحال والمحافل العمومية تتضمن طعناً أو مساً بدين من الأديان . ومنعت المادة السابعة اغراء شخص أو اكراهه على صلاة أو وعظ يتنافى مع عقيدته الدينية سعياً وراء تحويله عنها . وتعرضت المادتان التاسعة والعاشرة لاعتبار كل مولود مجهول

الأب مسلماً، ولمسئولية مؤسسات الأحداث عن تغير ديانات الناشئة بها . خولت المادتان الثامنة والحادية عشرة البوليس سلطة مراقبة تنفيذ هذه الأحكام . وقررت الثانية عشرة عقوبات الحبس والغرامة على مخالفة القانون « الاخوان المسلمون » ١١ جمادي الأولى ١٣٦٢ (١٥ مايو ١٩٤٣)] على أن هذا المشروع لم يتح له الصدور . » (وهكذا نرى أن الاخوان هم الذين اقترحوا عدم الطعن في الأديان ولكن القوىٰ المسيطرة والمرتبطة بالتبشير منعت اصدار القانون ج) .

« وما لبث « الشبان » أن أهاجهم نشاط المبشرين وما يلقونه من محاضرات بالجامعة الأمريكية بمصر طعناً في الاسلام ، كما أهاجتهم أحداث حائط المبكى في فلسطين (١٩٢٩) والسياسة الفرنسية تجاه البربر في مراكش (١٩٣٠) ، واجراءات القمع العنيف التي مارسها الايطاليون في ليبيا واعدامهم عمر المختار . وقد عقدت الجمعية اجتماعاً بالاسكندرية في مايو ١٩٣٠ ثم انعقد اجتماع آخر لمجلس ادارة الجمعيات بالقاهرة في يوليه التالي ، وصدرت قرارات بالاحتجاج على ما يلقى بالجامعة الأمريكية « من محاضرات ضد الاسلام ، وأرسلت خطابات الى وزير الداخلية وشيخ الأزهر تدعوهما الى مقاومة نشاط المبشرين » .

« والحاصل أن كانت حركات التبشير من بين العوامل المهمة التي استفزت الشيخ ورصفاءه الى النشاط في مجال الدعوة الاسلامية . وكان انضم في صباه ببلدته المحمودية الى طريقة « الاخوان الحصافية » الصوفية ، وتأثر بشيخها وابن مؤسسها عبد الوهاب الحصافي الذي كان يوصي أخوانه ألا « يرددوا كلام الملاحدة أو الزنادقة أو المبشرين » . ثم تأسست « الجمعية الحصافية الخيرية » برئاسة أحمد السكري وسكرتارية حسن البنا » « وزاولت الجمعية عملها في ميدانين مهمين : الميدان الأول نشر الدعوة الى الأخلاق الفاضلة ومقاومة الارسالية الانجيلية التبشيرية التي هبطت البلد (المحمودية) واستقرت فيها . وكان قوامها ثلاث فتيات ترأسهن مسز ويت ، وأخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وتعليم التطريز وايواء الصبية من بنين وبنات . وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية الاخوان المسلمين بعد ذلك . » ص ٤٧١ البشري .

« والملاحظ أن في السنوات الخمس الأولى لنشأة الجماعة ، تأسست نحو خمس عشرة شعبة لها بالقاهرة والاسماعيلية وبور سعيد ، وشبراخيت والمحمودية (البحيرة) ، والمنزلة والجمالية وميت مرجا (دقهلية) ، وشبلنجا (قليوبية) ، وطنطا (غربية) ، والسويس ، ودمياط ، وأبو حماد (شرقية) . ووجد غالب تلك الشعب في مناطق وجود مراكز للتبشير . ويذكر الشيخ

البنا أن الاخوان أبلوا بلاء حسناً « في حركة التبشير التي نجم قرنها هذا العام » و « لا ندري من حسن الحظ أو من سوئه أن كانوا بجوار مراكز جمعيات الاخوان المسلمين في القطر المصري مراكز للتبشير . ففى المحمودية وفي المنزلة دقهلية وفي الاسماعيلية وفي بور سعيد وفي صوير وفي القاهرة مراكز نشيطة للتبشير ودوائر نشيطة لجمعية الاخوان المسلمين ، وكان طبيعيا أن يحدث الاحتكاك بين الهيئتين » . وكان الاخوان يقاومون المبشرين بالتحذير من خطر الاتصال بالارساليات ، وبوسائل من نوع وسائل المبشرين كإنشاء المدارس وغيرها حتى يصرفوا الناس عن مؤسسات التبشير . وحرص الشيخ أن يورد في مذكراته تقارير وردت اليه من شعبة المنزلة في شوال ١٣٥١ (١٩٣٢) عن انقاذ الشعبة لمسلمة فقيرة أغواتها عن دينها مدرسة السلام البروتستانتية ، فاستخلصت الشعبة الفتاة من المدرسة وفتحت مشغلاً لتعليم الفقيرات مهنة يكتسبن منها ، وعن إنقاذ الشعبة كذلك خمس فتيات هربتهن الارسالية البروتستانتية ببور سعيد الى المنزلة لتنصيرهن » . حسن البنا . مرجع سابق ص ١٥٨ — ١٦٠] .

« وكانت صحيفة الاخوان المسلمين التي ظهرت في أواخر مايو ١٩٣٣ ، (١٣٥٢) تتابع مقاومة شعب الاخوان لنشاط المبشرين وتستثير حمية المسلمين بالأخبار والمقالات والشعر ضد « عدوان المبشرين على البلد الأمين » [صحيفة « الاخوان المسلمون » ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢ (١٩٣٣)] . ففي المحمودية نزلت تسع مبشرات بدعوى تعليم الفتيات للتطريز والحياكة ، ثم أغوت فتاة يتيمة الأم عن دينها ، ولولا أن استخلصها الاخوان وأودعوها منزل الأستاذ أحمد سكري ، ولهذا أنشأت الشعبة مشغلاً للسجاد والنسيج . وفي الاسماعيلية أنشأ المبشرون مدرستين واستغلوهما كما استغلوا عملهم بمستشفى شركة قناة السويس في حمل بعض المترددين على ترك اسلامهم ، فقاومهم الاخوان بالمحاضرات وبانشاء معهد حراء للبنين ومدرسة أمهات المؤمنين للبنات . وفي صوير قاوم الاخوان محاولات المبشرين انشاء مركز لهم بمدرسة الاسماعيلية الانجليزية الابتدائية . وفي السويس أكتشف الاخوان مركزا للتبشير بحي الأربعين وأنقذوا بعض من أريد لهم التنصر . وكذلك كان الشأن في القاهرة . وركزت دعوة الاخوان اهتمامها في كشف وسائل المبشرين واستغلالهم لفقر الفقراء ويتم اليتامى ، واستثارت ردود الفعل العنيفة دفاعاً عن الدين ، مع اتهام المبشرين باشعالهم نيران الفتنة . » .

« ولما انعقد مجلس الشورى العام للجماعة في ١٩٣٣ ، قرر انشاء لجان فرعية لتحذير الشعب من الوقوع في خداع المبشرين . وأرسل الى الملك عريضة في ٢٢ صفر ١٣٥٢ يطلب اليه فيها حماية المصريين من عدوان المبشرين ويقترح عليه خمسة اقتراحات ، هي فرض الرقابة على المدارس والمعاهد ودور التبشير ، وسحب رخصة أي مدرسة أو مستشفى يثبت اشتغاله بالتبشير ،

وابعاد من يظهر أنه يعمل على افساد العقائد ، وامتناع الحكومة عن معاونة جمعيات التبشير سواء بالأرض أو بالمال ، والاتصال بممثلي مصر بالخارج لحث الحكومات الأجنبية على مساعدتهم في ذلك . وروج لهذا البيان بارسال صور منه الى الوزراء ومجلسي البرلمان . فكان أهم وجوه النشاط الفعلى للاخوان حتى ما بعد منتصف الثلاثينيات تقريباً هو مقاومة النشاط التبشيري . ولعل ذلك هو مما أقنع جماهير الرأي العام بجدوى نشاط الجماعة ومما أكسبها منزلة خاصة لديهم باعتبار ما أثاره نشاط المبشرين من سخط عظيم .. » طارق البشري .

... وكان أن علق الاخوان في المشانق ، ونكل بهم في السجون ، وقتل مرشدهم على قارعة الطريق .

ولا بأس بشهادة خصم لدود فقد قال الشيخ الماركسي عبد الكريم الخليل : « ولم يذكر التاريخ أي محاولة قام بها اقباط مصر ومسلموها للتبشير في أوساط الآخرين ولم تبدأ عمليات التبشير الا على يد الفرنجة الاوربين الذين وفدوا مع جيش الاحتلال الفرنسي ثم الانجليزى .. وللأسف فان كلتا الطائفتين المسلمين والنصارى في غفلة تامة عن أمثال هذه الأنشطة المشبوهة المريبة التي يشجع عليها عميل الامبريالية الأول وعميل المخابرات الأمريكية وهو البابا بول الثاني » (الطائفية .. الى أين ! خليل عبد الكريم ص ١١٦) .

وهذه الجامعة الأمريكية التي كانت حتى الأربعينات مركز تبشير سافر يهاجم الاسلام بواسطة قساوسة مبشرين ، ما زالت تواصل مهمتها وانما على يد مسلمين يهاجمون الاسلام لا باسم المسيح والأب والابن بل باسم التقدمية والعلمانية والاشتراكية والناصرية .. الخ ، نفس الرسالة ولكن على يد العملاء من ابناء المسلمين !

* * *

* *

*

الفصل الثاني

تزوير التاريخ لزرع الفتنة .. !

الكتاب اسمه '' فتح العرب لمصر .. '' ومؤلفه هو المؤرخ البريطاني د. ألفريد.ج. بتلر واستهدف بكتابه زرع الفتنة بتأكيد أن الاقباط لم يرحبوا بالفتح العربي .. مخالفا بذلك واقع التاريخ ، وآلاف الروايات المؤكدة ، والمنطق السليم ، وقد قلت مرة في تعريفي للقومية إنه لو انقسم الشعب حول الحدث التاريخي فاعتبره فريق منه نصرا قوميا ، بينما اعتبره الآخرون كارثة قومية ، فقد انقسم هذا الشعب إلى قوميتين .. والحقيقة التاريخية تجعل المصريين من الاقباط والمسلمين في موقف واحد من الفتح الاسلامي وهو موقف الاغتباط والاعتزاز به وبذكراه ، فالفتح العربي لم يحارب الاقباط ، ولا كان للاقباط دولة غزاها العرب ولا جيش حاربوه ، ولا استقلال أزالوه ، بل كان الفتح العربي هو المخلص ، الحلم الذي استبشر به الاقباط ، ورآه قسسهم ورهبانهم في المنام والمكاشفات ، وتواعدوا به ليخلصهم من القهر البيزنطي .. كان الاقباط محتلين مستذلين ، في حرب عوان مع السلطة التي تحكم مصر والتي تتبعها مصر ، نفس السلطة التي حاربها العرب وأزالوها .. ولا يمكن أن يقف شعب ضد القوة التي تخلصه من الاحتلال والتنكيل والابادة .. لا يمكن عقلا وتاريخا ، ولكن دعاة الفتنة لا يلزمهم عقل ولا يردعهم تاريخ ، وهم لابد أن يقسموا الأمة تاريخيا بتشويه موقف الاقباط من التحرير العربي .

وهذا هو عين ما تتوخاه هذه الكتابات التي تريد أن تلغي حقيقة تحرر وغبطة وتأييد الاقباط للفتح العربي الذي مكن أربعة آلاف من فتح مصر .. ولو كانوا

يحاربون وسط شعب معادٍ أو حتى محايد لاستحال الفتح .. وربما كان للأستاذ الكبير محمد فريد أبو حديد عذره في ترجمة الكتاب منذ نصف قرن أو أكثر ، فكما قال في مقدمته ، لقد كبر المصريون عن أن تغرر بهم مثل هذه الكتابات . وللكاتب الكبير محمد فريد أبو حديد مؤلفات عدة كان يمكن نشرها بل ولابد من إعادة نشرها ، ولكن في حمى الفتنة التي نعيشها اليوم (١٩٨٩) وبعد أن تقزم الوعي حتى عن أيام فريد أبو حديد .. لم تجد هيئة الكتاب ما تعيد طبعه للأستاذ فريد أبو حديد إلا هذا الكتاب .. المترجم ! الذي يهدف إلى إثبات نقطة واحدة هي أن القبط لم يفرحوا ولا رحبوا بالفتح العربي ، مع أن كل ما أورده في كتابه من وقائع يكذب دعواه ، ورغم التعصب الواضح بل الفاقع الذي يجعله يتحسر إلى حد البكاء بعد ثلاثة عشر قرنا على انتصار المسلمين .. بل والذي يقول : « ولكن السودان كان عند ذلك قذى في عين حكام مصر ، وهو لا يزال كذلك في كل العصور » .[1] ص ٣٧٥ .

وهذا هو الكتاب الذي اختارته هيئة الكتاب لتعيد طبعه !! حقا إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت ، بالتأكيد ، تدري ، كما نحن ندري ، فالمصيبة أعظم !

على أية حال الكتاب لكي يلعب دوره اضطر للاعتراف ببعض الحقائق وإن كانت عاطفة المؤلف قد غلبته فجعلته يأسف لمظاهر الوحدة الوطنية المصرية أو تقاعس الاقباط في الدفاع عن دولة الروم ، دولة الاحتلال والتنكيل !

وتعالوا نقلب صفحاته فنقف عند نقطة شديدة الأهمية سبق أن أشرنا إليها ، ولكن لا بأس من التكرار ، وأعني حال اللغة القبطية فهو يقول :

« ودوننا كاتب مسيحي آخر وهو الأسقف القبطي للأشمونيين نعني ساويرس (ابن المقفع) ، وقد كتب « تاريخ حياة البطاركة » وهو كتاب لم ينشر ولا يعرف عنه إلا القليل ، اللهم سوى ما أخذ عنه رينودو في كتابه . وتوجد ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب : إحداها في المتحف البريطاني وهي مما تخلف من

نحو القرن الخامس عشر . والثانية في المكتبة الأهلية (بباريس) وهي من نحو القرن الرابع عشر . والثالثة وهي قبل هاتين بمدة طويلة ولعلها من نحو القرن الثاني عشر وهي في حيازة مرقس بك سميكه « مرقص باشا سميكه » في القاهرة . وكتاب ساويرس عظيم الفائدة فيما يتعلق بتاريخ الكنيسة ، غير أنه ليس فيه كبير غناء فيما سوى ذلك من أخبار الدنيا . وقد كان يعيش في القرن العاشر ولكن لم يتحقق تاريخ وفاته الصحيح . والنسخة الخطية التي في باريس بها مقدمة من كتابة محبوب بن منصور وهو شماس كان بالاسكندرية في النصف الأخير من القرن الحادي عشر وقد كان « يحرر تاريخ حياة بعض البطاركة » . وقد قال ساويرس في مقدمته التي كتبها بنفسه إنه كان يلجأ إلى بعض القبط ليترجموا له الوثائق القبطية واليونانية إلى اللغة العربية إذ إن اللغتين المذكورتين كانتا حتى عند ذلك التاريخ غير معروفتين لأكثر المسيحيين .. وهذا عظيم الدلالة إذ يظهر الحال من الاضمحلال التي هوت إليها لغة القبط ولغة اليونان ، كما أنه يظهر جهل ساويرس بهاتين اللغتين ، والحق أن ذلك الدليل على جهل اللغة القبطية عجيب مدهش حتى ليلوح لنا أن لا يكاد يصدق (أنظر ثبت الكتب المخطوطة في باريس طبعة دي سلان صفحة ٨٣) » .

وقد استشهدنا بذلك في موضع آخر من هذا الكتاب للتدليل على انقراض اللغة القبطية في زمن مبكر جدا .. .

ويقول أو إن شئت يعترف بالوضع الذي ساد مصر عشية الفتح الاسلامي .. فمعروف أن الكنيسة المصرية كانت تقود حركة وطنية ، من الحركات النادرة والخالدة في تاريخ مصر ضد السلطة الأجنبية ، ضد روما ومن بعدها القسطنطينية ، وصحيح أنها اتخذت شكل الطابع الديني ولكن الأعمى وحده هو الذي لا يرى فيها حركة وطنية .. وتاريخ المصريين يبدأ بحرب دينية هي التي أخرجت الهكسوس من مصر .. وما زال الطابع الديني يصبغ المواجهة بين الشرق والغرب .. كذلك لم يكن هناك أي تناسب بين قوة مصر والامبراطورية الرومانية ،

ومن ثم فقد اتخذ الصراع صيغة الاضطهاد الوحشي من جانب الامبراطورية وأعوانها ، والصمود البطولي من جانب الكنيسة والاستشهاد من جانب الاقباط .. كان شعبنا تجري إبادته بوحشية ، وكنيستنا تقود أضخم حركة استشهاد دفاعا عن استقلال وطنها الذي تجسد في استقلال كنيستها ، رفض الخضوع لقيصر برفض دين قيصر ، مرة باعتناق المسيحية ، فلما اعتنقها قيصر رفضوه مرة أخرى ، برفض مذهبه . وفي مثل هذه الاوضاع يغدو غريبا جداً أن يرفض مؤرخ حقيقة انتظار الاقباط للفرج ، وتلهفهم عليه ، وفرحتهم بوصول قوة ترفع عنهم الاضطهاد الرومي .. وتمنحهم حرية العقيدة ، واستقلال الكنيسة .. ان هذا الذي يزعمه يتنافى حتى مع السلوك الغريزي للانسان الذي قال من قديم الزمان عدو عدوي هو صديقي !

ونستمع للمؤلف وهو يصف هذا الوضع :

« وفي الحق لم يكن في بلاد الدولة الرومانية ما هو أشقى حالاً من مصر . فقد سعى « جستنيان » جهده ليجبر القبط الذين ليسوا على مذهب الدولة « الأرثوذوكسي » فيدخلهم في ذلك المذهب . »[٢] .

« الحق أن الانسان كلما أمعن في درس ذلك العصر تبين له وزاد عنده وضوحا أن مصر كانت فيه من أكثر بلاد الدولة هياجا ، وأيقن أن أمورها كانت في اضطراب يكاد يكون مطرداً منذ انعقد مجلس (خلقيدونية) ، وما أكثر الأدلة على ذلك الاضطراب في ثنايا كتاب (حنا النقيوسي) وفي الكتب التي تصف اضطراب مصر بغير تعرض للقصة التي نحن بصددها قصة هرقل ذاتها . ويقيننا أنه إذا جاء الوقت الذي يكتب فيه تاريخ هذا العهد كتابة وافية ظهر أن ذينك القرنين كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين ، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف الدين أشد أثرا فيه من اختلاف الجنس .

الامبراطورية وحزب الملك والبلاط كانت تعتنق العقيدة السيئة الموروثة وهي إزدواج طبيعة المسيح على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط

(المنوفيسيين) أهل مصر كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها وتحاربها حربا عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون بله ممن يؤمنون بالانجيل » (!! ج) .

المستر بتلر آسف على الخلاف وهذا من تلبيس التاريخ متاعب الحاضر ، فهو في الحقيقة آسف لنفور الكنيسة القبطية المعاصرة ، من المبشرين الانجليز وكنيستهم .. أما حدة الخلاف في عصر الشهداء فهو يفهم إذا قبل تفسيرنا على أنه لم يكن ــ في حقيقته ــ خلافا حول قضايا الميتافيزيق بل كان تعبيرا عن صراع قومي .. .

« وكان الحكم المدني والجيش كلاهما في يد السادة الحاكمين ليس فيهم أحد من اقباط مصر أهل البلاد .[٣] فكان ذلك الحكم من هذا الوجه أشبه شيء بحكم الانجليز في الهند على أنه يختلف عنه اختلافا عظيما كان سببا في القضاء عليه . وذلك أن حكومة مصر لم يكن لها إلا غرض واحد وهو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين ، ولم يساورها أن تجعل قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية أو ترقية حال الناس والعلو بهم في الحياة أو تهذيب نفوسهم أو إصلاح أمور أرزاقهم ــ وكان جند الحكومة وجباة ضرائبها ينتشرون من تلك المدائن يظهرون هيبة السلطان ويجمعون الأموال على حين كان تجار الروم واليهود يحلون حيث شاءوا تحميهم جنود الامبراطورية ينافسون الاقباط في التجارة منافسة شديدة » .

هذا هو وضع مصر عشية الفتح أو التحرير العربي ، وضع الهند تحت الحكم البريطاني ، ودعنا نفوت دعايته الرخيصة لنوعية وأهداف الحكم البريطاني في الهند ، المهم أنه اعترف أن حكم الروم كان أسوأ من الحكم البريطاني الامبراطوري للهند !

« ولم يكن نظر الناس إلى الدين انه المعين يستمد منه الناس ما يعينهم على العمل الصالح بل كان الدين في نظرهم هو الاعتقاد المجرد في أصول معينة . وكان

الناس لا يكادون يحسون بشيء اسمه حب الوطن وما كانت عداوتهم عند اختلاف الجنس والوطن لتثور ويتقد لهيبها على الأكثر إلا إذا اختلف معها المذهب الديني . فكان اختلاف الناس ومناظراتهم العنيفة كلها على خيالات صورية من فروق دقيقة بين المعتقدات وكانوا يخاطرون بحياتهم في سبيل أمور لا قيمة لها وفي سبيل فروق في أصول الدين وفي فلسفة ما وراء الطبيعة يدق فهمها ويشق إدراكها » .

والمؤلف مخطيء .. لأن الوطنية وإن كانت مصطلحا حديثا ، إلا أنها حقيقة أزلية .. فالخلاف الديني الذي يبدو له سخيفا شكليا ، هو في جوهره خلاف قومي وطني . وليس مصادفة أن يلتف كل المصريين حول عقيدة مخالفة لعقيدة الدولة الأجنبية التي تحتل بلادهم . وهم عندما يستشهدون دفاعا عن تفسير كنيستهم المصرية لطبيعة المسيح وجسد المسيح ، فهم إنما يدافعون عن استقلال مصر ضد روما .. فالخلاف الديني ليس سبب العداء ، بل العكس ، العداء هو سبب اختلاف المذاهب والتفسيرات ، فقد عبرت الكنيسة عن وطنية المصريين بإصرارها على الخلاف ، وبذلك تمكنت من تجميع المصريين تحت رايتها الوطنية .

وهكذا فبسبب الخلاف القومي بين مصر وبيزنطة ومن قبلها روما ، ورغم وحدة الدين « المسيحية » كان الصدام دمويا متصلا ، وكان عصر الشهداء الوحيد في تاريخ الاقباط هو عصر مقاومتهم للمسيحيين الأجانب .. ولكن في ظل اختلاف جوهري في الدين وهو الخلاف بين الاسلام والمسيحية ، لا نستطيع أن نجد ولا أوهام صدام قومي بين الاقباط والعرب .. لا في بداية الفتح ولا بعد ألف عام .. لا مصادمات ولا حروب ولا شهداء ، لأن عنصر الاضطهاد القومي انتفى تماما ، وليس فقط عنصر الاضطهاد الديني .. .

ولأتوسع قليلا في هذه النقطة ، فقد أقام العرب حكما اسلاميا متسامحا واحدا من حدود فرنسا إلى حدود الصين .. وسرعان ما نشب الصراع القومي في أكثر من موقع حتى وإن اصطبغ بالصبغة الدينية .. فالمقاومة التي بدأها لؤلؤة المجوسي حملها الشعوبيون من بعده وإن ظهر منهم الفقهاء في الدين الاسلامي والمتبحرون

في اللغة العربية ، ونحوها ، ولكنهم حافظوا على لغتهم وقوميتهم في فارس وتركيا ، ورغم اعتناقهم الاسلام فقد شنوا باسمه ، حربهم القومية على العرب والعربية . بينما بقت الديانات والمذاهب في القسم العربي وتقبلوا التعريب بيسر ودخلوا فيه واعتزوا به وأصبحوا هم العرب .. والسبب هو أن المنطقة العربية لم تجد في الفتح العربي غزوا أجنبيا بل تحريرا عبر عن توجهها القومي .. بعكس فارس وممالك الترك المستقلة .

يقول بتلر : « كان في مصر في ذلك العصر ما كان فيها منذ مجلس (خلقدونيه) في سنة ٤٥١ وذلك أن كلتا فرقتي المسيحية بمصر كان لها بطريقها وكانت أمورها الدينية مستقلة . ولكن هذا لم يذهب بشيء من شدة الخلاف الثائر بين الأحزاب ولم يقلل من متاعبه . نقول هنا للمرة الثانية إن الحزبين بمصر كانا يعرفان باسمين مشهورين : أولهما حزب اليعاقبة وهم القبط ، والثاني حزب الملكانية ، وهم حزب الملك ، وكان اليعاقبة على مذهب (المونوفيسيين) وأكثرهم وإن لم يكونوا جميعاً من الجنس المصري ، على حين كان الملكانيون يتبعون المذهب الذي أقره مجلس (خلقيدونية) وكان أكثرهم من أصل إغريقي أو أوربي . ونجد إجماعا من المؤرخين وفيهم (ساويرس الأشمونيني) على أنه ماولى إمبراطور إلا سار على سنة القضاء على مذهب اليعاقبة في مصر قضاء لا هوادة فيه ولا رحمة » .

« وكان اليعاقبة لا يرضون إلا بأن يمحوا كل أثر من آثار مذهب (خلقيدونية) » .

« بقيت مصر وفيها بطريقان للمذهبين مدة وكانت خطة هرقل في مبدأ أمره أن يوفق بين هذين المذهبين العظيمين اللذين اقتسما أتباع الدين المسيحي في مصر . ولكن لم يستطع رئيس الدين القبطي أن يبقى في العاصمة فقد كانت العداوة بين الشيعتين وإن خمدت ، تتقد في خفاء ويندلع منها اللهب إذا ما هب عليها أضعف ريح من الفتنة . ورأت الحكومة أن الحكمة التفريق بين رئيسي الدين حتى لا يبقى المتنافسان معاً في العاصمة » .

ويعترف بتلر أن الاقباط فرحوا بالفترة التي احتل فيها الفرس (المجوس الوثنيون .. ج) مصر قبيل الاسلام لأنها خلصتهم من القهر الرومي .. ونحن نسأله إذا كانوا قد فرحوا بالفتح الفارسي ، فلماذا لا يفرحون بالعرب ؟!!

الجواب : لأن الأعتراف بتلك الحقيقة يفسد خطط الانجليز ، وورثتهم الذين يسعون في تمزيق مصر .. .

يقول :

« وكذلك يظهر لنا أن انتخاب خليفته (بنيامين) تم في سلام واطمئنان ، وأنه قضى أولى سنى ولايته مستظلاً بحكم الفرس ، وكانت تلك السنين هادئة مطمئنة إذا قيست بسائر مدة ولايته الطويلة المليئة بعواصف الحدثان » . ص٨٢ .

بل إن الاقباط كانوا يهرعون لدعم أي متمرد أو معادٍ للسلطة التي تحكمهم ولو كان بيزنطيا .. وهو القائل « وقد سبق ذكر مقتل البطريق الملكاني (تيودور) عند فتح (نيقتاس) للاسكندرية سنة ٦٠٩ فقد كانت ثورة (هرقل) ثورة على السلطان الامبراطوري في القسطنطينية وكان القبط باشتراكهم فيها يؤملون بلا شك أن يجدوا في الحكم الجديد سيرا أرفق بهم مما كانوا يجدونه من عسف (فوكاس) .

ويحدثنا بتلر عن المناخ الذي كان سائدا عشية الفتح العربي وبعد خروج الفرس وعودة مصر لسيادة بيزنطة ، وكيف انتشرت ، كما هو العادة ، الخرافات والأساطير ، بل البشارات التي تقوي عزيمة المقاتلين ، فقد تعددت المنامات والرؤيا عن قرب وصول جيش مخلص يرفع القهر والأصر عن أهل مصر فيقول عن أحدهم أنه تنبأ بمجيء دولة الاسلام « فإن صح ذلك لكان من المؤكد أن كثيرين من أهل وطنه صدقوا ما قاله منذ سمعوه ، وداخلهم الخوف فخلع أفئدتهم ووهن من قوتهم عندما جاء وقت النضال والبلاء . »ص٩١ !!

وهو يقصد النضال والبلاء ضد جيش المسلمين .. وكما ترى ، لم يفارق المؤرخ الانجليزي أسفه بعد ١٣ قرنا !

وينقل هذا النص من كتابات المسيحيين في البلاد العربية ويعلق عليه كما سنرى : قال أبو الفرج ابن العبري (١٢٢٦ ـــ ١٢٨٦) :

« ولما شكا الناس إلى هرقل لم يجب جوابا ، ولهذا أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب فعظمت نعمته لدينا أن أخرجنا من ظلم الروم وخلصنا من كراهتهم الشديدة وعداوتهم المرة . على أن كنائسنا لم ترجع إلينا لأن العرب أبقوا كل طائفة من المسيحيين على ما كان في يدها عند فتحهم للبلاد » .[٤]

ثم يعلق المؤرخ الانجليزي في القرن العشرين هكذا : « وإنه لمن المحزن أن يقرأ الأنسان مثل هذا الترحيب من قوم مسيحيين بحكم العرب وزعمهم أن ذلك كان تخلصاً لهم ساقه الله إليهم ليخرجهم به من حكم إخوان لهم في المسيحية . » (ص١٤١) .

هذا تعليق مبشر صليبي ، ملأ صديد الاستعمار قلبه ، ومع ذلك ، تعيد نشر هذا ، هيئة الكتاب التي نجت من مؤامرة السيطرة عليها التي كان يخطط لها الريان .. وتفرغت لطبع كتب الفاسي !

لماذا البكاء يا خواجا .. لقد قمت غير مشكور بتصحيح التاريخ فكذبت مشاعر المعاصرين ، لأنها لا تتفق مع أهدافك الاستعمارية ولا الخلق المسيحي أو التضامن الصليبي .. موتوا بغيظكم !

على كل حال عواطف مؤرخ الاستعمار لا تغير حقائق المشاعر والواقع الذي عاشه المعاصرون ، فهو ينقل من تاريخهم للفتح العربي ـــ الاسلامي ما يلي : « وهؤلاء الذين أعطاهم الله السلطان في أيامنا لا يحاربون دين المسيح بل هم يدافعون عن ديننا ويجلون قسوسنا وقديسينا ويهبون الهبات لكنائسنا وأديرتنا » .. وكانت الكنيسة الكبرى في دمشق إذ ذاك يستعملها المسلمون والمسيحيون على حد سواء (أنظر كتاب دي جوجه " Conquete do la Svrie " صفحة ٨٤) .

بل إن الشكوى التي وردت في ذيل شهادة ابن العبري ، هي شهادة بتسامح

العرب المسلمين ، وإن مسلكهم هذا كان ينبع من عقيدة ومبدأ وليس ضرورة عسكرية ، ولا تكتيكا لكسب البلاد .. فقد تصور بعض هؤلاء أن العرب سيمكنوهم من أعدائهم الدينيين المرتبطين بالروم ، ولو فعل العرب لأبيدت طوائف بأكملها ، ولا بقي منها ولا حتى تاريخها ، ولكن أهم ما حققه الحكم الاسلامي ، هو وضع حد لتقاتل الطوائف في الشرق الأوسط ، منحها كلها حرية العقيدة ، وإجبارها جميعا على قبول التعايش فيما بينها .. وكما يشهد بتلر ، لو تأخر الفتح العربي لأفنى الملكانيون القبط ، ونضيف لو انتصر الفرس أو أية دولة أخرى وأخذت جانب القبط لأفنوا بدورهم المخالفين لهم في المذاهب ، ولكن الحكم الاسلامي حمى كل الطوائف من الروم ، وحماهم من بأسهم فيما بينهم ، ولعل أوضح مثال على ذلك وضع اليهود عشية الفتح الاسلامي ، وما صاروا إليه بعد الفتح .. ولكن آفة حارتنا النسيان ، وآفة السياسة النكران .. وآفة التعصب البهتان .

« فما هو إلا أن قدم (قيرس) الاسكندرية في خريف سنة ٦٣١ حتى هرب البطريق القبطي وقد جاء في إحدى القصص أن ملكا أتى (بنيامين) في نومه فأنذره أن يهرب مما هو لابد واقع من العسف ، وهذا يدل على الأقل أن ذلك البطريق كان قد عقد النية على أن يرفض ما جاء به (قيرس) قبل أن يفضي به إليه ، وعرف ما سيكون وراء ذلك من الآثار . وكان عزمه ذلك غير مزعزع سواء أكان عارفا بحقيقة ما جاء به (قيرس) أم كان غير عارف بها . ففي الحق قد رأى القبط في مقدم (قيرس) إيذانا لهم بحرب يثيرها الروم على عقيدتهم . وقد دبر (بنيامين) أمور الكنيسة قبل أن يغادر ولايتها ، وجمع جمعاً من القسوس والرعية وألقى فيهم خطابا '' يحضهم فيه على أن يثبتوا على عقيدتهم حتى يوافيهم الموت '' ثم كتب إلى أساقفته جميعاً يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحاري ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه . وأنبأهم أن البلاد سيحل بها وبال وأنهم سيلقون العسف والظلم عشر سنين ثم يرفع ذلك عنهم . وكان هرب (بنيامين) في نفس الوقت الذي جاء فيه (قيرس) إلى الاسكندرية أو قريباً منه . ولم نجد كلمة واحدة في خبر من الأخبار تدل على أن (قيرس) سعى مرة إلى أن يتقرب

إلي بطريق القبط أو يتفق معه ، فالظاهر أن مجيئه إلى مصر قد شرد قسوس القبط فزعين . وقد صار بطريقا من قبل الدولة الرومانية في الاسكندرية ، وزاد سلطانه بأن صار واليا على حكومة مصر من قبل الأمبراطور ، ولاشك أن قبض (قيرس) على رياسة سلطتي الدنيا والدين معا هو الذي زعزع أمر بنيامين ، فإن ذلك جعله يوشك أن يكون ذا سلطان مطلق . ولما قدم قيرس في أول الأمر تظاهر بأنه إنما جاء مسالما وجعل يبين للناس كنه المذهب الجديد (المونوثيلي) ، فإنه لم يكن ثم فرق كبير بين مذهب القبط (المونوفيسي) والمذهب الجديد (المونوثيلي) لو طرح كلاهما أمام أعين عامة الناس . حقاً يجب علينا ألا ننسى أنه لا تزال إلى اليوم بين المسيحيين فرق وشيع ؛ وكثيراً ما يكون بينها شديد العداوة وكبير الخلاف مع انعدام ما يوجب ذلك في حقيقة الأمر . ولكن القبط في ذلك الوقت قد ارتكبوا خطأ كبيرا برفضهم ما عرض عليهم من أمر توحيد المذاهب ، وكان خطؤهم ذاك سببا في مصائب عظيمة تحل بهم(*) » .

« فلم يطيقوا أن يخطر ببال أحد أن يغير ذرة من أصول عقيدتهم أو لفظاً من شعارهم وعدّوا ذلك خيانة لدينهم واستقلالهم بأمره . وقد كان استقلالهم في أمور الدين أكبر ما تتعلق به نفوسهم ، فإنهم لم يعرفوا الاستقلال القومي **قط** ، ولعلهم لم يحلموا يوما بمثل ذلك الأمل . وأما الاستقلال في أمر الدين فقد ناضلوا من أجله ، وجاهدوا في سبيله ، لم ينثنوا عن ذلك في وقت من الأوقات منذ مجلس خلقيدونية . وكانوا حريصين على بلوغ ذلك الغرض لا تغفل عنه قلوبهم ، ولا يحجمون عن بذل كل شيء في سبيله مهما عظم . ذلك هو سر حوادث تاريخهم جميعاً . » (ص١٦٠) .

المصريون عرفوا الاستقلال القومي أربعة آلاف سنة وقبل أن يكتشف البريطانيون النار ، أما التشبث بالاستقلال الديني فكان في جوهره ومظهره تعبيرا عن التشبث

(*) هذا تأريخ لتوجيه الحاضر فالذي ألف ، والذي اختار إعادة طبع هذا الكتاب في طبعة حكومية وأخرى شعبية خاصة ! يريد أن يقول للاقباط لا تكرروا نفس الخطأ .. تنازلوا في عقيدتكم وتوحدوا مع كنائس أوربا وأمريكا .

بهذا الاستقلال القومي .. بعد أن فقد المصريون الدولة والاستقلال ، الأولي منذ الفتح اليوناني ، والثاني منذ الفتح الروماني ، لأننا نعتبر مصر مستقلة في عهد البطالمة ، وإن زاد فيها نفوذ الأجانب وليس النفوذ الأجنبي .. ولكن غباء بتلر يمنعه أن يرى هذه الحقائق ! وإن كان هذا لا يمنع أن مصر قد افتقدت قيادة قادرة على منازلة الرومان كما يقول د/ مراد كامل :

« لم نسمع طوال الحكم البيزنطي أن أحدا من أبناء الشعب النابهين ظهر لينقذ البلاد من براثن الاستعمار الأجنبي أو يحد من نشاطهم الهدام أو يطالب بأحقيتهم في الحكم . أما القيادات الدينية فما كان في وسعها أن تحل مشكلة القيادة المؤهلة للخروج بالمجتمع من أزمته ، فالبطريرك وقد سلمه الشعب قيادته كان يمنعه مركزه الديني وكرامته الوطنية من الخضوع لارادة الأباطرة ، ولكنه كان مضطرا إلى مسايرتهم (*) .

ويمكن تفسير ذلك بأن مصر فقدت استقلالها منذ الاحتلال الروماني وعُزل المصريون تماما عن الحكم ، ثم كانت المسيحية التي اعتنقها الشعب ، والتي ترفض قضية السلطة ، نتيجة وسببا لقبول هذا الابعاد عن الحكم .. بينما أصبح الدين المخالف هو رمز الاستقلال القومي ، وإن ظل الحكم أجنبيا .. فالشعوب الواعية في هذه الظروف تهتم بمنع الفناء الذي يتم بالاندماج ، كما فعل اليهود برفض الاندماج في دين المنتصر .

ونتابع مع المؤلف استعراض وضع المصريين عشية التحرير الاسلامي : « ولعل أبعث ما في الأمر للحزن والأسى ، إذ لا يذكر في ذلك العصر كله إلا شيء واحد هو أن الروم كانوا يخيرون الناس بين قبول مذهب خلقيدونية بنصه ــ وهو كتاب (ليو) ــ وبين الجلد أو الموت ، ولم يكن في عقول مؤرخي القبط إلا هذا الاعتقاد يدونونه في دواوينهم » .

كان على المؤرخين الاقباط أن يزوروا الواقع ويزيفوا ذكريات أجدادهم

(*) أبو يوسف ص٤٣ عن مراد كامل .. حضارة مصر في العصر القبطي .

ومحفوظات الكنيسة لإذهاب الحزن والأسى عن خليفة روما وبيزنطة !! عزاء فقد ظهر خلف يرون أن تدهور حال الاقباط واضطهادهم بدأ بالفتح العربي أو القرن السابع !! بل يزعمون أن القبط الذين لم يغيروا دينهم بالجلد والقتل أيام الروم غيروه من أجل دينارين أو البدل العسكري الذي فرضه العرب .

ولكنه يقول : « فيلوح من ذلك أن قيرس أحس بإخفاقه في سعيه من مبدأ الأمر وكان يود أن يحمل القبط على المذهب الذي تقرر مهما تكلف في سبيل ذلك ، فلم يعبأ بعد بما أدخله الأمبراطور على هذا المذهب من التهذيب ، بل كان يعرض على الناس أحد أمرين لا تعقيد فيهما وهما قبول الدخول في الجماعة أو الاضطهاد . ص ١٦٢ »

« ويتفق المؤرخون جميعاً على أن (الاضطهاد) بقى مدة عشر سنوات أي أنه بقى كل مدة ولاية قيرس رياسة الدين . فإن أكبر الظن أن مجمع الأسكندرية كان في شهر أكتوبر من سنة ٦٣١ ، وقد بدأ عهد الاضطهاد بعد ذلك بشهر واحد أو بشهرين . ولا يشك أحد في فظاعة ذلك الاضطهاد وشناعته ، فقد جاء في كتاب (ساويرس) '' لقد كانت هذه السنين هي المدة التي حكم فيها هرقل والمقوقس بلاد مصر ، وقد فتن في أثنائها كثير من الناس لما نالهم من عسف الاضطهاد والظلم ، ومن شدة العذاب الذي كان يوقعه هرقل بهم ، لكي يحولهم على رغمهم عن مذهبهم إلى مذهب خلقيدونية . فكان يعذب بعضهم ويعد البعض أحسن الجزاء ، ويمكر بالبعض ويخدعهم '' وقد جاء في ترجمة حياة البطريق القبطي (إسحق) ، وكانت كتابتها سنة ٦٩٥ ، أنه في شبابه لقى قسا اسمه يوسف كان ممن شهروا بين يدي (قيرس) وجلد جلدا كثيرا لأنه شهد شهادة الحق . وكذلك كان شقيق (بنيامين) ممن عذبوا ثم قتل غرقا . وكان تعذيبه بأن أوقدت المشاعل وسلطت نارها على جسمه ، فأخذ يحترق '' حتى سال دهنه من جانبيه إلى الأرض '' ، ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه ، فخلعت أسنانه ثم وضع في كيس مملوء من الرمل وحمل في البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطيء ،

ثم عرضوا عليه الحياة إذا هو آمن بما أقره مجلس (خلقيدونية) ، فعلوا ذلك ثلاثا وهو يرفض في كل مرة ، فرموا به في البحر فمات غرقا . وقال الكاتب الذي كتب ترجمة حياة بنيامين » ولكنهم بفعلهم هذا لم يقهروا (ميناس) الذي مات شهيدا بل قد غلبهم هو بصبر الايمان المسيحي » .

وذهب صمويل مستبشرا في صحبة الله وهو يقول ''سأمنح إن شاء الله اليوم الشهادة بأن يسفك دمي في سبيل المسيح '' ثم جعل يسب المقوقس لا يخشى شيئا » .

« وإذا كان مثل هذا العسف يجرى في الصحاري فما بالنا بما كان يحدث للقبط في بلاد مصر السفلى والصعيد ــ فلقد كان حظ من يأبى منهم أن يتخلى عن عقيدته أو ينازع قيرس في أمره أن يجلد ويعذب أو يلقى به في السجن أو يلقى الموت . فكانت تقام أساقفة للملكانية في كل بلد من مصر حتى أنصنا من بلاد الصعيد في حين كان قسوس القبط يقتلون أو يشردون في أنحاء الأرض يلتمسون فيها ملاذا » .

« وكان السعي حثيثا غير منقطع وراء بنيامين ، ولكن لم يعثر عليه في مكان . وقد جاء في كتاب (ساويرس) أنه كان يتنقل من دير محصن إلى آخر . وجاء في ترجمة حياة شنودة ما يفهم منه أن بنيامين لجأ إلى دير الأنبا شنودة وهو الدير العظيم المعروف بالدير الأبيض ، على أن هذه الرواية تختلف عما تواتر من الأخبار عن أنه إنما لاذ بدير في الصحراء قريب من (قوص) .

وروى أن دير (مطره) ويسمى بدير (السقونية) نجح في مقاومة (قيرس) ، وكان ذلك الدير في الأسكندرية أو قريبا منها ، وكان السبب في أنه بقى على عهده لم يتغير أن كل رهبانه كانوا مصريين خلصا ليس فيهم غريب واحد » .

« وقد جاء مثل هذا القول في كتاب (ساويرس) إذ قال : '' فكان هرقل كأنما هو ذئب ضار يفتك بالقطيع ولا يشبع نهمه ، وما كان ذلك القطيع إلا طائفة

التيودوسيين (الاقباط ج) فكانت الشدائد تتوالى بمذهب القبط » ص١٦٩ .

وشخصية قيرس الذي كان واليا على مصر من قبل الروم شخصية غامضة ، والمؤرخون مختلفون هل كان هو المقوقس الذي تراسل معه الرسول صلوات الله عليه وسلامه .. ولا نستطيع أن نجزم بذلك ، ولا حتى نرجحه .. بل في النفس الكثير من الشك حول هذا القول الذي شاع وذاع حتى أوشك أن يصبح حقيقة وأتمنى لو عكف مؤرخ أو باحث مصري على اجلاء الغموض عنه ، فرسالة النبي ، التي حفظها التاريخ ، تتحدث عن القبط ، وقيرس كان مندوب الروم المكلف باضطهاد القبط .. هذه قضية تحتاج لبحث ...

وإنما الذي نلاحظه هنا هو حقد المؤرخ البريطاني عليه وإتهامه بالخيانة والتآمر مع العرب لتسليم مصر ، بل حتى انه أسلم !! « وإنا نكاد يداخلنا الشك في أمر المقوقس وأنه قد فعل ما فعل إذ كان يؤمن سرا بدين الاسلام . » بتلر .

وهو كلام لا دليل عليه ، إلا الرغبة في البحث عن سبب يفسر الانتصار المذهل للمسلمين ، فلابد أن يكون هناك سبب خارج المسلمين ودينهم ، وهو هراء لن نتوقف عنده طويلا ، فالفتح العربي لا يمكن تفسيره إلا بالاعتراف بعنصر العقيدة ، وليس هناك ما يجبرنا على ترجمة ذلك ميتافيزيقيا فليس في تاريخ الاسلام معجزة تتخطى الأسباب وإنما المعجزة في المباديء المتفوقة على العصر ومن هذا التفوق التسامح الديني وقبول مبدأ المعايشة والذمة التي حولت أهالي البلاد إلى احتياط وأحيانا قوة ضاربة مع العرب المسلمين .

ويجب أن نلاحظ في تاريخ الفتح العربي لمصر نقطة بالغة الأهمية قفز فوقها الخواجة عن قصد ، وهي أن المقاومة للعرب كانت في المناطق التي يسكنها الأجانب من الروم أو اليونانيين .. أما المناطق الخالصة المصرية فقد تم فتحها بسهولة وسرعة ولم تقع فيها اية انتفاضات بينما الأسكندرية التي كانت مدينة غير مصرية (بشهادة الخواجه نفسه الذي قال : « وكانت الأسكندرية من أشق بلدان العالم حكما لأنها كانت تجمع أخلاطا من الناس من إغريق بيزنطة وآخرين ولدوا

بمصر وقبط وسوريين ويهود وعرب وغرباء من جميع البلاد . » والمذهب المعارض للأقباط أو المذهب الرسمي كان بنص كلماته : « كان الملكانيون يتبعون المذهب الذي أقره مجلس (خلقيدونية) وكان أكثرهم من أصل أغريقي أو أوربي .

هذه المدينة التي يسود فيها العنصر الأجنبي غير القبطي هي التي اضطر العرب لفتحها مرتين .. وقاوم سكانها التسليم وثاروا على حاكم الروم البطريق قيرس .. يقول بتلر : « لما سمعوا وذهبوا غير مصدقين حتى أتوا قصر البطريق ، فاطلع عليهم منه بعد لأي ، وكان الخطر في تلك اللحظة محدقا بحياته إذ تهافت الناس إليه يريدون أن يحصبوه . ثم استطاع الكلام واستعان بما أوتي من بلاغة وفصاحة على تخفيف جنايته وتهوين خيانته في مقالته التي قالها بين الناس . وجعل يبرر ما كان منه قائلا إنه إنما اضطر إلى ركوب الصعب اضطرارا إذ لم يكن بد منه ، وما قصد إلا مصلحة قومه وفائدة أبنائهم . فإن العرب قوم لا يقوم لهم شيء إلا غلبوه ، وقد أراد الله أن يملكوا أرض مصر ، فما كان للروم إلا أن يصالحوهم ، فإنهم إن لم يفعلوا جرت الدماء في طرق مدينتهم ونهبت أموالهم وقتلوا ، ومن بقي منهم حيا خسر ما كان يملك وضاع أمره . ولكن الصلح حقن دماءهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وديانتهم ، ومن أراد أن يعيش في أرض مسيحية كان له الخيار في ترك الأسكندرية ، وما كان أمر الخيار بين الهجرة وبين الاذعان للمسلمين بالأمر الهين . « بهذا استطاع (قيرس) مرة أخرى أن يفوز برأيه المشئوم » .

دع الخواجه يموت بغيظة ، ويعوي : « وماذا عسانا نقول في هذا الصلح العجيب فليس في طاقتنا أن نملك أنفسنا ونلزم القصد في القول إذا ما أردنا أن نصف فعلة المقوقس ، وما أتاه ذلك البطريق من المكر السيىء ، وما كان له من الصلة الغريبة بقائد العرب وحرصه المدهش في كل وقت من أوقات القتال مع المسلمين على أن يسرع بالاذعان والتسليم لهم . فليس مر الأيام بمستطيع أن يمحو عن ذكره وصمة جنايته في خيانة دولة الروم ، والقصد إلى تضييع أمرها بعد أن

لطخته من قبل جريرة حمقه وقسوته في اضطهاد القبط مدة أعوام عشرة . فالحق أنه لو كان منذ ولي أمر الدين قد قصر همه على هدم سلطان الروم وتضييع أمرهم في مصر لما سار إلا على سيرته تلك ، ولما سلك إلا السبيل الذي سلكه . وإنه ليملؤنا العجب إذ نراه يسارع تلك المسارعة إلى إغتنام فرصة الخيانة والايقاع بمصر ، وهي فرصة ما سنحت له إلا من جرائر أفعاله ، وما تهيأت إلا من عاقبة سوء حكمة ، ولا يخفف من جرمه أن يقول قائل أنه كان يأتمر بأمر مولاه الأمبراطور هرقلوناس ، وقد خول له أن يعقد ذلك الصلح » ص٢٨٩ .

ومن الذي خان في فارس وسوريا ولبنان وفلسطين .. الخ يا خواجه عيب !

ويحاول الخواجة أن يستخرج من استمرار المقاومة بعض الوقت في الوجه البحري الآتي : " وهذا التاريخ له قيمة كبرى ودلالة عظمى ، فإنه يدلنا على أن مقاومة المصريين للعرب استطال أمرها في بلاد مصر السفلى وظلت إلى ما بعد فتح الأسكندرية . وإذا ذكر أن أهل (تنيس) وما يليها من البلاد الواقعة في إقليم تلك البحيرة كانوا من القبط الخلص ، تنبض قلوبهم بما تنبض به قلوب القبط ، عرفنا أن وقوع تلك الواقعة في ذلك الوقت دليل جديد على فساد الرأيين اللذين طالما خدعا الناس وتقادم عليهما الدهر وهما يكفران الحقيقة ، وهما أن مصر سلمت للعرب بغير قتال ، وأن القبط رحبوا بالعرب ورأوا فيهم الخلاص مما كانوا فيه . " " وأما الوجه الثاني فهو أنه قد ثبت أن عمرو بن العاص كان يعامل المصريين قبل فتح الأسكندرية وبعدها أشد المعاملة ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يردد قوم تلك الكلمة القديمة الشوهاء وهي أن القبط رحبوا بالعرب وفتحوا لهم ذراعيهم ، فإن قول حنا النقيوسي في هذا الصدد يكفي وحده لهدم هذا الرأي وإظهار فساده . إما متأخرو المؤرخين من العرب وهم الذين يأخذون بهذا الرأي فبين أمرين : إما أن يكونوا على خطأ فيما ذهبوا إليه ، وإما أن يكون في وصفهم لعمرو تهمة شنيعة إذ يجعلونه مرتكبا لأعظم الجحود ومجازاة الاحسان بأشنع الإساءة " .

كذاب يا خيشه كذاب قوي .. والدليل من كلامك :

أولا ــ تنيس كما قلت أنت « كان يحكمها رجل من العرب النصارى اسمه أبو طور وأنه خرج لقتال المسلمين على رأس عشرين ألفا من القبط والروم والعرب .. »ص ٣٠٨/ ٣٠٩ وأنت زعمت أن القبط كانوا في جنده .. ليكن .. فهم من المقهورين بالطبع أو لعلهم من القبط الذين تخلوا عن كنيستهم وانحازوا لكنيسة السلطة .. أو الخدم ، فالقبط منذ زمن بعيد جدا كفوا عن العمل العسكري .. لا يهم فقيادتهم لم تكن قبطية ، ولا يوجد عندك دليل واحد على تصدي قيادة قبطية لجيش عمرو .

وأنت قلت أن رجلا من الروم جاء من مدينة شطا وقاتل المسلمين في تنيس فأين القبط الذين تسبغ عليهم شرف القتال ؟

كانت الاسكندرية مقر الكرسي البابا وي شبه أجنبية وتأمل هذه العبارة : ويدلنا على ما كان للقبط من الشأن « **حتى** في الاسكندرية » ما جاء في كتاب (بروكوبيوس) [المطبوع في أثينا سنة ١٨٩٦ صفحة٢٢] ولا حاجة لأن يموت أحد وفي نفسه شيء من حتى هذه فهي واضحة الدلالة على غربة القبط في الاسكندرية ، وإلى حد كبير في الوجه البحري !

وجاء في كتاب '' الاقباط والقومية العربية '' في تفسير المقاومة التي لقيها العرب في بعض مناطق الدلتا ، وقوع انشقاق « قسم أهالي مصر السفلى إلى قسمين أحدهما مع تيودور القائد الروماني بينما أراد الآخر أن ينضم إلى صفوف المسلمين وقد وثب أنصار كل من الحزبين على الآخر فنهبوا ممتلكاتهم وأشعلوا النار في مدينتهم » (*) .

ثانيا ــ الصعيد كان دائما معقل المصريين الخلص وهم الاقباط في ذلك الوقت بينما كان شمال البلاد يضم خليطا من المستوطنين الروم والاغريق والطفيليين من

(*) ص٥٩ عن M. H. ZOTENBERG 1983

أبناء البحر الأبيض بل وبعض العرب الذين قاتلوا العرب المسلمين بشراسة دفاعا عن أملاكهم وامتيازاته ، وكان هناك بالطبع اعداد كبيرة من المصريين الذين اعتنقوا مذهب السلطة الدينية . وكانوا يخشون زوال هذه السلطة فتزول حمايتها وامتيازاتها وكان واضحا أن سقوط السلطة الرومية يعني مواجهتهم منفردين للكنيسة القبطية ولمواطنيهم ومحاسبتهم على موقفهم وما اقترفوا .. أو هكذا كان ظنهم . وقد شهد بتلر نفسه أنه بعد الفتح عاد إلى العقيدة القبطية عدد لا يحصى من المصريين . (بتلر ص٣٩٣ ــ ٣٩٤) .

ومرة أخرى أيهما أكثر قبطية تنيس في البحر أم الصعيد ؟ الصعيد معقل الاقباط بل أن نسبتهم هناك وقتها تصل إلى نسبة الانتخابات في عهد عبد الناصر ٩و٩٩ بالمائة ولو كانوا ينتوون مقاتلة العرب لاستمر القتال هناك أعواما ولكنك اعترفت بالآتي : « كانت بلاد الصعيد قد تم فتحها ولا سيما إلى حدود أقليم « طيبة » قبل أن تخبو نيران الحرب في بلاد مصر السفلى بزمن طويل ، وكان فتح الصعيد على يد سرية أميرها خارجة بن حذافة . وأخرج الروم من بلاد وادي النيل في عام ٦٤١ حتى لم يبق منهم إلا قليل ، وكان من بقى منهم ضئيل العدد خائر الهمة لا يرزأون المسلمين شيئا ولا ينازعونهم السلطان . فلا تذكر الأخبار شيئا من القتال في هذا الأقليم بعد ذلك . ولنا أن نقول أن بلاد الصعيد أذعنت للعرب بغير قتال .. » ص ٣١٠ .

العيب مش عليك بل لمن ينشر لك هذا التناقض المفضوح في عام ١٩٨٩ !! لو كان الاقباط سيقاتلون لقاتلوا في الصعيد .

ثم لقد عاد الروم ، واحتلوا الاسكندرية ولم تسجل الأحداث وقوع تمرد قبطي واحد خلف خطوط العرب ، بل الواقعة التي ذكرها هو عن احتجاج الاقباط عند عمرو بن العاص لأنه أختار تقصير خطوطه بالانسحاب بعيدا عن الاسكندرية ، ومطالبتهم له بالتعويض لأنه تركهم للروم أعدائهم .. أهذا موقف شعب مضطهد مع سلطة احتلال .. أيمكن ولا في الخيال تصور حدوث هذا الموقف أو العتاب مع الروم ..؟! .

وأنت قلت أو نقلت عن « المقريزي نقلا عن بعض مؤرخي المسيحيين أن سبعين ألفا من الرهبان خرجوا من تلك الأديرة للقاء عمرو بن العاص ، وكان كل منهم يحمل في يده عصا . فلما دانوا له بالطاعة أعطاهم كتابا لا شك أنه كان « عهد أمان » ولعله كان العهد الذي نذكره الآن وهو عهد بنيامين . » بتلر ص ٣٨٢ .

من كان يمثل هؤلاء السبعون ألفا .. ان كان الاقباط قاتلوا عمرو بن العاص ؟! سبعون ألفا من أجدادي ، رهبان مصر يفقأون عينك وعين كل لئيم يتنكر أو يزور تاريخنا اليوم ! .

إن بعض الحكام من الروم أعلنوا اسلامهم ، واستمروا يعاملون المصريين نفس المعاملة القديمة والسلطة في حالة حرب لم تنتبه لهم فترة « وكلما امعن الانسان النظر في تاريخ هذا العصر وجد أن قيرس لم يكن وحده الخائن الذي أوقع بالدولة الرومانية ، وحسبنا دليلا على ذلك ما كان من هؤلاء الحكام الثلاثة الذين سارعو إلى افتداء دنياهم وسلطانهم بأن نزلوا عن دينهم ، وجعلوا ولاءهم للاسلام ودولته ، وأنقلبوا على القبط بما صار في يدهم من السلطان الجديد يؤذونهم في دينهم ودنياهم . فالحق الذي لا مراء فيه أن الروم كان فيهم الكثيرون ممن يكيدون لدولتهم ، وأن الكائدين كانوا من ناحية يوقعون بالقبط ومن ناحية أخرى يوالون العرب ويعينونهم . » ص ٣١٥ .

دعنا من تحليله ، فقد ثبت تضليله .

« كان أجل المصاب ما أصاب مدينة الأسكندرية من ذلك ، فقد فسد حال التجارة التي كانت تدر الخير على أهلها ، وخرج منها جماعة من أغنياء أعيانها وتجارها عولوا على الهجرة والنزوح عنها . » ص ٣١٦ .

وهذا صحيح فهذه المدينة الأجنبية المرتبطة بامبراطورية الروم والتي لم يكن فيها لمصر إلا دماء الشهداء الاقباط وآلامهم ، كان لابد أن تخسر بانتقال العاصمة

إلى قلب مصر ، وبقيام امبراطورية عالمية جديدة مرتبطة بريا بآسيا وأفريقا وليس عبر البحر الأبيض .. وكان العبء الأكبر على الأجانب الذين حملوا عصاهم على كاهلهم ورحلوا إلى غير رجعة .

« لما مات البطريق الروماني « قيرس » ، ورحلت عن مصر جيوش الروم التي كان سلطانه يعتمد عليها ، حدث تغير كبير في حال الأحزاب الدينية ، إذ انقضى بذلك أمد البلاء الأكبر ، الذيْ حل طويلا بالناس من جراء الاضطهاد . وقد أقيم خلف لبطريق الرومان في الأسكندرية ليقوم على ولاية أمر المذهب الملكاني ، ولكن ولايته كانت لا تتعدى أسوار المدينة ، وذهب عنه سلطانه وانفض من حوله كثير من اتباعه . ولكن بطريق القبط كان لا يزال على اختفائه طريدا يضرب في أنحاء الصعيد ، ويهيم على وجهه فيه . فكان يخيل إلى الناس أن مذهبه قد بات صريعا لاتكاد الحياة تدب فيه ، مما أصابه من الوطء والعسف في محنته التي تطاولت به مدتها نحو عشر سنوات على يد قيرس الذي كان لا يعرف الرحمة ، ولا تخطر على قلبه هوادة . وقد أصبحت مصر بعد وليس دينها دين المسيح ، إذ وضعت عليها حماية الاسلام تعلو احزابها جميعا ، واصبح سيفه بينها فيصلا حائلا . ولم يكن للمسلمين اهتمام لمنازعات الاحزاب في شأن مجمع خلقيدونية ، واختلافها في صدق ما أقره ذلك المجمع أو كذبه ، وأصبح القبط في مأمن من الخوف الذي كان يلجئهم إلى انكار عقيدتهم أو اخفائها تقية ومداراة . فعادت الحياة إلى مذهب القبط في هذا الجو الجديد جو الحرية الدينية ، وما لبث أن صار مذهب الكثرة الذي يحق له أن يكون مذهب الأمة السائد . وقد قضى عمرو بن العاص بأنه كذلك ، وانفذ قضاءه بأن كتب أمانا لبنيامين وأقر عودته . » ص ٣٨١ .

« اينما كان بطريق القبط بنيامين نعده الحماية والأمان وعهد الله فيأت البطريق إلى هاهنا في أمان وإطمئنان ليلي أمر ديانته ويرعى أهل ملته » . وليس بالمستبعد أن يكون سعي « شنوده » هذا كان في الوقت الذي جاء فيه رهبان وادي النطرون إلى عمرو يظهرون له الطاعة لحكم المسلمين . » ص ٣٨٢ .

وينقل المزور البريطاني عن المصادر المعاصرة كيف عاد بطريرك الاقباط : « ولم يلبث عهد الأمان أن بلغ بنيامين فعاد من مخبئه ودخل إلى الأسكندرية دخول الظافر ، وفرح الناس برجوعه فرحا عظيما بعد أن بلغت مدة غيابه ثلاثة عشر عاما منذ هجر مقره وهرب إلى الصحراء الغربية عند مقدم « قيرس » . ومن هذه المدة عشر سنين وقع فيها الاضطهاد الأكبر والثلاث الباقية كانت في مدة حكم المسلمين . وكان بينامين في كل هذه المدة يتنقل خفية بين أصحاب مذهبه ، أو يقيم مختبئا في أديرة الصحراء . وأنه لمن الجدير بالالتفات أن هذا البطريق الطريد لم يحمله على الخروج من اختفائه فتح المسلمين لمصر واستقرار أمرهم في بلاد ، ولاخروج جيوش الروم عنها . وليس أدل من هذا على افتراء التاريخ على القبط واتهامهم كذبا بأنهم ساعدوا العرب ورحبوا بهم ورأوا فيهم الخلاص ، مع أنهم اعداء بلادهم .. ولو صح أن القبط رحبوا بالعرب لكان ذلك عن أمر بطريقهم أو رضائه ولو رضي بنيامين بمثل هذه المساعدة وأقرها لما بقي في منفاه ثلاث سنوات بعد تمام النصر للعرب ، ثم لا يعود بعد ذلك من مخبئه ألا بعهد وأمان لا شرط فيه ولو لم يكن في الحوادث دليل على كذب هذه الفرية غير هذا الحادث لكان برهانا قويا ، وان لم يكن برهانا قاطعا فهو حلقة نضمه إلى سلسلة ما لدينا من الأدلة ، وقد أصبحت سلسلة لا يقوى على نقضها شيء . » بتلر .

بئس الاستدلال ، لو أن حكم العرب زال بعد هذه السنوات الثلاث وعاد البطريك لكان لدعواك معنى ، ولكن ما الذي أعاده وادخله المدينة دخول الظافرين إن كان لا العرب أحسنوا ولا الاقباط رحبوا ؟! والأحرى أن تسوء معاملة السلطة بعد استباب الأمر لها .. ولو صح زعمك أنهم لم يرحبوا بالعرب لنكل هؤلاء بهم بعد أن استتب لهم الأمر .. ولاختفى البطريرك إلى الأبد .. فما الذي أعاد البطريرك .. وهل نلوم السلطة الفاتحة عن انشغالها عن عودة البطريرك ، وتتبع أثاره وكتابة عهد الأمان له ، وهي منشغلة في الفتح الذي طال ، وتحتاج للتعرف على أوضاع البلاد ... وحكاية المذاهب والصراعات ، ومن يمثل من .. خاصة وهذا الغموض الذي يلف شخصية المقوقس عظيم القبط أو قيرس عظيم الملكانيين !

غير أننا نعتقد أن تأخر اللقاء كان من حرص البابا المصري وليس جفوة من عمرو، الذي كان يهمه في الأيام الأولى أن يكسب أي أحد إلى جانبه .. وإنما البابا الذي وصفت أنت حالته « وكان السعي حثيثا غير منقطع وراء بنيامين، ولكن لم يعثر عليه في مكان . وقد جاء في كتاب (ساويرس) أنه كان يتنقل من دير محصن إلى آخر . وجاء في ترجمة حياة شنودة ما يفهم منه أن بنيامين لجأ إلى دير الأنبا شنوده وهو الدير العظيم المعروف بالدير الأبيض، على أن هذه الرواية تختلف عما تواتر من الأخبار عن أنه إنما لاذ بدير في الصحراء قريب من (قوص) » هل نلوم البطريرك الهارب عشر سنوات، يتنقل من دير إلى دير، تنقب عنه الامبراطورية ووشاتها وعيونها، هل نلومه إذا أراد الأطمئنان على نفسه ودينه وشعبه قبل أن يضع نفسه تحت تصرف هذه السلطة التي لا يعرف هو ولا العالم عنها شيئا مسبقا .. ولا يدرى إذا كانت قد انتصرت وقضى لها الأمر أم ستنهزم وتخرج كما حدث للفرس، ويسقط هو في قبضة الروم المتربصين، خاصة وأن تحرير العاصمة استغرق شهورا ما بين كر و فر .. والبابا يريد أن يعود إلى مقر عرشه في الأسكندرية فمتى فتحت الأسكندرية ومتى عاد .. وعن أذن من خرج سبعون ألف راهب يستقبلون الأجنبي عمرو بن العاص .. إذا كان البابا شنوده يقول .. إن الرهبان المصريين لا يستطيعون استقبال رئيس مصر في ثمانينات القرن العشرين إلا بإذنه .. أكان رهبان مصر في القرن السابع يهرعون لاستقبال عمرو بن العاص إلا بإذن بنيامين ؟! .

حقا انك نطع يا خواجا .. ! دعنا من احقادك ! تكفينا اعترافاتك : « ولقد كان لعودة بنيامين أثر عظيم في حل عقدة مذهب القبط وتفريج كربته، إن لم تكن عودته قد تداركت تلك الملة قبل الضياع والهلاك، إذ لم يكن قبط مصر في وقت من الأوقات أشد حاجة منهم في ذلك الوقت إلى ذي رأي حصيف وخلق متين يقودهم ويلي أمرهم، فقد كان منهم من خرجوا من عقيدتهم الوف، ورضوا باتباع مذهب « خلقيدونيه » خوفا من اضطهاد قيرس . ولا شك أن الخروج من الدين كرها أو خوفا لا يكون في مبدأ امره حقيقيا، ولكن لقد مضى

على ذلك الأمر عشر سنين واعتاد الناس على ما دخلوا فيه ، وما كان بناء عشر سنين ليتهدم في لحظة ويزول . ولقد كان أشد خطرا على القبط من كان يخرج منهم إلى الاسلام (ليه يا خواجا ما هو كله خروج .. إنه يتحدث بنفس لغة المبشرين البروتستانت اليوم ج !) وليس من العدل أن يقول قائل إن كل من أسلم منهم إنما كان يقصد الدنيا وزينتها . فإنه مما لاشك فيه أن كثيرا منهم أسلم لما كان يطمع فيه من مساواة بالمسلمين الفاتحين ، حتى يكون له مالهم ، وينجو من دفع الجزية . ولكن هذه المطامع ما كانت لتدفع إلا من كانت عقائدهم غير راسية . واما الحقيقة المرة فهي أن كثيرين من أهل الرأي والحصافة قد كرهوا المسيحية لما كان منها من عصيان لصاحبها ، إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء في الله ، ونسيت ذلك في ثوراتها وحروبها التي كانت تنشب بين شيعها وأحزابها . ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء لجأوا إلى الاسلام فاعتصموا بأمنه ، واستظلوا بوادعته وطمأنينته وبساطته . » بتلر ٣٨٥ الحمد لله ! هذه شهادة من صميم أهلها ! .

ويعلق على كتابات الاقباط في تلك الفترة بقوله : « وإن هذا القول لا ينم عن قوم يشعرون بأنهم في قيد الذل ، بل ينم عمن يبتهج بالنجاة والخلاص . وقد جاء في غير هذا الموضع من كتاب الكاتب عينه ما يؤيد هذا المعنى ويوافقه . قال على لسان بنيامين « كنت في بلدي وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف وإطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » وقد وصف قومه بأنهم « فرحوا كما يفرح الاسخال إذا ما حلت لهم قيودهم وأطلقوا ليرتشفوا من لبان أمهاتهم » وقد كتب « حنا النقيوسي » بعد الفتح بخمسين عاما ، وهو لا يتورع عن أن يصف الاسلام بأشنع الأوصاف ويتهم من دخلوا فيه بأشد التهم .. ولكنه يقول في عمرو انه « قد تشدد في جباية الضرائب التي وقع الاتفاق عليها ، ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ، ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب . بل انه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر حياته » . ص ٣٨٧ .

ألا تكفي هذه الشهادة من مؤرخ وصفته بأنه كان شديد التعصب ضد الاسلام ؟! .

مازلنا مع بتلر والكذب الذي بلا رجلين ! يقول « لم يكن عجبا من أمر القبط أن يسعوا إلى الايقاع باتباع المذهب الملكاني والاقتصاص منهم ، بعد ما ذاقوه من الروم وبطريقهم قيرس من سوء العذاب . ولكن ما كان عمرو ليبيح لهم مثل هذا الأمر أن دار في خلدهم أن يفعلوه ، فإن عمرا كان في حكمه يسير على نهج الاعتدال والتسامح ، ولم يكن له هوى مع أحد المذهبين الدينيين ، ولدينا كثير من الأدلة على صدق هذا الرأي . فمثلا يذكر ساويرس أن اسقفا ملكانيا بقي على مذهبه حتى مات لم يمسسه أحد بأذى ، وذكر أن بنيامين كان يستميل الناس إلى مذهبه بالبرهان والاقناع . وقد ورد ذكر كثير من كنائس الملكانية بقيت إلى ما بعد ذلك من العصور . وورد ذكر الملكانيين وأن عددا كبيرا منهم كان باقيا في مصر إلى ما بعد الفتح بخمسين عاما » ص ٣٨٨ .

انتهت وشاية المذكور ، وأظن أنه أنقلب رغم أنفه إلى شاهد دفاع ! فهو حزين إلى حد البكاء على هزيمة الروم أمام العرب .. حزين لانضمام الاقباط للمسلمين وعدم مقاتلتهم للمسلمين دفاعا عن حكم بيزنطة .. وهو في تعصبه يفقد المنطقية تماما .. فما الذي يغري الاقباط بالدفاع عن حكم البيزنطيين ، وهم لا من دينهم ولا من قوميتهم .. ! وهو يريد بكتابه إثبات ، أو قل زرع أكذوبة واحدة هى أن الاقباط لم يرحبوا بالفتح الاسلامي .. وقد اثبتنا من كتابه نفسه تهافت ما ادعى .. .

* * *
* *
*

□ هوامش وملاحق ومراجع الفصل الثاني

(١) ص ٣٧٥ بتلر : فتح العرب لمصر .. ترجمة محمد فريد أبو حديد .

نعم تقزم الوعي فقد تعلم جيلنا أن الوحدة الوطنية تجلت في الثورة العرابية التي تكاتف فيها ووقع بياناتها الثورية شيخ الأزهر وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود ، وكان البعض يتطرف في حب الثورة العرابية فيشيد بأنها لم تشر إلى دين الدولة في برنامج الحزب الوطني .. إلخ ، ولكن هاهو أستاذ جامعي لمادة التاريخ يجعلها ثورة دينية طائفية ويبذل الجهد لاثبات عدم اشتراك الاقباط فيها .. وإن وثائق التأييد انتزعها عرابي ، بهذا اللفظ وكأنه المتحدث باسم الاسطول البريطاني ! .

أستاذ التاريخ الدكتور يونان لبيب رزق يبدأ بالاشادة بالخونة الذين تعاونوا مع المحتل الفرنسي يقول : « ولأول مرة في تاريخ مصر الاسلامية اتيح للأقباط الاشتراك في العمل العسكري في صف واحد .. صحيح أن الاقباط ساهموا في هذا العمل ابان السنوات الثلاث للوجود الفرنسي في البلاد من خلال تجربة المعلم يعقوب حنا المعروف بالجنرال يعقوب غير أنها كانت تجربة محدودة وموقوتة . » (الطائفية .. إلى أين ؟ د/ يونان لبيب رزق استاذ التاريخ الحديث / جامعة عين شمس) .

إن من يريد أن يؤرخ بغبطة اشتراك الاقباط في قمع الشعب المصري لحساب الفرنسيين لابد أن يضطر لتجميل التاريخ ، وتخير الألفاظ التي تستر المعاني فيسمى سنوات الاحتلال سنوات الوجود الفرنسي في مصر كأنه كان وجودا لحساب الأمم المتحدة أو بعثة آثار .. والخيانة يسميها تجربة .. يا ويلنا مما يدرسونه لاولادنا .

ومادامت خيانة المعلم يعقوب للوطن اصبحت حادثا قبطيا يشار إليه بالبنان ومادمنا عدلنا الاحتلال إلى الوجود فلابد أن يعدل التاريخ مرة أخرى لنعلن أن الاقباط لم يشتركوا في الثورة العرابية ، وأن السبب هو اسلامية هذه الثورة والمسئول عن هذه الجريمة هو جمال الدين الأفغاني « بكل البصمات التي خلفها على الفكر السياسي المصري والتي اضفت على الثورة العرابية بعض صبغتها مما لم يفسح للأقباط مكانا فيها . وقد استتبع هذه الصبغة أن نظر قادة الثورة للتدخل الأوربي الذي هبوا لمواجهته باعتباره عدوانا على دينهم كما أنه عدوان على وطنهم مما زادهم شكاً في العناصر غير الاسلامية ، ومما زاد الاقباط نأيا عن مجريات الثورة . » (الطائفية .. إلى أين ؟ د/ يونان لبيب رزق) .

وإذا كانت تهمة وجريمة خلقية أن يعتبر المسلمون التدخل الأجنبي عدوانا على دينهم .. !!

فقد شهدت أنهم اعتبروه أيضا عدوانا على وطنهم ، فكيف نفيت عن الاقباط حسهم الوطني لماذا لم يشاركوا المسلمين احساسهم بالعدوان على وطنهم .. لماذا قبل المسلمون أن يحاربوا الخديو الحاكم المسلم بل والسلطان خليفة المسلمين ورفض الاقباط إلا القتال تحت راية الفرنسي وسكتوا والبريطاني يحتل وطنهم .. لأن المدافعين عن هذا الوطن مسلمون ! ألست تنفي بذلك الوطنية عن الاقباط .. .

ألا ان ذلك محض كذب واختلاف وافتراء على وطنية الاقباط .. هل يعقل أن يقول سرجيوس وزعماء الاقباط في سنة ١٩١٩ ، إذا كان ثمن استقلال الوطن موت مليون قبطي فمرحبا ، ويقول أستاذ تاريخ في التسعينيات مثل هذا القول ... أن العرابيين نظروا للانجليز كأعداء لدينهم ومن ثم أنحاز الاقباط للغزاة ؟! بل ان أستاذ التاريخ يعيد تصحيح وقائع التاريخ فيعلم تلاميذه :

« صحيح أن بطريرك الاقباط وعددا من وجهائهم قد وقعوا على قرارت المجالس العرفية التي **انتزعها** عرابى وقيادة الثورة لتدعمه في مواجة الخديو والتحركات الأوربية إلا أن الجميع تنصلوا بعد ذلك من مسئوليتهم عن هذا التوقيع بحجة أنهم كانوا مرغمين عليه » ص ٦٧ .

لقد سئمنا القول بوجود مخطط لتزوير التاريخ لكسر كل أساس لتلاحم العنصرين ووحدة الشعب .

بتلر ينفي تعاون الاقباط مع عمرو بن العاص ضد المحتلين الغاصبين في مصر ، ويونان ينفي تعاون الاقباط مع عرابي في مقاومة المحتلين القادمين على اسطول سيمور وش القملة . حسين أحمد أمين يؤلف حواديت ليثبت أو يروح بها أن المسلمين يذبحون الاقباط بصفة دائمة ! . أما الوثائق الثابتة والموقعة فهي انتزعت بالاكراه والدليل أنهم اعتذروا بذلك بعد أن دخلت قوات الامبراطورية البريطانية وبدأت محاكمات الاستعمار والسراي لكل من قاوم الغزو الامبريالي .. حتى الشيخ الامام سب الثورة العرابية وتنكر لها فماذا لو فعل ذلك قبطي ..

هل هناك واقعة واحدة لاضطهاد أو فتنة ضد قبطي أو بين مسلم وقبطي ... حتى الحادث الذي دبرته المخابرات البريطانية الفاجرة ، لم تجد قبطيا واحدا تستخدمه في الفتنة ولا مصريا على قدر من الثقافة يستجيب لاستفزازها فوقع بين حمار مصري وصعلوك من مالطا .. وهل يمكن لمدرس تاريخ أن يتهم جمال الدين الأفغاني بإفساد الوطنية .. أليس الأفغاني هو من طرح الاسلام كهوية حضارية ، لمواجهة الاستعمار الأوربي وعمل مع جميع الطوائف والأديان (أنظر كتابنا .. ودخلت الخيل الأزهر ..) عيب .. عيب .

(٢) ويقول بتلر :

لم يكن المنوفيسيون فيما بينهم وحدة بل كانوا أحزابا يشهد بذلك ما كان الخلاف بين (تيودوسيوس) الرجل العالم و (جايان) القبطي ونضالهما على ولاية البطرقة اليعقوبية في أوائل القرن السادس وكان كل الرهبان مع (جايان) وقد بزه (تيودوسيوس) فقام بالصلاة في كنيسة (مار مرقص) وقلد الولاية ولكن الناس ثاروا عليه وأنزلوه عن عرشه ولكن ما كاد (جايان) يلي البطرقة حتى تدخلت (تيودور) فى الأمر فأرسلت (نارسيس) لخلعه ويعيد (تيودوسيوس) وأعقبت ذلك ثورة بين الناس ونشب قتال في شوارع الاسكندرية أريقت فيه الدماء واشترك فيه الناس جميعا حتى النساء فكن يرمين بالآجر من أعلى المنازل على رءوس الجنود الغرباء الذين يتقاتلون في الطرق ، وقد ثارت الحرب الأهلية في أيام (جستن) الأول بين حزب كان يعتقد أن جسم المسيح فان يفسد ، وآخر يعتقد أن جسمه باق لا يفنى ولا يفسد . ولما قلد (جستينان) (زويلوس) ولاية الدين ثار الناس وغلبوا جنود الروم فلجأ إلى أن جعل (أبو ليناربوس) واليا للمدينة وبطريقا فى آن واحد فنشأت عن ذلك مذبحة أمر بها المطران من محرابه وهو في سلاحه وعدة حربه فجرت الدماء من المصلين من القبط وقد أنفذ (جستنيان) أمرا يريد به الاصلاح في مصر ولكنه كان أمر سيد مستبد الى رعية من عبيد ويفهم من سياق كتاب (حنا النقيوس) أن حزب (جايان) كان لا يزال موجوداً في وقت كتابة ذلك الكتاب ولكن القبط تركوا تدريجيا عقيدة جايان في أن جسم المسيح لا يفنى ولا يفسد ، وغلب على اعتقادهم رأي (تيودوسيوس) في أن جسمه كجسم البشر . وقد اقتبس (لوكيان) توقيع خطاب كتبه (خيل) وهو البطريق السادس والأربعون وتوقيعه هو '' خيل بمشيئة الله مطران الاسكندرية وطائفة التيودوسيين '' وهذا يكون في القرن الثامن للميلاد وتوقيعات الكتب القبطية في القرن السابع كانت على هذه الصورة عينها ويقول (ساويرس) إن القبط هم التيودوسيون . ص ٢٧ .

(٣) ولعل هذا يثبت تزييف من يؤرخون بالفتح العربي ، خروج الاقباط من الحكم أو زوال دولتهم ! وما كنا نظن أنه سيأتي يوم نحتاج فيه لتفنيد مثل هذا الزعم المتهافت ! .

(٤) أبو الفرج (١٢٢٦ ـــ ١٢٨٦) ـــ ويسمى كذلك ابن العبري نظرا لأنه من أصل اسرائيلي ، وقد ولد في ملطية بأرمينيا وهو معروف بكتابه '' تاريخ الدول '' الذي نشره « بوكوك » مع ترجمة لاتينية وهذا التاريخ مكتوب باللغة العربية . ص ٣٢ .

* * *

* *

*

الفصل الثالث

وجهة نظر مسلمة .....

ما قرأت كتابا صحيح المقدمة فاسد النتيجة مثل كتاب الأستاذ جمال بدوي .. « الفتنة الطائفية في مصر » ... ومع ذلك يتميز هذا الكتاب باعتماده على المراجع وإنه ربما كان الوحيد الذي حاول أن يعرض القضية من وجهة نظر المسلمين .. .

ففي السرد الذي قدمه لأحداث الفتنة سنلاحظ ، ما أشرنا إليه عن التزامن بين المواجهة المصرية ـــ الاسرائيلية وتصاعد الفتنة . فالمؤلف ـــ وإن لم يشر هو لهذا التزامن ـــ يرجع بدايتها إلى نشاط تبشيري قام به بعض القساوسة في مدينة الاسكندرية عام ١٩٧٠ ولكنه تفجر بعد عامين في ١٩٧٢ وبيد خفية ـــ وفي رأينا ـــ بعدما تبين أن السادات يعد فعلا للحرب ..

يقول :

« في خلال عام ١٩٧٠ وقع بالاسكندرية حادث فردي خاص باعتناق شابين من المسلمين للمسيحية تحت تأثير ظروف مختلفة ، وقد سرت أخبار ذلك بين الناس ، وكانت موضع تعليق ونقد بعض أئمة المساجد استنكاراً للنشاط التبشيري . وقد اعد وكيل مديرية الأوقاف بالاسكندرية تقريرا عن الحادث حدد فيه الأخطار التي تهدد بعض الشباب نتيجة حملات تبشير نسبت إلى بعض القسس . وكان هذا التقرير داخليا ـــ غير قابل للنشر ـــ ولكن الذي حدث أنه في عام ١٩٧٢ ـــ أي بعد سنتين من تقديم التقرير ـــ امتدت يد خبيثة إلى صورة من التقرير وقامت بنسخة على « الاستنسل » وتوزيعه على نطاق واسع . وقد تضمن التقرير بعض الأمور المنسوبة إلى بعض رجال الدين الاقباط ، والتى من شأنها أن تثير استفزاز

من يطلع عليها من المسلمين وأن تحمله على تصديق أمور لم يقم أي دليل على نسبتها إليهم ، وبعضها بعيد عن التصديق ، مما حمل بعض ائمة المساجد على أن يتناولوها في خطبهم بالتنديد الشديد ، الأمر الذي نتج عنه بذر بذور الشك بين المسلمين والاقباط . » .

« ويبدو أن لعبة التقارير السرية الرسمية قد صادفت نجاحا جعل مخترعيها يكررونها ففي « أواخر مارس ١٩٧٢ تناقل الناس تقريرا آخر وصف بأنه تقرير وضعته جهات الأمن الرسمية عن اجتماع البابا في ١٥ مارس بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ، وقد صيغ هذا التقرير على نحو يوحي بصحته كتقرير رسمي . وتضمن اقوالا نسبت إلى البابا في هذا الاجتماع ، ورغم أن هذا التقرير كان ظاهر الاصطناع ، فقد تناقله الناس على انه حقيقة ، مما ولد اعتقادا خاطئا بأن هناك مخططا لدى الكنيسة القبطية يهدف إلى « أن يتساوى المسيحيون في العدد مع المسلمين واثراء الاقباط حتى تعود البلاد إلى اصحابها المسيحيين من ايدى الغزاة المسلمين كما عادت اسبانيا إلى النصرانية بعد استعمار إسلامي دام ثمانية قرون »[1] .

وفي هذا الكتاب الذي يعتبر — للدهشة — العرض الوحيد لأزمة السادات مع البابا من وجهة نظر مسلمة يلاحظ المؤلف أنه : « رغم خطورة هذا المنشور المصطنع وأثره على نفسية بعض المسلمين الذين يطلعون عليه ، فلم يتخذ إجراء حاسم لتنبيه الناس إلى إفكه . وقد استغل بعض المتطرفين هذا التقرير فراحوا يوزعونه مع تعليق فيه إثارة وحض على الكراهية . وقد أحدث رد فعل كان اسوأ مظاهره إن عقد بعض رجال الدين المسيحي مؤتمرا بالاسكندرية يومي ١٧و١٨ يوليو ١٩٧٢ واتخذوا فيه قرارات ابرقوا بها إلى الجهات المسئولة ومجلس الشعب وكلها تدور حول المطالبة بما سموه « حماية حقوقهم وعقيدتهم المسيحية .. وإنه بدون ذلك سيكون الاستشهاد أفضل من حياة ذليلة . » ويصف تقرير اللجنة هذا الموقف بأنه كان موضع استياء عام من كافة الطوائف المسيحية نفسها . »[2]

ونلاحظ الآتي :

لو أن السادات لم يحارب في أكتوبر ١٩٧٣ لأمكن تصديق بغايا الفكر الناصري بأنه هو الذي كان يلعب ورقة الطائفية ، ولكن السادات حارب بل وأهم حرب في تاريخ الصراع العربي ـــ الاسرائيلي .. وأكثرها إعدادا من الجانب العربي .. وهذا يعني أن السادات كان في ذلك الوقت مشغولا لشوشته في الإعداد لهذه الحرب .. والتي ـــ ان صح التعبير ـــ كان يقامر عليها بتاريخه وحياته ، وآخر ما يفكر فيه هو إحداث فتنة واشعال النار في مؤخرته هو ، مهما يكن سوء رأينا فيه : إن اتهام حاكم يعد للحرب مع إسرائيل بأنه يدبر الفتنة الطائفية في بلده . هو فجور لا تجرؤ عليه إلا بغايا السياسة ، أو عملاء فاجرون يريدون إخفاء الفاعل الحقيقى .

فالفتنة .. طباعة المنشورات وتوزيعها والاثارة حولها .. ثم الاستجابة الاستفزازية بعقد الاجتماع الذي كان موضع استياء الطوائف المسيحية ذاتها (لأننا كنا ما نزال في البداية ، حيث يعمل الواعون لجر الفئات العريضة البريئة ، ولم تكن الفتنة قد سممت هذه الفئات بعد .. ولا أرهبتهم ، ومن ثم كان بوسعهم المعارضة . ما حدث كان من صنع اليد الثالثة التي جاءها الدعم بحملة اليد الرابعة في المهجر ..) وأجهزة الأمن لم تحرك ساكنا وأظن أن اغتيال السادات وما جرى في عهده يؤكد الآن أن أجهزة أمنه كانت مغزوة من الداخل ، وقد قلنا أن أجهزة الأمن قد تشكلت خلال سبعة عشر عاما على منهاج ومسلكية متناقضة مع ما كان يحاوله السادات ، فمن الطبيعي أو من الممكن جدا أن تتحرك عناصرها أو لا تتحرك بما يخدم هدفها في الاطاحة « بالثورة المضادة » كما كانوا يسمون عهد السادات[٣] أما عن الأصابع الأجنبية فقد شهد بوب وود وارد في كتاب المخبي أن المخابرات الأمريكية « متغلغلة في الدولة المصرية من قمة الرأس حتى القدم » بنص تعبيره . ومن ثم فمن الطبيعي جدا أن لا يتخذ أي إجراء لسحق الفتنة أو إبطال مفعول التقرير المزعوم .. وكل هذه القوى كانت تعمل لتكسيح السادات لكي لا يغامر بالحرب .

وقد حاول السادات مواجهة هذه الفتنة ، دون أن يعي بالضبط حقيقة أبعادها ، ومن خلال المؤسسات والتشريعات فطرح الأمر على الاتحاد الاشتراكي وأصدر قانون حماية الوحدة الوطنية في أغسطس ١٩٧٢ وكان أول تفجير مباشر هو ما يعرف بحادثة الخانكة نوفمبر ١٩٧٢ '' أي قبل الحرب بأحد عشر شهرا ، إنه تكتيك متفوق ذلك الذي جعل السادات يحارب في جبهتين ، جبهة الاعداد للعبور ، وجبهة الخانكة .

وحادث الخانكة « هو الحادث الذي دفع مجلس الشعب إلى تشكيل لجنة برلمانية تضم مسلمين واقباطا للبحث في مسببات الفتنة الطائفية » .

والمؤلم أن الكتاب من ذوي الميول يتعامون عن هذه الحوادث البالغة الدلالة في وجود يد ثالثة مصممة ومجهزة لاحداث الفتنة ، وبدلا من أن نواجه هذه القضية بوضوح وحسم يضع كل فرد أو هيئة في مكانها عن وعي .. نراهم يدبجون التحاليل عن الجزية وموقف المقوقس والمعلم يعقوب ونسبة الوظائف وتمثيل الاقباط في مجلس الثورة والطعن في الثالوث .. إلخ ، ويتطوع سفير مصري فيقول : ليس للاستعمار يد وإنما هو هكذا تاريخ المصريين منذ البداية ! والهدف الحقيقي هو تغطية اليد الثالثة والزعم أن الفتنة ظاهرة طبيعية نتيجة وجود أغلبية مسلمة وأقلية مسيحية .. !!(٤) .

والغريب أن كتاب البابا والسادات يحاول التقليل من حادثة الخانكة لخطورة ارتباطها بالاعداد لحرب أكتوبر .. ولا نرى مصلحة في ذلك فنحن حاشا أن نتهم البابا أو قيادة الكنيسة القبطية بالمساهمة عن وعي في تخريب المجهود الحربي في مواجهة إسرائيل ولكن الذين يحركون الفتنة كانوا يدركون إتجاهات السادات أو على الأقل يحاولون سد الاختيار العسكري عليه .. وبالطبع لا يمكن أن يحارب من تهدده فتنة طائفية خلف ظهره ، ولكن السادات لعب بالبيضة والحجر ودفع كل ما يمكن أن يدفعه وطني من كرامته وهيبته كرئيس لتبريد الفتنة لينجز المهمة التي وهب نفسه لها وهي مواجهة إسرائيل وانتزاع مكاسب ١٩٦٧ منها .. .

ولذا نتوقف هنا عند حادثة الخانكة فإن دراستها تلقي الضوء على اليد الثالثة وأسلوبها ولعبة السباق لبناء الكنائس وتوقيت تحريك الفتنة .. والاستجابة الفورية لكل استفزاز :

« وفي يوم الأثنين ٦ نوفمبر ١٩٧٢ وهو يصادف عيد الفطر المبارك وضع مجهولون النار في دار جمعية الكتاب المقدس التي كان يتخذها أهالي مركز الخانكة من الاقباط كنيسة بدون ترخيص لاقامة الشعائر الدينية ، وفي يوم الأحد التالي ١٢ نوفمبر وفد إلى الخانكة عدد كبير من القساوسة قدموا إليها بالسيارات ومعهم بعض المواطنين من الاقباط حيث ساروا إلى مقر الجمعية المحترق وأقاموا شعائر الصلاة فيها ، وفي المساء تجمع عدد كبير من المواطنين في مسجد السلطان الاشرف وخرجوا في مسيرة احتجاج وخلال ذلك نسب إلى أحد الاقباط أنه أطلق أعيرة نارية في الهواء على رءوس المتظاهرين من مسدس مرخص ، فتوجه بعض المتظاهرين إلى مسكن هذا الشخص وإلى أماكن أخرى للاقباط ، وقاموا بوضع النار فيها وإتلافها دون أن تقع إصابات (٥) » .

ومرة أخرى حاول السادات مواجهة الفتنة بأسلوب متحضر فأمر بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية .. وتبين للجنة التحقيق البرلمانية الآتي :

« الجمعية التي وقع عليها الاعتداء مشكلة من عام ١٩٤٦ .. وفي عام ١٩٧١ باع المحامي أحمد عزمي قطعة أرض إلى أحد الأشخاص الذي باعها بدوره إلى شخص آخر حتى انتهت ملكيتها إلى الأنبا مكسيموس مطران القليوبية . وكان الظن أنها ستبنى مقرا للجمعية ، وقد سورت فعلا وألحقت بها حجرات نقلت إليها الجمعية . غير أنه في مطلع صيف ١٩٧٢ أقيم فيها مذبح للصلاة .. وتولى القس مرقس فرج وهو راعي كنيسة أبو زعبل التي تبعد قرابة ثلاثة كيلو مترات من الخانكة إقامة الشعائر الدينية فيها أيام الجمع . ’’ وتدخلت السلطات لأنها كنيسة بدون ترخيص » وحصلت على تعهد من رئيس الجمعية ‘‘ بمنع التعدي إلا إذا حصل على ترخيص » .

وقد ثبت أن هناك سياسة عامة مدعومة ودؤوبة لبناء الكنائس بدون ترخيص

إذ : '' تبينت اللجنة أن عددها يبلغ ١٤٤٢ كنيسة ، ولكن البيانات التي أفادت وزارة الداخلية عن عدد الكنائس الجديدة المسجلة لديها يدل على أنهما خمسمائة كنيسة منها ٢٨٦ كنيسة قبطية ، ويدل الخلاف في الرقمين إلى أن بعضها قد بني بدون قرار جمهوري ، وقد تبين أيضا أن مجموع الكنائس التي صدرت بشأنها تراخيص خلال الستينيات يبلغ ١٢٧ كنيسة منها ٦٨ كنيسة للاقباط '' .

« وجاء في تقرير لجنة التحقيق أن مدينة الخانكة بها ٣٦ أسرة مسيحية فقط ، بينما ظل مسيحي رئيسا لمجلس المدينة ــ ــ التي تضم ٢١٨٦٣ نسمة ــ لمدة ١٢ سنة .. وأن نسبة الموظفين المسيحيين تزيد على الستين بالمائة في قطاعي الصحة ، والصحة النفسية . ونسبة الموظفين المسيحيين إلى مجموع الموظفين في المركز هي ١٣ ٪ بينما نسبة المسيحيين في المدينة وهي عادة مركز تجمعهم أقل من ثلاثة بالمائة . »[٦]

هذا هو الواقع وهذه هي الأرقام ، ولم تقع فتنة ولا غضب المسلمون .. ولا انتبه أحد لهذه الظاهرة التي لا تحدث لا في الولايات المتحدة ولا في الاتحاد السوفييتي ولا نقول إيرلندا الشمالية والجنوبية .. .

وأيضا كشفت الوقائع وجود مخطط لنشر الكنائس رغم أنف القانون والسلطان ، بدليل عملية نقل الملكية لتقع في النهاية في ملكية القسيس الذي بدوره يحولها بوضع اليد إلى كنيسة .. ودون أي احترام للقانون وهو الذي يفترض فيه أن يكون أحرص الناس على سيادة القانون ومتى ؟ .. في مطلع صيف ١٩٧٢ والدولة مشغولة بالبحث عن مخرج من ورطة ١٩٦٧ ولا ندري ما أهمية أن توجد كنيسة كل ثلاثة كيلو مترات .. وكما قال التقرير أن الأهالي المسلمين الذين لا يستطيعون بناء منزل أو مستشفى بدون ترخيص ساءهم أن تقام كنيسة جديدة لست وثلاثين أسرة .. ولكن ليس لدرجة الاحتجاج وإن كان قد ظهرت حركة تبرعات لبناء '' مسجد شديد القرب من موقع الكنيسة غير المرخصة ليناطحها .. واللعبة معروفة ؛ اليد الثالثة تهمس للمسيحيين بإقامة الصلوات في أي مكان وبذلك

يكتسب المكان حصانة ضد السلطة ، ويمكن بعد ذلك تحويله إلى كنيسة ، وتهرع نفس اليد إلى دهماء المسلمين فتقول النصارى يصلون هناك لتحويلها إلى كنيسة بدون ترخيص ، ولم يكن ذلك أيضا كافيا أو قل أن مدبر الفتنة لم يكن لديه الصبر لانتظار المناطحة أو المصالحة .. كان لابد من مفجر أقوى بعد أن فشل استفزاز زرع الكنيسة .. وكان أن وضع المجهولون ، المعروفون جدا ، النار في الجمعية الساعية لأن تكون كنيسة .. ومرة أخرى متى ؟! في نوفمبر ١٩٧٢ وقد بدأ العد التنازلي لأخطر قرار في تاريخ مصر الحديثة .. وكان التصرف الطبيعي أو حتى الغريزي هو إعلان أن الحريق مجرد مؤامرة لاحداث الفتنة وأنه ليس من حق أحد أن يقيم من نفسه محققا فيفترض أن هذا المجهول مسلم .. ولكن القيادات الدينية التي يفترض فيها أن تكون آخر من يتحرك في الفتن وآخر من يتبع الغوغاء فضلا عن أن يحرضهم .. والتي يفترض فيها ألا تتحرك إلا بموافقة أعلى سلطة في الكنيسة ، سرعان ما هرولت في ليل الفتنة : مائة قسيس .. ! بثيابهم وصلبانهم .. اقتحموا المدينة رغم أنف البوليس ورغم اعتراضه أو بتواطؤ منه .. لا يستبعد !! .

في « موكب طويل مرددين التراتيل الدينية .. حتى وصلوا إلى مقر الجمعية فثبتوا مكبرات الصوت وأقاموا القداس مرتين .. وقد نسب إلى بعض الغلاة منهم تفوههم بعبارات غليظة في الاحتجاج على حادث الحريق وتصويره على أنه عداء طائفي لم تتخذ الدولة حياله الاجراءات المناسبة . »(٧) .

وهكذا تم تحدي المسلمين في عقر دارهم ــ كما لاشك ترجم الموقف صناع الفتنة ــ ويصلون مرتين في مكان الحريق .. وهات يا تصوير وصراخ في الداخل والخارج .. ووقع ما كان الصبية وليس القادة يتوقعونه . حرض من حرض الدهماء من المسلمين على الثأر للشرف والكرامة والدين فكان ما كان .

كانت الحادثة مؤشرا هاما عجزت السلطة عن فهم دلالاته ، أو قل كانت في شغل عن الاستيعاب والمواجهة باعدادها الحرب . ورفضت القوى السياسية الفهم

تحت تأثير حساباتها الخاصة وعداوتها .. فقد كان رد الفعل المصري دائما في مواجهة مثل هذه الأحداث هو محاولة تطويقها ورفض تصعيدها ، وذلك بتجنب إدخال الأكليروس أو رجال الدين المسلمين كطرف فيها . بل بالعكس مسارعة هؤلاء للتلاقي والتعانق وتبريد الموقف .. إلا في حادثة الخانكة وما تلاها .. فقد فوجئت البلاد بموقف مسبق معد ومتحرق شوقا في انتظار الفرصة للخروج بالمواجهة إلى الشارع وباسم الكنيسة وبرجال الكنيسة وبالزي الكنسي وبحشود وسيارات وميكروفونات .. لقد كشف الجهاز عن وجوده وعن استعداداته ورغبته في تفجير الموقف وخوض المعركة .. وبذلك يمكن أن نؤرخ بهذا الحادث ، بداية الفتنة الحقيقية في تاريخ مصر . هذا ما فات الجميع التنبه له أو ما فضلوا ولا زالوا تجاهله رعبا من التفكير فيه فضلا عن مواجهته .. وربما يقول المؤرخ ، إن بعض عناصر السلطة ــ في ذلك الوقت ــ كانوا ضالعين في مخطط تكسيح مصر ومنع السادات من الحرب ، ثم من كسب معركة السلام .

ولذلك نحن لا نستطيع قبول تفسير البابا بأن حادث الخانكة بما أنه ــ ومن وجهة نظره ــ عدوان على المسيحيين ، فليس فتنه .. قال غبطته كما نقل مؤلف البابا والسادات :

« كذلك قال السادات : إن الفتنة من ٧٢ إلى ٧٨ .. أريد أن أسأل ما هي فتنة ٧٢ .. مالذي حدث من فتنة .. حرق كنيسة الخانكة . هل كان إعتداء من الاقباط أم إعتداء على الاقباط .. إذن ما هي نواحي الفتنة ؟!! [٨]

وقد تناول تقرير اللجنة ، المشكلة الأساسية التي تصدر منها معظم نيران الفتنة وهي عمليات التبشير بين المسلمين .. استخدام شتى الوسائل لغواية بعض المسلمين والمسلمات لتغيير دينهم .. وما ينتج عن ذلك من إثارة وفتن . وياليت الدولة والجهات المعنية اهتمت بما جاء في لجنة التحقيق البرلمانية التي يفترض فيها تمثيل مصر كلها .. وياليت الذين طرحوا قانون الردة وفشلوا في توضيحه أو الدفاع عنه استندوا إلى تقرير اللجنة البرلمانية الذي جاء فيه :

'' إن بعض الجمعيات (المسيحية) ينسب إليها القيام بنشاط تبشيري سواء بالنسبة للمسلمين أو حتى داخل نطاق المذاهب المختلفة في المسيحية بينما أن رسالة التبشير يجب أن توجه إلى أفريقيا والعالم الخارجي ، لا إلى المواطنين في مصر الذي يجب أن نحمي حريتهم وعقيدتهم الدينية من أي تأثير مصطنع ، وكل هذا قد حدا اللجنة إلى أن تسترعي النظر إلى مكامن الخطر من تزايد عدد هذه الجمعيات العاملة في نفس الميدان والتي يجب أن يتوافر في القائمين عليها إدراك سليم لأحكام الدين ونظرة متسامحة إلى العقائد الأخرى ، وبعد عن التعصب الذميم وإنصراف أساسي إلى التربية الخلقية والوطنية » .[٩]

« وقد تبينت اللجنة البرلمانية من المعلومات التي طلبتها من وزارة الشئون الاجتماعية أن نسبة الجمعيات القبطية هي ٤٠ ٪ من مجموع عدد الجمعيات الدينية ، (وهذه الجمعيات القبطية الارثوذكسية فقط ج) وإذا أضفنا إلى هذا التوسع الأفقي ، أثر المساعدات المالية الضخمة التي تتلقاها من أبناء الطائفة القبطية ــ بحكم ثرائها التقليدي ــ لأدركنا حجم النشاط الذي تقوم به ، حجم الامكانات المتاحة لها مما أدى إلى إثارة المخاوف في الشارع الاسلامي ، والتساؤل عن مغزى هذا النشاط وأهدافه البعيدة . وقد تمثل المد المسيحي العلني في ظاهرتين كان لهما ردود فعل معاكسة لدى الجانب الاسلامي ، وهما :

ــ إغراق السوق بالكتب و المطبوعات و النشرات التي تمس العقيدة الاسلامية .

ــ النشاط المحموم في بناء الكنائس بأعداد تزيد عن الحاجة الحقيقية إليها »[١٠] .

وفي حديث بناء الكنائس نسمع دائما صيحات قرار همايوني .. ولاشك في الأثر المرعب الذي تحدثه كلمة همايوني .. فيظهر لنا الباشا التركي بشواربه وهو يتعشى بطفل مسيحي ، فوق المذبح .. ويدق البعض على صدورهم قائلين : أما زال بناء الكنائس محكوما بفرامانات عثمانية ؟! وبالطبع كان مهيجو الفتنة حريصين

كل الحرص على ألا ينشر هذا القرار الهمايوني أو المراسيم التي نظمت بناء الكنائس .. و التي لم تصدر إلا لحماية الأقليات من بأس بعضها ومنع الاستفزازات التي تضر بالوحدة الوطنية و التي يمكن أن تعود بأخطار وبيلة على بعض هذه الأقليات .. وقد أحسن جمال بدوي صنعا بإيراد نص المرسوم (وعله أول من أعاد نشره في حديث الفتنة المعاصر) ومنه يتضح أنه قصد منع المشاحنات التي كانت أساسا بين الطوائف المسيحية وخير شاهد على ذلك ما يقع في القدس بين هذه الطوائف إذا نقلت طائفة أيقونة من موضعها ، أو حاولت أن تمتد بوصة واحدة خارج حدودها التاريخية . فالمرسوم الهمايوني أو الخط الهمايوني (١١) الصادر من الباب العالي في ٦ فبراير ١٨٥٦ كان فعلا كما قال جمال بدوي هو '' لتأمين حقوق الطوائف غير الاسلامية '' فقد أباح بناء وترميم الكنائس وغيرها من دور العبادة للطوائف أو مستشفياتها .. الخ بلا قيد ولا شرط في المناطق التي يسود فيها مذهب واحد .. واستخدام لفظة مذهب أو مذاهب دليل أن موضوع القانون كان صراع المذاهب المسيحية مع بعضها وليس بينها وبين المسلمين .. لذلك اشترط الخط الهمايوني تدخل الدولة ، لضمان منع تقاتلها ، إذ يصبح البناء المطلوب صادرا بفرمان سلطاني ومكفول الحماية بقوة الدولة فلا يتعرض لمضايقات المذاهب الأخرى ولكن في زمن البغي والافتراء الذي نعيش فيه تحول الخط الهمايوني وكأنه صادر لمنع كنيسة الخانكة !! يقول الخط المذكور :

'' ولا ينبغي أن تقع موانع في تعمير وترميم الأبنية المختصة بإجراء العبادات في المدن و القصبات و القرى التي جميع أهاليها من مذهب واحد ، ولا في باقي محلاتها كالمكاتب و المستشفيات و المقابر حتى هيئتها الأصلية ، لكن إذا لزم تجديد محلات نظير هذه فيلزم ، عندما يستصوبها البطرك أو رؤساء الملة أن تعرض صورة رسمها وإنشائها إلى بابنا العالي لكي تقبل تلك الصورة المعروضة ويجري اقتضاؤها على موجب تعلق إرادتي السنية الملوكانية أو تتبين الاعتراضات التي ترد في ذلك الباب بظرف مدة معينة ، وإذا وجد في محل جماعة أهل مذهب واحد منفردين يعني غير مختلطين بغيرهم ، فلا يقيدوا بنوع ما من إجراء الخصومات

المتعلقة بالعبادة في ذلك الموضوع ظاهرا وعلنا ، أما في المدن والقصبات والقرى التي تكون أهاليها مركبة من جماعات مختلفة الأديان فتكون كل جماعة مقتدرة على تعمير وترميم كنائسها ، ومستشفياتها ومكاتبها ومقابرها إتباعا للأصول السابق ذكرها في المحلة التي تسكنها على حدتها ، لكن متى لزمها أبنية يقتضي إنشاؤها جديدا يلزم أن يستدعي بطاركتها أو جماعة مطارنتها الرخصة اللازمة من جانب بابنا العالي ، فتصدر رخصتنا السنية عندما لا توجد في ذلك موانع ملكية من طرف دولتنا العلية والمعاملات التي تتوقع من طرف الحكومة في مثل هذه الأشغال لا يؤخذ عنها شيء ،،[١٢] .

لقد كان من أبرز إنجازات حضارتنا ودولتنا الاسلامية حماية الطوائف والأديان غير الاسلامية من الفتك ببعضها البعض .. نحن حمينا اليهود من تنكيل المسيحيين .. ونحن حررنا الاقباط من إضطهاد وعسف الملكانيين ، ومنعنا الاقباط من التنكيل بدورهم بالملكانيين ، بعد زوال الدولة البيزنطية .

ثم هل مطلب إباحة بناء الكنائس بلا قيد ولا شرط لصالح كنيستنا الوطنية ؟ لا الوقائع ولا المنطق يؤيد ذلك ، بل لو تخلت الدولة عن موقفها فإن المذاهب المدعومة بثروة هائلة من الخارج لن تترك شبرا تقام عليه كنيسة قبطية .. وليس هذا تهيؤات ولا تخويفات بل هذه هي الأرقام الرسمية : « لكن البيانات التي أفادت وزارة الداخلية عن عدد الكنائس الجديدة المسجلة لديها يدل على أنهما خمسمائة كنيسة منها ٢٨٦ كنيسة قبطية ، ويدل الخلاف في الرقمين إلى أن بعضها قد بني بدون قرار جمهوري ، وقد تبين أيضا أن مجموع الكنائس التي صدرت بشأنها تراخيص خلال الستينيات يبلغ ١٢٧ كنيسة منها ٦٨ كنيسة للأقباط . » أي أن نسبة تقرب من النصف هي للمذاهب المسيحية الوافدة غير القبطية .. إن القيود المفروضة على بناء الكنائس هي بالدرجة الأولى لحماية الكنيسة الوطنية .. وأعلى الأصوات إحتجاجاً على هذه القيود ليسوا من الاقباط !

كذلك لا يمكن أن يكون حسن النية من يطالب السلطة بمعاملة كل مكان

أُديت فيه الصلاة معاملة الكنيسة لأن ذلك يعني أن كل من بني طابقا مخالفا يكفيه أن يخصص قاعة بها ، ويستدعي قسيسا من أى طائفة لإقامة قداس كنيسة يستحيل هدمها !. الكنيسة هي ما صدر ترخيص ببنائها ككنيسة .. وليست أي مكان أقيم فيه القداس .. القانون للجميع ويفترض فيه أنه يحمي مصالح الجميع فإن لم يكن ، فالسبيل إلى تغييره هو عبر القنوات الشرعية .

وردا على رفض قانون الردة الذي ورد في مطلب المؤتمر :
'' أولاً : حرية العقيدة : نطالب بتوفير كافة ضماناتها بالنسبة للمسيحيين ، وإلغاء جميع الأوضاع والتوجيهات والتعليمات الحكومية والفتاوي التي تقيد هذه الحرية المقدسة ، خصوصا بالنسبة لعودة المسيحي إلى ديانته الأصلية مما يوصف وصفا خاطئاً بأنه من قبيل الردة عن الاسلام '' .

ولا يحتاج المرء إلا للحس السليم ليعرف من الذي يطرح الأمر طرحا خاطئا ، فالمسيحي الذي أسلم ، بعد أن اجتمع بالقسيس ونصحه القس ونبهه وحذره ثم امتحن أمام الشيخ وأعلن بملء اختياره إعتناقه للاسلام ، وهو عاقل بالغ رشيد .. لا يمكن أن يعتبر بعد ذلك إلا مسلما .. و بالتالي فلو شاء أن يخرج من الاسلام فهو مرتد .. فأين الطرح الخطأ .. ومع ذلك فقد قلنا لو أن معارضي قانون الردة طلبوا المساواة بمعنى منع المسلم والقبطي من تغيير دينهما تحت تأثير خارجي أو بالتبشير أو للحصول على منفعة مباشرة .. لأمكن تصديق حسن نيتهم حتى ولو اختلفنا على المطلوب .. إلا أن مؤلف كتاب الفتنة الطائفية في مصر ينبه إلى أن :
« الاسلام يرحب بمن يريد أن يدخل فيه ، ولكنه لا يسمح بالردة عنه منعا للتلاعب بالعقائد والأديان ، ولاشك أن عقوبة الردة تشكل تحذيرا مسبقا لمن يريد أن يستغل الاسلام لتحقيق أغراض خاصة ــ كالزواج والطلاق ــ وهي حكمة خفيت على رجال الكنيسة ، فتسرعوا بمعارضة قانون الردة »[١٣] .

هذا صحيح فلو عرف المسيحي أنه باعتناق الاسلام يتحمل كل النتائج المترتبة على ذلك ويستحيل عليه الرجوع في قراره لأنه سيواجه عقوبة الاعدام .. عندها

سيفكر ألف مرة قبل أن يتخذ قراره .. ولاختفت تماما ظاهرة التنقل بين الأديان لمجرد التخلص من زوجة أو من حكم نفقة ، ولن يقدم على اعتناق الاسلام إلا من فكر ودرس واختار بصفة نهائية .

ولكن الحكمة لم تفت على أحد .. والدليل على أن المطلب مطروح أساسا لحماية النشاط التبشيري لتنصير المسلمين .. الدليل أن المعارضين لقانون الردة بحجة أنه يمنع المسيحي الذي اعتنق الدين الاسلامي هروبا من أسرته يمنعه من العودة للمسيحية .. الدليل أن نفس المعارضين تقدموا بهذا المطلب : '' سرعة إصدار التعديل التشريعي اللازم للقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بما يقرر صراحة وجوب تطبيق شريعة العقد الذي انعقد بين زوجين مسيحيين على كافة آثار الزوجية بما فيها حضانة الأولاد دون اعتداد بتغير الدين أو الملة بعد العقد ، وذلك حماية للأسرة وقضاء على التلاعب بالأديان '' .

وما دام هذا المطلب مطروحا .. فما الحاجة للاستشهاد من أجل حق تنصير المسلم .. ؟!

وبشأن مسألة اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع قال بيان المؤتمر (القبطي ١٩٧٧ مجمع الأباء الكهنة وممثلي الشعب القبطي بالاسكندرية الذي عقد تحت رعاية البابا شنودة الثالث) أنه ما دام الأمر متعلقا بتطبيق الأحكام الواردة في القرآن وسنة نبي الاسلام ، فلا يتأتى أن يلزم بهذا التطبيق غير المسلمين ، وإن إلزام غير المسلمين بعقيدة الاسلام يتعارض مع أقدس حقوق الانسان وأولى حريات المواطن المصري في الدستور الدائم وهي حرية العقيدة . بل وتأبى هذا تعاليم الاسلام ذاته حيث « لا إكراه في الدين » .

« رفض تطبيق الشريعة على المسيحيين في مصر .. وإن أي محاولة في هذا الشأن للالزام الجبري تحت ستار التشريع أو القوانين الجزائية إنها تنطوي على إكراه المسيحيين على عقيدة أخرى مما يجافي مجافاة صارخة أقدس حقوق الانسان في حرية العقيدة »[١٤] .

والمطلب بهذا الصيغة تلفيق وتزوير واستفزاز صارخ ولا علاقة له لا بالحرية ولا بحقوق الأقلية أو الأغلبية .. فكون مصدر الرفض هو مجرد كونها أحكاما واردة في القرآن أو من سنة الرسول ، هو رفض تعسفي لا مبرر له لأننا قبلنا أحكاما صادرة من دول مسيحية ومن دول شيوعية ومن دول مجوسية .. فلماذا القرآن ونبي الاسلام وحدهما .. يطيب الاستشهاد ضد أحكامهما .. ؟! وأين هو الحكم الوارد في الشريعة المستمد من عقيدة الاسلام والذي يمس عقيدة المسيحي أو يشكل إهداراً لحقوقه أو إكراها له في الدين .. نريد أن يتقدم لنا شخص واحد بمثال بدلا من إثارة العامة ، حول الخيال والأكاذيب . كيف يمكن الثقة في بيان يصدر من هيئة عالية الثقافة بشهادة الجميع يتحدث عن أحكام « الشريعة » فيزعم انها إكراه المسيحيين على عقيدة أخرى !! هل أصبحنا لا نعرف الفرق بين الأحكام والعقائد .. هل تطبيق الشريعة سيجبر المسيحي على التخلي عن عقيدة أن الله ثلاثة .. ليؤمن بأن الله واحد !

لقد ناقشنا هذه القضايا في أماكن أخرى فارجع إليها .. وكل تشريع ، يصدر عن المؤسسات القومية يخضع له مجموع الشعب بلا استثناء ما دام لا يمس نصا صريحا في العقيدة الدينية . ورحم الله الكاتب القبطي الشريف المغفور له سامي داود ، الذي رفض الدعوة ، المشبوهة لقصر أحكام الشريعة على المسلمين ، وقال إن هذا القول ينسف فكرة المواطنة ، وإن الاقباط قبلوا أن يحكموا بقوانين المواريث الاسلامية منذ مئات السنين ولم يحسوا بغبن في ذلك .. وأهم من ذلك أنه ليست هناك تشريعات مسيحية حتى يقال أن المسيحي يجبر على التخلي عنها لصالح التشريع الاسلامي .. ما هي عقوبة الزنا في المسيحية .. ما هي عقوبة السرقة .. ؟ هل يريد المسيحي ألا يعاقب على هذه الجرائم ؟ وما الفرق ان أقرت الأغلبية التشريعية في وطنه عقوبة الحبس أو القطع .. هل لمجرد أن الأولى جاءت من فرنسا ، فهي تشريعات شرعية ومقبولة ولا تمس العقيدة ؟! والثانية مرفوضة لأنها ترضي مواطنيه المسلمين ؟! وما الفرق بين معاقبة الزاني بالجلد أو السجن ، حتى يثور أوغاد استراليا ويطلبون الاستشهاد لمنع عقوبة الزنا الاسلامية بحجة أن

المسيح رفض أن ترجم الزانية ؟ ! إن كان المسيح ــ في تفسيرهم هذا ــ أسقط عقوبة الزنا والزناة فكان عليهم أن يرفضوا معاقبة الزناة أصلا لا الاستشهاد ضد العقوبة الاسلامية وحدها ولكانت عقوبة الحبس التي يقرها القانون المصري حاليا تعد عدوانا على عقيدة المسيحي وحريته في ارتكاب الزنا .. وإن كان حديث المسيح ــ كما نفهمه ــ لا ينفي العقوبة ، وإنما أراد أن يكون الذين يعاقبون أطهر من المعاقب فلا عدوان على عقيدة أحد مهما كانت العقوبة (١٥) .

وإذا كنا نرفض بقوة بيان الدس هذا فإننا نوافق بلا تحفظ على ما جاء في بيان باباكنيستنا القبطية .. الذي قال :

« أما بالنسبة لنا نحن المسيحيين فإن أهم ما نفكر فيه هو ماذا سيكون عليه معاملة المسيحيين إذا طبقت الشريعة ، ويحتاج الأمر إلى طمأنتهم في هذا الشأن .. على المستوى التشريعي : هل يؤدي الأمر إلى إنقاص من حقوقهم كمواطنين أو يحرمهم من التمتع بالمساواة ولذلك فحينما ثار جدل حول المادة الثانية من الدستور الحالي ، طالبنا إضافة عبارة : أما بالنسبة لغير المسلمين فلا إكراه في الدين ، ويتمتعون بالمساواة الكاملة مع باقي المواطنين ، وتطبق عليهم شرائعهم في مسائل الأحوال الشخصية وما إلى ذلك .. ولعنا نذكر في أحكام الشريعة الآية القرآنية التي تقول . ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة المائدة آية ٤٧] » (١٦) .

لا يمكن أن نسمي هذا مطلبا بل هو التوجيه الحكيم من أب للجميع حريص على الوفاق لا الشقاق ، وهو توجيه جدير بأن يستوعبه ويلبيه كل الداعين لتطبيق الشريعة ، فكما قلنا ألف مرة ان تطبيق الشريعة لن يتقرر بانقلاب ولا إرهاب بل بقرار دستوري تقره الأغلبية ، وهذا يعني إقناع المواطنين من المسلمين والمسيحيين بمزايا الشريعة وليس فقط أنها لن تضير أحدا ولن تنتقص حقا لمسيحي أو يهودي .. إنها نصيحة غالية من أبونا يجب الالتزام بها (١٧) .

ويجب أن نلاحظ الفرق بين إعلان رفض أن يحكم الاقباط بشريعة محمد لأن ذلك عدوان ــ في تفسيرهم ــ على العقيدة ، وبين المطالبة بتأكيد المساواة الكاملة بين

المواطنين تحت أي تشريع . وهذا بالطبع يتضمن كل ما يثار للشغب مثل الولاية .. الخ .

كذلك وردت شكوى ، ضمن تعداد مظاهر الاضطهاد للأقلية القبطية أنه : « أسقطت تماما من كتب ومناهج تدريس التاريخ المصري حقبة كاملة امتدت ستمائة سنة وهي المرحلة التي كانت مصر فيها مسيحية من منتصف القرن الميلادي الأول إلى منتصف القرن السابع حيث حدث الفتح الاسلامي .. »[١٨] .

هو مطلب ضرار فهذه الفترة هي فترة التاريخ الروماني وليس هناك أية مصلحة اسلامية في إنكارها أو إسقاطها أو إغفالها فهي المرحلة التي اضطهد فيها الرومان الوثنيون والمسيحيون ثم الروم المسيحيون ، الاقباط ، ونكلوا بهم ، وتدريسها ومقارنتها بأحلك فترات التخلف في العصر الاسلامي هي لصالح الاسلاميين . ولابد أن الذي حذفها إن كان ذلك قد حدث ، يعمل في الفتنة ويريد أن يخفي هذه الفترة التي تتحدث عن نفسها . وكنت قد تلقيت رسالة من قاريء مسلم ، بدون إمضاء يعترض على كاتب مسيحي مشهور ، كان قد تبنى هذا المطلب المضلل فكتب إلي القاريء يقول : « لماذا يطالب الكاتب .. بتدريس تاريخ مصر القبطية لقد جرت العادة على تدريس مصر الفرعونية ثم اليونانية .. الرومانية .. الاسلامية .. العثمانية .. مصر المعاصرة . فلم يكن لمصر على مدى تاريخها كيان قبطي ولكن كانت ضمن الكيان الروماني فلماذا هذا الكلام ؟! .

وردت عليه في الوفد بتاريخ ١٨ مارس ١٩٩٠ بالآتي .
« أنا أخالفك ، فهذا مطلب معقول ووطني . وأعتقد أن التقسيم الذي تشير إليه هو من فعل دنلوب والمدرسة التي أرادت أن تقول أن مصر كانت خاضعة للأجنبي طول عمرها فجعلت من مصر العربية امتدادا للرومانية واليونانية .. الخ وأغفلت الشعب . وأقترح إعادة التاريخ كالآتي . مصر الفرعونية ، مصر البطليموسية (ففي عهدهم كانت مصر مستقلة وكانوا متمصرين يمثلون مصالح مصر أولا وها نحن نعيد بفخر مكتبتهم .) ثم مصر القبطية ، وهي مرحلة كفاح الشعب المصري من

أجل الاستقلال وتأكيد الذات المصرية التي انتصرت بانضمام العربي المسلم لأخيه العربي القبطي .. وأتمنى أن يكتب هذا التاريخ الدكتور وليم سليمان قلادة » .

ليس لدينا أية دوافع خفية ، ولا عورات ، ولا نتكلم بالرمز ، ولا شبهة واحدة عندنا في سلامة تاريخنا وموقفنا .

وقد أورد المؤلف بعض الاحصائيات من دراسة قامت بها باحثة مسيحية وعلق عليها :

« وفي القطاعات التي يتزايد فيها النفوذ القبطي « التقليدي » كالمالية ، يشغل الاقباط ٦٠ ٪ من وظائفها العادية ، و٩٠ ٪ من وظائفها العليا ، و١٠٠ ٪ من وظائف معينة بها ، وتبلغ النسبة الكلية للأقباط في وزارة المالية ١٥,٥٩ ٪ وفي الشئون البلدية والقروية ١٥,٤ ٪ وفي وزارة الزراعة ١٧,٧ ٪ وفي وزارة التربية والتعليم ٦,٢ ٪ وتبين من إحصائية قام بها الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء عن « المديرين » بقطاع النشاط الاقتصادي عام ١٩٧٤ أن نسبة المسيحيين ٢٠ ٪ .

وعلق المؤلف :

الأمر الذي يكشف عن التناقض في تفسير الزيادة أو الانخفاض في نسبة الاقباط في الجهاز الوظيفي .. .

ــ فعندما تزداد النسبة يكون ذلك أمرا « تقليديا » .

ــ وعندما تنخفض النسبة يكون ذلك بسبب إهمال عامل الكفاءة . ومعنى ذلك أن الكاتبة تريد أن تحصر عامل الكفاءة والموهبة في الاقباط دون غيرهم . وهي عند عرضها لبعض القطاعات التي تقول ان نسبة الاقباط منخفضة فيها ، تغفل عن ذكر بعض المجالات الحيوية ذات التأثير الفعال على الكيان العقلي والثقافي للأمة بأسرها كالصحافة والاعلام حيث يشغل بعض الاقباط بعض المراكز دون أن يترك ذلك غضاضة عند الأغلبية وإلا .. كان عليهم أن يطالبوا الدولة بمراعاة عامل (الديانة) عند شغل هذه المناصب الهامة .. »[(١٩)] .

وتحصى نفس الباحثة عدد المسيحيين ونسبتهم بين السفراء ولكنها كما يقول

المؤلف : '' ونسيت الكاتبة أن تشير إلى وزير الدولة الحالي للشئون الخارجية بطرس غالي حفيد بطرس غالي باشا '' .

كذلك أورد المؤلف المطالب التي طرحتها الباحثة لعلاج الوضع وهي :

١ ـ تخصيص مقاعد للأقباط بالمجلس النيابي لا تقل عن ١٥ ٪ من مجموع أعضاء المجلس ، على أن ينسحب هذا التمثيل النسبي للأقباط على المجالس الشعبية والمحلية على مستوى المحافظة والمدينة والقرية .

٢ ـ الأخذ بنظام الانتخاب بالقائمة ، وهو النظام المتبع في كثير من الدول التي تنتشر فيها أقليات ولا تكون متركزة في مناطق معينة '' .

٣ ـ فتح الكليات غير الدينية التابعة لجامعة الأزهر أمام الاقباط ، أو السماح لهم بإنشاء كليات أو معاهد على غرار الكليات التابعة للأزهر[٢٠] .

وقد لاحظ المؤلف أن هذه المطالب لم تكن : '' ضمن الرسالة الجامعية التي تقدمت بها الباحثة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية للحصول على درجة الدكتوراه .. '' .

وحسنا فعلت لأنها لا تصمد لأية مناقشة علمية أو كما علق المؤلف أنها تجمع بين النقيضين .. التمثيل الطائفي ومبدأ الكفاءة دون النظر إلى التمييز .. وهو ما لا يستقيم ، وقد علقنا على مطلب التمثيل بنسبة ١٥ بالمائة في غير هذا الموضع . أما فتح الأزهر للأقباط أو السماح بأزهر قبطي .. فلا بأس من مناقشة عامة لكل ما تتميز به كل طائفة .. من بابا مدى الحياة إلى حصانات لرجال الأكليروس إلى الأديرة .. وحق المسلمين في دخول كليات اللاهوت ومدارس الأحد .. وقد يتقدم لنا متطرف مسلم يطالب بحق المصريين جميعا في الدخول في سلك الرهبنة بصرف النظر عن الدين والجنس .. ولو هربا من الجندية . ! .

وكما قلنا هذا هو الكتاب الوحيد الذي عالج الخلاف بين البابا والسادات من وجهة نظر مسلمة .. .

« دخل رئيس الجمهورية في مواجهة صريحة وعلنية مع القيادة الدينية للاقباط (البابا شنودة) وقد وجه الرئيس إتهاما صريحا لهذه القيادة بأنها تريد أن تجعل من الكنيسة سلطة داخل الدولة ، وتسعى إلى إقامة زعامة وسلطة دنيوية ، وتحويل الاقباط إلى جالية أجنبية . وتكتيل الطوائف المسيحية الأخرى في مصر واستعداء الدول الأجنبية ضد نظام الحكم في مصر ، وقد بلغت المواجهة ذروتها عندما أعلن السادات في خطابه أنه كان بصدد إتخاذ (قرار كبير) لولا أن وصلته رسالة من طالبة طب قبطية تناشده فيها ضبط النفس . (وقد فسر المراقبون هذا القرار المزمع بأنه عزل البابا) .

« إن ذيول الفتنة الطائفية خرجت من النطاق المحلي إلى النطاق الخارجي عن طريق المهاجرين الاقباط الذين نظموا مظاهرات ضد الرئيس السادات خلال زياراته المتكررة للولايات المتحدة ، كما قاموا بمظاهرات أمام الأمم المتحدة في نيويورك تطالب بحقوق الانسان للأقباط . ووزعوا منشورات تتحدث عن إضطهاد الاقباط وهدم كنائسهم وحرقها ، وتعرض للقسس والطلبة .. والعمال بالقتل والتعذيب . وخطف الفتيات المسيحيات على أيدي المسلمين . » .

« أعلن السادات أنه سيأخذ بمبدأ (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة) وأنه سيطبق ذلك على المسيحيين والمسلمين . وأنه أصدر أمرا عاجلاً إلى وزير الداخلية لوقف نشاط الجمعيات والتنظيمات التي تنشر الطائفية والتعصب الديني والتبشير المتطرف ، وتطبيق قانون حماية الوحدة الوطنية (على أي إنسان مهما كان) . وأتهم الرئيس السادات قيادة الكنيسة القبطية بأنها تعمل على منع التعديل الدستوري الذي يهدف إلى جعل الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع ، وقال انها دعت الاقباط إلى عدم التصويت (بنعم) على هذا التعديل . وإن المجمع المقدس (هيئة القيادة العليا في الكنيسة) يعد صيغة قرار بشأن التغييرات الجديدة التي أصدرها مجلس الشعب وبخاصة التي تمس النواحي الدينية والنص صراحة على أن الشريعة الاسلامية المصدر الرئيس للتشريع . »[٢١] .

وأعتقد من العرض الذي قدمناه حتى الآن ومن تصريح البابا نفسه ، يمكن القول أن معارضة الشريعة الاسلامية ، لا تنبع من حرص على الاقباط ولا حتى عن رغبة حقيقية من جانبهم ، وإنما هي فتنة مفروضة عليهم .

أما الفصل الثاني من كتاب '' الفتنة الطائفية في مصر '' فقد خان المؤلف فيه التعبير فتخلى عنه التوفيق تماما ، وياليته يراجعه أو يحذفه فهو نشاز في كتابه ، غريب عما طرحه بل وما استقر عليه الفكر والدراسات والواقع .. .

عنوان الفصل مرفوض ولا أساس له وهو : '' قبطية أم إسلامية '' .

هذا الخيار غير مطروح ، ولا حتى على متر مربع من مصر .. .. لأنه لا توجد مواجهة ولا وجود لحضارة أو ثقافة قبطية .. يوجد دين مسيحي وكنيسة قبطية .. وما عدا ذلك أكاذيب واختراعات من أعداء مصر كالذين كانوا ينبشون عن الحضارة النوبية والقومية البربرية .. (مع فارق أن النوبيين والبرر يتكلمون لغاتهم الخاصة والقبط لا لغة لهم إلا العربية) القبط لم يكونوا مستقلين ولا حكموا مصر ولا كانت لهم ثقافة متميزة فضلا من إدعاء أنهم « الامتداد أو الوريث الوفي لحضارة مصر القديمة » .

حضارة مصر القديمة كانت قد انقرضت وماتت قبل ألف سنة ، وكانت مصر قد خضعت للفرس ثم للاغريق وأصبحت حضارتها هيلينية ثم جاء الرومان وأندثرت الثقافة الفرعونية أمام الحضارات الجديدة بل انقرضت حتى من وجدان المصريين ، وها هي بقايا الآثار التي محاها أو شوهها الاقباط الاتقياء ، خير دليل على أنه مع إعتناق المصريين للمسيحية تخلوا تماما عن كل ارتباط لهم ببقايا الحضارة الفرعونية .. بل نعتقد أن اعتناقهم المسيحية كان نتيجة لاندثار الفرعونية من الفكر والوجدان المصري . فإدعاء أنهم ورثة الحضارة الفرعونية ، مجرد خرافات وأباطيل .. وإلا فأين هي المؤلفات القبطية التى تعكس الاعتزاز بالحضارة المصرية القديمة ؟! كل مؤلفات الاقباط حول تاريخ الكنيسة والشهداء .. إلخ ، إنطلاقا من الايمان العميق بأن مرحلة جديدة قد بدأت في حياة الأفراد والأمة ، مرحلة الايمان

والتحرر من الكفر .. وتمركز الكيان المصري في الكنيسة التي عبرت عن روح الاستقلال المصري في خلافها الديني مع روما وبيزنطة أو الدولة المحتلة .

كذلك لا نستطيع قبول هذا الاقتباس الذي أورده من كتاب : '' المسيحيون والقومية المصرية '' ومؤلفه هو من وما هو .. وهو لا ينطق باسم الاقباط وإلا لما أرخ للمسيحيين عموما يقول النص المقتبس : « شيء آخر يجب أن يفخر به اقباط مصر . أنهم في وسط هذا الخضم من القومية الاسلامية ، لم يكن هناك من دليل واحدِ على بقاء القومية المصرية الحية سوى هؤلاء الاقباط الذين احتفظوا بأسمائهم القبطية دليلا على مصريتهم ، بل حرصوا على أن يعطوا أولادهم هذه الأسماء المميزة ليميزوا أنفسهم كمصريين في وسط هذا البحر الذي لم يكن فيه المصري من غيره من رعايا الدولة . فكانوا مثلا حيا للقومية المصرية حتى إذا رأوا بوادر أمل في إحياء هذه القومية لم يكونوا يترددون في تشجيعها .. وإذا كان التاريخ قد سجل لنا ثورة علي بك الكبير على الحكم التركي ومحاولته الاستقلال بمصر عن السلطان . وسعيه في استعادة القومية المصرية وإحيائها في رأي بعض المؤرخين . أو محاولته فقط التمتع بمركز مرموق في الدولة في رأي البعض الآخر . فإن الاقباط كانوا من ورائه يشجعونه وينظمون له حركته ويعينونه على القيام بها .. فقد كان المعلم رزق اليد اليمنى لعلي بك ، وإليه يرجع الفضل في التنظيم المالي الذي استند إليه علي بك . سواء في مصر أو في سوريا ، وكذلك المعلم يعقوب والمعلم إلياس بقطر أكبر عون لمراد بك في محاولة الخروج على السلطان ، وكذلك المعلم غبريال سيداروس بالنسبة لابراهيم بك ، بل اشترك هؤلاء في تدريب جند مصر »(٢٢) .

لقد ناقشنا حكاية الأسماء وقلنا أن الجوهري كان اسم أكبر صراف قبطي واسم أكبر العلماء المسلمين في نفس الوقت .. ولا ندري كيف يكون اسم فرانسيس أو جورج أو وليم دليلا على المصرية ولا يكون السادات أو البكري أو عمر مكرم .. أو حتى زقلط وخيشة وشلاضيمو .. وكيف نميز إن كان يعقوب مسلما

أو مسيحيا أو ابن المقفع أكبر مؤرخ قبطي .. لماذا هذا الحك .. أو الدق على اللحام .. أما تأييد الاقباط لعلي بك الكبير ــ إن جاز طرح هذا التعبير ــ فليس لدينا إلا تأييد الصيارفة وهؤلاء يؤيدون كل حاكم قوي محب للمغامرات ، لأنه يطلب المال ويطلق يدهم في تحصيله ، وهم ذاتهم عملوا مع أبو الذهب الذي خان علي بك لحساب الشيطان أقصد السلطان . ونعيذ بكل مصري شريف أن يجعل هذا التأييد ظاهرة طائفية وبسبب كراهية الاقباط للدولة العثمانية أو للرابطة الاسلامية . هذا تلوين للتاريخ بما يضمن حجب رؤية الحاضر وإفساد صورة المستقبل .

أما إنهم دربوا وقاتلوا .. فضلا عن أن يكون إبراهيم بك أو مراد بك فكر أيضاً أو حاول الاستقلال بمصر فهذا ما لا علم لنا به .. والأحرى أن السلطان هو الذي غزاهما .

لكن هذا الذي يريد أن يقيم تمثالا من حجر .. بل من ذهب للعميل يعقوب .. لالرجمه كما يفعل العرب مع أبو رغال بل لتكريمه ، مثل هذا لا يعتب عليه ولا يقتبس منه .. وياليته يتمتع بالشجاعة ليؤرخ لنا مؤامرة تقليص سيادة كنيستي القبطية على كنيسة الحبشة .. ودوره هو شخصيا فيها !

إن بكاءهم على الكنيسة القبطية ، هو بكاء الصياد وهو يذبح الطائر !!

ولا بأس هنا من جملة اعتراضية حول ما تردد عن مشروع لاقامة دولتين في مصر دولة قبطية في الصعيد ودولة مسلمة في بحري فقد قال كتاب : « الفتنة الطائفية في مصر » في سرده لأحداث الفتنة :

« إنها المرة الأولى التي يكشف فيها النقاب بشكل رسمي عن مخطط لاقامة دولة مستقلة للأقباط تكون عاصمتها أسيوط ، وقال الرئيس السادات : إن هذا المخطط الذي تم تدبيره في الستينيات ضمن حملة الغرب لضرب عبد الناصر اشتركت فيه هيئة أجنبية (لم يعلن اسمها) وأن البابا الراحل كيرلس علم به أثناء

زيارته للحبشة فرفض الاشتراك فيه وعاد إلى مصر ولم يفاتح عبد الناصر . ولم يكن يعلم أن عبد الناصر والسادات هما الوحيدان اللذان كانا يعلمان بأمر هذا المخطط » (٢٣) .

ووردت نفس الاشارة في مبحث « مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات ١٩٨٨ » الذي جاء فيه : « ولا يمكن في الظروف الحالية غض النظر عن مسعى تسره أمريكا وتعلنه اسرائيل لتقسيم مصر إلى شمال مسلم وجنوب قبطي ونعود بحاجة إلى « مينا » جديد لتوحيد الوجهين . » .

وقد نفى البابا هذه الرواية .. قال :

« أولا : إن السادات لم يقل إن الاقباط يريدون تكوين دولة في أسيوط ، وإنما قال إن قداسة البابا كيرلس السادس ــ الله يرحمه ــ حينما زار الحبشة (أثيوبيا) عرضت عليه هذه الفكرة فغضب وسافر مباشرة .. عندنا جواز سفر « الباسبور » الخاص بالبابا كيرلس الذي يؤكد أنه سافر وقضى في الحبشة أربعة عشر يوما أكثر من المدة المقررة وقد استقبله إمبراطور الحبشة بكل إكرام وترحيب وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقه ترحيبا بقدوم البابا كيرلس . لأن الأمبراطور كان يعتبره الأب الروحي وما زالوا يعتبرون بابوات الأسكندرية آباءهم الروحيين .. أولا : ندخل في الموضوع .. هل من المعقول أن الاقباط يتركون جميع مقادسهم في القطر المصري كله لكي يتقوقعوا في أسيوط ؟! .. يتركون أديرة وادي النطرون . يتركون أديرة البحر الأحمر أقدم أديرة في العالم كله .. أما إذا أخذوا أو وضعوا في مكان فإذا أريد في وقت من الأوقات إفناء جنس الاقباط يصبح سهلا لأنهم جميعا في مكان واحد وهذا أيضا من غير المعقول أن الاقباط يطلبون هذا الأمر . » (٢٤) .

ونحن نوافق البابا على أنه لا الاقباط يريدون دولة ولا السادات اتهمهم بذلك ، ولكن القصة كلها فيها حقيقة لم تذكر وخرافة لم تناقش .. ! فالذي يتحدث عنه السادات هو النشاط المكثف الذي كان يقوم به ’’ ملس عندوم ‘‘ سفير الحبشة

في مصر ، الذي أعلنت حكومة الثورة الحبشية ، بعد ذلك ، ثبوت عمالته للمخابرات الأمريكية ولجأ إلى مصر . وكان نشاطه الأساسي وقتها ــ بمعونة عدد من المسيحيين المصريين مثل ز. ر. و. ك. م. .. وغيرهما ــ هو فصل الكنيسة الحبشية عن المصرية وخلق تشكيل قبطي يتلقى الوحي من أمريكا واسرائيل عن طريق الحبشة . هذه هي الحقيقة .. .

أما الخرافة فهي الزعم بأن الاقباط يمكن أن يستقلوا بالصعيد ، إن هذا وهم لا أساس له ولا سبيل إلى تحقيقه إلا في حالة التقسيم بقوة خارجية لا تقهر .. لأنه في ظل الوضع الحالي لا يشكل المسيحيون أغلبية لا في الصعيد ولا في مديرية واحدة من الصعيد ولا في مدينة ولا في أية دائرة تمكنهم من إنجاح نائب قبطي في إنتخابات حرة إعتمادا على أصوات الاقباط وحدهم .

ويقول جمال بدوي :

« أن يكون المهاجرون الاقباط في الولايات المتحدة الأمريكية قد تبنوا هذه الفكرة بعد أن ضعفت خيوط انتمائهم إلى الوطن ، وتحت تأثير الحركة الصهيونية العالمية التي تستخدمهم كأداة لتنفيذ مخططها في إقامة كيانات دينية أو جيوب عرقية لتفكيك وحدة الدول العربية .. ومنها مصر بالطبع .. » .

وهذا صحيح بل وحقيقة الأمر .. فالفكرة أو الدعوة تعشش في أوكار هؤلاء المهاجرين ومن أندس فيهم ويحركهم من الصهيونيين ، الذين لا يريدون وطنا قوميا للاقباط بل يستغلون هذه الفكرة لتمزيق مصر وطن الاقباط والمسلمين .. التغرير بمن يريد أن يخدع ، لتمزيق هذا الوطن وشله وشغله ، لتمكين وطن اليهود بكل أحقادهم وثاراتهم ضد المسيحيين .. تماما كما حدث في لبنان .. ألم يغرروا بالموارنة ووعدوهم أو زينوا لهم الانقضاض على أشقائهم بوهم الانفراد بلبنان وقيام دولة الموارنة على حلف من اسرائيل وتحت حمايتها .. فلما قضوا حاجتهم منهم قتلوا زعيمهم وسخروا منهم ومزقوا وطنهم ووسعوا رقعة وطنهم هم على حساب لبنان .. وكذلك يفعلون .. .

إن القبطي المخلص لعقيدته يهمه قوة مصر وانتشار نفوذها وإتساع رقعة المصرية ، وقد كتب الكثير عن دير السلطان الذي لا يعود لأقباطنا إلا بقيام سلطة مصرية أو موالية لمصر في القدس كذلك فقد شهد كتاب '' الاقباط في القرن العشرين '' أنه '' عندما امتد النفوذ المصري إلى السودان كان للأقباط وجود فعال عن طريق الموظفين والتجار (حتى عادت المسيحية إلى الظهور في السودان بعد أن غابت عنه خمسة قرون .) [٢٥] .

نعود لحديثنا فنرفض قول جمال بدوي :

« وباختصار يمكن تحديد الخلاف بأنه صراع بين قوميتين تعيشان في وطن واحد وتشربان من نيل واحد وتحاول كل منهما أن تقنع الأخرى بسلامة موقفها » [٢٦] .

لا .. ليس في مصر قوميتان .. ولن يكون حتى ينجح مشروع إحياء ، أو بالأحرى خلق لغة تسمى قبطية ويتكلم بها الاقباط ، وحتى يتكون للأقباط بقية مكونات هذه القومية .. لا قدر الله وما كان ولن يكون .

وإذا كان حسن نية جمال بدوي واضحا ، فإن سوء النية عند عبد الكريم الخليل لا يحتاج لبيان فهو الذي يصح فيه كلمة حق يراد بها باطل فثقافته الاسلامية تمكنه من عرض كل الحق الذي يميز الدولة الاسلامية .. فهو يتحدث عن تعايش الاسلام مع الأديان الأخرى منذ وصول الرسول إلى المدينة إلى أحلك عصور المماليك ، ويقدم عرضا ممتازا يفخر به أي داعية اسلامي ويستشهد بوصول غير المسلمين إلى منصب الوزارة وهو أعلى منصب بالطبع لأن الخليفة منصب وراثي لا يصل إليه مسلم ولا مسيحي .. ويقول ابن عبد الكريم : « بل بلغوا هذا المنصب الرفيع حتى في عهد الخلافة الفاطمية مع انها كما هي معروف دولة ذات دعوة وكان منهم الطبيب الخصوصي للخليفة وعهد إلى بعضهم جباية الخراج وزارة المالية أو الخزانة والكتابة للخلفاء وكان الصحابي المغيرة بن شعبة واليا على البصرة في خلافة عمر بن الخطاب يتخذ كاتبا نصرانيا » .

ويشهد أن ما ناله الذمي من حقوق في الدولة الاسلامية يفوق ما يجاهد من أجله المواطن الزنجي أو العربي في أمريكا وجنوب أفريقيا واسرائيل . ويعتبر ما عدا ذلك تجاوزات من ثلة من الحكام والولاة والخلفاء ضيقي الأفق والمتعصبين ومنحرفي المزاج ومختلي التفكير وسلوكهم لم يكن مرده إلى أحكام ونصوص الشريعة الاسلامية بل مرجعه إلى طبائع مركوزة فيهم » ، ويستمر هكذا حتى نطمع في اسلامه ، ولكن الطبع يغلب التطبع إذ سرعان ما ينتكص على عقبيه فيقول عن الحل لمشكلة الطائفية : « وفي رأينا المتواضع أن أولى تلك الضوابط ألا تكون الحكومة التي تمسك في يديها زمام السلطة حكومة دينية / ثيوقراطية أو حتى ذات منطق أو منشأ أو توجه أو تمحور ديني » (الطائفية .. إلى أين ! خليل عبد الكريم ص١١٨).

يريدها حكومة ملحدة !

وهو كعادة الماركسيين يجر نظريته على التاريخ بأثر رجعي : « ولما حاول المسلمون الأوائل إخراج الاسلام من المسجد ومد ظله من العبادة إلى شئون الحكم نشبت بينهم حرب ضروس .. بسبب محاولتهم جعل الاسلام دين ودولة » أما الصحابة الذين اعتزلوا ولزموا بيوتهم فلأنهم « رأوا أن الدين صلته مبتوتة وعلاقته مقطوعة بغير العقيدة والعبادة .. وأن السيدة عائشة ندمت واستغفرت لأنها انساقت وراء دعوة : الاسلام دين ودولة ورجعت إلى الحق وهو أن الاسلام دين وعقيدة وعبادة فحسب . »[٢٧] .

الرد عليه مما عرضه عن التعايش والتسامح الذي لم تصل إليه أمريكا إلى اليوم بنص كلماته في ذات الدولة التي كانت إقامتها خطأ .. وبعد ... ماذا نقول في من يدعى أنه يفهم الاسلام خير من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وآلاف الصحابة الذين شادوا معهم الدولة .. ماذا نقول ؟!

سلاما !

الكتاب العمدة .. !

مهما تكن ملاحظاتنا على هذا الكتاب (المسلمون والاقباط : طارق البشري) أو اختلافنا معه في بعض القضايا الجانبية فسيظل واحدا من أهم المراجع الوطنية في تأريخ الفتنة منذ الاحتلال البريطاني .. ووثيقة تدعم القول بأنها من صنع هذا الاستعمار ، ولم تكن ابدا من خصائص مجتمعنا .. كذلك لابد من الاشارة والاشادة بالفصل الذي عقده لاثبات دور التبشير في تأجيج الفتنة .. وقد بلغ من سرور المستشار الوطني وليم قلادة بالكتاب أن أهدى للبشري كتابه الشهير .. « المسيحية والاسلام على أرض مصر » ــ د ــ وليم سليمان قلادة ــ كتاب الحرية ٩ فبراير ١٩٨٦ قائلا : إلى طارق البشري الذي : **أقام للمسلمين بناء رحبا شامخا سكنت فيه الجماعة الوطنية كلها في أمن .. الخ** » .. .

والكتاب وإن تميز بالصدق والأمانة في نقل الأحداث والاقتباسات فقد فاته التفسير الدقيق لبعض الوقائع ، كما افتقد لنظرية عامة مما أوقعه في بعض القضايا في التناقض .. وإن كان قد التزم بفرضية أن التعايش هو الأساس والفتنة هى العارض ونجح إلى حد بعيد في إثبات هذه الفرضية الوطنية والصادقة .

وإذا كنا قد استشهدنا بالكتاب في العديد من المواضع فقد بقت بعض ملاحظات نثبتها في هذا الفصل .

يقول :

« ويلاحظ أيضاً أنه لم يكن للاقباط نصيب في بعثات محمد على العلمية إلى أوروبا . ولايكاد يظهر من أسماء المبعوثين في كل بعثات محمد على وعباس الأول خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وعددهم حسبما أثبت الأمير عمر طوسون يشارف الخمسمائة ، لا يكاد يظهر منهم اسم لمبعوث قبطي ، إلا واحد فقط ذكرته إيزيس حبيب المصري في كتابها (٢٨) فهو الدكتور إبراهيم السبكي الذي بدأ حياته موظفا بالحكومة ثم اختير لبعثة دراسية في فرنسا سنة ١٨٤٥ درس فيها الطب البيطري وعاد منها مدرساً بمدرسة الطب البيطري في ٢٣ يوليو ١٨٤٨ » .

ونقول إنه إذا كان إحصاء المسلمين والاقباط في ذلك الوقت يعتمد على الأسماء وحدها فإن النتيجة ستكون مضللة جدا ، لأن الاقباط في ذلك الوقت لم يكونوا يتسمون بأسماء فاقعة الدلالة كما حدث مع الحملة الفرنسية على استحياء ، ثم شاع وذاع مع الاحتلال البريطاني ، عندما أصبح إعلان المسيحية مطلوبا . ولا أدري كيف استدلت الباحثة على قبطية إبراهيم السبكي من اسمه فالشيخ السبكي من مشاهير شيوخ الطرق الصوفية وله نشاط اسلامي معروف وقد كان أشهر قبطى وأشهر مسلم يحملان نفس الاسم '' الجوهري '' . فالاسماء لم تكن تحدد الدين وقتها .

وفي سياق هذا التمصير للوظائف القيادية الادارية الدنيا ، أثبت كلوت بك « لقد أقام الوالي الحجة البالغة على حسن نياته وعظيم تسامحه باختياره بعض المآمير من نصارى البلاد . »(٢٩) .

« والمدارس والبعثات التي نقلت إلى العقل المصري والعربي والاسلامي أنماطاً ومناهج جديدة تماماً عما ساد في مئات من السنين التي خلت ، هذه الدولة التي

صنعت كل ذلك ، ولم تضع فكراً سياسياً ما ، ولارجحت في ميدان الأفكار السياسية مفهوماً خاصاً ، ولا نقلت من الخارج ولا بعثت من الموروث فكراً يتناسب ولو بدرجة ما مع حجم انجازها الحضاري الضخم . ولعل ذلك من أسباب ما لاحظه الشيخ محمد عبده في مقاله الشهير « آثار محمد على فى مصر » [٣٠] إذا قارن بين الانجاز المادي الكبير في كل ميدان وبين الهبوط المعنوي الكبير في كل منها ، وعدم الاهتمام باللغة أو الدين أو الأدب أو الفلسفة أو التاريخ ، وبرغم ما ترجم في بعض فروع الانسانيات هذه فقد أودع المخازن ولم يتصل بقارىء . وهي نفس ما لاحظه الدكتور لويس عوض عن دولة محمد على التي أنجزت « ولم تلتفت إلى بناء الانسان من حيث هو إنسان » وإذا كان الأستاذ الامام قد أرجع هذا التباين إلى المسلك الاستبدادي للوالي ، فالصحيح أنه يعود أيضاً إلى تلك المعضلة الفكرية التي سلف بيانها ، مما لم يجد له حلاً فتركها وشأنها . » .

لا معضلة ان شاء الله .. فهذه الأفكار ترجمت وطرحت ولكن في غير سوقها لأن الفكر وحده لا يساوى الحبر الذي يكتب به ، والعالم لم يخل قط من الأفكار ، بل إذا زعم زاعم أنه لا جديد تحت الشمس فذلك لا يصدق إلا على الأفكار ، ولكن هذه الأفكار التي تقرضها الفئران في المكتبات تتحول إلى نار وطاقة وروح ومتفجرات إذا ما تبنتها قوى اجتماعية ، وحولتها إلى قضية وشعارات ، ومطالب يستشهد في سبيلها . ومحمد على حطم الطبقة البورجوازية التي كانت جديرة بنفخ الروح في تلك الأفكار وجعلها قضية الساعة والقتال من أجلها .

رفاعة رافع أكثر ثقافة وأكثر تمثلا للديمقراطية الأوربية بل وأعلى رتبة عسكرية من القائمقام الفلاح عرابي .. ولكن التاريخ حفظ لعرابي .. « لقد خلقنا الله أحرارا » .. الخ وليس غير الباحث المنقب يحفظ جملة لرفاعة الطهطاوى ! لأن الطهطاوي كان يؤذن في مالطة ، فلا بورجوازية ولا عمال ولا حتى اقطاع يتكلم العربية بينما وجد عرابي طبقة ناهضة مستعدة للاستماع والتحرك .

أما موقف محمد على وإهماله الانسان وعدم الاهتمام بالانسانيات ولو على مستوى المعرفة ، فتفسيره ، أن محمد على كان يريد أن يبني جيشا أو حتى دولة ، وليس مجتمعا متقدما ، وتولت الحكومة مقاولة بناء هذا الجيش وكل المؤسسات التي أقامها كانت من طراز المصانع الحربية لعبد الناصر ، وهذا النمو في اللغة والدين أو الأدب أو الفلسفة أو التاريخ ، هو جهد لا تقوم به دولة مستبدة عينها على القوة العسكرية وحدها ، وإنما هو افراز وغذاء الرأسمالية ، وطالما نتهيب نقد جريمة عبد الناصر في ذبح البورجوازية وضعضعة النظام البورجوازي ونتهيب بالتالي كشف نفس الجريمة التي ارتكبها محمد علي فسيصعب علينا أن نفهم لماذا أودعت الترجمات المخازن .. النظم الديكتاتورية المعادية لحركة التاريخ لا تبني الانسان بل تدمره .

كذلك أصاب البشرى الملاحظة وأخطأ التفسير لموقف رفاعة من الليبرالية السياسية والاقتصادية ما بين عهد محمد على وعهد سعيد .. قال البشري :

'' ولم يكن الحديث عن سلطات « الملك » وحقوق الشعب ، مما يمس محمد على وهو لا يزال والياً معيناً من قبل السلطان ، ولم يكن قد ضمن الولاية لنفسه أو لنسله من بعد ، مما لم يتحقق إلا في ١٨٤٠ ، وكان وقتها مناوئاً للسلطان مناهضاً لدولته ، يفيده حديث رفاعة بقدر ما يضر مناجزه . وآية ذلك أيضاً أن رفاعة في « تخليص الابريز .. » لم يهتم كثيراً بالنظام الاقتصادي في أوروبا ، لأن الليبرالية الاقتصادية الأوربية ، كانت على طرف نقيض مع نظام محمد على الاقتصادي القائم على الاحتكار ، فقصر جهده وقتها في الحديث عن الليبرالية السياسية التي تشكل في الأساس تحدياً للسلطان العثماني . وعلى عكس ذلك فعل الطهطاوي في ١٨٦٩ في « مناهج الألباب » فركز اهتمامه في الاقتصاد ولم يهتم بالنظام السياسي ، إذ كان احتكار محمد على قد تفكك من نحو ثلاثين سنة ، وكان النظام السياسي بمصر قد استقر في الأسرة الخديوية العلوية . فتخلى رفاعة عن كثير من ليبراليته السياسية . وأسقط عن رئيس الدولة مسئوليته الدستورية إلا أمام ضميره وربه والتاريخ وأمام الرأى العام بالنصح فقط '' ص ٢٧ .

لا .. لم يكن محمد على بالأبله الذي يسمح بنقد حق السلطان في الحكم ويظن أن ذلك لا يصيبه أو لا يعنيه مادام لم يضمن بعد الملك لبنيه ! فهو كان يحكم وبشدة وبلا نية على الأطلاق في التنازل عن شيء من سلطاته .. وإنما القضية أن هذا الكلام في الثلاثينات كان لا يضر ولا ينفع فلا أحد يهتم به ، لأنه كما قلنا لا طبقة يعنيها هذا الفكر أو يمكن أن يحركها .. ولذلك لم تكن السلطة المتشبثة المقاتلة على حكم مصر تهتم بهذه الثرثرة . كذلك لم يجد الطهطاوي جمهوراً يحدثه عن الاقتصاد الحر لأن الباشا كان يحتكر الاقتصاد كله . ولكن عندما وجدت هذه الطبقة وأصبحت تبحث عن ليبرالية الطهطاوي بل وتطالب بها ولو في مجالسها الخاصة ، تنبهت الدولة وآثر الطهطاوي السلامة .

« وكان من أهم ما أتخذ من قرارات على عهد الخديو اسماعيل تعيين قضاة من الاقباط في المحاكم . ويذكر قليني فهمي أن أول قبطي عين قاضياً كان عبد الملاك بك كتكوت الذي عين بمحكمة قنا ، وإن جد قليني فهمي وهو يوسف بك عبد الشهيد عين مديراً لديوان القضاة في المنيا ، وهى وظيفة المحامى العام ، فضلاً عن إختصاصه بالفصل في بعض المنازعات [مذكرات قليني فهمي . الجزء الأول . ص ١٢ .] وقد تلازم تعيين الاقباط في القضاء مع إنشاء المحاكم الحديثة ، فصار قضاء مصرياً صرفاً يخضع له المصريون عامة على أساس من الجامعة الوطنية وكان لذلك دلالته الهامة في بناء مؤسسات المجتمع على أساس قومي . » ص ٣٠ .

وتفسير ذلك ــ من وجهة نظرنا ــ أن القضاء كان إلى عهد محمد على قضاء وطنيا ينبع من تاريخ البلاد وثقافتها وحضارتها وهويتها . أي القضاء الاسلامي ، الذي يحكم بالشريعة غير المستوردة ، وبالطبع لا قضاء في المسيحية ، وقولة المسيح .. « من عيني قاضيا ؟! » تمنع أي مسيحي مؤمن من تولي القضاء ، كما تنفي أية احتمال لظهور تشريع مسيحى .. وقد قبل المسيحيون القضاء الروماني ثم البيزنطي .. ونحن نزعم أنهم قبلوا بسرور خاطر واستجابة أكبر القضاء الاسلامي .. وحتى لما حاول نابليون غوايتهم بتحريرهم من نظام الميراث الاسلامي

رفض الاقباط وقالوا إخواننا المسلمون يقسمون لنا ونحن راضون بقسمتهم .. وكان من الطبيعي أن يقوم المختصون الخبراء في الشريعة الاسلامية والفقة بمهمة القضاء .. لم يكن أي مسلم يصلح للقضاء أو يتولاه ، ولم يكن يسمح للمسلم الشافعي أو المالكي بتولي القضاء في مصر .. ولم يخطر ببال المصريين وقتها أن هذا تمييز ضد الاقباط أو ضد المسلمين من غير مذهب أبي حنيفة .. فلما ألغيت الشريعة الاسلامية وحلت محلها شريعة نابليون وكرومر أصبح من الطبيعي أن يلي القضاء المتفقه في هذه الشرائع مسلماً كان أو مسيحيا ، بل أصبح القضاء الأعلى من اختصاص الخبراء الأجانب .. فلا تقدم ولا تخلف ولا طائفية .. ولا شيء مما يتشدق به المؤرخون .. ! .

ويقدم البشري عرضا للتعايش المصري قبل دخول الأجنبي ..

« ومع نشوء أول مجلس نيابي في مصر على عهد سماعيل في ١٨٦٦ ، نص قانون إنشاء المجلس على أن « كل شخص بلغ من عمره الخامسة والعشرين يمكن ترشيحة على شرط أن يكون أميناً ومخلصاً وأن تتأكد الحكومة من أنه ولد في البلاد » فشمل القانون المصريين عموماً بغير تفريق بسبب الدين في حق الترشيح لعضوية المجلس واعتبر في تحديد المصرية بواقعة الميلاد وحدها . وقد ذكر نوبار « عندنا اقباط بين المنتخبين وقد فتحنا الأبواب للمسلمين والاقباط بدون تمييز » . كان المجلس يتكون من ٧٥ عضواً ينتخبون كل ثلاث سنوات ، ويتولى انتخابهم عُمد البلاد ومشايخها في الاقاليم والأعيان في القاهرة والاسكندرية ودمياط . ووجد به تشكيل ١٨٦٦ جرجس برسوم عمدة سلامة من نواب بني سويف والفيوم ، وميخائيل إثناسيوس عن أشروبه من المنيا وبني مزار . كما وجد به في تشكيل ١٨٧٠ المعلم فرج إبراهيم وعمدة ديرمواس عن أسيوط ، وحنا يوسف عمدة نزلة الفلاحين عن المنيا وبني مزار ، وتكرار هذين العضوين في تشكيل ١٨٧٦ فضلاً عن عبد الشهيد بطرس من البلينا عن جرجا[٣١] . وكان مجلس الشورى بتشكيله الجامع ، هو ما أجمع على وجوب أن تقبل المدارس الأميرية المصريين من

المسلمين والنصارى على السواء ، وذكر عضو المجلس محمد الشواربي في هذا الشأن « أن الاقباط ما خرجوا عن كونهم من أبناء الوطن ، ولذلك يجب أن يكونوا ضمن المدارس التي تعمل بالمديريات ولا يكونوا خارجين منها متى أرادوا الدخول فيها » .

وهذا يوضح أن التفرقة والتعصب دخيلة مع وفود الوباء الاستعماري ، فلما كانت الارادة وطنية حتى ولو في شكل حكومة الخديو ، وفي ظل الدولة العثمانية ، ولم تظهر أية حساسية في وجود الاقباط في البرلمان أو السلطة التشريعية المفترضة ، ولم نسمع عن احتجاج المشايخ أو حتى العامة ... ولم يقل فقيه ولا مأجور يدعي الفقه : لا ولاية .. إلخ ، وهل من ولاية أكبر من المجلس التشريعي ؟! وكذلك عندما تقرر أن تضم المدارس الاقباط والمسلمين لم يحس أحد باضطهاد ولا كسرت قلوب الاقباط كما يقول سلامة موسى بعد خمسين سنة ! .

يقول البشري :

ويذكر ميخائيل شارويبم في « الكافي » أن الوالي عباس الأول ، الذي تولى الحكم قبل محمد سعيد ، كان شديد النقمة على النصارى ، وأخرج منهم كثيرين من خدمة الدولة ، وأراد أن يدبر إخراجهم من وطنهم وتبعيدهم إلى السودان ، ولزمه لتنفيذ هذا الأمر أن يستصدر من الأزهر فتوى بجوازها ، فطلب إلى الشيخ الباجوري ، شيخ الجامع الأزهر وقتها ، الرأي في جواز إبعادهم ، فرفض الشيخ إنفاذ رغبة الوالي قائلاً : إن كان يعني الذميين الذين هم أهل البلاد واصحابها ، فالحمد لله لم يطرأ على ذمة الاسلام طارىء ، ولم يستول عليها خلل ، وهم في ذمته إلى اليوم الآخر . فإن كان الوالي يعني النصارى الفرنجة النازلين في البلاد ، فليحذر إن فعل بهم شراً أن يحل بالبلاد ماحل بالجزائر من الفرنسيين[٣٢] .

ومع ذلك يسجل كاتب تقدمي من مفاخر عبد الناصر قمعه للأزهر .. ضمن سيطرته على المؤسسات الدينية .. ان المؤرخ لا يُخطىء إذا قال إن ضرب الأزهر

في عهد عبد الناصر كان أحد عوامل تنشيط الفتنة ، وأحدث فراغا سعى إلى ملئه الفتانون .

« ويذكر جورج يونج في كتابه « مصر » ، عند حديثه عن الاقباط والمسلمين ، إنه لا يوجد في مصر تفرقة طائفية ضد الاقباط ، تفرقة من تلك التي تعاني منها الأقليات الضعيفة في أوروبا . وإن الكتاتيب مفتوحة للاقباط الذين يمكنهم أن يتلقوا فيها تعاليم دينهم ، وأنه في الأقاليم التي تزيد فيها نسبة السكان من الاقباط تعين الحكومة المدارس القبطية إعانات لها أثرها . » .

« وفضلاً عن ذلك لم يكن الأزهر فيما يظهر موصد الأبواب من دون القبط . وقد ذكرت صحيفة « الوطن » القبطية في ٥ مايو ١٩١٦ ، انه كان للاقباط قديماً رواق بالأزهر يتلقون فيه العلوم المنطقية والشرعية . وإن ممن درسوا بالأزهر قديماً أولاد العسال وهم من كبار مثقفي القبط ولهم مؤلفات هامه . ومنهم حديثاً ميخائيل عبد السلام صاحب صحيفة الوطن ، إذ درس في الأزهر ، ثم انتقل إلى دار العلوم لما أنشئت . ووهبي تادرس الشاعر الذي كان يحفظ القرآن ويكثر من الاقتباس منه . وفرنسيس العتر الذي كان يحضر دروس الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٢ . » ص ٤٢ / ٤٣ .

كما يستشهد بكتابات النديم الذي كان يحمل روح الثورة العرابية ومفاهيم آخر جيل قبل الاحتلال البريطاني ، والذي روع عندما عاد للحياة العلنية بما استطاع الاستعمار إثارته من فتنة بين المسلمين والمسيحيين ، ويقول البشري :

« وكان عبد الله النديم يؤكد في كتاباته على معنى الوحدة الوطنية والاخاء فيما يكتبه متعرضاً لهذا الموضوع .. كتب في « التنكيت والتبكيت » أيام الثورة العرابية ، أن مسلماً وقبطياً مفطوران على حب وطنهم والمحافظة على عادات أهلهم ، اجتمعا يذاكران في التمدن ومنفعة البلاد وتعظيم الثروة وتحصين الحدود والمحافظة على اللغة ، ولقيا شاباً أوروبي الملبس والمسلك ، فأجابهما بأن التمدن هو ترك الدين وفروضه ونواهيه والتشبه بالغرب ، « فقال له أحدهما يا جاهل ياغبي

هذا التوحش بعينه .. إنه عدو للإنسانية جاهل بالوطنية .. التمدن أيها الضال هو الاشتغال بالعلوم والبحث فيها ، ووقوف كل إنسان عند حده ومحافظته على العادات الجميلة ، والتمسك بمعتقد طائفته ، وترك التعصب على من خالفك في المذهب ... »[٣٤] وإن مطالعة أعداد « التنكيت » تكشف عن استعمال النديم الدائم للفظي « وطني » و « أجنبي » دليلاً على موقفه بشأن الجامعة السياسية .

« وذكر إن كان هذا حالهم أيام الجهالة والهمجية ، فما أحوجهم إلى هذا الالتئام بعد أن عمتهم المعرفة وتحلوا بالآداب ، وإن ذكاء نبهاء الفريقين يدفعهم إلى التمسك بحبل الارتباط الوطني . ثم قال إنه توجد جمعية اسلامية وأخرى قبطية « ونحن لا جمعية لنا تبحث في الوطنية » .. إن تكوين جمعية من الفريقين .. يحول بينهما وبين النزاعات الأجنبية وواضح من العبارة الأخيرة أنه كان يرمي إلى الدعوة لتنظيم وطني جامع يقف ضد سياسة الاحتلال الأجنبي الذي بذر بذور الفرقة لاحكام قبضته على البلاد . وقد وعد بالعودة لمعالجة هذا الموضوع ، ولكن لم يمر شهران ونصف شهر حتى وقف صدور الصحيفة ، وترك النديم بلاده . » ص ٤٨ .

كما يشير البشري إلى الدور الذي لعبته الصحافة الطائفية ، وهي التي صدرت بترتيب من الاستعمار وفي حمايته وبتوجيهاته . وكانت في الحقيقة مهتمة بالدفاع عن الاستعمار وليس الدفاع عن الاقباط ، فرئيس أمريكي يزور البلاد ويمدح الاستعمار الانجليزى ويسب المصريين ، تحييه هذه الصحافة ! يقول البشري : « وأثار هذا الموقف هياج المصريين وسارت مظاهرات تهتف بسقوطه . ولكن صحيفة الوطن واجهت هذا الشعور العام بموقف مضاد ورحبت بروزفلت في حله وترحاله .. « روزفلت على الطائر الميمون يانصير الحق منصف الأقلية من الأكثرية » . فلما عين كتشنر معتمداً بريطانياً في مصر سنة ١٩١١ استقبلته بقولها « هذا فاتح السودان ومذل التعايشي والقاضي على دولة الدراويش » ص ٥٧ .

ويشير إلى ما قلناه حول دور الإرساليات الاجنبية الاستعمارية في تمزيق الوحدة

الوطنية وإثارة الشقاق وجر الاقباط إليه ، وانه لم يكن قبطيا الداعية لأول مؤتمر شكوى باسم الاقباط .. وتصدي الاقباط لهذه المؤامرات ، يقول البشري :

« وأخنون فانوس ، زعيم الطائفة الإنجيلية الذي تلقى تعليمه في المدرسة الإنجيلية بأسيوط ، وأكمله بالجامعة الأمريكية في بيروت ، وهو من أوائل من يواجههم المطلع على التاريخ بالنسبة لدعاوى الإنشقاق الطائفى في مصر ، رغم كونه غير تابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ديناً وتعليماً ، إذ تربي في أحضان إرساليات التبشير الأجنبية ، وقد عمل أخنون في هذه الفترة على تكوين حزب سياسي أسماه « الحزب المصري » . ص ٥٨ .

« وقد كتب سالم سيدهم تادرس في « التايمز المصري » في سبتمبر ١٩٠٨ [٣٥] ، يتهم أخنون فانوس بالخيانة ويخاطبه قائلاً : « لقد أصبحت الشخص الذي إذا مر في الطريق قلنا : هذا أحد صنائع الانجليز في مصر والآلة التي يحركها المقطم . اتق الله أيها المجتهد في الباطل » ... ص ٦٢ البشري .

« وقال إن انجلترا تستخدم الخونة الذين لا ضمير لهم لقتل الروح الوطنية وفي الهجوم على « أقوى حزب مصري قام إلى الآن هو الحزب الوطني » .

وفي يناير ١٩١٠ دعا لطفي السيد إلى الاحتفال بعيد الهجرة النبوية فحضر الاحتفال مرقص حنا ، ووقف خطيباً يقول إن السنة الهجرية سنة المصريين جميعاً يحتفل بها الشبيبة الاسلامية والشبيبة المسيحية لأنه احتفال « لدين شريف مبدؤه أن محبة الوطن من الايمان .. وعلى هذا المبدأ أقول إنني مسلم ومسلم .. مهما قيل ويقال عن تقاطعنا وتدابرنا فنحن إخوان في الوطنية .. إذا حدث خلاف بين مصريين ومصريين فلا يعد ذلك دليلاً على عدم وجود إخاء ، وإنما هو من مستلزمات الحياة » وقد شنت صحيفة « الوطن » هجوماً شديداً على ويصا واسمته « يهوذا الأسخريوط » [٣٦] .

كما هاجمت صحيفة « لاريفورم » ما كان نشره قرياقص ميخائيل بصحيفة التايمز اللندنية . (ونقلته الأجبشيان جازيت في مصر) من أن الاقباط يعتبرون

الاحتلال البريطاني هو الوسيلة الوحيدة لتقدم مصر ، وذكرته « لاريفورم » بأن الخلافات تصل أحياناً في بلاد أخرى إلى الحروب الأهلية دون أن يستعين أحد الفريقين المتحاربين بالأجانب أو بالقوى المحتلة[٣٧] .

« وهاجمت (الوطن) يوماً سرجيوس وتادرس المنقبادي ثم قالت « هل ينتظر أن أمريكا الحرة الغيورة التي يدفع قومها ألوفاً من الجنيهات للمرسلين هنا لنشر القواعد المسيحية تمد يد المساعدة لمصر وتعمل على نيلها استقلالها إذا علمت أن هذا الأستقلال المحبوب يودي بالبقية الباقية من الفضائل[٣٨] .

وعندما لاحت بوادر الدعوة للمؤتمر ، أظهر جورست المعتمد البريطاني اعتراضه عليها ، كما أظهر شيئاً من الجفاء تجاه الداعين لها . والحاصل أنه لو كان جورست أظهر أدنى أنواع العطف الصريح على فكرة المؤتمر أو على أي من الداعين له . لكان يقدم أقوى أسباب الفشل للمؤتمر ولردود فعله . » ص ٦٥ البشري .

« والذي يظهر جلياً ، أن صحيفتي « مصر » و « الوطن » كانتا من أهم منابر الدعوة للمؤتمر ، وأن أخنوخ فانوس كان من أهم زعماء هذه الدعوة . ويظهر من حديث بشري حنا سالف الذكر ، أنه كان من دعاة المؤتمر فريق من وكلاء القنصليات الأجنبية ، وعلى علاقات وارتباطات اقتصادية بهذه القنصليات ودولها . كما أن أهم عائلتين من عائلات كبار الملاك شارك كبراؤها في المؤتمر هما عائلتا خياط وويصا ، وهما عائلتان خضعتا لنفوذ المبشرين الأجانب وصارتا بروتستانتيتين ومن أغنى أصحاب الأراضي في الصعيد ، وكان جورجي بك ويصا هو رئيس اللجنة الدائمة للمؤتمر القبطي ، وجاهد أخنوخ فانوس لأن تكون له رئاسة المؤتمر ولكنها نيطت ببشرى حنا . وبذلك يلاحظ أن الحرص على عقد المؤتمر في أسيوط لم يكن فقط بسبب أن نسبة القبط فيها أكبر من نسبتهم في غيرها من مدن مصر ، ولكن لأن أسيوط كانت معقلاً لحركة التبشير البروتستانتي ، ومركزاً للارساليات والمدارس البروتستانتية في مصر . والحاصل أن مجلس المرسلين الأمريكيين

البروتستانت كان يعقد جلساته في الأيام ذاتها التي انعقد فيها المؤتمر القبطى ، وفي أسيوط نفسها أيضاً . وعندما انعقد المؤتمر رحبت به كنائس الارساليات ، وألقى « تروتر » القس الكندي [٣٩] في اجتماع أعضاء كنيسة القداسة ، خطبة دعا فيها إلى الصلاة من أجل نجاح مؤتمر الاقباط وأيد مطالب « المسيحيين المصريين » ، وقال « أسأل الله يعطي نعمة للمندوبين عن المصريين في أعين الشعب الانجليزي حتى ينظروا بعين الرضا إلى المطالب القبطية ، إن أفكار الملوك كثيراً ما تكون معاكسة لآراء الشعب ، ولكن للصلاة قوة في تحويل الملوك ، وإن الله تعالى سيحول قلوب الانجليز بالحنو والرأفة نحو الاقباط » . كما خطب قسيس الكنيسة الانجيلية طالباً بركة الله للمؤتمر .. ثم روى توفيق دوس شواهد من التاريخ الاسلامى يستدل بها على أن مقاليد الحكم كانت بيد المسلمين والاقباط على السواء . وأن هذا الأمر استمر على عهد محمد على ، إذ كان المعلم غالي على رأس الجهاز المالي ، والمعلم باسيلوس على رأس الجهاز الادراي [*] ، ووجد مأمورية أقباط في بعض المراكز . وكذلك كان الأمر في عهد الخديو اسماعيل ، إذ كان زمام الحربية في يد عياد بك حنا ، وزمام المالية في يد وهبة بك الجيزاوي وعريان تادرس ودميان بك جاد ، وإذ كان السرتشريفاتي الخديو هو واصف باشا عزمي ، وأحد رؤساء المعية (حاشية الخديو) جرجس بك وصفي ، كما تولى عوض الله بك سرور منصب مدير مدرية المنوفية ثم القليوبية . [٤٠] وذكر أنه لم يحدث التمييز ضد الاقباط في هذه الوظائف إلا بعد الاحتلال البريطاني في ١٨٨٢ . ومن وقتها أثيرت الحجج التي تبرر هذا التمييز ، بدعوى أن بعض هذه المناصب يدخل في إختصاصها شأناً من الشئون الدينية .

« ثم قرىء في المؤتمر تقرير اللجنة التحضيرية ، قرأه على التوالي أحمد لطفي السيد وأحمد عبد اللطيف وعبد العزيز فهمي . ذكر التقريران غرض اجتماع المؤتمر هو النظر في التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية « التي كاد

(*) لماذا فات مراد كامل تعداد ذلك ضمن جهودهم لاستقلال مصر ... ؟ على الأقل محمد على نجح أكثر من على بك الكبير .

يتصدع بناؤها من جراء مؤتمر القبط » . وإن الاقباط انشغلوا بالتحضير لمؤتمرهم فيما يشبه الخفاء . فلم يفصل بين خبر انعقاده وبين انعقاده فعلاً إلا أيام ، وهذا أمر مريب . ثم عرض عرضاً سريعاً لمطالبهم في المؤتمر مستنكراً لها . ومستنكراً إرسال المبعوثين منهم إلى إنجلترا لبث الشكاوى التي « لا تشف إلا عن تعصب المسلمين على المسيحيين في مصر » ، وذكر أن الشكل الذي اتخذته حركة القبط هذه « مريب في ذاته مفض إلى الظن بأن الاقباط عولوا على أن يكونوا وحدهم أمة مستقلة . وتذرعوا بهذه المطالب حتى يصلوا بمعونة إنكلترا المسيحية إلى أن يكون لهم في مصر ، وهم الأقلية الضعيفة ، حق السيادة على الأكثرية الاسلامية العظمى .. » . وذكر أن هدف المؤتمر « المصري » تقدير مطالب القبط بميزان العدل ، وبيان النافع منها والضار ، والممكن وغير الممكن . » .

« **غير أن لكل أمة ديناً رسمياً ، وذلك ضروري بل مشخص من مشخصاتها . ودين كل أمة هو دين حكومتها أو دين الأكثرية فيها** . » .

« وإن ملك الانجليز تكلم عند تتويجه عن الصيغة البروتستانتية لبلاده رغم من فيها من كاثوليك . » .

« وضرب التقرير أمثلة لما يلقاه الاقباط في الانتخابات بما لا وجه معه للشكوى من معاملة المسلمين وهو وكيل مجلس شورى القوانين ، وانتخب قبطي بمركز نقش والناخبون ٣٦ منهم أربعة فقط من القبط ، وانتخب قبطي بمركز ديروط والناخبون ٥٨ منهم ٥ من القبط ، وانتخب قبطي من نائبين لمدرية الجيزة وقبطي من نائبين لمدرية المنيا (٢٧٣ منهم ٢٤ قبطياً) . وجملة القبط في الجمعية العمومية ٥ أعضاء من مجموع ٧٦ عضواً بنسبة ٧٪ ، وجملتهم ٣ بمجلس الشورى من مجموع ٣٠ نائباً بنسبة ١٠ ٪ . » البشري .

ويرى البشري أن كرومر لم ينفذ سياسة الطائفية في مصر ..!! فهو يقول : « وبالنسبة لمصر ، فإن حديث كرومر يفهم منه أن النهج الذي « يبدو صحيحاً هو تحالف الحكم البريطاني مع الأقلية ، وبسبب ما يجمعها بالاحتلال البريطاني

من أواصر الدين الواحد . وأنه مما يفيد الاحتلال أن يعمل بهذا على إثارة التفرقة الطائفية وأن يكون له من هذه الأقلية « قاعدة سكانية » تدعم قاعدته العسكرية ومراكزها السياسية . ولكن هذا الذي « يبدو صحيحاً » قد عدلت عنه السياسة البريطانية كما صرح كرومر ، فلم تعمل على أن تجذب إليها قبط مصر منذ بداية الأمر . '' ص ١٠٧ .

لأن السياسة الاستعمارية هى إحداث الفتنة وليس الحدب على الأقلية ، وبالتالي فلما جاء كرومر إلى مصر ووجد المصريين لا يميزون ولا يضطهدون .. لم يكن بوسعه أن يثير فتنة ولا أن يتقدم في صورة حامى الأقلية .. حاميهم من ماذا ..؟ كان لابد أن يبدأ أولا في اضطهاد الاقباط وتشريع أسس وتقاليد التمييز الطائفي بحجة رعاية التقاليد ومصالح الأغلبية .. فاذا أصبحت عادة وتشبثت بها الأغلبية واشتكى الاقباط ووجدت الفتنة ، جاء دور الاستعمار للعب دور الحامى لهذه الأقلية المضطهدة وهذا ما فعلوه حتى في الهند فقد كان المسلمون هم الحكام فأنزلوهم من مكانتهم ونكلوا بهم ثم تدخلوا لحمايتهم .. ! .

وكما أثبت البشري أنه قبل الاحتلال لم تكن هناك نسبة في المؤسسات ، وإنما بدأ الفرز وتحديد النسب مع الاحتلال وفي ظله : يقول : « فقد أنشئت الجمعية التشريعية « بالقانون ٢٩ لسنة ١٩١٣ » ، كجهاز استشاري للتشريع يحل محل الهيئتين السابقتين وهما الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين . وانتهزت فرصة إنشاء هذه الهيئة الجديدة ليقرر القانون بشأن تشكيلها مبدأ التمثيل الطائفي ، فكانت أول مؤسسة نيابية من مؤسسات الدولة في مصر الحديثة يتقرر في تكوينها رسمياً هذا المبدأ . » ص ١١٥ .

« ومن أهم ما يعبر صراحة عن مغزى السياسة البريطانية في هذا الشأن ، أن كرومر كتب إلى كيتشنر في تاريخ مقارب لتكوين الجمعية التشريعية يقول له « بالنسبة لأي تمثيل حقيقي للشعب المصري ، تمثيل يمكن إلى درجة ما أن يحل محل الحكم الشخصي ، فإنه من المحتمل أن يكون أكثر الأشياء حكمة في هذه

الفترة ، هو أن تترك هذه المسألة كلها .. ان التمثيل الوطني في مصر ـــ بالمعنى الذي يستعمل فيه هذا التعبير عامة ـــ هو محض سخافة ، وبذلك يرجع إلى سبب جد طبيعي وكاف ، وهو أن المصريين ليسوا أمة ، وأنه بقدر ما يستطيع المرء الآن أن يتنبأ ، فلا يبدو أنهم سيكونون أمة في أية ظروف خلال مدى حياة أي شخص يعيش الآن ، وإنما هم تراكم عشوائي من عدد من العناصر المتنوعة والمولدة »[٤١] .

« وليس يغيب عن البال ، أنه في أوج إشتعال الثورة العرابية ، وقعت مذبحة الاسكندرية في « يونيه سنة ١٨٨٢ » ، قبل احتلال الانجليز مصر بأسابيع معدودة . وبدأت المذبحة بشجار بين أحد المالطيين من رعايا الانجليز وبين مكاري من الأهلين حول أجرة ركوب الحمار ، وأسفرت عن قتل ٧٥ من الأوربيين و ١٦٣ من الأهلين . »[٤٢] .

« لقد وقع حادث دنشواي في يونيه ١٩٠٦ كما هو معلوم . وأثير الموضوع بمجلس العموم البريطاني بعدها بأيام قليلة ؛ فلم يجد كل من إدوارد جراي وزير خارجية بريطانيا واللورد كرومر ، لم يجدا دفاعاً يدفعان به بشاعة المسلك البريطاني تجاه المصريين ، إلا الزعم بأن الحادث هو أثر من آثار التعصب الديني لمسلمي مصر ضد المسيحيين الأوربيين . »[٤٣] .

« على أن الانجليز بعد حادث دنشواي خاصة ، استمروا مصرين على زعمهم ، وأفرد كرومر لهذا فصلاً من تقريره السنوي عن « المالية والادارة والحالة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩٠٦ » فقال إن ما يسمى بالجامعة الوطنية المصرية « لا يزال إلى يومنا هذا من قبيل الناميات من الخارج لا من الناميات من الداخل (في اصطلاح علماء النبات) لأنها نتجت عن مخالطة مصر لأوروبا . على أنه كان لابد لدعم هذا الزعم من تقديم البرهان عليه من واقع حياة المصريين . يذكر ميخائيل شاروبيم في تعليقة على سياسة كرومر بما شملت من الحسنات والسيئات « وقد بدل سياسته مراراً مع المصريين ، فكان يسترضيهم ويستميلهم بعزل

الأجانب عن وظائف الحكومة وخططها ، فكان من وراء عمله هذا أن وقعت الفرقة بين المسلمين والنصاري ، وبلغت حداً ليس له مثيل في تاريخ الأمة قبل الاحتلال ، حتى اتخمت عقول الكافة بسموم البغضاء ، وكادت الحزمة تضرم ونار الفتنة بين العنصرين تضطرم .. » . ثم تحدث عن جورست الذي حل محل كرومر بقوله « كانت طوالع سياسة غورست بعد إرتقائه منصبه التفريق بين العنصرين الوطنيين .. وقد تقمصت هذه الروح في الأجسام وتسربت إلى أهل المناصب وأصحاب الخطط والقضاة والمأمورين وماجت سائر دواوين الحكومة بسماسرة هذا الشر المقيم .. واتصل هذا بالعامة والسوقة وسرى بينهم .. »[٤٤] .

وعندما حاول حزب الوفد أن يعبر عن ثورة ١٩١٩ التي كان من أهم أسبابها رفض الشعب المؤامرة البريطانية لتمزيق الوحدة الوطنية ، وكان من الطبيعي أن يتدفق الاقباط على عضوية الوفد بما فاق النسب التي اخترعها وروجها الاستعمار ، حركت بريطانيا عملاءها يتباكون على حقوق المسلمين ويقدم البشري تسجيلا لهذا التباكي :

« وعن « الكشكول » أخذت صحيفة « النيرايست » الانجليزية التي قالت في هجومها على الوفد إنه خضع لاشراف القبط الذين لا تزيد نسبتهم العددية إلى المسلمين عن ١ : ١٣ ، وكذلك فعلت التايمز »[٤٥] .

« وفي يوليو ١٩٢٣ خطب حافظ عفيفي ، أحد اقطاب الأحرار الدستوريين وصاحب إمتياز صحيفة الحزب « السياسة » ، خطب يهاجم كبار رجال الوفد من القبط ويشكك في مدى إخلاصهم للحركة الوطنية وسابق اعتذارهم عن الاشتراك في الوفد . وإذ كان من نشاط الوفد منذ ١٩١٩ الدعوة في المساجد إلى اتجاهه السياسي ، فقد عملت « السياسة » على انتقاد هذا العمل أثناء المعركة الانتخابية لأن المساجد بيوت للعبادة فقط ، فلما خطب سلامة بأحد المساجد مهاجماً الأحرار ، كتبت « السياسة » تقول إنها تكره أن يعتلى سلامة ميخائيل منبر رسول الله »[٤٦] .

« وكان الأحرار الدستوريون ، هم خلفاء من بلوروا في مفتتح القرن العشرين مفهوم الجامعة المصرية في مواجهة الخلافة الاسلامية ، وكانوا يضمون صفوة من أكثر المفكرين المصريين استنارة ورشداً ودعوة لبناء القومية المصرية ، هم من وقف ضد سعي الملك وراثة الخلافة الاسلامية بعد إلغائها في تركيا ، سنة ١٩٢٤ ، فأصدر الشيخ على عبد الرازق كتاب « الاسلام وأصول الحكم » يناقش الأساس الديني لفكرة الخلافة بحسبانها حكم الفرد تدعمه الشريعة الاسلامية ، ويؤكد زمنية السلطة السياسية ويرفع الطابع الديني عن الحكومة المستبدة . وكان الشيخ على عبد الرازق من أسرة كبيرة تعتبر من أعمدة الأحرار الدستوريين ، وكان الحزب ذاته قد وقف مع الشيخ يظاهره ضد بطش الملك به ، ففصم تحالفه مع الملك في وزارة أحمد زيور ، وعرفت من قبل مواقف عبد العزيز فهمي وغيره بلجنة الدستور ضد التمثيل النسبي للأقليات ، ومواقف طه حسين المماثلة على صفحات الجرائد . ولكن كانت كل هذه المواقف تنضم رصيداً للمؤسسة الوطنية والديمقراطية الأساسية وهى الوفد ، ومادام الوفد من يقود التحرر ويعمل على الأستقلال . ومادام هذا الرصيد ينضاف إلى مكاسب « الأمة » ، وأن « الأمة » ليست الأحرار الدستورين كما ظنوا عند وضع الدستور ، ولكنها الحركة الوطنية التي يقودها الوفد . فلم يجد الأحرار في أواخر ١٩٢٩ سنداً يمكن الاستناد عليه إلا الآثار الطائفية وتزكية روح التعصب . وللضرورات السياسية وللمصالح وأحكامها . وبدأوا يمارسون هذه السياسة ضد الوفد منذ أذنت الظروف السياسية بخروجهم عن الحكم ، وفي منتصف ١٩٢٩ تقريباً . » ص ٢٠٢ .

« قالت صحيفة « السياسة » . « إن آلاف الاقباط هم الذين يتحكمون في أمور ملايين المسلمين عن طريق الوفد المصري .. » ، وإنه إذا كان الرسول قد أوصى مسلمي مصر بقبطها خيراً ، فأولى بالقبط اليوم أن يستوصوا بالمسلمين[٤٧] . وتقول « إن وليم (مكرم عبيد) ومن إليه (القبط) هم الوفد ، والنحاس ومن إليه (المسلمون) هم التبع . » وتسخر من فخري عبد النور قائلة إنه يحيي ليالي

رمضان بتلاوة القرآن في بيته ، حتى إذا انصرف القراء « دعا القسيس فطهر البيت من آثار التلاوة والزيارة »[٤٨] .

« وقد فسر الأحرار معارضة الوفد لمشروع معاهدة محمد محمود — هندرسيون ، بأنها معارضة يقودها القبط في الوفد لغرض في أنفسهم ، هو ألا تصل مصر إلى أي اتفاق مع بريطانيا ، حرصاً على بقاء تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي تتمسك فيه بريطانيا بحق حماية الأقليات في مصر ، وحرصاً على ألا تسقط هذه الحماية من أيدي الانجليز فيصير القبط تحت رحمة المسلمين[٤٩] . وقد كتب توفيق دوس (لم يكن عضوا بالأحرار وقت كتابة هذا المقال وان عرف تعاطفه معهم) مقالاً في صحيفة الديلي تلجراف قال فيه ، إن ثمة من يتهم الملك بأنه ضد المعاهدة ، وإنه « حينما عدت إلى مصر وجدت تهمة مماثلة ضد الاقباط ولأسباب مشابهة ، أعنى أن الاقباط لن يشعروا بالطمأنينة بعد انتقال الجيوش البريطانية إلى قناة السويس ، وأنهم من أجل هذا السبب يناوئون المعاهدة من صميم قلوبهم .. »[٥٠] وذكرت « الوطن» أن الأحرار الدستوريين هم أصحاب هذه الشائعات » ص ٢٠٣ .

« ولكن الأحرار فسروا هذا الموقف الوفدي « إن وليم وإخوانه يكرهون أن يروا أبناء المسلمين يتعلمون ويرشدون ، ولا يستطيعون أن يروا هؤلاء الأبناء ينافسون أبناء طائفتهم في ميدان العلم . ومن هنا يحقد وليم وشيعته الخاصة على الأستاذين عبد الفتاح صبري بك وعلي عمر بك لأنهما نفذا السياسة الحكيمة » . [صحيفة السياسة ٢٧ نوفمبر ١٩٢٩] . وهكذا عمل الأحرار على تحويل كافة القضايا السياسية المطروحة ، وقتها إلى قضية واحدة ، أوجدوها اصطناعا ، وهي الصراع بين القبط ويمثلهم الوفد في رأيهم ، وبين المسلمين ، ويعمل الأحرار على التحدث باسمهم .. » ص ٢٠٣ البشري .

وانتقد الأحرار قرار بناء ضريح سعد على الطراز الفرعوني .. « قالوا إنه أجدر بالتشييد وأن يبنى باسم سعد مستشفى مثلاً يكون نافعاً . ثم عرجوا على الاثارة

الدينية قائلين إن التشبث بالطراز الفرعوني غير مفهوم ، وإن مكرم عبيد هو من يتشبث به لأنه يتخذ حتى الفنون وسيلة لغايات خاصة لايجهلها أحد ، وأداة لمآرب سياسية » . ثم عمقوا الاثارة قائلين إن إقامة الأضرحة على الطراز الفرعوني أمر غير مألوف عند المسلمين ، لأن الطراز الفرعوني طراز وثني ، والواجب على من يتولى الحكم « أن يخدم عقيدة الجماعة ودين الدولة » .. وفي هذه الأمة أربعة عشر مليوناً من المسلمين ، ودستور الحكم فيها ينص على أن دين الدولة الاسلام ، فليس يصح أن يقام عمل عام على قاعدة تخالف دين الدولة » . ثم زادت اللهجة شدة ، تنعي على الوفد استخفافه بالعاطفة الدينية للمسلمين ، وتنزع عن سعد زغلول صفته الوطنية بقولها إن سعداً رجل مسلم تربى فى الأزهر ومات على الاسلام ، وكان يحمي الاسلام من كيد الكائدين .. وإن الاسلام في خطر وأن الهجوم عليه يشتد ، والقبط في الوفد إما متملقون للدين أو مفسحون للطعن عليه والاستخفاف به . ثم عملوا على تعبئة العواطف الدينية ودعوة رجال الدين إلى التحرك ضد هذا الأمر الجليل[٥١] .

« إرتقى موقف الأحرار من الهجوم على سياسة الوفد وتفسيرها تفسيراً قبطياً ، ومن الإثارة ، إلى محاولة وضع صياغة نظرية لموقفهم . فتجاوزوا الإثارة الدينية والعاطفية إلى المطالبة بصياغة مؤسسات الدولة وأجهزتها على أساس وجود أقلية وأكثرية دينيتين ، لا بالنسبة للتمثيل النسبي في البرلمان فقط ولكن بالنسبة لأجهزة الدولة المختلفة . مع محاولة لوضع أساس ديني طائفي للدولة . وقد كتبت « السياسة » أعنف وأخطر ما يكتب في هذا الشأن بعنوان « التمثيل النسبي للأغلبية .. هذا ما يفكر البعض في المطالبة به » . وصاغت في المقال فكراً سياسياً جديداً ومتكاملاً للأحرار على أساس مبدأ التفرقة الدينية . وهو فكر انتكست به « السياسة » على كل ما دعا إليه مثقفو الأحرار واسلافهم ، مثقفو حزب الأمة منذ بداية هذا القرن . ولعل أكثر المواقف تبايناً يظهر من مقارنة موقف الأحرار في ١٩٢٥ عندما آزروا الشيخ على عبد الرازق في دعوته لزمنية الحكم في الاسلام ،

وبين هذا المقال الأخير الذي يقول « جاء وقت كانت الأمم الاسلامية فيه تنظر إلى مصر على أنها أليق بلاد الاسلام لقيام الخلافة الاسلامية فيها . وكان التفكير جديا في أن تكون هي دولة الخلافة ،، وإن كان هذا لم يقع ، فليس ثم ما ينفي أن يحدث في المستقبل . فإن مصر ليست دولة من دول الاسلام فحسب ، ولكنها إلى هذا أرقى البلاد الاسلامية وأعلاها وأرسخها قدماً في المدنية وأبعدها سمعة في العالم ، وأخلق بها بعد أن يتحقق لها استقلالها أن تصبح أقوى الأمم أيضاً وأقدرها على حفظ مكانة الخلافة .. » ثم قالت إنه بما يتنافى مع هذا الواقع أن يكون ممثلو مصر في الخارج « الوزراء المفوضون » من غير المسلمين . » ص ٢٠٦ .

« ثم كتب الدكتور محمد حسين هيكل ، وكان رئيس تحرير صحيفة « السياسة » المسؤل ، كتب ينفي تهمة التعصب عن حزبه قائلاً : إن كل ما يهدف إليه الأحرار أن يجنبوا البلاد الخطر يوم تجد الأكثرية أن القبط يمسكون بالحكم ، فيكون يوماً عصبياً وكارثة وطنية . » ص ٢٠٧ .

« ووقف خطيب جامع عمرو في صلاة الجمعة اليتيمة أمام الملك يقول إن مصر كانت بلاد الكفر والإلحاد حتى دخلها الاسلام ، مما يهيج خواطر الاقباط لولا أن رد النحاس — وكان حاضراً الصلاة — بأن المسيحية لم تكن ديانة كفر وإلحاد قط .. وأشار محمد حسين هيكل في خطاب إنتخابي له بشبين الكوم إلى أن إلحاح وزارة الوفد على تعيين فخري عبد النور عضواً بمجلس الشيوخ ، كان يرجع إلى أسباب « لا أعرفها وأنتم تعلمونها » (٥٢) . والملاحظ أن هذه النغمة قد استخدمت أكثر ما استخدمت في الأقاليم ، حيث يظن أنها هناك أنفذ أثراً وأحسم نتيجة . وحيث يظن الأحرار أن لهم من ملكياتهم وأسرهم الكبيرة عزوة . وأوغلت مجلة « الكشكول » في الإثارة متحدثة عما يجب أن يكون عليه الاقباط من طاعة تامة ، وأن الحكم حق للأكثرية الدينية وحدها فلا يجوز أن يطمع القبط فيه بمشاركة ما ، ولا يأملون في أكثر من يحكموا بالعدل إن هم أطاعوا ، وأن مكرم عبيد لا يعمل لخير الوطن بل لخير طائفته فقط مما يشكل خطراً على وحدة الأمة ،

وسخرت من مأثورة مكرم عبيد أنه مسلم وطناً وقبطي ديناً ، قائلة إن مصطفى النحاس مسلم ديناً وقبطي وطنا . وكل ذلك أهاج من عواطف القبط ما أفصحت عنه صحيفة « مصر » مرارا وقتها[٥٣] ».

وقد ناقشنا موقف ، أو إن شئت ، حيرة البشري من تناقض موقف الأحرار الدستوريين (انظر كتابنا : جهالات عصر التنوير) .. ولا نجد ما نضيفه هنا إلا أن حيرة المستشار تشبه حيرة من يتعجب لأن الحزب الذي اسمه الأحرار الدستوريين يضم ألد أعداء الحرية والدستور في مصر .. اما نحن فلا تنتابنا حيرة في تفسير موقف هذه الجماعة التي اختارت أن تعمل تحت حماية الاستعمار ولحسابه فهى كانت ضد الاسلامية عندما كانت الاسلامية تعني رفض الاستعمار الأوربي .. كانوا هم حزب الاستعمار وكانت الحركة الوطنية كلها متعاطفة مع الدولة العثمانية ، اسلامية الاتجاه ، فلما سقطت الدولة العثمانية وخاف الانجليز أن يتبنى العرب ومصر بالذات حركة الخلافة .. كانوا ضدها وكان كتاب الشيخ على الذي وضع في ظل الحماية وعلى هوى وممالاءة من الانجليز كما أثبتنا .. فلما أصبحت الطائفية هي سلاح الانجليز غرقوا فيها لآذانهم .. ويمكن أن يقال إنه مع تصاعد خطر المبشرين وانزعاج الأمة من الهجمة الصليبية التبشيرية لم يكن لدى حزب الأحرار ما ينافق به الجماهير إلا صيحة .. وإسلاماه ! ولكن هيهات ..

وهذا لا ينفي أن بعض عناصرهم قد أصابهم فزع حقيقي عندما تبينت نوايا المبشرين .

وبعضهم عاد فعلا للاسلام لما أفاقوا من غفلتهم على نوايا المبشرين وتعصب أوروبا وأمريكا ضد الاسلام وحده !

* * *
* *
*

□ هوامش وملاحق ومراجع الفصل الثالث

(١ و ٢) ص ١٣ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي :

(٣) اشرت أكثر من مرة إلى أن ظهور ممدوح سالم والدور الذي لعبه في تمكين السادات وما حكاه هيكل في خريف الغضب ثم الفتنة ، يثير علامة استفهام كبيرة جداً حول الرجل الذي لا يكاد يعرف عنه شيء .

(٤) انظر حرص فرج فودة على التقليل من دور الاستعمار في الفتنة : فهو يبدأ حديثه عن الفتنة ومثيريها فيسأل « ... هل هي القوى الأجنبية .. يمثل هذا السؤال مدخلا اساسيا للبحث ، لأن حسمه يقود إلى أحد منهجين ، وأولهما هو الشائع ، وهو المتناسق أيضا مع اسلوب تفكيرنا فيما يعرض لنا من مشكلات وأزمات حيث نحيلها جميعا إلى مشجب القوى الأجنبية .. (الطائفية .. إلى أين ! ؟ فرج فوده) .

(٥ و ٦ و ٧) : « الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي » .

(٨) ص ١٧٣ من كتاب البابا والسادات . أنور محمد . وان كنا نوافق غبطته تماما على أنه إذا اقتصر الحدث على العدوان على الأقلية فهو اضطهاد وليس فتنة ولكن هذا الحادث بالذات كان فتنة وفتنة مدبرة .

(٩) من تقرير اللجنة عن الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(١٠) ص ٧٢ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(١١) كنت قد بعثت هذه الكلمة للاستاذ فليب جلاب رئيس تحرير الأهالي فتفضل ونشرها بالأهالي وهي :

عن الهمايوني والهمايونات ..

سأدخل في الموضوع مباشرة بدون تحليل الدوافع والنوايا ، وسأفترض حسن النية في كل الذين عادوا لترديد معزوفة القانون الهمايوني الذي يجبر المسيحيين على استصدار قرار جمهوري لاصلاح دورات المياه في الكنائس أو إقامة النوادي الدينية ــ الرياضية . وسأفترض طهارة دهشتهم من أن يحكم بعض المواطنين بقانون عثماني عمره مائة سنة ! سأقول ملاحظاتي على هذه الكتابات

التي اعتبرها في حالة صدق النية ، محاولة لاطفاء النار بالبنزين ، أو كما يقول المثل الشامى : كثرة الدق تفك اللحام ! .

من واقع ما كتبه الدكتور ميلاد حنا .. هناك كنائس عمرها أكثر من مائتي سنة وهذه على حد قوله تحتاج لاصلاحات بل وأحيانا إعادة هدم وإنشاء من جديد .. (وأنا أعتقد أن هناك من الكنائس ما يتجاوز عمره الألف سنة ...) كما أكد الدكتور أن هناك تحايلات على القانون لبناء كنائس بدون ترخيص من الدولة وبالتالي تحدث اشتباكات وفتنة وشر لا يريده أحد .

والآن لنفترض أن الدولة استجابت لهذه الأصوات « التقدمية » التي تطالب بإلغاء جميع القوانين التي تمنع بناء وهدم وتجديد الكنائس .. ماذا سيحدث ؟ .

١ ــ ستهدم كنائس مصر وتتحول إلى فنادق و مشروعات سياحية وابراج استثمارية وسيقال إن ذلك لحساب ومصلحة الطايفة وبالطبع سيحتفظ في كل برج بموقع للمذبح واداء القداس على طريقة جامع حسين صدقي أو المساجد التي يبنيها الحاج الهلباوي في أبراجه لخزي العين والضرائب .. فهل يطالب أحد بأن تترك كنائسنا .. تراثنا تاريخنا لأعمال الهدم والتوسعة والاصلاح بلا رقيب ولا قانون ؟ طالما اعجب الذين يريدون ذلك بقوانين أوربا وامريكا التي تمنع تغيير طلاء منزل عمره أكثر من مائة سنة إلا بموافقة عدة جهات .

٢ ــ إذا ألغيت جميع القوانين التي تنظم بناء الكنائس والمساجد (وأنا اؤيد المساواة المطلقة في التعامل القانوني مع أماكن العبادة . وأيضا التعامل مع المسئولين عن هذه الأماكن وأسلوب إدارة هذه الأمكان ، لا يمكن أن نستخدم الدولة لكبح الآخرين .. ثم نصرخ بحرية العقيدة إذا ما تدخلت نفس الدولة في شؤوننا نحن .. وهذه بمناسبة الذين يؤيدون استخدام القنابل المسيلة للدموع ضد أي نشاط في المساجد غير الصلاة ثم يلطمون الخدود لمنع الداخلية فتح مقر للتدريب .. الرياضي .. في كنيسة !) .

نعم .. ماذا يحدث إذا ألغيت القوانين التي تنظم الترخيص ببناء الكنائس والمساجد ، وأصبح من حق من يشاء ويقدر أن يبني معبده حيث شاء وكيف شاء تأكيدا لحرية العقيدة .. ماذا سيحدث ؟ لن يجد المسلمون المصريون ولا الاقباط المصريون شبرا في مصر يبنون عليه مسجدا أو كنيسة ، فالمعروف أن الكنائس غير القبطية بامتداداتها العالمية أكثر ثروة من كنيستنا القبطية واقدر على الشراء والبناء . ونفس الشيء عن الجهات غير السنية المستعدة لانفاق المليارات لتنزرع مصر بمعابدها من البهائيين للبهرة .. إلخ . هل تقبلون أن تعلو كنيسة أخرى ولو على بنيان كنيستي المصرية ؟ أنا لا أقبل . هذه بلاد الاقباط وكنيستهم يجب أن تظل هي الأعلى بين سائر الكنائس .

ألا يعلم الذين يهاجمون القرار الهمايوني أنه صدر بناء على طلب ولحماية الكنائس الوطنية في مواجهة الهجمة التبشيرية من كنائس أوروبا وأمريكا المدعومة بالمال والأساطيل والتي كان أول أهدافها القضاء على كنيستنا القبطية ؟ ألا يلاحظ الناس أن معظم النقد للقرار الهمايوني لا يصدر عن الاقباط الارثوذكس ؟! . .

المسلمون في ظل الدولة العثمانية ، لم يكونوا بحاجة إلى قانون يضطهدون به الاقباط ، كانت هناك وسائل أخرى لو أرادوا أو لو كان دينهم يسمح بذلك وإنما القانون جاء لحمايتهم . .

ثم ماذا سيحدث إذا ألغى القانون وتسابق المسلمون المصريون والاقباط فقط على امتلاك الأرض وبناء المساجد لتناطح الكنائس .. هل نقدر ما الذي يمكن أن يحدث ؟! هل صحيح يطالب البعض بالانفتاح في هذه القضية الحساسة ؟! نعم الحساسة بسبب أوضاعنا المتخلفة المتردية .. ولكنها حساسة ، فهل نتركها بلا قانون ولا ضابط ولا رابط لاجتهادات ونشاط المتحمسين والمتطرفين والعاملين بقصد لإحراق البلد ؟ .

سيقول البعض .. لا أحد يريد الفوضى لابد من قانون بالطبع ولكن لماذا القانون الهمايوني .. لماذا لا يوضع تشريع حديث .. والجواب بسيط جدا .. الذي يعتقد أن حكومتنا ولو على المدى المنظور تستطيع أن تصدر قانونا في ظروفنا هذه ينظم بناء الكنائس والمساجد .. يرفع صباعة ... لا أحد بالطبع .. هذه حكومة لا تستطيع إصدار قانون ينظم العمل بعدادات التاكسى ، هل نطالبها بفتح الحوار الآن في هذه القضية .. بل هل يوجد مجلس شعب قادر على صياغة هذا القانون الآن ؟! إذن فالحل الوحيد هو ما أصبح شعارنا القومي : « يبقى الحال على ما هو عليه ، وعلى المتضرر اللجوء إلى القضاء .. » .

هذه قرارات إدارية فلماذا لا يطعن فيها أمام القضاء ؟! لنحاول التطوير من خلال القضاء ، فما زالت هذه المؤسسة العظيمة فوق الأهواء والحرتقات والتعصبات .. ولا نحاول أن نثير قضايا لا نملك لها حلا .. إن ذلك من فعل الفتنة والفتانين .

بقيت كلمة حول شعور الأستاذة أمينة السعيد بالأسف لأنها مصرية .. أعتقد أن الكثير وأنا منهم يشاركونها نفس الأسف !

وكان الأستاذ محمود السعدني قد كتب في المصور ٢٠ / ٣ / ١٩٨٧ :

« وإذا كانت الحكومة قد غابت في مطاردة اللصوص الكبار والحرامية الأقوياء ، فقد غابت ايضا عندما تركت الحبل على الغارب الى بعض المشعوذين والمتعصبين على الجانبين ، يقيمون

المساجد والكنائس في كل مكان ، وفي أي مكان بدون خطة وبدون حاجة إليها ، على شاطيء النيل في الجيزة مثلا عشرات المساجد والزوايا التي اقيمت بالجهود الذاتية ، وبنيت كلشنكان ، وبشكل قبيح وضد الذوق ، وهي مسالة مريبة ، خصوصا في بلد كان الفن الهندسي هو محور حضارته في التاريخ القديم ، وستجد عند امبابة حجرة تصلح مخزنا للحبوب ومأوى لأحد الخفراء ، وقد علقوا عليها صليبا ، وقد اقيمت بالطبع بدون ترخيص ودون احترام للمواصفات المطلوبة في دار عبادة ، وهو مثال يتكرر في كل انحاء مصر ، ومع ذلك تغمض الحكومة عينيها ، فلم تتدخل مرة واحدة لوقف بناء زاوية أو كنيسة اقيمت في غير مكانها أو على غير المواصفات المطلوبة ! لدرجة انني تصورت أحيانا ان هناك خطة خمسية ، هدفها الاخير مسجد لكل مسلم وكنيسة لكل مسيحي ! ونسأل لماذا لم تتدخل الحكومة ؟ ويكون الجواب ، لأننا الآن في ظل مناخ ديموقراطي وكل شيء يتم بالقانون ، وهو جواب مضحك ، لأن الديموقراطية لا تعني ان كل واحد على كيفه ، وإلا اصبح الامر كأنه مولد وصاحبه مسافر .

وفي بريطانيا الديموقراطية على أشدها والحرية على أشدها ، ولكن لا أحد يجرؤ على إقامة كنيسة في غير موضعها ، ولا احد يجرؤ على وضع ميكرفون خارج مسجد .

ولو ان الحكومة تدخلت فأوقفت بناء زاوية من هذه الزوايا أو كنيسة من هذه الكنائس ، لكف الناس عن المحاولة ، ولكن الذي حدث ان الحكومة غطرشت ، والاجهزة وقفت عاجزة لا تبدي حركة امام هذا العدوان على جسور النيل وشواطيء الترع . وكانت النتيجة هذه الالوف من الزوايا القبيحة الشكل ، وهذه المئات من الكنائس المشوهة ، وقد ادت بعض هذه الامور الى احتكاك بين افراد الطائفتين لم يكن له أي مبرر » .

(١٢) ص ٧٣ و ٧٤ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

وهذا رأي البشري :

« جرى نظام بناء الكنائس على هذا الوضع مما أعطى جهات البوليس والإدارة سلطة هامة في تقرير بناء دور العبادة والإشراف على تنفيذ هذه الشروط ، من حيث منع إقامة الشعائر الدينية بقوة البوليس إذا لم يكن ثمة ترخيص سابق بإنشاء الكنيسة ، ومضى الأمر على هذه الوتيرة ، فلا يجوز بناء كنيسة إلا بترخيص سابق بإنشاء الكنيسة ، ولا يجوز إقامة الشعائر الدينية في مكان غير الكنيسة المرخص بها . [السياسة والأزهر ــ المرجع السابق ٢١٥] مما أثار السخط في هذه الشأن . وفى ١٩٥٢ أصدر الدكتور عبد الرازق السنهوري رئيس مجلس الدولة حكماً هاماً كان من شأنه أن يخفف كثيراً من هذا القيد ، أصدره معتمداً على ما تضمنه الدستور ذاته من

كفالة الحرية في إقامة الشعائر الدينية ، إذا فرق بين الاجتماع في مكان ما للصلاة ، وهو إجتماع ديني محض يكفل الدستور حمايته وحرية ممارسة الشعائر الدينية فيه بغير قيد ، ما دام ليس ثمة ما يخل بالنظام العام والآداب ، فرق بين هذا الأمر وبين تغيير صفة هذا المكان من ملك خاص إلى ملك عام مخصص للعبادة ، إذ يتعين لشرعية هذا التغيير والتخصص أن تلتزم شروط الخط الهمايوني ، وعلى وفق تلك التفرقة قضى بإلغاء قرار كانت أصدرته وزارة الداخلية بوقف إقامة الشعائر الدينية والاجتماعات الدينية في مكان خصصه مالكه لذلك [الاتحاد ، الأهرام الأعداد ١٣ ــ ٢٢ مايو ١٩٢٦ .] . ص ٢٦٧ البشري .

ومع إقرارنا بأن الحكم قد أيد الشرعية فيما يتعلق بما يطلق عليه صفة الكنيسة ، إلا أننا نعتقد أيضا أنه قد فتح بابا للشر باستغلال بعض محترفي الفتنة له لكي يقيموا الصلوات في أي موقع ثم يطالبون بالاعتراف به ككنيسة . .

وما كانت فتنة الهمايوني بالتي تفوت الدكتور فرج فوده فهرع يغرف من كتاب الدكتور زغيب ميخائيل الذي كان من أسلحة الفتنة التي استغلتها بريطانيا لضرب الحركة الوطنية في الخمسينيات .. وقد اقتبس ما يطلق عليه الشروط العشرة .. قال : « شروط سعادة العزبي باشا فبراير ١٩٣٤ » .

١ ــ هل الأرض المرغوب بناء الكنيسة عليها هي من الأرض الفضاء أو الزراعية، وهل هي مملوكة للطالب أم لا ؟ ، مع بحث الملكية من أنها ثابتة ثبوتا كافيا وترفق أيضا مستندات الملكية ؟ .

(هل هناك أي اعتراض منطقي على هذا البند .. أليس هذا ما تطالب به الدولة كل من يريد أن يبني جامعا أو مدرسة أو مستشفى ألا يحظر القانون البناء على أرض زراعية ولو كان مستشفى كله غرف انقاذ ؟! إلا تهدم السلطة أي مستشفى بني على أرض زراعية .. وهل يمكن أن يسمح أو يرخص لأحد بالبناء في أرض لا يقدم ما يثبت انها ملكه ! هل هذا بند خاص باضطهاد المسيحيين ؟ ج) .

٢ ــ ما هي مقادير ابعاد النقطة المراد بناء الكنيسة عليها من المساجد والاضرحة الموجودة بالناحية .

٣ ــ إذا كانت النقطة المذكورة من أرض الفضاء فهل هي من وسط مساكن المسلمين أو المسيحيين . .

٤ ــ إذا كانت من مساكن المسلمين فهل لا يوجد مانع من بنائها .

(ألا يطلب ذلك ممن يطلب ترخيص صيدلية أو مدرسة . هل يعني طلب هذه البيانات أنه ينوي منعها ، لو كان ذلك لأشترط بعدا معينا ، ولكنه يطلب مجرد بينات أو استيفاءات كما تقول البيروقراطية . ونص البند ــ ولا نقول الشرط ــ لأن هذه التسمية هي التزييف بعينه والذي خلق هذا الاعتقاد عند العامة من المثقفين الذين لم يقرأوا لا الهمايوني ولا العزبي .. البند في حد ذاته يعني أنه لا يوجد مبدأ يفرض أنها ما دامت في وسط مساكن المسلمين فهي محرمة ، إنما يطلب معلومات لو كانت هناك مشكلة وممانعة فمن حق الداخلية أن تعرف لتحشد قواتها لغزو المنطقة الاسلامية وفتحها ووضعها تحت الحكم العرفي وتجبر الأهالي بالدبابات على قبول كنيسة وسط أراضيهم وألا تنتفي الحرية الدينية ، أليس من حق الداخلية أن تستفسر أولا لكي تستعد لذبح المسلمين المعارضين .. عجايب ! ألم يقل القانون الهمايوني السيء السمعة أنه لو كانت الكنيسة أو الكنيس المطلوب بناؤها تقع في منطقة تدين بمذهب واحد فلا يعترض سبيلها ولا يمنع بأي شكل .. فهل نثور لأن المشرع أراد بعض الضمانات والبيانات في المناطق التي تتجاور فيها المذاهب وتتناحر ؟!) .

٥ ــ هل توجد للطائفة المذكورة كنيسة بهذه البلدة خلاف المطلوب بناؤها .

٦ ــ إن لم يكن بها كنائس فما مقدار المسافة بين البلد وبين أقرب كنيسة لهذه الطائفة بالبلدة المجاورة ؟ .

ما هو عدد أفراد الطائفة المذكورة الموجودين بهذه البلدة .

(كلها شروط توضح أن المقصود والمستهدف هي المذاهب أو الطوائف الوافدة ومادمنا وافقنا على أن ينص في الدستور على أن الكنيسة القبطية هي الكنيسة الوطنية فهي تعامل نفس معاملة المساجد ، هل تقبلون ذلك ؟) .

٨ ــ إذا تبين أن المكان المراد البناء عليه قريب من جسور النيل والترع والمنافع العامة بمصلحة الري فيؤخذ رأي تفتيش الري ، وكذا إذا كان قريبا من خطوط السكة الحديد ومبانيها فيؤخذ رأى المصلحة المختصة في ذلك .

(حاجة عادية جداً .. هل يريد أحد أن يبني كنيسة تقطع مجرى النيل أو تسد الطريق إلى السكة الحديد .. ولكن تاجر الفتنة يلطم خده بالإيجار ويقول ما دخل السكة الحديد فى بناء الكنائس ؟! ج) .

٩ ــ يعمل محضر رسمي عن هذه التحريات ويبين فيه ما يحاور النقطة المراد إنشاء الكنيسة

عليها من المحلات السارية عليها لائحة المحلات العمومية والمسافة بين تلك النقطة وكل محل من هذا القبيل ويبعث به إلى الوزارة .

١٠ ــ ويجب على الطالب أن يقدم مع طلبه رسما عمليا بمقياس واحد في الألف يوقع عليه من الرئيس الديني العام للطائفة ومن المهندس الذي له خبرة عن الموقع المراد بناء الكنيسة به . وعلى الجهة المنوطة بالتحريات أن تتحقق من صحتها وأن تؤشر عليها بذلك وتقدمها مع أوراق التحريات .. .

هل هناك شخص يتمتع بذرة من الشرف يعتبر ذلك شرطا تعسفيا ؟! .

ويعلق الدكتور زغيب ميخائيل على هذه الشروط بقوله هذه هي الشروط العشرة أو الأغلال العشرة التي وضعت في عنق مشروعات بناء الكنائس ، ويضيف هو : وبهذه الشروط اعتبرت أماكن العبادة ضمن المحال المقلقة للراحة والخطرة المنصوص عليها في لوائح الحكومة (إزاى وأمتى ؟! ج) بل أنها أشد منها واعسر ، أنها شروط تعسفيةالغرض منها التعجيز والصد عن بناء الكنائس وان لم يكن فالمماطلة وتضييع الوقت والمضايقة للقائمين بمشروع بناء الكنيسة لعلهم يزهقون ويعدلون عن بنائها ، لا شيء غير هذا من الشروط السخيفة لا مثيل لها في أي بلد من بلاد العالم . ما شأن مصلحة الري ومصلحة السكة الحديد في بناء الكنائس ، ولماذا كل هذه الأبعاد العديدة المطلوب اثباتها بين الكنيسة وبين المساجد والأضرحة والمحلات العمومية .. إلخ .

ثم يتطوع هو بوضع مذكرة تفسيرية للقانون .. « وخاصة أن بناء المساجد لا يخضع لقيود ، الأمر الذي يثير أحاسيس الفرقة والتمييز والألم لدى الاقباط » .. الطائفية إلى أين !؟ فرج فودة ص ٥٨ .

هذه فعل صناع الفتنة ومروجوها .

(١٣ و ١٤) ص ٨٢ الفتنة الطائفية في مصر .

(١٥) ويرى المستشار طارق البشري :

« أما بالنسبة لرفض الشريعة على أساس أنها مستمدة من أحكام دين غير دينهم ، فقد يكون لهذه الحجة وجه ، لدى من يقول بها ، لو أن للكنيسة القبطية نظام قانونى للمعاملات يوازي نظام الشريعة أو يتضمن ما يخالفه . ولكن الحادث وفق ما يراه رجال الدين المسيحي ومثقفو القبط ، أنه لا يوجد هذا النظام . يذكر الأب متى المسكين أن المسيح لم يهتم أبداً بتشريع قوانين مدنية « ولم يجمع قط ولم يخلط أبداً بين مملكة الله ومملكة هذا الدهر ، وقد رفض ملك

الأرض ، وان محاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكاً على الأرض » .

ويذكر البر لحام « ليس في الإنجيل تعليم سياسي أو معالجة مباشرة للقضايا السياسية . إن السيد المسيح .. خيب آمال الذين كانوا ينتظرون مسيحاً قومياً ينشىء ملكاً سياسياً لله . فهو لم يحاول أن يؤسس دولة ، ولاحاول إعطاء الدولة القائمة نظاماً ، ثم إن الإنجيل ليس مجموعة من الشرائع والقوانين تحدد دقائق العلاقات الخاصة والعامة .. » [العدالة في المسيحية والاسلام ، ومحاضرات الندوة ، السنة العشرون النشرة ١١ ــ ١٢ بيروت ١٩٦٦ ، (دار الندوة اللبنانية ، مؤسسها ميشال أسمر) ، مقال « العدالة السياسية في المسيحية » البر لحام .] .

« ولعل الكتاب المشهور الوحيد في التراث الكنسي المصري ، الذي تضمن أحكاماً تتعلق بالمعاملات ، وهو كتاب القوانين الذي ألفه الشيخ الصفى أبى الفضائل بن العسال في القرن الثالث عشر الميلادي ، والمعروف باسم المجموع الصفوي . وقد تضمن جزءين ، أولهما من اثنين وعشرين باباً عن الأحكام الكنسية أي العبادات ، وثانيهما من تسعة وعشرين بابا عن الأحوال الشخصية والمعاملات .

« وفي ١٩٦٠ كتب الدكتور شفيق شحاتة « البلاد العربية في إبان حضارتها ، حكمها قانون ينبعث من صميم عقيدتها ، يتمثل في الشريعة الاسلامية . والشريعة الاسلامية ظلت مطبقة تطبيقاً شاملاً لمختلف نواحي الحياة العربية ، وذلك على مدى قرون طويلة . فإذا أردنا الآن الرجوع بالبلاد العربية إلى مقوماتها الأصلية ، تعين علينا الرجوع إلى هذا الينبوع ، لنتعرف منه أنظمة تتسق وحاجات العصر » [الاتجاهات التشريعية في قوانين البلاد العربية ، الدكتور شفيق شحاتة ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ١٩٦٠ ، ص ٥ ــ ٦] ص ٧٠٧ ــ ٧١١ طارق البشري .

(١٦) البابا والسادات ص ١٧٦ .

(١٧) « يذكر الدكتور محمد فتحى عثمان « من حقهم أن يصروا بالقول الفصل في شأن ما قدمنا من مسائل .. لا أن يصدموا بتشريع دستوري مفاجىء ينص على أن شريعة الاسلام هي مصدر التشريع .. » البشري ص ٦٧١ .

وقارن بين موقف البابا الرائع وبين المتكسبين من الفتنة إذ يعلق كاتب مسلم : « أيضا فإن استخدام الدين الاسلامي والشريعة الاسلامية كشعار للحكم مجرد عن أي مضمون حقيقي لا لشيء سوى لتفويت الفرصة على التيار الاسلامى ولمحاولة خداع الرأي العام المصري وتأييد

رجال حكمه لنشاط بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة ودعمه لضرب اليسار أدى كل ذلك إلى إشاعة عدم الثقة بين الاقباط ، وقد ضاعف من مشاعر عدم الثقة إقدام السادات على تغيير الدستور والنص لأول مرة في الدستور المصري على أن الشريعة الاسلامية هي مصدر أساسي للتشريع . » .

وكاتب فتنة آخر يتطوع بتحريض المسيحيين فيأصل القضية إلى الاسلام ذاته مادام المسلمون يريدون إقامة دولة مسلمة فلابد من الفتنة ويفتي : « فهناك قضية الولاية حيث لا ولاية للذمي ، فليس له أن يتولى المناصب التي يكون له فيها ولاية على غيره من المسلمين .. الجزية التي يجب فرضها على غير المسلمين والتي تصر الجماعات الاسلامية على ضرورة فرضها ، ومنطقها في اعتقادي سليم من خلال منظور عقائدي ومتناسق مع إيمانها بما تدافع عنه » (؟!!!! ج) ... فواجب الجيوش في الدولة الاسلامية أن تحمى أرض الاسلام وعقيدة الاسلام وإذا تصورنا للحظة واحدة أن ضابطا أو جنديا مسيحيا على أستعداد لبذل حياته ودمائه من أجل ذلك فإن الأمر يتحول من الجد إلى الهزل . ولعل أبلغ مثال على وضع الذميين في الدولة الدينية الاسلامية ما ينقل لنا عن دية الذمى في حالات القتل الخطأ (في واحد من الدول الاسلامية) وهي لا تكفي لشراء قاروصة سجائر وتصل نسبتها إلى واحد من عشرة الآف بالمقارنة بدية المسلم في نفس الظروف ، ثم يضيف : أما القاعدة الشرعية فمحل اختلاف حيث تتساوى الدية لدى الأحناف وتصل للنصف لدى المالكية والحنابلة وإلى الثلث لدى الشافعية ... » الطائفية .. إلى أين ! ؟ فرج فودة ص ٢١ .. أمال الدولة ديه على ملة مين ؟ وقد قال الشيخ الماركسي عبد الكريم خليل : « أبو حنيفة وابن حنبل حياة الذمي تكافىء حياة المسلم وديته دية المسلم ومعروف أن المذهب الأول يعتمد على القياس والرأي والثاني على النصوص » « الطائفية .. إلى أين ! خليل عبد الكريم » .

وهذا الكاتب الذي أشرنا إليه هو نموذج للكادر المدرب لاحداث الفتنة يندس بين صفوف المسلمين لابسا العمامة والمسبحة ، فإذا رآهم يقولون بانتفاء مبرر الجزية بسمل وحوقل وقال كفرتم .. الجزية ضرورية لأن الجيش يدافع عن بلاد المسلمين ولا يعقل أن القبطي عدو الله سيقاتل دفاعا عن دين المسلمين ووطنهم فلابد من الجزية هذا حقكم ! ثم يقفز إلى صفوف الاقباط ويشق ثيابه ويضع الطين على رأسه هاتفا : الجزية عار هل نقبل الذل وندفع الجزية عن يد . .

لايوجد فجور ولا قبح أبشع من ذلك .. .

وهو كاذب طبعا فقد اتفقت كل المدارس الاسلامية على أن الأساس الشرعي للجزية قد زال ، وأنه مادام الوطن قد أصبح الدفاع عنه مسئولية الجميع فلن يدفع الجزية أحد ، والوطن كما هو

وطن المسلمين هو أيضا وطن الاقباط ولابد أن يقاتل الاقباط دفاعا عن وطنهم المصري ووطن الكنيسة الأرثوذكسية كما قاتل المسلمون دفاعا عنه ١٣ قرنا وكنا قد كتبنا في هذه القضية قبل عدة سنوات وسيجدها القارىء في الفصل الأخير وقضية الولاية رددنا عليها في غير هذا الموضع ، وقد اتخذ الخلفاء وزراء من غير المسلمين كانت لهم الولاية على المسلمين كلهم .

(١٨) ص ٨٧ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(١٩) ص ٩٥، ٩٦ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(٢٠) ص ٩٧ عن ١٦٩ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي عن كتاب الاقباط في الحياة السياسية المصرية .

(٢١ و ٢٢) = الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(٢٣) ص ٣٧ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(٢٤) ص ١٥٢ السادات والبابا : أنور محمد .

(٢٥) جمال بدوي عن زاهر رياض عن رمزي تادرس في كتابه الاقباط في القرن العشرين .

(٢٦) ص ٢٢ الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي .

(٢٧) الطائفية .. إلى أين ! خليل عبد الكريم ص ١٢١ .

(٢٨) المسلمون والاقباط تأليف طارق البشري ــ البعثات العلمية على عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد . الأمير عمر طوسون . طبعة ١٩٣٤ .

(٢٩) المرجع السابق . الجزء الثاني . ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩ .

(٣٠) البشري عن تاريخ الأستاذ الإمام . محمد رشيد رضا . الجزء الثاني . ص ٣٨٢ وما بعدها نقلاً عن مجلة « المنار » في ٧ يونية ١٩٠٢ (المجلد الخامس) بمناسبة مرور مائة عام هجري على تولى محمد ولاية مصر .

(٣١) البشري عن : عصر إسماعيل . عبد الرحمن الرافعي . الجزء الثاني . طبعة ١٩٤٨ . ص [٨٣ ــ ٨٤ ــ ١٠٩ ــ ١١١، ١٤٩ ــ ١٥١] .

(٣٢) البشري عن : الكافي .. المرجع السابق الجزء الرابع . ص [١٠٩] .

(٣٣) البشري عن : صحيفة « التنكيت والتبكيت » . السنة الأولى العدد الرابع ٢ يوليو ١٨٨١] .

(٣٤) البشري عن : صحيفة « الأستاذ » . العدد ٢١ مارس ١٨٩٣ .

(٣٥) البشري عن : محمد سيد كيلاني ص ٨٦، ١٢٩ .

(٣٦) البشري عن : الأدب القبطي : محمد سيد كيلاني . ص ٨٥، ٨٦، ١٢٩ ..

(٣٧) [الأماني الوطنية والمشكلات المصرية في الصحف الفرنسية : د . محمود نجيب أبو الليل ص ١٢٦ — ١٢٩ .] ص ٦٤ .

(٣٨) البشري عن : صحيفة « الوطن » ٧ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

(٣٩) وعلى اسم هذا القس الكندي تسمت عائلة منها محرر من أنشط زراعى الفتنة والمتباكين على الاقباط الذين كانت عائلته أول من خانهم استجابة للقس الكندي !

(٤٠) البشري عن : [تذكار المؤتمر القبطي الأول . ص ٩٩ — ١٠٠] ص ٦٩ بشري .

ولعل هذا يرد على الفتنة التي يثيرها أمثال ف .ف . حول الولاية ، فقد اكتشفوا — لا أدرى من أين — أن الاسلام يفرض علينا ، ألا يتولى قبطي أي منصب لأنه كما أفتوا لا ولاية لغير المسلم على المسلم ، وكما قلنا أصبحوا هم غلاة المتشددين في الاسلام ! فلو قال المسلمون الحجاب هو غطاء الرأس ، رفضوا هم واصروا أن الشرع يفرض النقاب ! وبالتالي لابد من إلغاء الشرع !! وهاهو تاريخ الدولة الاسلامية من فجرها إلى الاحتلال البريطاني كان المسيحيون واليهود يتولون فيها على المسلمين حتى ظهر أولاد الأفاعى هؤلاء يفتون في الاسلام لمحاربة الاسلام !

(٤١) Life of Lord Kitchner. Sir G. Arther,Vol. II. P. 331 ص ١١٧ البشري .

(٤٢) الثورة العرابية . عبد الرحمن الرافعي ص ٣٠٢ — ٣٠٣ ص ١١٨ .

(٤٣) البشري .

(٤٤) البشري عن : الكافي : الجزء الخامس . المرجع السابق . [ص ١٠٢٩ — ١٠٣١] ص (١٢١) .

(٤٥) البشري نقلاً عن صحيفة « مصر » ٢٧ أغسطس ١٩٢٣ .

(٤٦) البشري .. صحيفة « مصر » أول يونيه ١٩٢٣ .

(٤٧) البشري عن : « صحيفة السياسة » أول ديسمبر ١٩٢٩ .

(٤٨) البشري : « صحيفة السياسة » ٢٨ نوفمبر ١٩٢٩ . ص ٢٠٣ .

(٤٩) البشري عن صحيفة « كوكب الشرق » ٣ ديسمبر ١٩٢٩ ، صحيفة « مصر » ٣ ديسمبر .

(٥٠) البشري نقلاً عن صحيفة « كوكب الشرق » ٩ نوفمبر ١٩٢٩ .

(٥١) صحيفة « السياسة » ١٧ نوفمبر ١٩٢٩ ، ٢٦ يناير ، ٦، ٧، ١٠، ١٣ فبراير ١٩٣٠ ص ٢٠٥ البشري .

(٥٢) البشري عن : صحيفة « مصر » ـــ ١١ مارس ١٩٣٨ .

(٥٣) البشري عن : صحيفة « مصر » ـــ ١٦، ١٨ ، ٢٥ فبراير ١٩٣٨ .

* * *
* *
*

الفصل الرابع

صناع الفتنة باسم اليسار !

وهذا كتاب شيوعي (الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية) يعالج المشكلة على طريقة الشيوعيين ، أي البدء من فرضية أو نص مقدس مسلم به مقدما ، ثم محاولة تجميع الأدلة عليه ، فإن تعذر تلفيق هذه الأدلة ، وكانت الحقيقة مخالفة ، ترفض هذه الحقيقة ، ولو كانت في حجم جبال الألب . وهكذا إنطلاقا من العلاقة المشبوهة بين الشيوعيين المصريين ونظام عبد الناصر ، ولأن عبد الناصر ذبح المسلمين وطارد الاسلام وعفا عن الشيوعيين وألقى إليهم بفتات المناصب المغتصبة ، ولأن السادات حجمهم . فلابد أن تكون كل الطيبات من عبد الناصر وكل الشرور من عند السادات . وبما أن البحث يدور حول الفتنة واضطهاد الاقباط ، فلابد أن يكون عصر عبد الناصر هو الذي حقق الوحدة الوطنية المثلى ويكون الخروج على مباديء ومنهاج عبد الناصر هو سبب كل ما نعانيه من فتنة حتى لو كان رأي الاقباط كهنوت وناسوت مخالفا تماما لهذا التحليل .. لا يهم .. إذا لم تكن الحقيقة متفقة مع الإدعاء .. تعدل الحقيقة ولا يتغير الإدعاء .. !! .

يطالعنا بهذه المقولة ، أو الخطاب كما يقول الشيوعيون اليوم :

'' إن العدول التام عن نهج ثورة يوليو وتوجهاتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية قد أسهم في دفع العلاقات بين المسلمين والقبط إلى حالة من الخلل لم تعرفها البلاد منذ ولاية محمد علي '' .

حقا آفة الرأي الهوى ! ما هو التوجه الذي كان يحقق الوحدة في عهد عبد الناصر وأدى التخلي عنه إلى نشوب الفتنة ؟! هل يقصد بالتوجه محاربة اسرائيل؟؟!

السادات هو وحده الذي حارب .. إلا إذا قلنا إن الديكتاتورية هي السبيل الأفعل في تحقيق الوحدة الوطنية أو أن هذه الوحدة لا تتحقق إلا إذا شنقت السلطة الاسلاميين ! وإلا فمن قال إن الإشتراكية هي التي تذيب الطائفية والعرقية .. إلخ ، هراء الأربعينيات .. أن جميع المصادر القبطية التي استشهد بها المؤلف ـــ باستثناء واحد ـــ تجمع على أن بداية الفتنة كانت في عصر عبد الناصر .. وهو أمر بديهي لأننا جميعا نتفق على أن الحكم الديموقراطي هو وحده الذي يوفر المناخ لإذابة التحوصلات والحساسيات والتمييز أو الاجحاف بأية صورة كان .. بل إن خصوم الديموقراطية يهاجمونها بأنها تجنح في تملق أصوات الاقلية إلى الانتهاء بقيام ديكتاتورية هذه الاقلية ، أو على الاقل فرض فيتو هذه الاقلية على رغبات الاغلبية أو شطحاتها .. على أية حال لقد أثبتت الديكتاتورية في مصر وفي العالم الشيوعي أنها لم تعالج ولا مشكلة من مشاكل الاقليات . وها هي المشاكل والصراعات تتفجر في روسيا وشرق أوروبا بمجرد انحسار قبضة السلطة . كل الحقائق تؤيد هذه الفرضية ، ولكن المؤلف نصب نفسه لتزويرها فحتى عندما يسجل الكاتب أن مجلس قيادة الثورة قد خلا من الاقباط ، وهي حقيقة لا سبيل لنكرانها ، ولا سبيل للإعتذار عنها ، فهذه أول جماعة سياسية ـــ لا تضم قبطيا واحدا ـــ تتطلع لحكم مصر بل وتحكم فعلا ، وأكثر من أية جماعة أخرى ، فحتى " الإخوان المسلمون " كان في قيادتهم قبطي أو أكثر !! ولكن الكاتب البهلوان لا يقف عاجزا أمام هذه الحقيقة المخالفة لفرضيته وإنما يسارع فيلبسها للملك ، فيستعير نصا من البشري ويقرر : فالجيش « كان يخضع للنفوذ التقليدي للملك ولم يلحظ للوفد في هذه المؤسسة نفوذ مؤثر ومن ثم فقد بقي فيها أثر للتفرقة بين المسلمين والاقباط خاصة في الرتب العليا . »(٢) .

ويبدو أن تاثير الملك استمر ١٧ سنة .. !! لقد استطاع عبد الناصر أن يمثل الإتجاهات السياسية في البلد حتى « حدتو » ، ولكنه عجز عن أن يجد ضابطا واحدا يمثل نصف الأمة .. ! ورُتبْ عُليا إيه لقد كان أعلى ما فيهم بعد نجيب بكباشي أو صاغ! ولا حاجة للتنقيب بحثا عن سبب ، فالقضية أبسط بكثير من التفسيرات والتبريرات أو الإتهامات. فحفنة الضباط لم تكن تزيد في وعيها السياسي والتاريخي على طلبة الجامعة ، وهذا بتجاوز شديد . إذ أنهم في الحقيقة كانوا في مستوى طلبة الثانوي ، فهم لا يعرفون شيئا عن حكاية التمثيل الطائفي وهم كأندادهم من طلبة الثانوي أبعد ما يكون عن تفكيرهم حكاية هذا التمثيل ، أو الإحساس بضرورته أو أن إنعدامه يعني موقفا من الاقباط ، وإنما يصدر هذا التفكير وهذا الحرص إما عن سياسي محترف ، يعرف ويزن كل الاعتبارات ، أو متعصب يستبعد الاقباط أو يمثلهم عن سبق ترصد . وهم كانوا أبعد ما يكونون عن هذا التعصب ، وكونوا تنظيمهم كما يكونون شلتهم من معارفهم وحبايبهم ولا أحد « يتنطع » ويحرص على تمثيل الطوائف في شلة السهرة . لم تكن أكثر من شلة فوجئت بأن حكم مصر أصبح من نصيبها !

وتصادف أن الشلة ليس فيها قبطي واحد ، وقد رأينا كيف يمن علينا العضو التقدمي خالد محيي الدين بأنه يعرف قبطيا هو الترزي بتاعه ! ربما لو كان هذا الترزي التاريخي ضابطا ولو احتياط ، أو في الجيش المرابط ، لحلت مشكلة التمثيل ! وعندما تنبه عبد الناصر لهذا الأمر ، لم يكن بالذي يقبل بأن يفرض عليه تمثيل فئة أو طائفة أو حتى الشعب كله .. بل وهنا نقطة بالغة الأهمية يتعامى عنها أهل الهوى ، وهي أن عبد الناصر الذي كان يشنق الأخوان ، كان يلعب على الطائفية بإظهار قمع الاقباط .. أما السؤال وهو لماذا لم ينصحهم أو يأمرهم الأمريكان بتمثيل الاقباط في تشكيلهم ، فلعل الإجابة عليه في التصريح المنسوب للأنبا غريغوريوس الذي قال فيه إن الأمريكان يريدون تمزيق مصر منذ زمن بعيد .. فلا يستبعد أن يكون هذا الاستبعاد للاقباط ضمن المخطط .. .

المهم أن انعدام الديموقراطية جعل برلمانات عبد الناصر هي الأولى في تاريخ مصر التي تعذر انتخاب الاقباط لعضويتها ، حتى لجأت الدولة إلى تعيينهم . وطبق في مصر لأول مرة مبدأ تمثيل الاقباط .. الاعتراف بالطائفية ، وهو ما رفضته مصر منذ فجر حياتها البرلمانية .. ويؤيد الكاتب الرأي الذي اعتبر هذا التعيين الناصري سببا في ظهور الطائفية إلى السطح ص ١٥٣ ورغم ذلك يحدثنا عن منهاج عبد الناصر وينعى الخروج عنه !! .

وكيف يكون عصر عبد الناصر هو عصر الوحدة والأمن ، والتخلي عن منهاجه هو سبب الفتنة إذا كنت قد شهدت أن عصر عبد الناصر هو الذي وقع فيه الحدث العجيب ونعني هجرة الاقباط بالألوف ، لأول مرة منذ أن اكتشف المصريون وادي النيل ! فقد قال : « إن هجرة القبط قد بدأت تتزايد بإطراد منذ أوائل الستينيات (بدأت منذ ١٩٦٢) وفي بداية الهجرة حظيت كندا بأكبر عدد منهم وكانت نسبة الاقباط ٧٢,٨٩ ٪ (من مجموع المهاجرين) ويقدر بعض الباحثين أن إجمالي المهاجرين الاقباط خلال السنوات ١٩٦٩ ــ ١٩٧٩ بـ ١٥٠ ألف قبطي منهم ٨٥ ألفا هاجروا إلى الولايات المتحدة وكندا . »[٣] .

وكيف يكون التخلي عن اشتراكية عبد الناصر سببا في ظهور الفتنة وأنت تعترف بأن : « قد ترسخ اعتقاد ما فتئت تعبر عنه ــ بعض أوساط المهاجرين ــ مؤداة أن الإصلاح الزراعي استهدف بالأساس الاستيلاء على أراضي كبار الملاك القبط من أجل توزيعها على المسلمين ، وإن أثقل الضربات في عمليات التأميم هي التي حاقت بالمشروعات التي يمتلكها أقباط »[٤] .

وها هي وجهة نظر « شخصية بارزة من العلمانيين الاقباط هو الأستاذ مريت بطرس غالي الوزير السابق ورئيس جمعية الآثار القبطية . في كانون الثاني / يناير ١٩٧٩ » وهو يستهل تقريره بتأكيد أن المشكلة بدأت مع ثورة يوليو بعكس المنظور الذي قام عليه الكتاب كله ! الوزير السابق يقول : « لقد كان الأمل أن تختفي بقايا التميز ضد المسيحيين بعد ثورة ١٩١٩ غير أن مظاهره بدأت مع

ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وقويت بعد صدور القوانين الاشتراكية ، ثم اشتدت في السنوات القليلة الأخيرة نتيجة لتدبير أجنبي حتى بدا أشبه بحملة مدبرة ضد المسيحيين والمسلمين في مصر ، وكل هذا يشير إلى أن ثمة مخططا تحركه قوى أجنبية لإثارة فتنة طائفية في البلاد »[٥] ولكن فرج فوده وحسين أحمد أمين يحرصان على تبرئة القوى الأجنبية ، حسين أحمد أمين يبررها بالكامل حتى الصهيونية وفرج يتراجع فيجعلها عاملا مساعدا وليس الفاعل الأصلي .

ها هو وزير قبطي وعلماني ومقبولة شهادته ، يؤرخ بداية الأزمة مع ثورة يوليو ولا تهمني حيثياته .. يكفي إحساسه .. وإن كنت أتمنى لو نقل لنا أبو سيف شيئا من حيثيات التمييز العنصري في القرارات الإشتراكية . إذ أن هذه القضية لم تخطر على بالي ولا بال أحد أعرفه .. فليس في القوانين الإشتراكية أي نص على الدين .. إلا إذا اعترفنا بأن المسيحيين كانوا الطبقة المالكة في مصر والطبقة المستفيدة من الشركات والمؤسسات الأجنبية ، وبالتالي يكون معقولا القول بأنهم أضيروا أكثر . ولكن لا من الواقع ولا من المقبول الحديث عن تمييز ديني في القوانين الاشتراكية .. إنما هي أقلية كانت تستفيد من الوضع الأمبريالي لصالحها وليس لصالح الأغلبية من المسلمين ولا الاقباط .

أليس من حق البعض ان يقول أن العدول عن إشتراكية عبد الناصر وازدهار الاقباط اقتصاديا في عهد الانفتاح من شأنه أن يزيل آثار هذا الأعتقاد .. ؟! أو على الاقل زاد إحساس الجماهير المسلمة باستغلال الانفتاحيين المسيحيين لهم .

هو يشهد بأن ما اشتد في السنوات الأخيرة هو « نتيجة لتدبير أجنبي » وهو ما نوافقه عليه حرفيا .. لا السادات ولا الرئيس المؤمن ولا اسمه محمد ولا حتى تشريعات الشريعة .. بل ان الأستاذ مريت بطرس غالي كما ينقل لنا أبو سيف قد حدد مظاهر التمييز ضد المسيحيين على سبيل الحصر فقال : « قديم يتمثل في العراقيل الإدارية لبناء الكنائس وزيادة التفرقة في الأحوال الشخصية وجديد هو مشكلات الدعوة والتبشير والأوقاف القبطية ، والتعليم ، والوظائف»[٦] .

وإذا كان لنا أن نعلق على المطالب والآلام التي أوردها الأستاذ مريت غالي فنقول :

الدعوة والتبشير تحدثنا عنها .. وواضح أن المسلمين لا يبشرون بين المسيحيين ، ومعنى الشكوى إن المسيحيين يريدون إطلاق حريتهم في تنصير المسلمين ! .

الأوقاف القبطية هل هناك تمييز ؟ أم المطلوب هو التمييز .. ؟ نريد الوضوح فلا علاج إلا بالوضوح .. كل ما قرأناه لغبطة البابا هو الشكوى من قوانين الإيجار التي جعلت إيرادات عمارات الأوقاف القبطية أقل من نفقات إدارتها ، وهي شكوى تشاركه فيها مصر كلها ويحمل وزرها نظام ناصر ! .

ماذا عن التعليم .. فإن لنا فيه حديثا طويلا .. لقد انتكسنا عما كنا قد حققناه من توحيد التعليم وخضوعه كله لإشراف الدولة . وعلى أية حال إذا كان هناك تمييز في التعليم فالأغلبية تعتقد أن التمييز ضد المسلمين ثم الاقباط لحساب الكنائس الأجنبية . ويكفي أن نعرف أن للفاتيكان في مصر ٧٧ مدرسة . والأمريكان يصفقون لعبد الناصر والباقوري ، الأول لأنه حول الأزهر إلى جامعة علمانية والثاني لأنه عاونه على ذلك .

« يرى كاتب التقرير (مريت بطرس غالي ج) أن ما قرره الدستور من أن « الاسلام دين الدولة » يشكل ــ عنده ــ نصا مقبولا بل واجبا ، لكي يؤكد أن المجتمع المصري يقتدي بالقيم الروحية والمباديء الدينية ولكن يجب ألا يتخذ هذا النص ذريعة لتكريس التمييز ضد الاقلية . » .

وهذا هو موقف الاقباط لا المواقف المستوردة ولا التحريضية .. لا اعتراض على النص على دين الدولة بل هو واجب .. أما استغلاله في التمييز العنصري فمرفوض طبعا لا هو ولا أي نص آخر .. وكما قلنا الشكوى تنحصر في المسيحي الذي يغير دينه لكي يتخلص من زوجته ثم يحاول الرجوع مرة أخرى لدينه بعد أن يتزوج من يحب .. وهذه تحتاج لحل شامل ولن يكفي فيه سد المنفذ كما

قلنا . لأنه ما من أحد يستطيع قهر القوانين الطبيعية والنزعات الإنسانية الفطرية .. على الاقل على مستوى الغالبية العظمى .. خاصة ان القبطي لا يطلق زوجته الآن باعتناق الاسلام ، بل بتغيير دينه إلى مذهب مسيحي آخر .. .

وليس من حق الكاتب أن يفرض علينا في قضية الطائفية شهادة مجلة تتكسب في المهجر بالفتنة ، وصفها هو بقوله : « تميزت معظم كتاباتها بنزعة طائفية حادة » ورغم ذلك استشهد لنا بمقال نشر فيها على أنه « في عهد عبد الناصر لم يختف التعصب الديني ، ولكن ضعف كثيرا ، إذا قورن بعصور سبقت أو بعهد السادات . ولم يكن عبد الناصر أيديولوجيا ــ مضطرا إلى أن يلعب ورقة الفتنة الطائفية . »[٧] .

من حسن حظه أنه لم يحدد العصور السابقة حتى لا ندخل في جدل .. أما عن عصر السادات فنحن نحتاج إلى سؤال المجلة « التي تميزت بطائفية حادة » ما هي الطائفية حتى يمكن أن نعرف هل لعب السادات ورقتها أم لا .. فحتى الآن لم نسمع إلا أن اسمه محمد ولقب نفسه أو لقبوه بالرئيس المؤمن .. وأنه في عهده لم يفتح السجون والمعتقلات للإخوان ولم يشنق منهم أحدا .. وأنه كما أحصى له المؤلف الشيوعي السابق قد '' اتجه إلى تجميع الحلف المقابل (ضد الناصريين ج) منطلقا من شعارات ذات توجيهات دينية . فرفع شعارات '' العلم والإيمان '' و '' العودة إلى القيم الدينية '' و '' العودة إلى قيم القرية '' و '' مقاومة المادية والإلحاد '' ''[٨] .

حتى الآن لم نجد شعارا واحدا يمكن وصفه بالطائفية أو التعصب فضلا أن يكون موجها ضد الاقباط .. إلا إذا قلنا أن مجرد تمسك أي مسلم بدينه هو في حد ذاته استفزاز لغير المسلمين .. ومن هذا المنطلق عدد المؤلف من جرائم السادات أو أدلة لعبه ورقة الطائفية : '' إضافة عبارة الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع '' إلى المادة الثانية من الدستور والتي تنص على أن « الاسلام دين الدولة »[٩] .

لقد اشبعنا هذه الفرية بحثا ، ونضيف هنا أن النص على دين الدولة ، قد تم بموافقة تامة من الاقباط ، قبل أن تذر الفتنة وقبل أن يوظفها المنتفعون لحساباتهم الخاصة . بل وليقرأوا البيان الذي تلاه لطفي السيد شخصيا في المؤتمر الاسلامي ردا على المؤتمر القبطي والذي أكد حتمية أن يكون للدولة دينها الرسمي وهو الاسلام .. والبابا نفسه أعلن أنه لم يعارض النص الجديد عن الشريعة .. والقبطي العلماني الذي أورد المؤلف بيانه وهو الأستاذ مريت غالي اعتبر هذا النص واجبا قوميا .. .

من الاستهانة بالعقول وشرف الكلمة الزعم بأن إضافة هذا النص كان تحرشا من السادات بالاقباط .. فالجميع يعترفون أننا ومنذ سقوط الناصرية في حرب ١٩٦٧ نعيش ما يسميه البعض المد الاسلامي أو سمه ما شئت المهم أن هناك ضغطا جماهيريا يطالب بمزيد من الدين ، في هوية الدولة والمجتمع . هذا الضغط نعترف جميعا به ، البعض يستغله والبعض يحاول استثماره لحل مشاكل الوطن .. المهم أنه ليس أمام السلطة في مواجهته إلا أحد أسلوبين .. الأسلوب الثوري ــ الاشتراكي الذي على هوى أبو سيف يوسف وريمون دويك ؛ وهنري كورييل ، أسلوب البطش البوليسي والسجون والمشانق .. أو محاولة احتوائه بتنازلات شكلية مثل هذه النصوص التي لا تحقق إلا تقديم مادة للمتربصين فيشقون الجيوب ويلطمون الخدود .. وبالمقابل ماذا أعطى السادات للكنيسة .. .

هل يكون طائفيا من يبنى في عصره أكبر عدد من الكنائس بني في عهد حاكم واحد ؟! أو ثلث ما بني منذ دخول المسيحية مصر ؟!

هل يكون طائفيا ، ويلعب ورقة الطائفية من يصدر لأول مرة في تاريخ العالم قرارا بأن تبنى كنيسة بجانب كل مسجد يبنى في المدن الجديدة ، ويجعل الأغلبية الساحقة من المسلمين تتقبل هذه المناصفة في مصر المستقبل بلا اعتراض .. .

« بل إن السادات أيضاً وعد البابا بأن الدولة ستبني في كل مدينة جديدة كنيسة ومسجدا ، ونفذ هذا فعلاً في مدينة العاشر من رمضان حضره الشيخ بيصار والبابا

والمهندس حسب الله الكفراوي وألبرت برسوم وكان حفلاً طيباً اشترك فيه البابا والشيخ بيصار في وضع حجر أساس الكنيسة والجامع .. وتسلمنا الكنيسة بعد بنائها .. كل هذه الأمور كانت في أواخر ٧٧ توحي بأن المسائل بدأت تعود إلى وضعها الطبيعي . » ص١٩٣ السادات والبابا .

ولا يرضي ذلك المتطرفين .. الذين يأبون إلا كنيسة الخانكة ؟!

هل يكون طائفيا من كان « أول حاكم مسلم يؤدي الصلاة في مكتب بطريرك الاقباط . »[١٠] وأكثر حكام مصر اجتماعا بالبابا وملاطفة له .. .

على أية حال التعصب الديني لم يخفت في عهد عبد الناصر وإنما منعه الحكم الإرهابي من التعبير العلني ، كسائر مشاعر وأحاسيس المجتمع المصري .. فظل يختمر إلى أن رفع الغطاء عن هذا المجتمع فتفجر كل ما في أحشائه من قيح وخبث .

لم يجد الكاتب ولا من نقل عنهم ما يثبت به لا طائفية عبد الناصر إلا أنه « في إطار توسيع دائرة ممارسة العقيدة الدينية تجاوز عبد الناصر القيود التي كان يفرضها « الخط الهمايوني » على بناء الكنائس ، فصرح للكنيسة القبطية ببناء خمس وعشرين كنيسة سنويا وأن يتم بتوجيه من البطريرك نفسه إلى الجهات الرسمية »[١١] .

« ولم يكن هذا مجرد وعد ، ففي الاسكندرية كان في أواخر السبعينات اثنتان وعشرون كنيسة منها ثلاث عشرة بنيت في عهد الثورة . »[١٢] .

أهذا غاية الجهد يا ناصراوي .. هل يعمينا التعصب حتى عن المنطق .. هل نغفل تأثير هوجة البناء هذه على مشاعر المسلمين الجهلاء الذين سيجدون من يقول لهم : المسلمون في السجون وعلى أعواد المشانق والمسيحيون يبنون في عشر سنوات كنائس أكثر مما بني في ألف وتسعمائة وخمسين سنة ؟! أهذه هي حرية ممارسة العقيدة الدينية وعوامل ترسيخ الوحدة الوطنية .. ما بال هؤلاء .. أليس

هذا هو ما زرع الأحقاد ووضع أسس ما تفجر في أزمة الصراع أو لعبة التسابق على بناء كنيسة أو مسجد عندما ضعف إرهاب الدولة .. على أية حال إن كان عهد ناصر قد أباح بناء خمس وعشرين كنيسة ، فالسادات صرح ببناء خمسين ، وقد أعلن ذلك أكثر من مرة ، ولكن المتطرفين أبوا إلا أن تُضاف كنيسة الخانكة .. .

الحق أن الكاتب وأمثاله يحاولون التشبث بأية قشة لتغطية سر غبطتهم بإرهاب عبد الناصر ، ولكن لسوء حظهم أن واحدا منهم صرح به أو بق البحصة كما يقول اللبنانيون .. وذلك عندما قال : « إن الاقباط شعروا بالارتياح عندما ضرب عبد الناصر (لهم ج) الأخوان . » ولا حاجة للقول أن هذا لم يكن شعور الاقباط بل شعور الطائفين منهم . لأن المصالح الحقيقية والمشاعر الصادقة لجماهير الاقباط لا تختلف عن مصالح ومشاعر عامة الشعب .. وليس الإرهاب من مصلحة الشعب ولا تأييده من مشاعر الشعب .. إن هذه الشماتة من بعض الكتاب هي التي تخلق التوجس والتربص بين الجماهير .. وليس مما يصنع الوحدة أن يروج الكتاب التقدميون ، ان الاقباط ارتاحوا لشنق زعماء الحركة الاسلامية .. غير صحيح وغير وطني . ووليم مكرم عبيد كان السياسي الوحيد الذي سار في جنازة حسن البنا متحديا الملك وإرهاب إبراهيم عبد الهادي .. ولعله كان يرد على حثالات ستأتي من بعده وتزعم أن الاقباط يسعدهم التنكيل بالاخوان أو اغتيالهم .

وننتقل من الشماتة إلى التلفيق وأيضا من منظور تلوين الواقع بنظرة الكاتب الطائفية فيزعم لنا أنه « وعلى الصعيد العربي اضطلع نظام يوليو بدور بارز في تهدئة الصراعات الطائفية ومحاصرتها على الساحة اللبنانية كما قاوم جمال عبد الناصر أن يستخدم الدين لتغطية أهداف الحلف الاسلامي الذي تزعمته المملكة العربية السعودية وساندته الولايات المتحدة الأمريكية ليكون بدلا لحركة الوحدة والقومية العربية . »(١٣) .

معذرة للقاريء المثقف إذ نضطر لمناقشة هذا الهراء الذي نعتقد أنه « حمض

وكبوه » منذ سنوات . وخاصة بعد الثورة الإيرانية ، التي كشفت مدى ’’ ترحيب ‘‘ الولايات المتحدة بالأحلاف الاسلامية ! ولكن هؤلاء يريدوننا أن نصدق أن أمريكا ــ التي تحدث هو ذاته أو نقل عن المصادر الشريفة مدى اهتمامها بتنصير المصريين ــ أمريكا هذه تريد أن تضرب الوحدة المزعومة لمائة مليون عربي تضربها بمؤامرة توحد فيها ألف مليون مسلم !! إذا كان الكاتب مجنونا فإن القاريء عاقل بإذن الله .. وليست هناك واقعة واحدة تعزز الزعم بأن « نظام يوليو قام بدور بارز في تهدئة الصراعات الطائفية ومحاصرتها على الساحة اللبنانية » إن بداية الحروب الطائفية في لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين وقعت في ظل نظام يوليو وباشتراك بارز من جانبه كلف الخزانة المصرية ما لا تمحى آثاره .. وليس المهم الشعارات ولا حتى النوايا ولكن المهم الآثار وترجمة الجماهير أو القوى المعنية للموقف .. وهذا ما حدث في معركة عبد الناصر مع شمعون فقد قيدت على قائمة حرب العرب المسلمين للمسيحيين اللبنانيين الذين يتزعمهم شمعون .. ثم أخذت تنمو .. إن نظام يوليو كان عنصرا أساسيا في زرع الفتنة التي تفجرت في السبعينيات .

ثم إن غبطة الكاتب ــ لأسباب جد معروفة ــ بحرب عبد الناصر للاسلام لا تجيز لأي قلم شريف أن يخلع هذه الغبطة على الاقباط كلهم ، فهذا لا يخلق وحدة ولا حتى يبقي على ما هو قائم منها .. ونفس الشيء عندما ينحصر اتهامهم للسادات بأنه رفع الإرهاب عن الجماعات الاسلامية بينما كان عبد الناصر « العظيم » يشرد بهم ما بين السجون والمشانق .. إنهم يكتبون وكأن الوضع الطبيعي هو أن يكون الاسلاميون ما بين سجين أو معتقل أو مقتول .. وان الاقباط لا يرضون بدون ذلك ! يا نشنق كل من يطالب بالاسلام يا مافيش وحدة وطنية .. عندما جاء السادات وكان واعيا بجرائم النظام الناصري مصمما على التخلص منها لأسباب عديدة بعضها يتعلق ببقائه في السلطة ولا عيب في ذلك .. كان من الطبيعي جدا أن يخرج الاخوان أو الاسلاميون من السجن والمعتقلات وأن يعود لمصر المنفيون منهم .. أهذه جريمة يستحق أن يندد به في كل صباح ومساء من أجلها

وعلى لسان كتاب غير مسلمين .. أهذا يخلق جوا للتفاهم والمحبة والوحدة .. أن يقال أن العهد الوحيد الذي يرضي عنه الاقباط هو الذي يفتك بالاسلاميين ؟! وأن الحريات المكفولة لكل المواطنين لو أعطيت للاسلاميين فهذه مؤامرة وشر يدبر للمسيحيين ؟!

وحتى لو صدقنا إدعاء مساعدة الدولة أو بعض أجهزتها للاسلاميين في الجامعة ، حتى لو حكم علينا الزمان بقبول عادل حموده كمصدر ، فلم يكن هذا الدعم إلا لمواجهة الناصريين ومعارضي الحرب ضد إسرائيل الذين أصدروا ووقعوا العريضة المشهورة وأثاروا الجامعة ضد السادات وجعلوها جبهة يشغله أمرها ربما أكثر من جبهة القتال التي كان يعد لها .. فنحن لا نستبعد أن يكون النظام قد رحب بتصدي المنظمات الاسلامية للنشاط المخرب المعادي له وليس لمواجهة الاقباط بأية حال ، لأن الاقباط لم يكونوا يشكلون خطرا على النظام ولا في قائمة الأعداء . ولا يوجد سبب واحد يجعل السادات يحرص على شن حرب أهلية في بلد يحكمه ويعده لخوض حرب مع إسرائيل .. لا المنطق ولا الواقع يؤيد هذا الزعم .. فعلى عكس ما يزعمون ، شهدت هذه الفترة أوج الرضا من الكنيسة على نظام الحكم في مصر منذ الثورة ، وكلمة البابا شنودة .. « إن الحق الذي يؤيدك أقوى من الباطل الذي يعارضك » تفقأ عين كل مكابر .. بل إن المؤلف نفسه يعترف بأن الكنيسة أيدت السادات وأيدت نكوصة عن منجزات ثورة يوليو وينقض بنفسه كل ما افتراه أو اقتبسه من افتراءات حول حشد الاخوان لضرب الاقباط أو لعب ورقة الطائفية فيعترف أن القوى التي تجمعت حول السادات كانت تضم الاسلاميين والكنيسة وفي مواجهة خصومه السياسيين أي ثورة يوليو المكروهة من الشعب كراهية التحريم ، بشهادة مدير مخابرات الناصريين يقول : " وإذا صح أن نظام السادات قد نجح في — أول الأمر — في جذب تيار الاسلام السياسي في المعركة التي خاضها ضد خصومه السياسيين ، فقد وجد النظام أيضا مساندة قوية من جانب المؤسسة الدينية الرئيسية للأقباط ممثلة في البابا الجديد الأنبا شنودة الثالث . والحاصل أن رئيس الكنيسة القبطية قد أشاد بما سمى في ذلك الوقت

بعملية « إصلاح مسيرة ثورة يوليو » ونقل عن البابا قوله : « فثورة التصحيح التي قادها السادات بداية حياة جديدة لمصر يشعر فيها الإنسان بكيانه وذاته . وقد عرف السادات قيمة الفرد وإنسانيته واحترامها فأغلق المعتقلات وألغى الحراسات ونشر الديموقراطية في أسمى صورها وسمح بقيام الأحزاب وأعطى مجالات للمعارضة » . وأيدت زعامة الكنيسة القبطية خطوة السادات نحو إعادة فتح قناة السويس وسياسة الانفتاح الاقتصادي وكما أيدت دار الإفتاء إتفاقية السلام مع إسرائيل كذلك خاطب البابا شنودة السادات بقوله : « وثق أن الحق الذي يؤيدك أقوى من الباطل الذي يعارضك » وعلى ضوء هذه المواقف وغيرها يبدو أن زعامة الكنيسة القبطية كانت — على الاقل — على اقتناع بصواب سياسة النظام في مكوناتها الرئيسية داخليا وخارجيا ،،[١٤] .

تكفينا اقتباساته ، ثم نعفي أنفسنا من تفسيراته .. ونحن نوافق على أن البداية كانت حسنة بين السادات والكنيسة ، ونشهد أن الرجل حاول ما وسعه أن تدوم هذه العلاقة ولكن اليد الثالثة عملت بهمة على تكدير هذا الجو كما شرحنا .. المهم أنه اعترف أن إطلاق الحرية للاسلاميين لم يستفز الكنيسة ولا آثار مخاوفها ولا أبعدها عن النظام . وأنه لأول مرة في مصر قام حكم يتمتع لفترة بتأييد الاسلاميين والكنيسة معا .. فما الذي يغري حاكم بتمزيق ذلك ولعب ورقة الطائفية .. ؟ إلا إذا كان عميلا في المخابرات الاسرائيلية ونقش اسمه على تمثال الجندي المجهول في إسرائيل ، كما قال أحدهم ! .. العبوا غيرها .. فتشوا عن سبب لإشتعال الفتنة في ذات العهد الذي كاان يحمل كل مقومات أو حتى نوايا محاصرتها وتحجيمها .. وفتشوا مرة أخرى عن المستفيد .. أما السادات فهو أول ضحاياها .

ولم يكن للسادات بعد ذلك من هم وعدو إلا التنظيمات الاسلامية وهي أخيرا التي نسب إليها اغتياله أو استخدمت في اعدامه .. وليس فيهم من يقول كلمة واحدة طيبة فيه .. فأين المؤامرة .. ؟ في عهد السادات تمتعت الكنيسة بحرية

كبرى في العمل .. متى وفي أي عهد كان البابا يسافر يفتش على الرعايا ويباركهم ويجتمع برئيس الولايات المتحدة وتغلق الأبواب بحد تعبير غبطته .. ؟! [١٥] .

متى وفي أي عهد كان قائد ثلث الجيش المصري من الاقباط .. [١٦] إلا في عهد السادات .. وفي حالة حرب وليس مجرد استعراض للتاريخ .. أهذا سلوك من يسلح الاخوان لذبح الاقباط .. استحوا وراقبوا الله في وطنكم . أما سر انتصار الجماعات الاسلامية واكتساحها الانتخابات فليس دعم السلطة .. دعم السلطة كما نعرف جميعا لا يحقق اكتساحا لمن يدعمونه وبالذات في الجامعة حيث الانتخابات غالبا حرة . بل إن هذا الدعم هو الضمانة بالسقوط المروع . والا لما كانت السلطة داخت السبع دوخات . وعبد الناصر نفسه لما نزل بكل ثقله مع الاخوان في إنتخابات الجامعة سنة ١٩٥٣ سقط مرشحو الاخوان بالإجماع . حتى في الانتخابات العامة سنة ١٩٥٧ سقط كل مرشح أيدته الثورة وخطب خالد محيي الدين في دائرة أحمد فؤاد فقال هذا الذي علمنا الثورية والإشتراكية فهزمته واحدة اسمها راوية عطية هزيمة ساحقة لم يحاول بعدها أن يقترب من الشعب .. نجح مرشحو الجماعات الاسلامية لأنهم كانوا القوة التي ترمز إلى رفض كل ما جرى في بلادنا على يد الثورة .. ويحملون شهادة بأنهم من خارج النظام .. وبسبب المد الديني وبسبب أنهم القوة السياسية الوحيدة التي تعرف التنظيم وتمارسه في ذلك الوقت على الأقل .. وأيضا لأن شباب الجامعة أحس بوجود تشكيلات مسيحية في كل كلية تحت الرعاية المباشرة للكنيسة ، فكان رد الفعل الطبيعي ، هو التكتل إسلاميا .

لا أظن أنني بحاجة إلى الاسهاب يكفي أن نقرأ كتابات عملاء المخابرات العالمية ودعاة الفتنة الذين يعددون من استفزازات السادات الوطنية أنه جعل اسمه يبدأ بمحمد وسمى نفسه بالرئيس المؤمن .. إذا كان البعض يروج أن الوحدة الوطنية لا طريق لها إلا رئيس ملحد ومحو اسم محمد .. فنأسف لاستحالة عبور هذا الطريق .

واقتباساته تؤيد ما ذهبنا إليه وما ردده كل الاقباط الأشراف من أن حركة التبشير في مصر كانت موجهة ضد الكنيسة القبطية بقدر ما ناصبت الاسلام العداء ، وخاصة الكنيسة البروتستانتية التي كانت ولا تزال تتمتع بحماية بريطانيا وأمريكا ، فهو يقول :

« اتجه نشاط المبشرين إلى العمل على احتواء المؤسسة الدينية الوطنية للقبط وتفكيكها ــ وهي كنيستهم الأرثوذكسية ــ بما يؤدي إلى شرذمتهم وتوزيعهم على مذاهب أخرى . وتولت القيادة في هذا المجال الكنيسة المشيخية المتحدة الأمريكية وقادت أشد الهجمات المخططة والمنظمة وأعنفها تأثيرا على الكنيسة القبطية . ففي عام ١٨٥٠ وقبل أن تقوم أول كنيسة إنجيلية في مصر بثلاث عشرة سنة استصدر سفير الولايات المتحدة من السلطان العثماني الفرمان الذي يقضي باعتبار الانجيليين طائفة قائمة بذاتها وذلك حتى قبل أن يعتنق أحد من الاقباط المذهب الانجيلي » [١٧]

« .. وتسارع تحول أعداد متزايدة من القبط الأرثوذكس إلى المذهب الإنجيلي . ومن ثم قفز عدد القبط الذين تحولوا إلى المذهب الإنجيلي من ستمائة ــ عام ١٨٧٥ ــ إلى ٤٥٥٤ عام ١٨٩٥ إلى ٢٩ ألفا عام ١٩٠٤ » [١٨] .

’’ وكان المرسلون (المبشرون ج) الأمريكيون ينعون على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية انحراف عقيدتها وممارساتها الطقوسية ، عن جادة الدين القويم وأنه ميؤوس تماما من اصلاحها روحيا . وأن مصر ليست مجرد مركز استراتيجي للإرساليات فحسب ، وإنما هي حقلها الاستراتيجي . ‘‘ [١٩] .

نرجو أن يلعق التراب الذي يثرثرون في بلادنا عن فصل الدين عن الدولة ويمنون علينا بالعلمانية في أمريكا فها هو سفير أمريكا ينشط ويتدخل في خدمة الكنيسة والتبشير .. وموقف هذه القوى من الاقباط اليوم هو نفس موقفها من الاسلام والمسلمين ، فبعد أن فشلت سياسة تنصير المسلمين والاعتماد المباشر على

القساوسة والمبشرين .. تركت مهمة القضاء على الاسلام للعملاء المسلمين الذين يؤدون مهمة المبشرين بتفوق باسم العلمانية والتحرر والتقدم .. نفس الشيء مع كنيستنا المصرية فقد فشلت جهود المبشرين في تدميرها بالهجوم المباشر ومن ثم غيروا الأسلوب أو التاكتيك ، فتبنوا حركة تكوين كنائس وجماعات في المهجر وبالذات في منطقة نفوذ الكنيسة الانجيلية في أمريكا وكندا وأستراليا وهؤلاء — في مخطط الأمريكان وسائر المبشرين المعادين للكنيسة القبطية — هم الذين سيتولون تدمير كنيستنا المصرية القبطية سواء بالسيطرة عليها من الخارج ونقل قيادتها خارج مصر ، بخلق كنيسة دولية أو أقباط أمريكيين كما يعلنون أو يوقعون بياناتهم ، وهم بشهادة البابا خارج قدرة الكنيسة المصرية على ضبط سلوكهم ، ورغم ذلك فهم أعلى الأصوات في الحديث عن هذه الكنيسة ؟ وهم ومن يحركهم يعملون على جر كنيستنا ورعاياها إلى معارك انتحارية لا مبرر لها مع شقها المسلم ، معارك تدافع عن حق التبشير .. أي حق إخراج القبطي من كنيسته !! .

وبالمناسبة بعض دعاة الفتنة يستنكر أن يتحدث المسلم المصري عن اخوته مع مسلم سعودي أو إيراني .. بحجة أن الوطن فوق الدين .. فما سر الأخوة مع القبطي الأمريكي أو الكندي .. وكيف يكون أقرب إليه من المصري المسلم ؟!

.. ونتوقف هنا قليلا مع ما قدمه المؤلف من نماذج بمطالب وآلام المسيحيين .. فنلقي نظرة ونقول كلمة :

١ — مطالبة الأنبا غريغوريس في لجان إعداد الدستور بأن يضاف إلى مادة دين الدولة الاسلام نص يقول : « وتعترف الدولة بالكنيسة القبطية بصفتها الكنيسة الوطنية »[٢٠]

لا أظن أن مصريا واحدا يمكن أن يعارض هذا المطلب .. بل أعتقد أننا جميعا مدينون بالشكر الوطني للأنبا غريغورس لأنه فكر في هذا النص الذي يعطي كنيستنا المصرية مكانتها التي يعتز بها كل مصري مهما كان دينه ، فهي كما قلنا أقدم حقيقة مصرية .. إنها كتيبة الصدام الأولي في الدفاع عن الشخصية المصرية

واستقلال هذه الشخصية . وياليت الناعقون في الفتنة يدركون هذه الحقيقة ويعرفون أن أحفاد الرومان والروم هم الذين يحتضنونهم اليوم ليطبعوا على جبين كنيستنا الوطنية قبلة الموت ، بعد أن صمدت قرونا لطعناتهم العلنية . وقد تبنيت هذا المطلب وطالبت به في جريدة « الوفد » كما أشرت في موضع آخر .. وانبه هنا إلى أن هذا الاعتزاز بالكنيسة القبطية يرجع إلى دورها الوطني وطالما ظلت حصن المقاومة ضد النفوذ الأجنبي .. أما ان نجحت كنائس الاستعمار في جرها إلى حبالها فقد يفكر بعض المسلمين بإحداث توازن بين الطوائف المسيحية .. لا قدر الله !

وهذا النص ستترتب عليه حقوق وواجبات مثل المساواة التامة بين معابد المسلمين والمسيحيين وكذلك تضامن الكنيسة مع المسلمين في محاربة التبشير .

٢ ــ اقتراح بالنص على « حرية إقامة بيوت العبادة دون قيد للمواطنين » وقد أوضحنا خطأ طرح هذا المطلب الآن .. بل إن الدولة تخوض معارك شرسة مع المسلمين الذين يريدون حرية بناء المساجد كما يحلو لهم .. وإذا كان المسيحيون يعتقدون إن قوتهم المالية تمكنهم حاليا من زرع البلاد بالكنائس فإن الغوغاء من الجانب الآخر يمكنهم بالكثرة العددية جعل هذا الهدف مصدرا للخراب والدمار الشامل . وما حادثة الزاوية الحمراء إلا خير دليل أو قل مؤشر لما يمكن أن يقع لا قدر الله لو أطلقت صفارة السباق بين المواطنين لاحتلال الأرض وبناء دور العبادة بلا قيد ولا شرط .. لن تبنى وقتها إلا مساجد وكنائس ضرار .. وكما قلنا حتى في سباق الكنائس لن تكون كنيستي القبطية صاحبة السبق بل كنائس أوروبا وأمريكا .

ومن كثرة طرح هذه النقطة يبدو للغريب أن المسيحيين يتعبدون في الكهوف والمغارات والصحراوات كما كان الحال في عهد الرومان مع أن إحصائية وردت في الكتاب الذي نعالجه تقرر أن عدد الكنائس في مصر ١٤١٣ كنيسة ونفس المصدر قبل إحصاء ١٩٧٦ الذي قدر تعداد المسيحيين بما يقرب من مليونين أي

بواقع كنيسة لكل ألف وستمائة قبطي ما بين رجل ، وطفل ، وامرأة . وقد ذكر المرحوم الكاتب القبطي طلعت يونان : « رداً على الشكوى من قلة الكنائس ثبت أن غير المرخص بها [١٦٩١] كنيسة ونصيب كل كنيسة من المسيحيين هو [١٣٥٢] مواطناً بينما نصيب المسجد من المسلمين هو [١٢٢٧] مواطناً أي أن كثافة عدد السكان بالنسبة لعدد المساجد والكنائس متقاربة وعدد الكنائس التي رخص بها في عهد الرئيس السادات بلغ (٢٠٠) كنيسة بنسبة ٣٠ ٪ تقريباً من عدد الكنائس منذ دخول المسيحية مصر . »[٢١] .

٣ ــ تخصيص مقاعد للأقباط غير المسلمين (هو في أقباط مسلمين ؟! ج) بنسبة لا تقل عن ١٥ ٪ من مجموع أعضاء مجلس الشعب الخ » .

لقد رفض الاقباط التمثيل الطائفي منذ سبعين سنة ولن نعود إليه أبداً .. وإذا ما عادت الديموقراطية وتأصلت فمن المؤكد أنهم سينالون ذلك أو أكثر منه بأصوات المسلمين الذين سينتخبون وقتها الأصلح لا ابن الطائفة .. وفرض نسبة في البرلمان حتى لو كانت ١٥ بالمائة ، بل حتى لو تقررت نسبة عشرين بالمائة فستفتح باباً للإحصاء لا تحمد عقباه .. لماذا نفترض أن الجانب الآخر سيسكت عن وجود أربعين بالمائة مسيحيين بين طلبة جامعة أو حصول غير المسلمين في وظائف شركات الاستثمار على أضعاف ما ارتضوه لأنفسهم في البرلمان .. ما دمنا قد قبلنا مبدأ الحصص وفقا للتعداد .. ؟! هذا باب من أوسع أبواب الفتنة فلا تفتحوه .

٤ ــ المادة التي تعالج قضية شديدة الحساسية والمرارة عند رجال الدين المسيحيين وهي اضطرار المسيحي لاعتناق الاسلام للحصول على الخلاص أو الطلاق من زيجة فاشلة وعدم قدرته على التمسك بالشعار القبطي .. ما فراق إلا بالخناق .. أي الموت . ولذلك طالب ممثلو الكنيسة بالنص على استمرار الزوجية ولو غير أحد الزوجين مذهبه أو دينه .. .

الحق انني أتوقف طويلا أمام هذا المطلب .. لا أستطيع أن أرفضه بسهولة ،

ولا أستطيع أيضا أن أوافق عليه على الفور .. وأود أن أفكر بصوت عال .. بل وإن نفكر جميعا بصوت عال وبلا تردد أو مواقف مسبقة .. وأسأل نفسي هل توجد فعلا مشكلة ومن أي جانب .. ؟ الغالب الأعم ، في مصر ، بالنسبة لحالات اعتناق الاسلام التي تثير المشاكل ، هو أن الرجل المسيحي يعتنق الاسلام لكي يطلق زوجته ويتزوج غيرها ، لأن الكنيسة تمنعه من الطلاق أو من زوجة ثانية ، حتى لو أراد أن يبقي على الأولى والاسلام يبيح للرجل المسلم أن يتزوج مسيحية وما دامت الكنيسة تطالب أو وافقت على استمرار هذا الزواج فأين المشكلة .. ؟!

صحيح أن الزوجة والأطفال هم الضحايا في الغالب .. وصحيح أنه يمكن القول أن عقد الزواج هو شريعة المتعاقدين لا يجوز أن يفسخ من طرف واحد فسخا تعسفيا .. ولكن القضية متشعبة جدا وتحتاج إلى نظرة أشمل وخاصة من جانب التقدميين واليساريين وجماعات تحرير المرأة .. ألا يحتاج الأمر إعادة نظر من قبل مفكري الكنيسة في قيود الطلاق عند المسيحيين والاقباط بالذات ، ومحاولة تخفيفها سدا لهذا الباب الذي يهرب منه المسيحيون المعذبون في الزيجات الفاشلة ، وهم بالمناسبة لا يهربون إلى الاسلام وحده ، بل يلجأون لبعض المذاهب المسيحية الوافدة ، وبعضها يبيح الطلاق لمجرد كسب المعتنقين .. وقد أباحت كل الدول المسيحية الطلاق ، ولا يهاجم الطلاق الآن إلا الذين تحركهم عداوة شرسة للاسلام .. وإذا كان هذا التعديل خارج قدرات الكنيسة وما دامت المطالبة جاءت من قبل الكنيسة نفسها بتدخل الدولة لتشريع صلاحية زواج المسيحي الذي أسلم ، وبذلك تكون قد تنازلت طواعية عن اعتبار الزواج من الأمور الشخصية والدينية التي لا يحق للمشرع التدخل فيها فما المانع في تدخل الدولة بتشريع مكمل يسهل الطلاق للمسيحيين كما حصل في إيطاليا معقل الفاتيكان وقاعدة الكاثوليك ، ولم يعتبر أحد ذلك عدوانا على الكنيسة ولا حرية العقيدة عند المسيحيين ، خاصة أن جميع الكتاب اليساريين والمسيحيين قد أيدوا بحرارة تدخل الدولة في الأسرة المسلمة بتشريعات تقيد أو تنظم الطلاق فلا مانع من تدخل مماثل يوسع من فرص

تصحيح الزيجات الفاشلة ، ويوفر على المسيحي فداحة التضحية بدينه للخلاص من هذا الزواج .

الحقيقة أن الكثير من القلق المخلص حول تطبيق الشريعة هو الخوف من أن يحدث في مصر ، ما حدث في إيطاليا ، فإزاء إصرار الفاتيكان على رفض الأعتراف بحقائق الحياة ، بإصرار البابوية على منع الطلاق ، اندفع الإيطاليون إلى اعتناق الشيوعية ، وقامت حركة نسائية قوية تطالب بإباحة الطلاق مثل المسلمين ، واستطاعت هذه الحركة أن تدفع بعدد كبير من النواب إلى البرلمان الإيطالي فاقوا عدد النواب الكاثوليك المتدينين فأقر البرلمان الإيطالي حرية الطلاق . وبالطبع يمكن أن يحدث ذلك في مصر ، فقوانين الحياة ومشاعر الناس لا يمكن قهرها إلى الأبد والعالم كله يتجه لإباحة وتيسير الطلاق . ونسبة الطلاق الآن في الدول المسيحية في أمريكا وأوربا عشرة أضعافها في الدول الاسلامية .. ولاشك أنها كانت خطوة كبيرة من جانب غبطة البابا الحالي للأقباط عندما ألغى جميع التيسيرات في الطلاق التي كان الاقباط قد نجحوا في إقرارها .. ومن حق الكهنوت القبطي المتشدد أن يتخوف من إصدار الدولة تشريعات تيسر للأقباط الطلاق وتعفيهم من الاضطرار لتغيير دينهم للفوز بالطلاق .. ولكن مخاوف الكهنوت يجب أن تكون أشد إذا ما قام في مصر نظام علماني بالكامل فهذه النظم هي التي أباحت الطلاق رغم أنف الكنيسة في إيطاليا وفرنسا وأمريكا ... ، ولكن الحكومة ذات الصفة الاسلامية ستتحرج كثيرا قبل الدخول في مواجهة مع الكنيسة ، وعلى أية حال فهذه معركة على الاقباط أن يحملوا عبئها الأكبر .

وأيضا لنفكر بصوت عال .. هل الذين يطالبون الدولة بفرض استمرار الزيجة بين المسيحي المرتد وزوجته المسيحية المخلصة لدينها .. هل يصدر اقتراحهم ومطالبتهم هذه عن عقيدة .. هل يؤمنون بمشروعية زواج بين مسيحية وكافر .. ؟! أم أن المسألة خرجت من نطاق الدين ودخلت في حسابات الطائفية ومحاصرة أبناء الطائفة وسد الأبواب على من يحاول الخروج منها .. ثم أين هذا من حرية العقيدة .. بل حتى الاحترام الواجب للعقيدة .. ؟ .

قضية تستحق أن نفكر جميعنا فيها بصوت عال والا يحاول البعض فرض حل لها وإدعاء أنه ينطق باسم كل المسيحيين .. ويجب ألا ننسى أن الدولة مطالبة أيضا بحماية حرية العقيدة لمواطنيها ولو في مواجهة الحسابات الطائفية لبعض القيادات الدينية .

والمؤلف يستشهد على النوايا الشريرة للمسلمين بأن '' الدارس لنصوص مشروع قانون حد الشرب ومشروع قانون حد الردة ، سوف يلاحظ أن أدلة الإثبات في القانون الأول هي إقرار الجاني وشهادة رجلين مسلمين بالغين عاقلين .. وفي القانون الثاني أن يكون الشاهد مسلما '' ثم يدب خنجره في قلب الوحدة باسم محاربة الفتنة فيعلق قائلا « فهنا لا يكون « غير المسلم » مؤهلاً للشهادة . »(٢٢) .

هكذا تزرع الفتن .. وستتلقف قوله صحف المهجر ويهبون يصرخون كيف نكون مواطنين ولا تقبل شهادتنا .. أصبحنا مثل النسوان .. يشهدون علينا ولا نشهد عليهم .. اليهود أيام هتلر كانوا أحسن .. الخ .

إنها إحن وإرتباطات وتخريب له هدفه أفرخ في حضن الصهيونية ، بدأ باسم الشيوعية ومستمر تحت شتى الأسماء ، والذين أيدوا قيام الدولة الصهيونية في ١٩٤٧ ينفذون مخططاتها الآن لتحطيم الوحدة المصرية أو الصخرة التي تعترض طريق الإمبراطورية الاسرائيلية .

أما بالنسبة لحسني النية فالتفسير بسيط جدا ، فهذه جرائم يختص بها المسلمون .. ورغم الحوار الذي دار حول إقليمية التشريع ورغم مطالبة بعض الأشراف من كتاب الاقباط بضرورة أن يكون التشريع عاما لكل المواطنين . ففي بريطانيا ، عندما يبيحون زواج رجلين ويجرمون زواج الرجل من امرأتين ، لا يعفون البريطاني المسلم من ذلك بحجة أن دينه حرم الأولى وأباح الثانية .. وفي بريطانيا وأمريكا المخدرات ممنوعة مهما كانت وجهة نظرك وشرب الخمر في أمريكا عندما منع لم ينظر لدين أحد ، وعندما يمنع الخمر في بعض الولايات لأقل من

عشرين سنة يطبق ذلك على الجميع ، حتى على من يأمره دينه بشربها ! فما دام التشريع يصدر من الجهاز التشريعي الذي يمثل الأمة فلابد أن ينطبق على الأمة كلها .. ولكن في مصر لم يستقر الرأي على ذلك ، وإنما قيل بإمكانية إعفاء المسيحي من عقوبة الخمر باعتبار أن دينه لم يحرمها بنص صريح .. وباعتبار السوابق التي لم تحرم الخمر على المسيحيين في عهود حكم الشريعة .. المسيحية على أية حال لم تحرم شيئا من الطعام أو الشراب .. وفي هذه الحالة فهل يعقل أن يشهد شارب خمر على مسلم بشربها ، لكي يوقع عليه الحد ؟ إن كان تقيا فلن يقبل هو الشهادة لأنه لا يعتقد بتحريمها ..

أما الشكوى من اقتصار الشهادة في جريمة الردة على الشهود المسلمين فإن صفاقة الشاكي تغني عن الرد . هل يؤتى بكافر ليشهد أن مسلما قد كفر .. ؟ ما هذا الهلس .. هذه جريمة إسلامية تماما وخاصة بالمسلمين لأنها جريمة دينية .. ما شأن غير المسلم بها .. هل يجوز أو يعقل أن يطالب المسلمون بأن يكون لشيخ الأزهر حق تكليل أو حرمان المسيحي ، أو هل تقبل شهادة المسلم لصدور قرار بحرمان مسيحي .. لكي تتحقق المساواة ونصبح جميعا مواطنين من الدرجة التاسعة ؟! وهذه بالذات قضية ذات طبيعة خاصة تحيط بها حساسيات يستحسن أن يبتعد عنها غير المسلمين . وأخيرا فقد قلنا رأينا في أن جريمة الردة لا تثبت إلا بالاعتراف .. أي لا تقوم بالشهود إلا غيابيا لأنه لو أنكر وتلا الشهادتين ، سقطت الدعوى ضده . أما شهادة المسيحي على المسلم فمقبولة في غير ذلك ولو أدت إلى إعدامه .. وسقوط شرف المجادل هو الذي يسمح له بجعلها قضية عامة أو مبدأ ، بإدعاء أن المسيحيين شهادتهم غير مقبولة في مصر !

أما بالنسبة لقرارات مجمع الآباء الكهنة والمجلس المحلي(؟) وممثلي الشعب القبطي بالاسكندرية المنعقد بالبطريركية بتاريخ ١٧ يناير ١٩٧٧ .. فيستحسن نسيانها فقد صدرت في مناخ خاص على مستوى مصر بل الوطن العربي كله ، مناخ تحيط به ألف علامة استفهام ، لم يحن وقت التنقيب عن جذورها .. .

وعلى أية حال بما أن المؤلف أبو سيف قد أورد عدة مطالب ، فلا بأس من تعليق سريع عليها .. .

ـ مطلب عدم تطبيق شريعة الاسلام على المسيحيين .. وهذا مبحث طويل تعرضنا له في أكثر من موضع ونطرح بسرعة بعض الإشارات .

ـ الأساس هو سلطة التشريع وبالتالي نطاق صلاحيته وليس المصدر الفقهي للتشريع .. فما دام التشريع يصدر من هيئة تشريعية تمثل الأمة كلها ، فكل ما تشرعه هذه السلطة يجب أن تخضع له الأمة كلها ، سواء أكان التشريع مقتبسا من القانون الفرنسي الذي صدر عن ويحكم الفرنسيين الكاثوليك أو من الشريعة اليهودية أو من الشريعة الاسلامية .. أما قبول تطبيق الشريعة الفرنسية ، ورفض أي تشريع يمت للاسلام لمجرد أنه من الاسلام ، فهذا تعنت أو سعي للفتنة ، واستفزاز لا مبرر له ولا سند .

ـ وإذا كانت الكنيسة أو المجلس الأعلى للكنائس في مصر قد طالب بأن يُضاف إلى نص : الشريعة مصدر رئيسي للتشريع نص يقول : بما لا يتعارض مع شرائع الاقباط »[٢٣] .

فهذا مطلب بديهي نبصم عليه بالعشرة .. فليس في خاطر مسلم واحد ولا يجوز ولا ينبغي أن يفكر مسلم في وضع تشريع واحد يتعارض مع شرائع الاقباط .. وياليت أحدهم يدلنا على هذه الإمكانية النظرية لصدور تشريع إسلامي يتعارض مع تشريعات الاقباط ، إن ذلك لم يحدث في القرن السابع الميلادي أتراه يحدث اليوم .. عيب والله عيب .

ـ قلنا إن المسيحية ليس فيها تشريعات مدنية ولا جنائية وهي موضوع المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية .. ومن ثم فلا عدوان ولا تناقض ، ويمكن الرجوع لذلك في مواضع أخرى من هذا البحث . ويمكن القول أن الرأي غير مستقر على مدى إمكانية تطبيق عقوبات بعض الحدود مثل الزنا .. بعض الفقهاء يرون أن غير المسلم

لا يمكن أن يكون محصنا وبالتالي لن تطبق عليه عقوبة الرجم وهذا لا يعني إباحة الزنا لغير المسلمين فهم يعاقبون الآن بموجب القانون المستمد من التشريع الفرنسي . وإذا كان الزاني غير المسلم غير المحصن يسعده أن يسجن بضع سنين بموجب قانون مستورد من بلد غير إسلامي لكي لا يجلد مائة جلدة باسم الاسلام ، فإن المشرع المصري استنادا للشريعة الاسلامية يمكن أن يعتمد على مبدأ التعذير في فرض حتى عقوبة الإعدام على زنا المتزوج اسوة بالمسلمين . أما ما عدا ذلك فلا نرى أي مبرر لطلب استثناء طائفة مصرية من القانون الصادر من سلطة تشريعية ينتخبها المصريون مسلمون ومسيحيون . وللبابا شنودة أطال الله عمره تصريحات واضحة في أنه لا مساس ولا معارضة من الكنيسة والاقباط في تطبيق الشريعة .. هذه فتنة مستحدثة وحاشا الله أن يكون في مصر قرنق آخر .. .

ــ كذلك ورد مطلب أو شكوى ضد ما وصف بـ " ضغوط لتحويل بسطاء القبط تحت ضغط الحاجة عن عقيدتهم المسيحية . " ولا أظن أنه يمكن أن يكون هذا الاتهام موجها للمسلمين على الإطلاق . فالاسلام لا يعرف التبشير ولا يقر أبدا استغلال حاجة غير المسلم المادية أو الصحية أو التعليمية لتغيير عقيدته . ولا يعرف في تاريخ الكنيسة القبطية أنها مارست هذا اللون من التبشير وهو ما تفعله هيئات التبشير المسيحية الغربية وتمارسه ضد المسلمين والاقباط وقد أشرنا لذلك في غير موضع . هذا من الناحية النظرية أما من ناحية الواقع فالمسلمون لا يملكون المال ولا النفوذ لإغراء أحد . فنحن نوافق على هذا المطلب ، ونحن نطالب بتحريم التبشير بين الاقباط والمسلمين ، كما تفعل إسرائيل . ونحن نرحب جدا بالنقاش للوصول إلى صيغة تقنن ذلك وقد كانت الفرصة متاحة أيام أزمة قانون الردة .. ولكن للأسف حولتها بعض العناصر إلى معركة الدفاع عن حق تنصير المسلمين ، بدلا من أن تكون الدفاع عن الأديان الوطنية في مصر ضد عدوان المبشرين الأجانب .. والحوار مفتوح . وكما قلنا الذي أعلن الحداد العام ضد محاولة منعه من تنصير المسلمين لا يصدق أحد أنه يخاف من تبشير المسلمين !

ــ قضية التمثيل ويبدو أن المطالبين يصممون على السبعة ملايين التي نطق بها كارتر كتعداد المسيحيين وهو يعادل ١٤ ٪ .. وقد أشبعنا قضية التمثيل بحثا وكذلك حصة الاقباط في المناصب العليا إلخ ، ونحن مع إلغاء أي تمييز في أي منصب بل اتهمنا البعض بالشطط عندما قلنا بجواز أن يكون مسيحي رئيسا للدولة الاسلامية .

وهناك مطلب يوحي بأن المجمع لا يتمسك تماما بحرفية حرية العقيدة فهو يطالب الدولة بالتدخل '' للقضاء على الاتجاهات الدينية المتطرفة '' ونحن نرى اقتصار الدولة على التدخل ضد الأعمال المتطرفة لا الاتجاهات .. وهو يطالب « بوضع حد للكتابات الالحادية والتي تعرض بالدين المسيحي وعقائده » والشق الأول يتعارض مع حرية العقيدة وأنا شخصيا لا أرحب به ولا أخشى الكتابات الإلحادية ، أما الشق الثاني فإن كان يقصد بالتعريض نقد المعتقدات المسيحية فهو كما قلنا مطلب مرفوض واستفزازي ومن طفح الفتنة . وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في ردنا على هويدي .

أما ملاحظات أبو سيف على هذا البيان فلنا ، أيضا ، عليها ملاحظات :

١ ــ قوله : عكست قرارات المؤتمر مظاهر القلق الواسع في صفوف الاقباط في وقت بدا فيه بوضوح أن تطبيق الشريعة لا يلبث أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ ، وفي ظروف يتعاظم فيها نشاط الجماعات الاسلامية السياسية .

هذه من اختراعات الكاتب وإنشائه .. ليس في صفوف الاقباط قلق واسع من تطبيق الشريعة .. هذه قضية ، كما يشهد كل منصف يحترم قلمه ووطنه ، قضية علوية تنشغل بها وتشغلنا ، قيادات سواء على هذا الجانب أو ذاك ، لمجرد توظيفها لحساباتها ومعاركها الخاصة ، فلا جماهير المسلمين قائمة قاعدة تطالب بتطبيق الشريعة ولا الجماهير القبطية لا تنام الليل خوفا من قطع يد السارق ... غير صحيح فالمفروض حتى على مستوى الفتنة ان يكون للمسيحيين ما يشغلهم عن ذلك بتوقع أو صد العدوان على معابدهم ونهب محلاتهم ونسف محلات الفديو .. الخ ما

نقرأه في جرائد امريكا ... ولكن عندما تهتف بعض القيادات المسلمة ، باقامة حكم الشرع ، تتعاطف معها الجماهير المسلمة في حدود المجاملة لعقيدتها . وعندما تجأر القيادات المسيحية لحسابتها الخاصة ، برفض تطبيق شريعة المسلمين يحدث نفس الموقف .. لا أكثر .. ومن الاجرام إذن الحديث عن قلق واسع في صفوف الاقباط .

٢ ــ لم نفهم قوله : « استهلت القرارات بنغمة فيها تأكيد على أن الأمر يتعلق بجماعة اجتماعية لها خصوصياتها » لم نفهم جماعة اجتماعية لعلها مترجمة !

وصف المؤلف الإجتماع بأنه '' جمعية تأسيسية '' .. منه لله .. إن كان سيىء النية .. جمعية تأسيسية لماذا .. وماذا يحاول أن يوحي لهم .. يخونك العيش والملح والوطن .. وريمون دويك !

ورغم أن المؤلف يعلن معارضته للتشكيلات التي قامت في الخارج ، والتي تحدثنا عنها كجزء من مؤامرة تمزيق مصر .. فإن لنا بعض ملاحظات على استشهاداته وملاحظات على ملاحظته !

« الهيئة القبطية الأمريكية » التي تأسست عام ١٩٧٤ في نيوجرسي بالولايات المتحدة ، ولها مجلة ناطقة باسمها هي « الاقباط » وتصدر باللغتين الإنكليزية والعربية . وأهداف الهيئة المعلنة هي : خلق مجتمع دولي قبطي متحد ، والمساهمة في دعم كيان الاقباط بمصر .. إلخ[٢٤] .

وأرجو أن ننتبه جميعا ، وبالذات رجال الكنيسة إلى هذا التعبير '' مجتمع دولي قبطي متحد '' فهي صياغة شديدة الوعي شديدة القصد وراءها ما وراءها .. وهو نقل مركز قيادة الاقباط خارج مصر وكنيسة مصر .

ويعرفنا المؤلف : أن هذه المجلة « الاقباط » ترى « أن هناك مخططا يستهدف إبادة المسيحيين في مصر . وأن هذه الإبادة كانت أحد المباديء السرية لثورة يوليو ١٩٥٢ » وأن أولى خطوات تنفيذ المؤامرة هي تحطيم الاقباط اقتصاديا وسياسيا :

فقد تم تجريد أغنيائهم من ثرواتهم ، وقضى على زعاماتهم المدنية . » وأن محنة الاقباط بدأت بحرق مكتبة الأسكندرية فخيم الظلام على مصر ، واشتد بعد تأسيس الأزهر وحلت الكارثة عندما نادت ثورة يوليو بالوحدة العربية كتمهيد للوحدة الاسلامية ،، (٢٥) .

ولا أجد تعبيرا لا يطاله القانون ، في وصف تعليق المؤلف على إرتباطات هذه المنظمة المفضوحة بإسرائيل والموارنة ، فهو يقول أن هذه المجلة (الاقباط) « تنشر مقالات لكتاب صهيونيين تستهدف إبراز فكرة أن خطر الغزو الاسلامي الجديد على الغرب المسيحي ــ اليهودي لا يقل عن خطر الشيوعية » « وعلى مستوى الموقف السياسي تتعاطف الهيئة مع الكتائب اللبنانية فترسل برقية تأييد لقائد قوات الجبهة اللبنانية . وتضمنت البرقية تلميحا لما يعانيه الاقباط في مصر وتحذر المجلة « الاقباط » اللبنانيين من ابتلاع طعم المثقفين العروبيين في لبنان « هؤلاء الذين ينادون بالمجتمع الموحد العربي اللبناني لإغراق الخصوصية المسيحية بشكل عام في بحر من القومية العربية المتعددة الأوجه والطروحات » (٢٦) .

وقد اتفقنا على أن الرائحة التي تفوح من هذه المجلة تغني عن مناقشتها بل تلزم كل شريف بالتعفف عن مجادلتها .. أما ما دعانا إلى نقل خبثها فهو التعليق الغريب الذي تفضل به الكاتب الماركسي حول هذه المواقف إذ قال : « وتقديرنا بعد ذلك أن « الهيئة القبطية الأمريكية » (التي تشرف على المجلة ج) باتجاهاتها الفكرية ومواقفها السياسية إنما تمثل نزعة حادة « من التمحور حول الذات » لم يعرفها قبط مصر من قبل » .

ذات إيه .. هي اللي تقف مع ’’ الأعداء التاريخيين لمصر ‘‘ تبقى تتمحور حول الذات ؟! هي الصهيونية والمسيحية ــ اليهودية الغربية والأمريكية .. ذات ؟! كاك وجع في ذاتك .. ومن قال إنهم من قبط مصر .. هم يسمون أنفسهم الهيئة القبطية الأمريكية . ولم يقولوا القبطية في أمريكا . هؤلاء أقباط أمريكا ولأن القبطي هو المصري .. والقبطي لا يمكن أن يكون إلا مصريا بنص بيان التجمع الكنسي

المعارض لقانون الردة والداعي للاستشهاد الذي قال : " لا يوجد شعب في العالم له إرتباط بتراب أرضه وبقوميته مثل إرتباط القبط بمصر العزيزة "[٢٧] .

ولكن هؤلاء عرفوا أنفسهم بأنهم أمريكان ومن ثم لا يحق لهم لا الحديث باسم الاقباط ولا أن تحسب مواقفهم على الاقباط .. وهذا ما فعله الاقباط ممثلين في قيادتهم الكنسية عندما « وقع في أغسطس ١٩٨١ **رؤساء ٢٦ كنيسة قبطية في المهجر الأمريكي** (تسويدناج) بيانا بشجب إدعاءات .. تلك المنظمة التي تسمى نفسها الهيئة القبطية الأمريكية »[٢٨] .

وما دامت الكنيسة تريد النص في الدستور على أن الكنيسة القبطية هي الكنيسة الوطنية .. ورد المسلمين كما نعتقد هو : حبا وكرامة .. فإن من واجب الجميع الحرص على أن تكون هذه الكنيسة بالذات هي الناطقة باسم المصريين ومن البطركخانة في القاهرة أو الأسكندرية أو دير المحرق .. لا من تجمع دولي ولا من نيوجرسي ولا من الاقباط الأمريكيين .. هؤلاء قطعوا الارتباط بمصر ، الذي ميز القبطي المصري .

وقد أثار أبوسيف يوسف نفس قضية قداسة منصب البابا ولكنه كان حائرا بين ارضاء الجمهور وارضاء الحقيقة فجاءت صياغته مضطربة قال : « من المعروف أن الكنيسة القبطية كنيسة محافظة ، إن لم تكن في الواقع أشد الكنائس تمسكا بتقاليدها وهي في النهاية ـــ من الناحية الواقعية ـــ سلطة ذات طبيعة مطلقة . وقد استقر في تقاليد الكنيسة القبطية ـــ ومنذ وقت مبكر ـــ أنه ما ان يتم الإتفاق على تحديد شخصية المرشح لمنصب البطريرك بين أساقفة الكنيسة ووجهاء الاقباط (الأراخنة) ثم ما إن ينتهي حفل تنصيب المرشح أمام الجمهور في الكنيسة حتى يتناهى إلى أيدي البطريرك الجديد نوع من السلطة الكلية على الكنيسة ـــ وعلى هيئة الاكليروس وعلى الرعية (في كل ما يتعلق بالشئون الروحية) وعلى جميع المؤسسات الملحقة بالكنيسة من أوقاف وأديرة ومدارس وغيرها . هنا تقوم سلطة البطريرك على ركيزتين : إحداهما روحية ، وتستند إلى أن جلوس البطريرك على

كرسي مار مرقس الرسول قد تم بمشيئة إلهية فأصبح ما يربطه البطريرك على الأرض مربوطا في السماء ، وما يحله على الأرض محلولا في السماء . فلا سبيل إلى عزله أو تولية غيره طالما ظل على قيد الحياة . أما الركيزة الثانية فزمنية ، وتشتمل على مكون سياسي واقعي له جذور تاريخية ، وذلك عندما كان منصب البطريرك في العصور الوسطى الأولى والمتأخرة يمثل حلقة الاتصال بين الدولة وبين جمهور القبط ، ثم بين الدولة وبين البطريرك المصري باعتباره الرئيس الروحي للكنائس غير المصرية التي تتبع الكنيسة المصرية »[٢٩] .

وبالطبع لا تشابه بين الركيزتين يبيح الجمع بينهما إلا غمغمة من لا يريد الافصاح ! فالأولى لاهويته والثانية زمنية .. على أية حال أهل مكة أدرى بشعابها .. الاقباط أنفسهم من الباشوات إلى الإرهابيين المتطرفين لم يقبلوا مبدأ عدم العزل هذا ، ولا كانت تصرفاتهم توحي برسوخ الاقتناع بعدم القابلية للعزل .

وقد أورد أبو سيف نفسه ما يؤيد ذلك وأنه في العصر الحديث أو منذ القرن التاسع عشر فإن المحاولتين اللتين جرى فيهما عزل البابا أو المطالبة بعزلة تمت على يد أقباط وصدرت من أقباط ، مما يشكك جدا في إدعاء أن مبدأ عدم العزل هو جزء من العقيدة المسيحية يعلو ليس فقط على سلطة الدولة بل وعلى أحكام القضاء .. كما زعم عصفور .. الذي يبدو أنه أعلم بدين وعقيدة الاقباط منهم !!

استعرض أبو سيف خلاف القيادات العلمانية القبطية مع البابا وقال : « وقد رد العلمانيون الذين كان يتزعمهم بطرس باشا غالي باستصدار أمر من الخديو يقضي بإبعاد البطريرك إلى دير في الصحراء الغربية . لكن أكثرية القبط ساندت البطريرك كما سانده رأي إسلامي واسع في مصر وصحف عثمانية في اسطنبول »[٣٠] .

وكانت الحادثة الثانية « على يد التنظيم الذي يعد أوضح صورة للتعصب القبطي في تاريخ الاقباط منذ الفتح العربي ان في شعاراته أو ممارساته وهو « جماعة الأمة القبطية » وقد تأسس في ١١ / ١٠ / ١٩٥٢ وكان على رأسه شاب في العشرين من عمره هو المحامي إبراهيم فهمي هلال ويدعو برنامج الجماعة القبط إلى التكلم

باللغة القبطية ... » « واختلفت الجماعة مع البطريرك يوساب الثاني لوقوفه مع الحكومة ضد أهداف التنظيم ، واختلفت مع الحكومة بعد ثورة يوليو عندما طالبت بأن يكون الدستور '' وطنيا لا دينيا ، مصريا لا عربيا '' . »[٣١] .

« وفي عام ١٩٥٤ قامت مجموعة من شباب جماعة الأمة القبطية بالهجوم على المقر البابوي وأرغمت البطريرك تحت التهديد باستخدام السلاح على توقيع وثيقتين إحداهما تعلن تنازله عن منصبه والأخرى تتضمن دعوة المجمع المقدس والمجلس الملي العام للاجتماع والاعداد لانتخابات جديدة .. إلخ » .

فالباشاوات التقدميون في مطلع القرن رأوا أن من حق الخديو عزل البابا .. وشباب الأمة القبطية المتعصب بعد أن انتصف القرن رأوا إمكان إجبار البابا على التنازل . وبما أننا لا نقبل أن نكون ملكيين أكثر من الملك .. ولا نحن ممن يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، فإننا نرفض بازدراء محاولات تملق البعض بسب السادات أو التطاول على القضاء الذي حكم بما هو واقع وله سوابق .

ولنفس القضية تعرض كتاب يتبنى وجهة نظر البابا بنسبة مائة وخمسين بالمائة ! وفي اعتقادي بما يشوه وجهة نظر البابا ويذكرنا بحكاية العدو العاقل .. ورغم أن الكتاب كله يدور حول خطأ قرار السادات بعزل البابا ، بزعم أن ذلك ليس من حقوق الدولة المصرية ! إلا أن المؤلف ينسى هدف الكتاب والقضية التي يدور حولها ، أو لعله ما زال يعيش الرعب من نقد قرارات عبد الناصر فنراه يقول :

'' وفي عام ١٩٥٥ أقر المجمع المقدس بالاجماع عزل البابا يوساب الثاني . **وكان لابد من أن تصدر الدولة قرارا تؤيد فيه المجمع المقدس ليأخذ قراره صفته القانونية الشرعية فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتنحية البابا يوساب الثاني بناء على قرار المجمع المقدس** . ويعتبر قرار المجمع المقدس تنحية كنسية قبل أن تأخذ قرارها المدني وفي نفس القرار الجمهوري رقم ٤٤ لسنة ١٩٥٥ ألغي الرئيس عبد الناصر المحاكم الملية المسيحية وأصبحت الأحوال الشخصية من اختصاص محاكم الأحوال الشخصية وليس من اختصاص الكنائس

بعد أن كانت كل كنيسة لها قوانينها قبل صدور القرار الجمهوري . ،، [٣٢] .

فهو هنا يعترف أن قرار الدولة هو الذي يمنح قرار المجمع المقدس الشرعية والقانونية .. بينما نفى ذلك في قرار السادات ! ولجبر هذا التناقض الذي لا يجبر ، نراه يعود فيدور حول نفسه بأن قرارا عزل يوساب كان قرارا كنسيا ، وأن البابا كان مكروها من الشعب وعزله كان مطلبا شعبيا . فيقول : « كان قرارا عزل البابا يوساب الثاني بإجماع المجمع المقدس مطلبا شعبيا . والمجمع المقدس هو الذي عين ثلاثة من الآباء المطارنة ليتولوا اختصاصات البابا . القرار كان قرارا كنسيا بحتا . وكان البابا يوساب غير مؤيد من الشعب لأسباب بالنسبة للاقباط أنفسهم وانتقادات عديدة من ضمنها سيطرة الحاشية البطريركية ومخالفات لقوانين الكنيسة .. » إلى آخره .

وليس هذا هو موضع الجدل أبدا .. فقرار السادات يمكن أن يكون خاطئا شعبيا وطائفيا ووطنيا ، ولكن السؤال هو : **هل للدولة المصرية سلطة إلغاء شرعية المنصب من الناحية المدنية بسحب اعتراف الدولة به ؟! هو نفسه أجاب عن هذا السؤال عندما قال : '' وكان لابد من أن تصدر الدولة قرارا تؤيد فيه المجمع المقدس ليأخذ قراره صفته القانونية الشرعية فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتنحية البابا يوساب الثاني بناء على قرار المجمع المقدس .** ،، [٣٣] .

لا معنى للإعتذار بقرار المجمع المقدس ، ما دمت قد شهدت أن القرار الجمهوري هو الذي أعطى قرار المجمع صفته القانونية الشرعية . والقوانين لا يجوز أن نخضعها لأهوائنا فنعطي الشرعية للقانون إذا كان يضرب بسيفنا ، ونعاديه إذا جاء بما لا نشتهي .

ولعل السادات هو خير من يشرح هذه النقطة أعني الفارق بين الرئاسة الدينية للبابا وصفته القانونية والدستورية والمدنية .. يقول السادات : '' حسنا .. إن ما حدث هو ما يلي : لا أحد يمكن أن يكون له دخل في القوانين الكنسية وتقاليد

كنيستنا فهذه مسئولية كل قبطي ولكن ما أنهيته بالفعل أو ألغيته هو النقطة الثانية التي لي سلطة إلغائها .. أي إعلانه أمام الدولة والعالم بأسره باعتباره رأس الكنيسة وهكذا فإنني تصرفت في حدود مسئوليتي . ،، (٣٤) .

ونلاحظ أن المؤلف أو المتلقي يحاول إلغاء الشرعية ، إلغاء دور الدولة عندما يتحدث عن إجراء القرعة وفوز البابا ثم يقول : « ويصبح البابا شنوده الثالث البابا ١١٧ رسميا ،، ص٤٠ .

المقصود طبعا أنه لا يحتاج لقرار جمهوري لكي يصبح بابا رسميا . وهو تزوير فاضح ومحاولة سيئة جدا لتخطي الدولة .. فالبابا يصبح بانتهاء الانتخاب والقرعة بابا كنسيا دينيا ولكنه لا يصبح رسميا إلا باعتماد انتخابه من جهة رسمية إذا كنا لا نزال نتكلم العربية . ولا يشكل هذا الاعتماد أي تدخل في الإنتخاب ولا في حرية الناخبين .. ولا في عقيدة وإقتناع المنتخبين . فنتيجة إنتخابات مجلس الشعب وهو السلطة العليا والتي تراقب السلطة التنفيذية وتملك خلعها .. هذه النتيجة لابد أن تعتمدها وتعلنها وزارة الداخلية .. ولا أحد يجد غضاضة في ذلك .

ودخل الحلبة شخصية طريفة هو الدكتور محمد عصفور الذي يمكن وصفه بانه كالإناء ينضخ بما فيه ، وهو حديث عهد بالكتابة السياسية والقضايا الفكرية لذا نرى معظم كتاباته من قراءات في كتابات الآخرين وأحيانا ندهش لما بها من ثقافة أو لمعة فكرية فنندفع في القراءة حتى نصل إلى قوله : وهذا ما قاله فلان في كتابه أو حتى مقالته .. إلخ .

وقد حرص على أن يكرر في أكثر من مقالة أن مصر دولة « ثنائية الدين » وهو يعلن أن كل المسلمين يجهلون جهلا تاما الديانة القبطية لأن : ،، أجداد أجدادنا الذين تحولوا من القبطية إلى الاسلام هم وحدهم الذين كانوا يعرفون حق المعرفة أصول الديانة القبطية وفي مقدمتها وضع الكنيسة ورأسها الديني وهو البطريرك ومع وفاة أجداد أجدادنا من الاقباط وغياب هذه المعرفة التاريخية بجوهر الديانة القبطية

صرنا كمسلمين أشد الناس جهلا بهذا الجوهر ، رغم أنه ضروري بل وحيوي لاستمرار المعايشة وحسن الجوار .. ،، [٣٥]

ويبدو أن جد جده قد مات من زمن بعيد جدا ولم يترك أية تعاليم ولا تقاليد للأحفاد وإلا لما قال ابنه أن مصر دولة ثنائية الدين لأن المسيحية لا تقبل أن تكون دين الدولة .. فالدولة من اختصاص قيصر والدين هو اختصاص الكنيسة .

وتحت تأثير هذا البعد عن الأسرار التي ذهب بها جد جده ، يزرع المشاكل بدلا من أن يطرح الحلول قال :

« يستحيل أن تتحقق الحرية الدينية لإخواننا الاقباط إذا اعتدت الدولة على استقلال الكنيسة القبطية ، ثم اعتدت على رأس هذه الكنيسة بقرار يصدر من رئيس الجمهورية السابق بعزل البابا ، كما أنه من السخرية البالغة أن يقال إن اخواننا الاقباط يمارسون بحرية كاملة عقيدتهم . وهم يرون قانونا ساقطا ولائحة عتيقة يضيقان عليهم حقوقهم المشروعة في ممارسة شعائرهم الدينية دون تدخل من جانب الدولة ... » « إن هذا العدوان لا ينصب فحسب على الكنيسة القبطية حيث تتكون عناصرها الرئيسية من الكنيسة كدار للعبادة ومؤسسة دينية لها استقلالها ورأس للكنيسة لا يعين من قبل سلطة زمنية وإنما يتم اختياره طبقا لطقوس وشعائر دينية وكنائس هي التجسيد لحرية العبادة التي يجب أن تكفل وتصان . » وقال انه : ،، يعتبر قرار عزل البابا شنودة « أفظع جريمة أصابت الوحدة الوطنية في الصميم » وزعم أن في مصر موقفا سابقا للدولة من الكنيسة القبطية ورأسها غبطة البابا شنودة . وموقف مستمر بالنسبة للكنائس القبطية وانشائها وترميمها .. ،، وأعلن أنه لا يأبه بحكم القضاء ولا القانون : « لا يثنيني عن ذلك استناد عدوان الدولة في هذه الحالات إلى حكم قضائي صادر عن محكمة القضاء الإداري . أو استمرار التضييق على الكنائس باستناد إلى خط همايوني أو لائحة وزارية » ١/ ٩/ ٨٩ .

ثم سقط سقطته المدوية عندما قال : « ولا يستطيع منصف أن ينازع في أن

الموقفين السابقين يمثلان عدوانا شديدا على الحرية الدينية شرعا **ودوليا** ودستوريا » .

لماذا أقحم '' دوليا '' هنا .. من يهدد ومن يحرض .. ألا يرقب هؤلاء إلاّ ولا ذمة في وطنهم ؟! .. لماذا تدويل الأمر وهو والحمد لله ما لم يرد على لسان قبطي شريف .. بل يبتزنا به العملاء في المهجر .. لنترك هذه النقطة لضمير المصريين يحاسبونه عليها .

وتعالوا نناقش '' علمه '' بالعقيدة المسيحية وبالفتنة وعناصرها .

أولا : تهجمه على القضاء وحكم أعلى محكمة في مصر لا يليق من دكتور في القانون على ما أعتقد .. ونحن أحوج ما نكون لقبول حكم القانون ، واحترام القضاء وأحكامه ، وخاصة في هذه القضية بالذات . لابد أن نسلم عن اقتناع بأن القضاء فوق الطائفية ، وفوق شبهة الانحياز وإلا فقدنا الأمل في حل سلمي وفتحنا بابا للفتنة والضياع لا يمكن أن يسد بمقالة في صحيفة تحاول أن تتودد لهذه الطائفة أو تلك . وما دمنا قد لجأنا للقضاء فيجب أن نحترم ونخضع لحكمه مهما كان .

البابا ينتخب حقا من بين أبناء الطائفة ووفق طقوس معينة ولكنه يعين بمرسوم ملكي أو جمهوري بطريركا للكنيسة القبطية ويترتب له حقوق وامتيازات وحصانات بموجب هذا التعيين .. ومن ثم فهو هنا موظف عمومي ، ورأي القضاء والسوابق أنه يمكن عزله من هذا المنصب من قبل نفس السلطة التي عينته .. وهي بالطبع لا تملك عزله دينيا أي من عقيدة وقناعة الموطن القبطي كرئيس ديني .. هذه قضية تتعلق بالضمير أو الإقتناع أو العقيدة ، وهو ما لا تصل إليه سلطة الدولة . ولكن الوحدة الوطنية لن تتحقق إلا إذا وضعنا سلطة الدولة فوق أية سلطة ولو كان لها جانب ديني وهذا سيجعلنا أكثر حرصا على إصلاح هذه الدولة . ونحن نقبل أن نمنع الطلاق ونرتب حقوق الزوجية للمرأة المطلقة شرعا في قناعة زوجها بل وقناعتها هي ، لأن الدولة تعتبر هذا الطلاق باطلا .. ونفس الشيء عن الزواج العرفي .. هو قائم دينا بين المتزوجين ، ولكن الدولة لا تعترف به ، ولا ترتب

عليه حقوقا .. وكذلك الدولة قد تشرع ما يمنع تعدد الزوجات ، ويصبح ما هو شرعا دينيا .. محرما قانونا .. البطريرك إذا كان يريد أن يمثل الطائفة أمام الله فلا سلطان للدولة عليه لا في اختياره ولا في استمراره .. أما إذا كان يمثل الطائفة أمام الدولة وفي قضايا هي من صميم أعمال الدولة مثل تحديد موقف المواطنين الاقباط من زيارة إسرائيل أو التطبيع .. أو يجتمع مع رؤساء الدول الأجنبية ويعارض صدور قانون يمنع تنصير أو تهويد المسلمين وينشط اللجان القبطية في الجامعات .. الخ فلابد أن يخضع للدولة .. كل مواطن مصري لابد أن تشمله سيادة الدولة وأن يخضع لها .. لا يمكن أن نتصور دولة حديثة ، ولا وحدة وطنية إذا قامت دولة داخل الدولة . ولا يمكن أن يشعر المواطنون بالأمن إذا تصورنا وجود شخصية تنتخب مرة واحدة ولمدى الحياة .. ثم يستحيل عزلها أو محاسبتها أو نقدها .. ولا حتى من قبل الذين انتخبوها . وهي تتحكم في قوة هائلة وتسيطر على نصف المصريين وتعمل في قضايا الدنيا .. وبالطبع لو قلنا أن الدولة تعين وتعزل شيخ الأزهر والمفتي ووزير الأوقاف وأئمة المساجد .. سيقال لنا على الفور أنتم ما عندكمش رجال دين كأن قائلها يخرج لنا لسانه .. نعم نحن ليس عندنا رجال دين ومن هنا كان لابد بل وأهم من ذلك ، أنه أصبح ممكنا أن يكون للدولة دينها .. وفي المسيحية رجال دين معصومون لا يعزلون .. ولذلك لا يمكن أن يكون لهم دخل لا بالحكم ولا بالسياسة ولا بحياة الناس اليومية وقد شرحنا ذلك بما فيه الكفاية فارجع إليه .

أما حكاية بناء الكنائس وإصلاحها والقرار الهمايوني .. فقد كنا نظن أن السوقة وحدهم هم الذين اختصوا بالإثارة في هذا الموضع .. حتى الجأنا الزمن الأغبر لمناقشة الدكاترة !!

أولا كل بناء في مصر يحتاج لترخيص فما العجب في شأن الكنائس . إلا أنها فرصة لإثارة فتنة .. ؟! وهناك اشتراطات خاصة في الكنائس لأنها مكان عبادة وموقع ديني . ومن ثم لابد أن تتأكد الدولة من كافة الظروف التي تكفل سلامتها وبعدها عن مواقع الإثارة أو التعرض للإثارة .. وقبل التطورات الأخيرة وتدفق

الأموال لبناء الكنائس لو أن الأمور كانت فوضى لما ترك المسلمون في مصر شبرا يمكن أن تبنى عليه كنيسة ، ولكن الدولة كانت تخصص أرضا بعينها وتمنع المسلمين من تملكها ثم تمنح تراخيص لبناء الكنائس عليها .. فالقيود كانت لصالح الاقلية .. وهل يعقل الآن أن تلغى القيود وكلنا نتفق على وجود مؤامرة عالمية نشطة لإثارة فتنة في مصر .. هل يعقل أن نترك جهة ما تشتري أرضا في الحسين وتبني عليها كنيسة تذيع القداس ، و لاتتوقع أن يدسوا من يحرض العامة والغوغاء فتحدث الفتنة .. لا أدري كيف تعمى بصيرة هؤلاء فيزيفون ويثرثرون باسم الوحدة الوطنية وهم يصيبونها في مقتل . ألم تكن أخطر حوادث الفتنة في عهد السادات هي تلك التي دارت حول محاولة البعض من الطرفين بناء كنيسة أو جامع بدون تراخيص .. أليس كل الكنائس التي يعلن عن حرقها هي من هذا النوع ! .

وأيضا نعم لا يجوز إجراء أي إصلاح فضلا عن هدم كنيسة إلا بتصريح ومن أكثر من جهة فالكنائس إذا كانت مكانا دينيا مقدسا عند القبطي وهي بالتالي جديرة باحترام واعتزاز المسلم .. إلا أنها بالنسبة للمصريين ككل ، تشكل أثرا قوميا تراثا وطنيا فهل نترك أسقف دير المحرق أو عصابة مستثمرين من الفارين في كندا أو حتى اتحاد ملاك من المسلمين والاقباط يقنع الأسقف بهدم دير المحرق وإعادة بناءه بحيث يشمل عشرة فنادق وقرية سياحية وست عمارات سكنية ومدينة ملاهي .. لتحسين أوضاع الطايفة وتنمية محافظة أسيوط .. ما هذا الهبل .. ؟! نعم لا يمكن نقل دورة مياه من مكان عمره أكثر من ألف سنة إلا بموافقة ورقابة مصر كلها .. وقد أفضنا في ذلك في غير هذا الموضع .

العبوا غيرها .

* * *
* *
*

مزيد من الفتنة باسم الماركسية[*] .. !

وهذا حديث الإفك جاءت به عصبة من الماركسيين والمتمركسين يمكن أن نلخص هدفه فيما لخصته مقدمة الكتاب في سطر واحد وهو أن الكتاب يحاول أن يدفعنا أو يجبرنا على : « التسليم بأن نوعا من التفرقة بين عنصري الأمة مختلفا من حقبة إلى أخرى ، قد ساد على طيلة تاريخ مصر الحديث . »[٢٧] ويؤكد د/ ع . أنيس هذه المقولة : « تصوير الأمور على أن العلاقات بين المسلمين والاقباط كانت على خير ما يرام على طول التاريخ هو أمر ينافي حقائق هذا التاريخ .. فالواقع والحقيقي هو أن اقباط مصر عانوا من التفرقة وانعدام المساواة فترات طويلة من حياتهم .. فحتى عهد سعيد كان الاقباط محرومين من دخول الجيش . »[٢٨] .

وفي الدراسة الاستفزازية التي قدمها د/ عاصم الدسوقي مهد لبحثه بوجود « فرضيتين لقراءة تاريخ مصر : فرضية تقول بوحدة وتآخي وتآلف واندماج عنصري الأمة كقاعدة ثابتة ، وأن ما خلا ذلك يدخل في باب الاستثناء . وفرضية تقول بوجود تفرقة كقاعدة وأن ما خلا ذلك يدخل في باب الاستثناء . » .

وهو لا يختار موقفا توفيقيا فيقترح فرضية وسطية .. بل يعلن في اصرار : « والحق أن الفرضية الثانية هي — في تقديري — أصلح القراءات التي تبحث عن أسباب الفتنة . »[٢٩] مع أنه بذل جهدا بعد ذلك في إثبات أن التفرقة أو الطائفية بدأت مع الأنجليز !!

ولكن أحدا لم يبلغ غلو السفير حسين أحمد أمين الذي اجبرته في حوار على صفحات الأهالي على الاعتراف بأنه يعتقد أن الأصل في تاريخ مصر هو الفتنة الطائفية وذلك عندما كشفت تزويره لحادثة فتنة لم تقع أصلا !! .

(*) المشكلة الطائفية في مصر : لجنة الدفاع عن الثقافة القومية — أبو سيف يوسف / أحمد صادق سعد / خليل عبد الكريم / د / عاصم الدسوقي د/ عبد العظيم أنيس د/ عواطف عبد الرحمن د/ فوزي منصور د/ فؤاد مرسي تقديم لطفية الزيات ١٩٨٠ — مركز البحوث العربية — = القاهرة .

والقول بالفتنة والاضطهاد الدائم للأقباط هو الفرية التي تدور حولها معظم ان لم نقل كل كتابات متعهدي الفتنة المصرية .. فما دام تاريخ مصر كله كان هكذا ، فلا يحق لنا الأمل ، في أن يكون غير ذلك .. وأيضا تسقط حقيقة أن الفتنة هي من تأثيرات خارجية أو حتى نتيجة عوامل وأوضاع داخلية عارضة .. لا .. إنها بموجب هذا الزعم نتيجة محتومة لوجود أغلبية مسلمة أو حتى لوجود مسلمين .. والحل مفهوم ومعدوم أيضا . ان هذا الطرح ينهي الجدل ، فما دامت مصر لم تعرف التعايش قط فلا سبيل إليه بعد ألف وخمسمائة سنة .

وانظر الطريقة التي تعرض بها حكاية التجنيد في الجيش كأن المصريين كانوا يتحرقون شوقا لخدمة العلم أو ينتحرون كاليابانيين إذا لم يطلبوا للتجنيد .. أو كأن المصريين المسلمين كانوا يجندون من أيام سيدنا نوح والاقباط لأه .. (*) .

أولا : المصريون المسلمون لم يجندوا إلا في العشرينيات من القرن التاسع عشر ومن ثم فالفارق الزمني لا يزيد عن أربعين سنة . .

ثانيا : كان المصريون مسلمين واقباطا يعتبرون الأعفاء من الجندية حقا وامتيازا من امتيازاتهم ، ويكرهون الجندية كراهية شديدة وكان شائعا قطع المصري لإصبعه أو حتى فقأ عينه لكي لا يجند في جيش محمد على .. فأى امتياز هذا الذي حرم منه القبطى ؟ أغلب الظن أن الباشا قد خاف من اثارة الاقباط ومن ثم القناصل .. لو بدأ بتجنيدهم مع المسلمين (*) إلا يذكر هؤلاء أن من انتصارات مصطفى كامل

(*) أنظر تعليق « كتاب سياسة وأقليات في الشرق الأدنى » تأليف آني ولو رانت شابري .. ترجمة قرقووط ، إذ يعلق على منع المسيحيين من الجندية في العصر الاسلامي فيقول : « ولم تكن هذه ميزة بسيطة ، بالنظر إلى مدة الخدمة العسكرية التي كانت تبلغ في ذلك العصر خمس عشرة سنة . ولكن عدم المساواة في الخدمة العسكرية كان يعوض بفارق العبء الضريبي الذي يصيب غير المسلمين » ص ٤٧ أي أن المنع من الخدمة العسكرية كان امتيازا يدفعون مقابله وليس اضطهادا . الاضطهاد لا يقع إلا إذا أحس الناس به وليس إذا أنتفعوا به .

(*) جاء في تقرير BOWRING عن زيارته لمصر في عهد محمد على : « المسيحيون معفون من التجنيد بحكم الشريعة المحمدية غير أنهم قد يجندون في بعض الأحيان بسبب ما عليه الأجراءات من فوضى وهناك حالات اجبروا فيها على دخول الجيش على اعتبار أنهم مسلمون . وقد وصلتنى شكاوى من القبط في كثير من الأقاليم ، لأن أفرادا من طائفتهم انخرطوا في جيش الباشا قسرا عنهم فعرضت الأمر على الحكام .. وقد =

المدوية أنه نجح في منع تجنيده لأنه يحمل مؤهلا عاليا .. واصبح ذلك مبدأ وامتيازا للمثقفين بعد سعيد وبعد تجنيد الاقباط بثلاثين أو أربعين سنة ! .

ماذا يكتب هؤلاء وبأي هدف ؟! وما الفرق بين الجزية التي كان يدفعها القبطي مقابل امتياز عدم تجنيده وبين البدلية التي أصبح يدفعها هو والمسلم مقابل نفس الامتياز ؟! والكتاب ملتزم بالمنهجية الجدلية التضليلية .. التي أشرنا إليها ، وهى أن الفتنة الطائفية هى من صنع المسلمين وحدهم ، وبسبب الاسلام أولا وأخيرا وداخليا وخارجيا ويردد الكتاب الأكذوبة المضحكة إلى حد البكاء عن نشاط سعودي أمبريالي إسلامي تآمري في مصر ..! .

فالظاهرة الطائفية في تفسيرهم : « هي ظاهرة مرتبطة داخليا بمصالح أشد قوى اليمين جمودا وتخلفا ، وبالايديولوجية السائدة التي يفرزها هذا اليمين . وهي ترتبط خارجيا بالامبريالية العالمية والأمريكية ، كما ترتبط أيضا بالنظم الرجعية النفطية وخاصة السعودية . »[٣٠] ولاحظ أن ذلك يتناقض مع الفرضية الأولى التي تجعل الفتنة ظاهرة مصرية أزلية ! .

وفي الدراسة التي قدمها سكرتير الحزب الشيوعي الذي كانت « حدتو » تشنع عليه بتسميته الحزب الشيوعي القبطي والتي تتحدث عن « الفتنة الطائفية والقوى الخارجية » تلخصها لنا الدكتورة المقدمة بأنها « محيطة بالموضوع من مختلف جوانبه ومبرزة للعلاقات المشبوهة بدورها . كما يتطرق الدكتور فؤاد مرسي إلى الجمعيات الدينية الاسلامية وعلاقاتها بالسعودية وإيران » ويتناول الأستاذ خليل عبد الكريم بالدراسة تاريخ الاسلام السياسي والمشكلة الطائفية » .

كذلك فإن دراسة حول الصحافة الدينية والمشكلة الطائفية ركزت ، أقصد ،

= أنزل العقاب بمن ارتكبوا هذه المخالفات ، وحصلت أكثر من مرة على وعد باتخاذ وسائل حازمة لمنع تكرارها .» .

تجنيد الاقباط كان مخالفة يشتكون منها للقناصل والزوار الأجانب ! يحولها جلد الأجرب اليوم إلى حرمان واضطهاد !!

اقتصرت على ما ينشر أو يصدر عن الاسلام .. الدكتورة عواطف عبد الرحمن تحصي : « أجهزة الاعلام الديني في مصر » في الآتي :

جهاز الدعوة الدينية بوزارة الأوقاف ، « وتضيف : والمعروف أن الدعوة الاسلامية تعتبر من أولى المهام المنوط تحقيقها بوزارة الأوقاف منذ إنشائها » .

« جهاز الوعظ والإرشاد بالجامع الأزهر » .

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

محطة القرآن الكريم .

« المجلات الدينية المتخصصة » .

(هه يا فرج الله يمكن تحسب واحدة غير مسلمة هنا ..) أبدا أحصتها كالآتي :

مجلة الأزهر .

مجلة منبر الاسلام .

مجلة نور الاسلام .

« هذا عدا المجلات الاسلامية الأخرى ، انظر جدول رقم ١ » .

ثم تقدم لنا احصائيات من طراز احصائيات غورست عن مجموع الارسال الاسلامي الإذاعى وقررت أنه يصل إلى ٧و١٩٪ من إجمالي ساعات الارسال الاذاعي . ومثل مقارنتها بين الموضوعات الاسلامية في الصحف وأنه « لم ينشر سوى حديث صحفي واحد مع البابا شنودة . » .

وتعد علينا ، ضمن إنتشار الاعلام الاسلامي في الصحف المصرية ، تحقيقا صحفيا يتناول الاستعدادات لموسم الحج !!! حديثا صحفيا مع وزير الداخلية يتعلق بهذه المناسبة أيضا أو حديثا صحفيا مع رئيس لمحكمة عسكرية تنظر أمامها قضية تتعلق بظاهرة العنف الديني .. »[٣١] .

حتى على الموت لا اخلو من الحسد .. !! .

ومن باب المصداقية والنقد الذاتي تحصى د/ عواطف عبد الرحمن على الأخوان المسلمون أنهم أيدوا « أعمال القمع ضد عمال كفر الدوار في أغسطس ١٩٥٢ » وتنسى حملة الشيوعيين ضد هؤلاء العمال . الشيوعيين الذين خلد خيانتهم الشاعر الكبير عبد الرحمن الخميسي :

طافت حدتو بالمصانع .
تحمي خيانتها المدافع .
وتقول حكم الشعب قام ...

واستحقت مجلة المصور الثناء لأنها :

« لم تخصص صفحة أو بابا ثابتا للمواد الدينية ، وكان تعرضها للقضايا الدينية يتم وفقا لحدث أو مناسبة دينية مثل (المؤتمرات الدينية الحج وانتخابات الكنيسة) . وصحيح أن المصور أرتكبت خطيئة « اهتمت بنشر حديث مع مصطفى العقاد مخرج فيلم « الرسالة » حيث يركز على أن الفيلم أفضل دعاية للدين الاسلامي ، » ولكن يشفع لها أن الذي « أجرى الحديث فوميل لبيب الذي أجرى عدة تحقيقات وأحاديث أخرى كان ابرزها مع مطران القدس الأنبا باسيليوس ، ومع البابا شنودة ، وتحقيق عن انتخابات البطريرك والمسيح في مصر . » « وقد اهتمت المصور بإجراء العديد من الأحاديث مع أقطاب الدين الاسلامي والمسيحي في المناسبات الدينية المختلفة . كما اهتمت بتغطية المؤتمرات الدينية . وكان اهتمامها بالشرائع يأتى في المقام الأول ، ثم الممارسات والاحتفالات ، فالتراث الديني وأخيرا العقائد . ولوحظ اهتمام المصور بقضايا الدين المسيحي بصورة تفوق جميع الصحف والمجلات المصرية الأخرى . »[٣٢] .

أما مجلة السادات التي يذكر اسمها بالعبور وسيرته فهي لم ترتكب فقط جريمة الحديث عن الاسلام واغفال المسيحية ومن ثم استحقت تهمة الطائفية بل لها ميول يهودية .. وتسجل الباحثة من اهتمامات المجلة الدينية وميولها الاسلامية ، اهتمام المجلة بتغطية حادث اغتيال السادات وتدرج هذا في احصائية الاعلام الديني الاسلامي المسبب للفتنة !!

« تتميز مجلة أكتوبر بوجود باب ديني ثابت بعنوان (آمنت بالله) يشرف عليه أحد محرريها (إبراهيم مصباح) . وقد اهتمت المجلة منذ صدورها ١٩٧٦ حتى ١٩٨١ بالتركيز على الممارسات والعقائد ، ثم العبادات والفتاوى ، كما اهتمت بسير الصحابة وعلماء الاسلام وشيوخ الأزهر ، بالاضافة إلى سيرة الرسول (صلعم) ، كما منحت اهتماما ملحوظا لمقتل السادات (؟!! ج) وأجرت عدة تحقيقات عن المجموعة التي قامت باغتياله ، وأفكارهم وتحركاتهم يوم الحادث ، وخططهم ، متابعة البوليس لهم . وقد أبدت مجلة أكتوبر اهتماما خاصاً بالآثار الاسلامية وخصوصا المساجد . وتعتبر أكتوبر الصحيفة المصرية الوحيدة التي اهتمت بمتابعة أخبار الدين اليهودي وخصوصا مولد أبي حصيرة وعيد الغفران . كما ركزت على أخبار الأديان الثلاثة مثل عناق أيدي بين المسلم والمسيحي واليهودي ومؤتمر الأديان الثلاثة في أمريكا . ويلاحظ أن المواد الدينية في مجلة أكتوبر تتركز موضوعاتها على الدين الاسلامي ثم اليهودي ولم يرد شيء عن الدين المسيحي إلا من خلال الحديث عن الأديان الثلاثة . »[٣٣] .

وتسجل لفهمي هويدي أنه أول من وشى بجماعة التكفير والهجرة :

« ان بعض الصحف المصرية قد علقت على هذه الأحداث في صفحاتها الدينية المتخصصة ولكن بعد وقوع هذه الأحداث ، باستثناء جريدة الأهرام التي نبهت في بدايات عام ١٩٧٦ عندما أشار فهمى هويدي في عموده (ولنا كلمة) إلى خطورة جماعة « التكفير والهجرة » وسواها من الجماعات الدينية المتطرفة ، وذلك في سياق حديثه عن دور الأزهر في معالجة مظاهر الانحراف الديني . » .

ثم تقدم لنا كشفا بالمجلات الدينية المتخصصة ، وليس فيها واحدة مسيحية .. !! .

كيف يكون هذا بحثا موضوعيا ، وهي لا تشير إلى وجود نشرات دينية غير مسلمة .. والنشرات هي منذ اليوم الأول ــ ولظروف هذه الأقليات ــ أقوى أسلحة الفتنة العلنية المتاحة للأقليات . ! .

هذه أقاويل لا تستحق منا مناقشة .

المشكلة الطائفية والديمقراطية (*)

في هذا الفصل يستعرض لنا كاتبه مظاهر الصحوة الدينية في العالم المسيحي وأثنى على الكثير منها بوصفها تحركات تقدمية ، ثم تصدق علينا بالاستثناء بسبب ديننا الاسلامي السيىء بطبعه من وجهة نظر هذه العصابة فقال :

« ولكن مصر بكثافتها السكانية ووزنها الثقافى ، فإن كل ما يطلق عليه كلمة الصحوة الدينية الآن هو في الواقع ردة ، والصحوة التي كان من المفروض أن تأتى لم تأت على الأطلاق ، وهذه مسألة لابد أن ترد إلى الظروف المجتمعية الكلية الخاصة بمجتمعنا المصري . » « إن الصحوة الدينية التي لا مجال لانكارها قد أتت بمضمون شديد التخلف » ص ١١٦ .

« ولقد أنتج النظام الاقتصادي الاجتماعي المصري ، على مدى الخمسة عشر عاما الأخيرة أنماطا سلوكية وقيمية مدمرة ، فهذا النظام الذي دفعنا إليه السادات ومن وقفوا وراءه هو بكل بساطة نظام فقد عقلانيته . والمسألة ليست على الاطلاق مسألة تحول للرأسمالية ومن ثم كراهية الشباب لها . لأن النظام الرأسمالي له عقلانيته وقواعده والاشتراكية لها عقلانيتها الأوسع نطاقا والأوسع تقبلا ، والمشروع القومي الناصري كانت له عقلانيته ومنطقه ونتائجه المحسوبة التي كانت تغطى على نواحي القصور فيه » (ص ١١٦,١١٧) .

نعم كتب هذا ونشر عام ١٩٨٨ والاشتراكية تفقد كل عقلانية وتحظى بالرفض الشامل من الشباب والشيوخ بل يمحى اسمها تطهرا .. ولكن قلنا من ثلاثين سنة ... ليس فيهم من اشتراكي ولا ماركسي ولا عقلاني ولا تقدمي بل حفنة عملاء هدفهم الأول الكيد للاسلام خدمة للاستعمار الغربي وطليعته الصهيونية .

(*) د/ فوزى منصور ص ١١٠

وفي الجهالة التي قدمها د/ عبد العظيم أنيس نراه يعدد القوي التي عملت على اشعال الفتنة فيستثني بريطانيا مكتفيا بإعلان أن هذه القوى « جميعا كانوا في فترة من الفترات صنائع القصر ومحل رضا الدولة المحتلة ، أعنى بريطانيا .. » يعني صدفة أو توارد خواطر .. أما القوى فقد عددها على سبيل الحصر لا المثال : « القصر بشكل عام ، أي المؤسسة الملكية وبعض كبار ورجال الأزهر (كذا) وأحزاب الأقلية خصوصا حزب الأحرار الدستوريين وجماعات الاسلام السياسي ، خصوصا جماعة الأخوان المسلمين » . ص ١٢ .

ولا كلمة عن جهة غير مسلمة .. ولا حتى جريدة مصر .

وعندما يحصى ع . أنيس حوادث الفتنة في عهد السادات (*) لا يخطىء مرة واحدة فيذكر أعتداء وقع من مسيحي أو على مسلم فهو يعددها كالآتى : « احراق الكنائس ومحلات الاقباط التجارية أو نهبها ، وعزل البطريرك ونفيه إلى الدير والقبض على العشرات من كبار رجال الاكليروس . ومع أن الأمور اليوم لا تصل إلى هذا الحد ، فإن القوى الداخلية التي لعبت الدور الأساسي خلال أيام السادات ما زالت طليقة تمارس دورها في احراق الكنائس ونهب محلات الاقباط التجارية أو حرقها في صعيد مصر وفي كفر الشيخ كما حدث منذ شهر واحد .» ص١٤ .

لماذا يكون اعتقال واعدام زعماء الأخوان اخمادا للفتنة في عهد عبد الناصر .. أما أعتقال الاقباط في عهد السادات فهو اعمال الفتنة مع أنه أعتقل معهم زعماء الاسلاميين الذين قتلوه ؟! لا أجد سببا إلا أن عبد الناصر قد أجاد استخدام العصا والجزرة في تدجين الدكتور وأمثاله .

أما الدكتور عاصم الدسوقى فيسجل من نكبات أو فتن السادات : « الجماعات الاسلامية التي أخرجت من القمقم وظفت الشعار في إطار تسييس الاسلام . وقد استمدت قوة مادية إضافية من البلاد النفطية في المنطقة تغلغلت بمقتضاها في

(*) مدخل عام إلى المشكلة الطائفية/ د. عبد العظيم أنيس .

البرامج الاعلامية بل واخترقت النقابات المهنية والاتحادات الطلابية .. وعلى هذا لم يكن غريبا أن نسمع أو نقرأ الدعوات عن أسلمة العلوم أو تقرير مقرر عام باسم الثقافة الاسلامية ، (تصور لا يريد أن تدرس الثقافة الاسلامية في مصر وهي برنامج بل مادة لها كرسي وأحيانا قسم أو كلية كاملة في جامعات أوروبا وأمريكا وروسيا واليابان .. تصور .. ج !) أو إنشاء جمعية طبية اسلامية داخل نقابة الأطباء التي أقسم أعضاؤها قسم أبو قراط » ص ٤٢ (وبتوع الصليب الأحمر والمستشفى القبطى والمستشفى الاسرائيلى .. ما حلفوش .. بس الاسلام اللى يوقع الحلفان ؟! ج) .

بل وصل الأمر حد استشهاد الدكتور الماركسي ع . أنيس بمذكرة وزارة الداخلية التي كتبت لتبرير حل الأخوان المسلمين ليثبت بها أن الأخوان حرقوا ترام شبرا .. أيوه ترام شبرا بالذات الذي يركبه الاقباط .. آه لو قبلنا مذكرة الداخلية في حيثيات حل الحزب الشيوعي . .

وفرج فودة الذي لا يستحي يتخذ نفس الأتجاه حتى عندما يضرب الأمثال نجد المسلمين هم الخطاة دائما إلى حد تبرئة بيجن : « يتناقل المسلمون في إحدى قرى كفر الشيخ ، أن الاقباط مجتمعون في منزل واحد منهم ، وإنهم يؤدون فيه طقوس الصلاة ، ومثل هذا الخبر في ظروف عادية ، وفي نفوس سوية ، وفى دولة متحضرة أو حتى بدائية يبعث على الرضا أو على الأقل اللامبالاة ، ولكنه دفع المسلمين إلى حرق المنزل على من فيه وتمخض الحادث عن قتل زوجة صاحب المنزل .. وبدلا من أن يهرع علماء الاجتماع إلى بحث الظاهرة .. » تتهم الـ « س . أي . أيه » والماسونية واندية الروتاري والليونز « فالاجماع قائم على أن مسلمينا لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم وإنما يأتيهم من خارجهم . » .

هو لا يقول المتعصبون أو المتطرفون بل « المسلمين » .

أيمكن أن يكون ذلك داعية خير ؟! .

ويأتي سيادته بمثال آخر :

« يطلق أحمد بائع الخضر في الزاوية الحمراء الرصاص على جرجس الفران في فرن الأمانة ، في الشرابية . فيردد الكادر السياسي في ثقة .. الأمريكان يا سادة لا يلعبون .. وينتقم مرقص لأخيه فيهتف الشيخ الجهير الصوت من فوق منبره وإسلاماه ، النصارى ينفذون مخططات الكنيست ، الفاعل مرقص والمخطط بيجن . » (٣٤) .

لم يرد في بحثه كله مثل واحد عن تعصب قبطي أو خطأ قبطى حتى مرقص قتل المسلم انتقاما لأخيه والبابا أعلن الصيام ردا على حضور شيخ الأزهر البرلمان !!

وكعادته طرح عبد الستار الطويلة القضية بصراحة فاحشة فقال إن المسلم هو المجرم حتى ولو كان المعتدي هو المسيحي ففي صباح الخير عدد ٣/١٠/ ٩١ قال : « واعتقد أن تجارب الماضى لابد أن تكون قد أثبتت أن الشبان المسلمين هم الذين سيتحملون المسؤلية الأولى فى أي نوع من تلك الفتن الطائفية حتى ولو لم يكونوا هم البادئون بالاستفزاز وحتى العدوان » .

هذا المنطق أن صح لكان المفروض أن ينتبه هؤلاء الكتاب إلى خطأ التوصيف والتناول للمشكلة من الأساس .. فعندما تضطهد الأغلبية الأقلية دون أي موقف طائفي من جانب الأقلية أو تحرك أو استفزاز إلا مجرد وجودها .. عندئذ لا يمكن وصف الموقف بأنه فتنة طائفية ، بل هو اضطهاد ديني أو طائفى أو عنصري .. لا أحد وصف اضطهاد اليهود في أوربا بأنه فتنة طائفية .. الفتنة يجب أن يشترك في صنعها طرفان يتحمل كل طرف جانبا من المسئولية بصرف النظر عن النسبة . ولكن إذا برأنا أحد الطرفين تماما وحملنا الآخر كل الذنب فهي ليست فتنة طائفية إلا إذا قصدنا فتنة الأقلية عن دينها .. ها ها . .

ونعود للدكتور أنيس الذي كعادته صرعنا بخبر وضن علينا بالمصدر .. « اسرائيل التي لم تخف في وثائق منشورة عن استراتيجيتها للثمانينيات ، طموحها إلى أن تكون دولة قبطية في الوجه القبلي ودولة اسلامية في الوجه البحري » ص١٠ .

ثم يصرعنا بخبر آخر عن طرح « المخابرات المركزية فكرة إحياء الخلافة الاسلامية من جديد ، ورشح ملك العراق ، فيصل ، لكي يكون خليفة المسلمين لولا أن ثورة عبد الكريم قاسم قد وضعت هذه المخططات على الرف بعد ذلك » ص ١٠ .

لسوء حظ الشعوب أن المخابرات الأمريكية لا يديرها أمثال « عبد العظيم أنيس » أو القارئون له .. تخيل أمريكا تريد أحياء الخلافة وأخذ البيعة لفيصل دمية الأنجليز !! وأقناع آل سعود وشاه ايران بقبول إمامة فيصل حفيد الملك حسين !! من من حكام الاسلام كان مستعدا لمبايعة فيصل العراق ؟! وفى منتصف الخمسينيات .. ألم يكن رجل أمريكا القوي في المنطقة جمال عبد الناصر يعمل ليل نهار لخلع فيصل العراق تصفية للنفوذ البريطاني ولصالح النفوذ الأمريكي .. يكون قصده فيصل ملك السعودية ولخبطت معاه !! .. وإذا كان هذا كذبه عن المعاصرين ، فحدث ولا حرج عن معلوماته عن الغابرين ، وها هو ينطلق مرة أخرى فيدير الأسطوانة المشروخة عن الملك فؤاد وتآمره مع بريطانيا العظمى لإعادة الخلافة ، ذلك المشروع الامبراطوري الذي عمل له الانجليز جاهدين لولا أن أحبط جهودهم ورد سهمهم في نحرهم كتاب على عبد الرازق وحزب الأحرار الدستوريين .. وكل رز مع الملايكه .. (*) .

إنها نكتة أصبح ترديدها يثير الغثيان وليس الضحك .. قصة الخلافة أكبر من مداركم وأعقد من أن يزورها تزييفكم .. والغريب أنهم لا يشيرون ولا مرة واحدة للوثائق التي أكدت معارضة بريطانيا لعودة الخلافة ونصح الأجهزة العريقة في التآمر بأن تتظاهر بريطانيا بتأييد هذه العودة لكي يبغضها الوطنيون ويقاومونها . والغريب أن اليساريين والعلمانيين ما زالوا ينفذون تكتيك المخابرات البريطانية في عشرينيات هذا القرن .. ولا حاجة للإفاضة ، فقط نسألهم ان كانت مصلحة الامبراطورية اقتضت إعادة الخلافة فمن الذي حال بين بريطانيا في العشرينيات وبين

(*) انظر كتابنا « جهالات عصر التنوير » وفيه قصة هذه الخلافة المزعومة .

تحقيق مصلحتها .. من ..؟! وبريطانيا كانت وقتها في العالم الاسلامي مثل القضاء والقدر لا راد لأحكامها . .

ولا يحرمنا الدكتور من جهالة أخرى مشهورة شهرة اللحمة في سوق الفكر الصليبي ــ الماركسي ، هى حكاية مراسيم تتويج الملك فاروق عندما اقترح رجال القصر مراسيم خاصة تجرى في القلعة « حيث يقلد شيخ الأزهر الملك المتوج سيف جده الأكبر محمد على ثم يؤم الملك المصلين في الجامع الأزهر تعبيرا عن مكانته الدينية كولي للأمر وإمام للمسلمين يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية » ثم ينخع « لكننا لا نستطيع أن نغفل أن هذا المشروع كان محل رضا ودعم دولة الاحتلال . » ص ١١ .

بالنسبة لرضاء دولة الاحتلال .. نطرح بدورنا السؤال : من الذي كان يستطيع اغضاب دولة الاحتلال في عام ١٩٣٧ .. الوفد ؟! ألم يكن اسقاط الوفد لأنه يعارض صلاة الملك في الأزهر أسهل من خلعه بسبب رفضه التخلى عن السودان أو إصراره على إصدار قانون محاكمة الوزراء أو انتخاب العمد أو رفضه توقيع المعاهدة .. ؟ وحتى الفساد والمحسوبية . وكل ما كان يحتاجه الانجليز هو غمزة بعين الرضا للقصر وهو ما حدث بعد ذلك .. نحن نزعم أنه لولا أن الانجليز تخلوا عن القصر لما تمكن الوفد من منع التتويج المقترح ! ، وإذا كان لابد من كلمة حول هذه الجهالة التي تحجرت في الفكر المصري ، فنقول إنها كانت محاولة من رجال القصر لتتويج الملك الجديد بما يشبه مراسم تتويج ملك بريطانيا التي تتم حرفيا كما اقترح هؤلاء . مع فارق أن ملك بريطانيا يتوج في كنيسة بينما أكتفى رجال القصر فى مصر بتتويجه في قلعة محمد على للتذكير بأنه ملك عريق مثل ملك الانجليز وأن مصر لم تكن دائما مستعمرة يعين ملوكها المعتمد البريطاني .. ملك بريطانيا يتوج في كنيسة ويضع قسيس التاج على رأسه ، ويمسحه بالزيت المقدس ، ويجعله يقسم على الانجيل بحماية العقيدة المسيحية متمثلة في المذهب الخاص ببريطانيا وكنيسة انجلترا بالذات .. ولا أحد يعتبر ذلك تتويجا لملك

بريطانيا بابا ولا سلطة زمنية وسلطة دينية ولا هزيمة التيار العلماني .. ولا اضطهاد لفئات غير بروتستانتية ! إلخ ، لأن هذا لا يكتب إلا في بلادنا ولا يتكرر إلا على مسامعنا يحميه السوط والنطع ويردده العملاء والبلهاء والذين نصبوا أنفسهم لمحاربة الاسلام .. أما لماذا رفضه الوفد فتلك قضية لم يبحثها المؤرخون الجادون .. ولكن لا نستطيع بدورنا أن نغفل حقيقة أن هذا التتويج الذي من شأنه أن يثير حماسه المصريين واعتزازهم لا يمكن أن يكون محل رضا أو دعم دولة الاحتلال . وأنه مع تصاعد خطر الفاشية وميول القصر الايطالية لم يكن من مصلحة الانجليز زيادة نفوذ ومكانة القصر فضلا عن الاستراتيجية البريطانية الدائمة وهى تحجيم نفوذ مصر عربيا واسلاميا وأفريقيا .. .

والاستعمار يؤمن بسياسة فرق تسد .. وقد اخترع الانجليز خلال الحرب العالمية الأولى العديد من الزعامات الدينية لتفتيت وحدة المسلمين فما الذي يغريهم بمحاولة توحيدهم مرة أخرى وتحت زعامة مصر التي مهما كان نفوذهم داخل السراي فإن وجود حكومة شبه مستقلة بها وبرلمان ومعارضة وقصر يدعى الشرعية بالميراث .. تحمل مخاطر افلاتها ولو للحظات من سيطرة المندوب السامي أو السفارة ، . وقد رأينا أن الانجليز احتاجوا لاستخدام الدبابات للحد من ميول القصر نحو عدوهم في الحرب العالمية الثانية .. فلماذا يضيفون قوة الاسلام إلى احتمالات الخطر هذه .. وأكثر من نصف امبراطوريتهم من المسلمين ؟ .

الأرجح أن الانجليز هم الذين كرهوا مراسم التتويج هذه ، وصمموا ألا تقع ، ولكنهم يعرفون جيدا أنه لو بدت شبهة معارضتهم لها ، لتمسك بها المصريون جميعا ، بل ولظلت هدفا وطنيا إلى يومنا هذا . ومن ثم كانت فتنة ايقاع الوفد في معارضتها ويتولى بعد ذلك مؤرخو المخابرات البريطانية تكرار الزعم بأنها كانت على هوى الاستعمار ، وأبطلها الثوار ! .

وقد عارضت مصر الفتاة موقف الوفد من التتويج « باعتبار أنه المظهر المناسب لتتويج من يتبوأ ملك أعظم دولة اسلامية ، ويدخل في صميم تقاليد مصر

الاسلامية[٦١] [صحيفة الثغر ـ ٥ يوليه ١٩٣٧] . فلما حسم الأمر برفض حكومة الوفد قيام الحفل ، كتب فتحى رضوان يتهم « وليم باشا » بأنه وراء هذا الموقف ، وتهكم عليه قائلاً « أنه يخشى على الاسلام من الوثنية » وأن الوفد يمنع الحفل الديني ويجيز حفلاً راقصاً يقام بمناسبة التتويج[٦٢] [صحيفة الثغر ١٩,١٢ يوليه ١٩٣٧] عن البشري ص ٥٤٠ .

ويكرر عبد العظيم الشكوى من طائفية حزب الأحرار الدستوريين « الذين حاولوا بعث نيران الطائفية » ص ١٣ مع أنه ياحسرته « الحزب الذي أتي من صلب حزب الأمة صاحب شعار مصر للمصريين . » ص ٢٣ .

ولكن أمانته العلمية تمنعه من أن يشرح لنا كيف يكون الحزب علمانيا وأول من دعا إلى فرز القومية المصرية من المتحد الاسلامي بل والحزب الذي خرج منه نبي العلمانيين قاهر الخلافة مؤلف كتاب : الاسلام واصول الحكم ... هللويا .. كيف يكون هذا الحزب في نفس الوقت طائفيا .. إلا ان كانت كلتا المقولتين كاذبة .. مقولة أن العلمانية هى التي تقضي على الطائفية .. وأن أي انتماء للاسلام لابد أن يكون طائفيا .. الجموا بغضكم للاسلام لحظة واحدة وستجدون أنه لا رغم ولا عجب بل الأمر منطقى جدا ، الحزب الذي نشأ في حجر الاستعمار وعادي الحركة الوطنية من منطلق رفض اسلاميتها ، لا يمكن إلا أن يستمر في خدمته للاستعمار بعد أن يقفز من شعار مصر للمصريين والدين لله إلخ إلى أحط الممارسات الطائفية . الوطني هو اللاطائفى هو الاسلامي الهوية والمنطلق والهدف .. وقد ناقشنا ذلك فوفينا في مناقشتنا للمستشار طارق البشري وفي كتابنا عن على عبد الرازق .

ويردد نفس الأكذوبة عن تواري الطائفية في عهد عبد الناصر رغم الاجماع الآن على أن البداية الحقيقية للسخط القبطي أو الأرض التي زرعت فيها بذور الفتنة كانت إجراءات ناصر الاقتصادية التي أزالت المركز الاقتصادي الممتاز الذي تمتع به الاقباط لعدة قرون مضافا إلى ذلك الحكم الديكتاتوري الذي منع جماهير الاقباط

من الاشتراك في الحياة السياسية والتعبير حتى عن تأييدها لهذه الإجراءات ، إن كانت حقا لمصلحة الفقراء .. كما يقول الماركسيون من عملاء العسكر . .

في غياب الديمقراطية وفي غياب المشاركة السياسية استطاعت الطبقة المالكة من الاقباط إثارة جماهيرها من الزاوية التي تخفى أنانيتها الطبقية ، وذلك باللعب على الوتر الطائفى وادعاء أن إجراءات ناصر هي مخطط إسلامي لضرب الاقباط إقتصاديا .. ومع اتضاح الآثار التخريبية لهذه الإجراءات انتصر المنطق الطائفي . ولكن حتى الاغنياء الرجعيين من غير المسلمين لا يجرؤ الكاتب الماركسى أو لا يريد أن ينقدهم أو أن يحملهم بعض أسباب الفتنة لأن الهدف هو تحميلها للاسلام والمسلمين فقط . « في الغالب الأعم كانت قوى اليمين في الوسط القبطى التي تضررت مصالحها بحركة التأميم هي المعادية لنظام عبد الناصر »[٣٥] .

لكن ولا كلمة عن طائفية هؤلاء أو محاولتهم الاستعانة بالطائفية للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية المنتزعة .

هذا الصنف من الكتاب مخلصهم ــ على ندرته ــ يخلط بين أهدافهم السياسية / الحزبية وبين المصالح العليا للبلاد والقضايا الوطنية .. فهو كماركسي سابق معاد بالطبع للاسلام السياسي ، وهذا من حقه . ولكن بأي حق يخلط الأوراق ويدعي أن « القوى الداخلية الأساسية التي استخدمت لضرب مشروع الجامعة الوطنية ، هى قوى الاسلام السياسي بعد ثورة ١٩١٩ » .

والحقيقة أن عوامل عديدة عملت على ضرب وحدة ١٩١٩ أهمها النشاط التبشيري الأنجلو ــ أمريكي الذي قامت به الجامعة الأمريكية وذلك القس الأمريكي الذي بلغ من فجوره أنه كان يبشر في الجامع الأزهر ! ثم عمليات تنصير البنات في الملاجيء ولا يعرف في التاريخ جماعة وقفت ساكتة أمام محاولة إذابتها بتغيير دين أفرادها اعتمادا على الرشوة والإرهاب .. وهكذا ظهرت الجماعات الدينية .

وهو يسجل أسباب الفتنة ومبررات لعن عهد السادات في جريمتين كانتا « بمثابة ارهاصات الصراع الطائفي خلال الانفتاح : أولهما الافراج عن قيادات وعناصر الإخوان التي كانت معتقلة خلال المرحلة الناصرية ، وثانيهما النص في الدستور على أن الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ، وكان للأمرين صلتهما الواضحة بسياق الأحداث التي وقعت بعد ذلك .» ص ٢٥ .

.. هذه هى أسباب الفتنة .. الافراج عن الاخوان .. والنص الاسلامي في الدستور .. ولا سبيل لإرضاء غير المسلمين إلا حذف أية إشارة للاسلام في الدستور واعتقال الأخوان ، وكل من يتشابه معهم في العقيدة أو المسلك أو حتى الذقن ، وشنق « عدد لا بأس به من قياداتهم » كما قال جهول من جوقة الدكتور . امثال هؤلاء لا يحق لهم أن ينبسوا بحرف في قضية الديموقراطية أنهم مع اعتقال وشنق خصومهم السياسين .

وعندما يعدد مساهمة الجماعات الاسلامية بالفتنة يختلط الحابل بالنابل ويجمع الشامى مع المغربي فلا ندري كيف تكون هذه الأعمال من الفتنة أو ما يستفز المسيحيين .. يقول : « ومنذ عام ١٩٧٢ تزايدت نشاطات جماعات إسلامية مختلفة ، واتسم جزء من هذه النشاطات بإشعال نار الفتنة الطائفية . ولقد حاولت إحدى هذه الجماعات الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية واختطفت (كذا) أفراد من حزب التكفير والهجرة وزير الأوقاف الشيخ الذهبي وقتلوه . وفى هذا السياق حدثت مصادمات واسعة في يناير ١٩٧٧ بين المسلمين والاقباط في الصعيد .. » ص ٢٥ .

ولا ندري كيف يكون هذا في سياق هذا ، جماعة سياسية حتى وان كانت إسلامية تخوض صداما دمويا مع السلطة وتحاول الاستيلاء على مدرسة عسكرية ويخطفون ويقتلون أكبر مسئول ديني إسلامي في الحكومة كيف يكون في هذا السياق وقوع مصادمات واسعة بين المسلمين والاقباط .. هل الاقباط يمثلون الحكومة ، أم يدافعون عن الشيخ الذهبي .. لا تفسير إلا التعنت .. وحقده على

الاسلاميين ورغبته في تلبيسهم كل التهم ، يمنعه حتى من ذكر ما تعرفه العامة عن ملابسات خطف الشيخ الذهبي والاقتناع بأنها كانت من تدبير جهات منحرفة . بل حتى عرضه لأزمة قانون الردة يشكل استفزازاً لكل مسلم : « ولقد فاقم من هذه الأوضاع تقديم الحكومة مشروع قانون للبرلمان ، وهو ما عرف بقانون الردة الذي يجيز عقوبة الأعدام لمن يتحولون عن الاسلام إلى دين آخر أو إلى الالحاد . ولقد ردت الكنيسة عل ذلك بالدعوة إلى الصيام لكل الاقباط لمدة خمسة أيام ، وتظاهر الاقباط المهاجرون في الولايات المتحدة وكندا واستراليا احتجاجا على مشروع هذا القانون »ص ٢٥ .

أليس من حق كل مسلم أن يتساءل في غيظ ما دخل الاقباط في ردة المسلم أو إلحاده .. لماذا يدافعون عن حق المسلم في الكفر وبهذا العنف والتحدي .. ؟! (*) .

أما السادات « شخصيا .. وجهاز دولته فقد لعبا دورا رئيسيا في إشعال نيران الصراع الطائفي وفي الابقاء على هذه النيران مشتعلة ، ليس فقط بافتعال معارك مع الكنيسة ، وبالتسامح وسعة الصدر اللذين ووجهت بهما الجماعات الاسلامية زمنا طويلا .. » ص ٢٦ .

ونعود للدسوقي الذي لا يستحي فجذور المشكلة عنده هو شعور « المسلمين ــ وهم الأغلبية ــ بالتعالي والتمايز على المسيحيين ، وذلك اعتماداً على ان الاسلام جاء خاتمة للأديان .. » ص ٣٠ .

كيف يكون إقتناع المسلم بأن الاسلام هو خاتم الأديان سببا للفتنة ؟ .

ألم نقل إنهم لا يقبلون أقل من إلغاء الاسلام .. أو على الأقل بعض التغييرات في العقيدة الاسلامية مثل حق التنصر والتنازل عن حكاية خاتم الأديان .. هذا إذا

(*) وهل هي مصادفة أن يعرض التلفزيون البريطاني برنامجا يهاجم الحكومة المصرية لأنها تعذب المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية (أكتوبر ١٩٩١) !

وافقت الأقلية على أنه دين أصلا .. يا كده يا مفيش وحدة وطنية . هذا استفزاز يجب أن يعاقب عليه القانون .

حتى الاستعمار الأوروبي له ما يبرره وهو « السياسة العثمانية في بلورة الفروق الطائفية مما استدعى القوى الأوروبية إلى التدخل لحماية الأقليات بدعوى حماية المسيحية . » ص ٣١ .

ألم نقل أنهم عملاء استعمار وأن غطوا عورتهم بادعاء الماركسية ! .

ويقدم لنا الدكتور عاصم الدسوقي ثلاث شهادات كلها تنقض فرضيته وتعللات أبو سيف يوسف ، وهذه الشهادات كما أوردها هي :
« وأولى هذه الشهادات تقرير دوهاميل القنصل العام لروسيا في مصر في عهد القيصر نيقولا والذي جاء لمصر في ١٨٣٤ ورفع تقريرا لحكومته في يوليو ١٨٣٧ جاء فيه : أما الاقباط سكان البلاد الأوائل الذين ظلوا على ولائهم للنصرانية فيكادون يشتغلون جميعا موظفين في المصالح ، كتابا ومحاسبين ، ومنهم من تفرغ للزراعة » و « ثاني هذه الشهادات ما أورده جون بورنج المبعوث الانجليزي في تقريره للخارجية البريطانية في مارس ١٨٣٩ حيث يقول : لا ريب أن نفوذ الاقباط آخذ في الأزدياد وقد يكون لهم في قابل الأيام أثر غير ضئيل في تاريخ مصر .. وحاليا يستخدم عدد كبير منهم في المصالح العامة . وأما اضطهاد المسلمين للقبط فقد زال أو كاد . وفي المسيحيين ما في المسلمين من روح المحافظة .. ليس هناك في الوقت الحاضر من يتعرض لأقل مضايقة بسبب عقيدته الدينية . ويؤدي القبط شعائرهم الدينية في حرية تامة . » .

« وثالث هذه الشهادات تقرير اللورد باتريك كاميل إلى الخارجية البريطانية أيضا في يوليو ١٨٤٠ حيث أشار إلى أن الاقباط يشغلون مناصب في خدمة الباشا ، ويؤدي لهم الحرس ومن إليهم نفس ما يؤدونه من تحية وتبجيل لنظرائهم الأتراك والحقيقة أنه لا يوجد بلد أكثر تسامحا من مصر . » ص ٣٤ .

« ولم توضع أية استثناءات في الترشيح لأول مجلس نيابي في مصر ١٨٦٦ » ويذكر لأسماعيل أنه أرسل الاقباط في بعثات خارجية ، وأنه تبرع للبطريركية القبطية ببعض التفاتيش الزراعية لتنفق منها على تثقيف فقهاء الدين بها ، وإنه أمر ممثلي الحكومة في الأقاليم باستقبال البطريرك في طوافه بالبلاد استقبالا لائقا . » ص ٣٥ .

حتى القصر طلع براءة ، وهذه بديهية .. فمهما تكن كراهيتنا للقصر فلا يمكن تزوير الحقائق ، والقصر كسلطة مستقلة تحكم مصر ليس من مصلحتها إثارة جانب من رعاياها .. لماذا .. ما مصلحتها في ذلك ؟ وخاصة في بلد لا يتودد فيه للأغلبية باضطهاد الأقلية بل بالعكس تتأذى فيه الأغلبية باضطهاد الأقلية . ولكن لما فقدت مصر استقلالها اختلت المعايير والموازين واضطرب السلوك ، لأن كل القوى المصرية فقدت الأهلية وفقدت حرية التصرف ، واجبرت على التحرك لمصلحة الأجنبي وبغريزة حب البقاء في احط صورها .. ومن ثم لا يستبعد ولا يستغرب أن يلجأ القصر أو أن يستجيب لتحريض الاستعمار باتخاذ موقف طائفي ضد الأقلية .. ولكن مهمة السياسي والمفكر والمؤرخ والداعية للوحدة أن يوضح هذه الحقائق لتبرئة ساحة الوطن . (لا أن يجعل فتنة يدبرها السلطان المملوكى لسرقة التراب دليلا على أن عدم التعايش هو أساس العلاقة بين المسلمين والمسيحيين (أنظر مقال حسين أمين في الأهالي ١٦/ ١٠/ ٩١ ــ فضلا عن فضيحة تزويره التاريخ ليدعي وجود مذبحة للمسيحيين في امبابة قبل مائة سنة ! الأهالي ٩/ ١٠/ ٩١)) .

« وقامت صحيفة مصر التي كان يصدرها تادرس المنقبادي خلال المدة من ١٩٠٨ ــ ١٩١١ بحملة عنيفة لإثارة التفرقة ، وكانت الصحيفة مشهورة بأنها تظاهر الاحتلال البريطاني . وكتب قرياقص ميخائيل مراسل صحيفة « الوطن » بالاسكندرية كتابه عن مطالب الاقباط عام ١٩١٠ » ص ٣٥

وعندما يدور الحديث عن الأزهر فإن هؤلاء التقدميين يبدون ضيقهم من

اختلاف التعليم ويسهبون في شرح مزايا التعليم الموحد في خلق وحدة المواطنة ولكن إذا جعلت الحكومة التعليم الإلزامي إجباريا وهو الحد الأدني من التعليم الذي توفره الدولة وقتها ، رأيناهم يبكون على حقوق الأقليات . .

« في البلاد التي لم تكن الحكومة قد أنشأت فيها مدرسة إلزامية كان المسيحيون يرسلون أولادهم لمدارس الجمعية الخيرية القبطية ولم تكن هناك مشكلة . لكن المشكلة بدت واضحة عندما توسعت الحكومة في إنشاء المدارس الالزامية وفرضت غرامة على الأب الذي لا يرسل أولاده إليها . فأصبح الآباء المسيحيون في مأزق ، حيث بدا واضحا أمامهم أن الحكومة تجبر المسيحيين على تعلم الدين الاسلامي حتى في مواد لا تتعلق بالدين مثل نصوص المحفوظات . الأمر الذي دعا مثقفا مثل سلامة موسى إلى أن يصف هذا القانون بأنه « كسر قلوب الاقباط وملأهم حنقا وحرمهم من نحو ٣٥ ألف وظيفة هي وظائف المعلمين بالمدارس الإلزامية .. » ص ٣٨ .

الفقرة شديدة الخلط سيئة التزوير .. سلامة موسى يندب القلوب الكسيرة في قضية أخرى هى قصر تدريس اللغة العربية على الأزهريين .. وتلك قضية .. أما ما يتحدث عنه الدكتور هنا فهو تلاميذ المدارس الإلزامية ، والتزييف هو القول بأن الاقباط وجدوا أولادهم يجبرون على تعلم الدين الاسلامي .. غير صحيح لأنه هو نفسه قال قبلها بسطرين : « إعفاء الأطفال غير المسلمين من حضور هذه الدروس » ص ٣٨ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطفية الزيات ١٩٨٨ .. فليس هناك أي أجبار على تعلم الدين الاسلامي .. أما خفة اليد فهي خلط تعليم الدين بوجود نصوص من القرآن في المحفوظات أو كما قال « في مواد لا تتعلق بالدين مثل نصوص المحفوظات » ... وقد ناقشنا هذه الفتنة في مكان آخر من هذا البحث . وهى على أية حال تتعلق بالموقف من تعلم اللغة العربية .. ففي معاهد المستشرقين وجامعات أمريكيا لابد من تدريس القرآن لمن يريد دراسة اللغة العربية . أما إذا كانت عداوة القرآن قد وصلت حد كراهية اللغة العربية أو حتى أن الموقف من

أساسه يتعلق برفض تعلم هذه اللغة الأجنبية ورفع شعار حق المسيحي في اختيار لغته سواء أكانت القبطية المندثرة أو العبرية المزدهرة . فهذه قضية أخرى ودعونا نفضها سيرة ونعترف بحق تقرير المصير لكل مواطن مصري على حدة .. ان التعليم الإلزامى الإجباري كان خطوة تقدمية ووطنية لمحو الأمية على المستوى الشعبي ولفرض حد أدنى من وحدة التعليم والفكر .. أما عن حرية العقيدة فهي مكفولة بحق الانسحاب من دروس الدين .. بل وحق كل طائفة في دراسة دينها . أما الاصرار على مدارس خاصة لكل طائفة فهي تنتهي في الحقيقة إلى غلبة التعليم الخاص التبشيري الأجنبي وما يشكله من خطر جارف على وحدة البلد ووطنية التعليم . ونجد أيضا تزوير الحقائق وتلوينها في قوله : « واصبحت الشئون الدينية للأقباط تابعة لوكالة الشئون الدينية برئاسة مجلس الوزراء التي يرأسها عادة أحد الشيوخ المسلمين . »ص ٣٩ كأنه يتحدث عن الأكليل والقداس .. وزير الشئون الدينية في الاتحاد السوفيتي مسيحي وفي إسرائيل يهودي .. وهو يدير علاقة هذه الطوائف بالحكومة ، وهو يمثل الحكومة ، وليس طائفة من الطوائف ومهما قسمنا وجعلنا على رأس كل دائرة مسئولا من دينها فلابد في النهاية من أن تنتهي عند مسئول أعلى يمثل السلطة ولا يمكن أن يكون إلا من دين بعينه لأن الرجل الواحد له دين واحد .

* * *
* *
*

وماركسي آخر (*) :

وأول ما يلفت انتباهنا مع هذا الماركسي القديم أنه منشق على الاجماع .. فهو وحده يسلك ناصر في طابور الفتنة ، ونسب له ميولا دينية وضرب الليبرالية يقول : « وإذا كانت البورجوازية الليبرالية بذلك الضعف الظاهر الذي تتبدي به اليوم ، فليس هذا براجع فقط إلى انحدار طموح هذه الطبقة إلى القناعة بما يتنازل لها الاستعمار من فتات ، **بل يعود أيضا إلى الضربة الفكرية التي تلقتها على أيدي النظام الناصري** ، (التسويد من أحمد صادق سعد) وهى ضربة أصابت بدرجات العلمانية أيضا فلقد استعان هذا النظام ببعض المقولات الاسلامية (اعوذ بالله هي حصلت .. مقولات .. وإسلامية كمان ..؟! ج) يساند بها صراعه ضد الصهيونية والأمبرايالية الأجنبية والبورجوازية الكبيرة القديمة ، ودخل في عدد من التحالفات المؤقتة ولكن المتتالية مع السعودية والاخوان والأصوليين والدول الاسلامية واعتمد على حجج دينية لبناء هيكله الفكرى مثل الاشتراكية العربية وغير الملحدة .. » ص ٤٦ مع أن أبو سيف يوسف في المحاضرة التالية مباشرة ينسب رفض الالحاد للسادات ويبرىء منها ناصر ويعلن : « من هنا قلنا أن فترة حكم عبد الناصر كادت تخلو تماما من مظاهر التوتر الطائفي » أما السادات فكان قد خطط لتصفية ثورة يوليو » برفع شعارات « الإيمان » (*) و « مقاومة الالحاد » فلم يكن من قبيل الصدفة أن انصار السادات لقبوه بالرئيس المؤمن . واجتهد الاعلام في ذلك

(*) بعض المنطلقات الثقافية للنزاعات الطائفية أحمد صادق سعد .

(*) هذه شهادة بكفر ثورة يوليو لأن رفع شعار الإيمان يعني تبييت الشر لها !

الموقف لكي يعمق الايحاءات التي يحملها اللقب الجديد وذلك بترسيخ الادعاء بأن الرئيس الجديد يختلف عن الرئيس الذي سبقه وأن جوهر الخلاف هو أن الأول يستحق أن يلقب بلقب « المؤمن » ص ٦٥ .

أما د . عواطف عبد الرحمن فترى أن كلا من عبد الناصر وخلفه حاول استخدام الدين أما اجتهاد عبد الناصر فهو : « محاولة ربط المؤسسات الدينية في الدولة بعمليات التنمية بمفهومها الشامل » .. أما خلفه الكخه فقد « حاول تشجيع الحركات الاسلامية منذ منتصف السبعينيات لتحقيق أغراض تتعلق بالمصالح الآنية والمرحلية للنظام . » ص ٨٨ .

وإلى أن يتفق التقدميون .. هل كان عبد الناصر ملحدا خالصا أو شابت ثوريته شوائب الاسلامية .. نعفي انفسنا من مناقشتهم .. المهم هو أن هؤلاء ليس لديهم أدنى أهتمام لا بالاقباط ولا بالوحدة الوطنية ، وإنما شغلهم الشاغل هو القضاء على الدين الاسلامي . وكل ما فعله عبد الناصر لا يغفر له أنه استعان بمقولات إسلامية وتحالف مؤقتا مع السعودية اللي زي ما أنت عارف فيها الحاجة دي اللي اسمها مكة والكعبة .. وأنكر الحاد اشتراكيته فاستحق أن ينكر في حفل التقدميين هذا .

والصوت النشاز ـــ للعجب لما صدر عنه بعد ذلك ـــ كان صوت خليل عبد الكريم الذي بدأ حديثه عن « الاسلام السياسي والمشكلة الطائفية » بحمد الله والصلاة على النبي وأعلن ما لا يتفق وهدف اللجنة الداعية والناشرة للكتاب .. لذلك تصادف أن خطابه جاء حافلا بالأخطاء المطبعية ، بل العجيب أن الأخطاء المطبعية التي انتشرت في خطابه جاءت في المكان المناسب تماما بما يضمن فساد المعنى الذي أراده الشيخ خليل وكأن الخطاب دخل كمبيوتر التقدميين فجرى تنقيحة وفقا لتعاليمهم وما يروجونه ! انظر كيف فسدت هذه الجملة : « في الممارسات العملية لم يصدر من جماعة الأخوان المسلمين ما يعكر صفو علاقاتهم بالأخوة المسلمين (المسلمين كذا .. طبعا هو قال المسيحيين .. ولكن لأن ذلك يخالف المقرر فإن الأخ الأكبر صحح العبارة فأصبح لا معنى لها ..) » قال خليل

عبد الكريم عن الاخوان المسلمين : « على طول تاريخهم من سنة ١٩٢٨ وحتى الآن لم يحدث من جماعتهم أو ينسب إليهم أعتداء على الأفراد أو الكنائس ، ورأيهم في علاقاتهم بالاخوة المسيحيين هو رأي في غاية الاعتدال . » ص ٧٤ .

ولم يأخذ على فضيلة المرشد العام (حسن البنا) إلا « استخدامه كلمة « أقلية » وهو على حد علمنا الضئيل لفظ لم يرد لا في الكتاب ولا في أحاديث المعصوم عليه الصلاة والسلام . » واستشهد على علاقة الاخوان الطيبة بالاقباط بأن « مكرم عبيد كان الرجل الوحيد الذي حضر جنازة البنا باستثناء والد الأمام الشهيد . » وأن الباقوري : كان مثالا طيبا لتقوية أواصر الحب بين عنصري الأمة وما ذلك إلا من أثر نشأته في جماعة الأخوان المسلمين وتأثره بأفكارهم الطيبة في هذه الخصوصيات بالذات .» ص ٧٦ .

ومع عبد الكريم الخليل تؤخذ اعترافاته وتنبذ شهادته ! .

ثم دراسة كنا نتوقع منها الكثير (*) .. ولعلها كانت جديرة بأن تعطي أكثر لو أنها كتبت في فرنسا أو حتى في سنوات المراهنة على الشعب المصري .. قبل غواية العسكر ووزارتهم الملعونة .. وصدق عبد الرحمن بن عوف .. الذي قال : صبرنا على الضراء ولم نصبر على السراء وفتنتها أشد .. تلك هي دراسة الدكتور السكرتير السابق للحزب الشيوعي المصري (*) الذي في عام ١٩٥٠ رفض أن ينص في برنامج الحزب على فصل الدين عن الدولة فلما اعترضنا قيل لنا إن الدين في مصر غيره في المسيحية وأن مطلب فصل الدين عن الدولة منقول من كفاح أوروبا ضد طغيان الكنيسة ولا معنى له في مصر .. وهكذا فإن الدكتور يشبه سنور أبي فلان بيع وهو صغير بدينار وبيع وهو كبير بدرهم وكانوا فيه من الزاهدين .. ولكن كما يقال إذا دبلت الوردة ريحتها فيها فهو يبدأ بحقيقة يعز على الكثيرين الاعتراف بها :

« وطوال ١٣٤٥ عاما هى عمر الاسلام فى مصر حتي الآن لم يعرف

(*) الفتنة الطائفية والقوى الخارجية — د/ فؤاد مرسي .

(*) السكرتير الحقيقي وليس تابعه قفة .

المصريون ما يسمى بالفتنة الطائفية إلا منذ نهاية القرن الماضى ، وبالدقة في ظل الاحتلال البريطاني لمصر من عام ١٨٨٢ وحتى الآن . » ص ١٢٠ .

كيف يستقيم هذا مع من سبقوه الذين أدعوا أن الفتنة هى القاعدة والتعايش هو الشاذ ؟! .

وكذلك هذه البديهية التي بح صوتنا في ترديدها :

« الطائفية ليست هي اختلاف العقيدة الدينية بين المواطنين ، وإنما هى استخدام اختلاف العقائد الدينية للاخلال بمبدأ المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات » . ص ١٢٥ .

وهو الوحيد الذي أعترف بأن الآخرين أيضا فيهم بعض الشريرين ، وإن لم يتعمق الأسباب :

« وقامت جماعات إسلامية متعصبة فنشطت في مقابلها جماعات مسيحية متعصبة . » ص ١٢٦ .

« وبالمقابل فإن جماعات مسيحية متعصبة ظاهرة أو مستترة صارت تعمل بهمة فائقة في صفوف الاقباط مستغلة مظاهر واقعية أو مفتعلة تشير إلى اضطهاد الاقباط » . ص ١٢٧ وهو يتعامى هنا عن الحقيقة التي أثبتها البشري وهى أن بداية التوتر والتوجس ، كانت بسبب المبشرين المسيحيين الأجانب .

ولكن — كما قيل — بسبس له يرجع لأصله : سرعان ما يردد الأكاذيب عن التناقض بين الهوية الاسلامية والمصرية .. فيصدق خرافة :

« بينما وقف حزب الأمة يدافع عن مبدأ أن مصر للمصريين جميعا . » ص١٢٢ .

« تغلبت على الفتنة بعد أن كانت تهدد البلاد بشر وبيل ، وعبرت مصر بذلك عن غلبة « الجامعة المصرية » أي الرابطة القومية علي « الجامعة الاسلامية » أي الرابطة الدينية » . ص ١٢٢ .

« وهنا جاء حزب الوفد امتدادا لحزب الأمة وكان سعد زغلول إمتداداً لمحمد عبده » .

ولكن السكرتير السابق يفقد كل منطق عندما يحاول التدليل على عمالة شركات الأموال . والمسلمين عامة بمثل هذه الأدلة :

'' فما الذي يجمع مثلا بين شركة إسلامية لتوظيف الأموال في مصر وبين جزر البهاما التي تسيطر عليها أمريكا ، ومعروف أنها مركز عالمي لتهريب الهيروين ولعصابات المافيا وصناديق الليل ؟ ما الذي يجعل شركة إسلامية لتوظيف الأموال في مصر رأسمالها ٥٠ مليون دولار أمريكي تسجل نفسها في جزر البهاما ــ وتجعل منها مقرها الرئيسي ؟ ص١٣٠ .

ب ــ وما الذي يعني أن وفدا اقتصاديا لمجموعة شركات الهلال الاسلامية في مصر يسافر إلى واشنطن لمقابلة كبار المسئولين بهيئة المعونة الامريكية وخبراء الاقتصاد في وزارة الخارجية الامريكية ، تمهيدا للقيام بمشروعات مشتركة مع هيئة التمويل الدولية ، وهي هيئة حكومية أمريكية ؟

ماذا تعني هاتان الواقعتان اللتان نشرتا في مصر بمعرفة اصحاب تلك الشركات أنفسهم ؟

وأين توجد الدولة في مصر من هاتين الواقعتين وأمثالهما ؟ فمن الثابت ــ هنا على الأقل ــ أن قوى أجنبية حكومية تقدم أموالا لأعمال مشتركة داخل مصر . » .

لا ليس هكذا .. والظاهر أن أبا هريرة لم يصفق بالأسواق فعلا .. جزر بهامس هي المحل المختار للشركات التي لا تريد الخضوع للنظم التجارية والضرائب في الولايات المتحدة لأنها تتمتع بما يشبه المنطقة الحرة .. وما دام عندك خمسون مليون دولار ولا يمكن لبقايا النظام الناصري أن يستوعبها هنا ، فلابد من بنك امريكي وجزر البهامس أو كايمن هي الأنسب من وجهة نظر هؤلاء .. ولا يعقل أن تجار المخدرات اختاروها أيضا لتدبير المؤامرات مع الحكومة الامريكية .. لا هذه ليست حجة ولا الأخرى لأن من الممكن جدا أن تطلب شركة مصرية عامة أو خاصة الدخول في مشروعات مشتركة مع هيئة التمويل الدولية .. أمال اسمها

التمويل الدولية ليه .. والهيئات الحكومية العلنية هي الاقل تآمرا خاصا إذا كانت الاجتماعات تنشر في الصحف والاتفاقيات ستعرض على الاجهزة الرسمية في البلدين .. المريب هو تمويل مؤسسة فورد لحركة تحرير المرأة في مصر .

ولا يعني قولنا هذا اننا نزكى الاثنين فنحن لا علم لنا بأيهما ، ولا نشتري بدرهم تدين هذه المؤسسات .

ويقول :

'' وفي عام ١٩٦٩ عقدت المؤتمر الأول للقمة الاسلامية وتقرر في العام التالي إنشاء أمانه عامة للمؤتمر مقرها السعودية . وفي مؤتمر جدة لعام ١٩٧٢ أقر ميثاق المنظمة التي جاءت حقبة النفط فزادت من سيطرة السعودية عليها . '' ص ١٣١ مشكلة الطائفية في مصر ــ تقديم لطيفة الزيات ١٩٨٨ '' .

وينسى أن ذلك المؤتمر اجتمع والزعيم الخالد بيننا بل واشترك فيه ومثل مصر نائبه أنور السادات .

'' ولا يمكن في الظروف الحالية غض النظر عن مسعى تسره أمريكا وتعلنه إسرائيل لتقسيم مصر إلى شمال مسلم وجنوب قبطي ، ونعود إلى « مينا » جديد لتوحيد الوجهين . ''

'' لكن توجد إلى جانب هذه المخططات محاولات مؤكدة من جانب كل من السعودية وإيران لتحريك وتغذية عوامل التعصب الديني والفتنة الطائفية في مصر بالتحديد وتتخذ هذه المحاولات صور المساندة السياسية والمعونة المالية وتقديم السلاح . ''

سؤال واحد .. ما مصلحة السعودية في إثارة فتنة في مصر وتمزيقها .. لو قال إن السعودية تدعم الاتجاه الاسلامي وتريد إقامة حكومة اسلامية في مصر .. كان يمكن مناقشته والقول له إن أخطر مجابهة واجهت النظام السعودي إنما جاءت من الاسلام المتطرف جدا وليس من الشيوعيين ولا الليبراليين .. فلماذا تذود

المملكة الطير عن شجر قد جربت المر من ثمره .. أو بالأحرى لماذا تزرع أو ترعى شجرا طعمت المر من ثمره ؟!

'' ولا يمكن في هذا الصدد أن ننسى الدور الذي لعبه ويلعبه المدعو الشيخ الفاسي داخل معدة مصر وأمعائها . وقد جاءت الانباء أخيرا بتورطه في فضيحة إيران جيت واشتراكه مع المخابرات الأمريكية في تمويل متمردي نيكاراجوا . ''

ملخبطة خالص .. الفاسي لا علاقة له بتلك القضايا لعله يقصد الخاشقجي . ولعل آخر ما يمكن أن يروجه الفاسي أو الخاشقجي هو الاسلام ! والفاسي معاد للمملكة مغضوب عليه منها فكيف يندرج ضمن النشاط الاسلامي السعودي ؟!

'' ولقد أنشئت لجنة مختصة بالاشراف على النشاط الثوري في افريقيا رئيسها يدعى عمر المصري وهو رجل من تونس . وينشط في عضوية اللجنة من يدعى صفوت عبد المجيد وهو مصري يمكن أن تكون له صلات بالاخوان المسلمين . ولقد اعلنت اللجنة انها تدعم تنظيم الجهاد . وفي فبراير من العام الحالي ، عقد اجتماع في طهران ضم شخصيات إيرانية مسئولة وعناصر من المخابرات وعناصر مصرية . وقد تقرر تأسيس فرع من مصر لما يسمى حزب الله يتولى الدعوة إلى ثورة إسلامية على غرار حزب الله في لبنان . وتبين أن هناك في مصر شركات وبنوكا وجماعات وأفرادا متورطين في نشاطات يعتقد أن مكتب مصر في المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في طهران يتولى الاشراف عليها . '' ص١٣٢ .

وهذه من تبليغات الشيوعيين للمباحث وهي من خلقهم .

ويخرج من ذلك كله بضرورة عودة العهد السعيد عندما كانوا ينادونه معالي الوزير الشيوعي فجمع المجد من اطرافه والى الجحيم بكل ما جرى فى مصر وتسبب فى سحب عربة الوزير :

''ومن هنا لا بد من تغيير مجموع السياسات التى تكلفت منذ السبعينات

بتهميش الاغلبية الساحقة من المصريين وتغريبهم عن بلادهم وبعبارة أخرى فإنه لابد من تصفية الثورة المضادة . ''ص١٣٤ .

وينسى أو يأمل أن ينسى الناس أنه احد رموز هذه الثورة المضادة !

.. وفي تلخيص المناقشات ورد الآتي (*) :

'' إذ ليس من المستبعد ــ كما يرى ــ أن تكون هناك يد للمخابرات الامريكية أو لعناصر إسرائيلية في تصعيد الاحداث ، تنفيذا لمخطط يرمي إلى خلق دولتين أو كيانين في مصر ، كيان قبطي في الصعيد ، مسلم في الشمال . '' ص١٣٦ .

هم غير متأكدين .. ليس من المستبعد .. والله أعلم .. أما عندما يتحدثون عن السعودية فهم على يقين !

'' أما الموجة الدينية الثانية فكانت مرتبطة بفشل المشروع البرجوازي القومي للنظام الناصري ، ذلك المشروع الذي سقط تماما بهزيمة يونيو ١٩٦٧ . '' ص١٤١ .

الحمد لله مشروع عبد الناصر بورجوازي قومي .. لم ينل شرف الاشتراكية .. وإن كان هذا الوصف يكشف نوعية علاقتهم بعبد الناصر ، فهو أيضا كذب على التاريخ إذ لا يمكن قيام مشروع بورجوازي بضرب البورجوازية وتصفيتها حتى مستوى البقال ! والقومية قصم عبد الناصر ظهرها ربما إلى الأبد باشتراكيته وبجبنه امام الثورة العراقية وتخليه المريب بل الاجرامي عن سوريا .. .

'' وكذلك سعى النظام الناصري بدأب لإحكام سيطرته على المؤسسات الدينية ، فألغيت هيئة العلماء وتم إنشاء مجمع البحوث الإسلامية ، ثم أصبح تعيين شيخ الازهر يتم بقرار جمهوري .(؟) '' ص١٤٣ .

(*) عرض المناقشات إعداد : مركز البحوث العربية ص ١٣٥ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات ١٩٨٨ .

هل المؤسسات الدينية هي الإسلامية فقط .. وهل الأزهر مؤسسة دينية إذا التزمنا بمعنى الكلمة .. ولماذا ترحبون بتعيين شيخ الأزهر بمرسوم جمهوري .. وتثورون ضد نفس المفهوم في التعامل مع المؤسسة الدينية الأخرى .

'' الجهد الذي تقوم به السعودية في دعم القوى الدينية الاسلامية المتعصبة في مصر ، وتمويلها ودعمها ماديا ومعنويا ، وهو ما يتضح في علاقاتها المشبوهة بشركات توظيف الأموال ــ الجناح الاقتصادي للتيارات الاسلامية ــ وليس هذا الدور بجديد على النظام السعودي ''ص١٤٦ .

وهو ليس بجديد في أكاذيبكم ، ولم تتضح أية علاقة مع شركات التوظيف التي لم تكن الجناح الاقتصادي لأية تيارات ، وقد تعرضت هذه الشركات للتحقيق على جميع المستويات ودخل بعضهم السجن ، وما من ورقة تخصهم إلا ومرت على أكثر من جهة أمنية وقضائية ولو وجدت السلطات شبهة قرينة ولو من طراز تبادل الصور مع احد من التيارات لهللتم لها ألف عام . ولكن ثبت أنه لا صلة لهم بالسعودية ، بل إن المؤسسات السعودية المالية لم تتقدم لمساعدتهم وبعضها تربص لشراء اسلابهم . كما ثبت أنه لا علاقة لهم بالتيارات الاسلامية .

'' لكنه ــ أي اليسار ــ لم يلتفت إلى اهمية مواجهة المناطق المريضة والمتخلفة من ثقافتنا ، والتي لعبت عليها القوى الدينية المتطرفة ، وفي هذا الصدد عقدت مقارنات بين مواقف اليسار في الأربعينيات وبين مواقفه الآن ، فالأولى تميزت بالعقلانية والتنوير ، بينما تراجعت الأخيرة عن طابعها التنويري .

« واشار أحد المشاركين إلى مسئولية قوى اليسار عن سيادة الجوانب الرجعية والمتخلفة في الثقافة الشعبية ، والتي تتبنى في رأيه نفس الموقف المثالي من التراث بتقديسه . ولقد صب النهر المثالي الشعبي في النهاية في ساقية التيار الاسلامي » ص١٤٨ .

أيوه صب ! لم تنجح كل السدود ولا القنوات الوهمية التي شقت لحرف

مجراه .. ملاحظة بسيطة ، في الاربعينيات كانت قيادة اليسار من اليهود الخلص ، ومن ثم كانت الحملة على الدين ضرورية لاقناع الشباب المصري بقبول قيادة يهودية في اللحظات الحاسمة من المواجهة مع دولة اليهود .. إذ لا يمكن أن يقتنع بذلك إلا من تخلى على دينه !

ونفس الوسيلة مطلوبة الآن لاقناع المصري بقبول الامبراطورية الإسرائيلية أو التنظيم الجديد للشرق الأوسط بزعامة إسرائيل الذي يدعو له ف ــ ف علنا في مجلة اكتوبر مع سبه المستمر للإسلام وتحريضه على المسلمين .

« ونفس النزوع البرجماتي كان لدى الشعب المصري حين التف حول محمد علي ضد سلطة العلماء ، وحين التف حول عبد الناصر في مواجهة الاخوان المسلمين . » ص١٥٠ .

ويمكن معرفة مدى صدق طرف المعادلة عن الاخوان ، من صدق طرفها الثاني .. فلا الشعب التف حول محمد علي ضد العلماء .. وإنما شنق زعماء الشعب (عجاج الخضري) أو نفوا مع تحديد إقامتهم (عمر مكرم) وبالإرهاب تم عزل العلماء وتمزيق صفوفهم واستبد محمد علي بالأمر .. أما أن الشعب وقف مع عبد الناصر ضد الاخوان فالظاهر أنهم ما زالوا يرددون خلف مهرج الثورة .. إحنا الشعب .. ! .

* * *
* *
*

□ هوامش وملاحق ومراجع الفصل الرابع

(١ــ٣) ص ٩ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٤) ص ١٥٣ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن : FOUAD IBRAHIM "A SOCIAL AND ECONOMIC GEOGRAPHICAL ANALYSIS OF THE EGYPTIAN COPTS" "Coptologia Canada Summer 1983.

ولعل هذه الشكوى الباطلة أو بالأحرى المنقولة من ملفات الفتنة اللبنانية حيث كان تجار الفتنة هناك يروجون أن « الضرائب تؤخذ من المسيحيين الأغنياء لتنفق على المسلمين الفقراء » .. مما يدل على وحدة مصدر الالهام .. المهم أنها تثبت كذب ما يقال عن اضطهاد الاقباط قبل الثورة وقبل هذه التأميمات .. لأن مردد هذا القول يعترف بأن نسبة هائلة من الأرض الزراعية في مصر كان يمتلكها اقباط يستغلون الفلاحين المسلمين في زراعتها وإلا لما اضطر اعداء الاقباط لتأميم أو تحديد ملكية كل الأرض ليفوزوا بحصة الاقباط .. ونفس الشيء عن المشروعات .

وفي دراسة للدكتور يونان رزق يكرر نفس القصة : « بدأ في أعقاب قيام الثورة وكأن ملف المسألة الطائفية قد أغلق إلى الأبد .. حتى فوجيء الكثيرون بهذا الظهور الحاد لها في النصف الثاني من السبعينات والمتفجر خلال الثمانينيات » .

ورتب لنا الاحداث التي أدت إليها كالآتي :

« التأميمات التي وجهت ضربات موجعة إلى طبقات اجتماعية كان الاقباط يشكلون الجمهرة الغالبة من العاملين بها » (الطائفية .. إلى أين ؟ د/ يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ الحديث ــ جامعة عين شمس) .

ونحن نتساءل ألم يكن هناك بالمقابل جماهير قبطية كسبت حاجة من الاشتراكية .. لتتصدى لهذه الطائفية وتدافع عن الاشتراكية ؟! صدقنا أن أسلمة الاقتصاد الذي تحاوله في زعمكم شركات التوظيف يثير الفتنة .. كمان تمصير الاقتصاد يثير الفتنة ويغضب الاقباط .. ؟ لماذا هذا الحرص على ربط الاقباط بالاستعمار الأجنبي .. ؟! ولماذا عندما جاء الانفتاح وأثرى المسيحيون ثراء فاحشا اشتدت الطائفية ؟!

(٥) ص ١٧٣ الاقباط والقومية العربية ــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن مريت بطرس غالي « الاقباط في مصر تقرير مرفوع للمسئولين في الدولة واحبائي من المسلمين لتعميق أواصر المحبة والتعاون والوحدة الوطنية على أساس من الواقع العملي (القاهرة ١٩٧٩) مطبوع على الرونيو » .

(٦) نفس المصدر .

(٧) الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن نظير كرم خله في مجلة The Copts (Jersy City Nj VOL 12 NOS GUNE 1985) PP 40-43 .

(٨ ـــ ٩) ص ٦٤ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية ..

(١٠) ص ١٨٢ البابا والسادات .

(١١) ص ١٥٦ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن هيكل .

(١٢) ص ١٥٦ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن رياض سوريال .

(١٣ ـــ ١٤) ص ١٥٦ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(١٥) قال البابا شنودة : كان أول هدف لزيارتي لأمريكا زيارة كنائسنا هناك .. كما كان لها هدف رعوي روحي والاشراف على الكنائس .. قوبلت في أمريكا مقابلة طيبة جدا من الناحية السياسية ودعيت لإلقاء محاضرات في كثير من الجامعات والمعاهد وكل بلد كنت اقوم بزيارتها كانت قياداتها الدينية وعمدة المدينة في استقبالي .. كانت الزيارة طيبة جدا لدرجة ان مدينة كيليفين اعتبرت مدينة الاسكندرية مدينة شقيقة . وكذلك إحدى المدن أعطتني حق المواطنة وكثير من المدن الأمريكية سلمتني مفاتيح مدنها .. » ص ١٤٨ السادات والبابا : أنور محمد .

(١٦) اللواء فؤاد عزيز قائد الجيش الثاني في حرب أكتوبر .

(١٧) الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن سوريال : المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩ .

(١٨) الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن جرجس سلامة تاريخ التعليم الاجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين .

(١٩) ص ١١٥ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن

CHARLES ROBERT WASTON "REPORT ON VISIT OF THE CORRESPONDING SECRETARY TO EGYPT AND YHE LEVANT

ويفوتهم جميعا ملاحظة أثر الإحتلال البريطاني ١٨٨٢ في هذه الزيادة في المنضمين لكنيسة المستعمر .

(٢٠) ص ٧٩ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن غريغورس ، وثائق للتاريخ .

(٢١) السادات والبابا أنور محمد ص٢٠٢ .

(٢٢) ص ١٦٦ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٢٣) ص الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية ـــ عن مجلة الكرازة ١٦ يناير ١٩٧٩ .

(٢٤) ص ١٨٣ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٢٥) ص ١٨٤ ـــ ١٨٥ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن شوقي كراس '' كلمة الهيئة : أبعاد المؤامرة ضد الاقباط '' وجوده جرجس « رحلة مع التاريخ » في مجلة THE COPTS VOL 6 NOS 1-2 MARCH 1979 PP 38-39 .

(٢٦) ص ١٧٢ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن إيشاك إبراهام وبات يعور والمسيحيون اللبنانيون على طريق الاقباط : ـــ
The Copts Vol 12 June 1985 P. 22-25 .

(٢٧) ص ١٧٢ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن اجتماع المجمع المقدس للكرازة المرقسية ، مجلة الكرازة ٢٨/ ٣/ ١٩٨٠ .

(٢٨) ص ١٨٦ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن بيان من بطريركية الاقباط استنكارا للهيئة القبطية . الاهرام ٢٦/ ٦/ ١٩٨١ .

(٢٩و ٣٠) ص ١٣٧ « الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية .

(٣١) ص ١٤٢ الاقباط والقومية العربية ـــ أبو سيف يوسف . مركز دراسات الوحدة العربية عن سميرة بحر « الاقباط في الحياة السياسية المصرية .. الخ » .

وأورد البشري : « فلما عاد الوفد إلى الحكم في ١٩٣٠ ارتفعت أصوات المجلس الملي تطلب إلغاء لجنة أوقاف الاديرة ، وتمادى البعض فطالب بالغاء الامر الملكى الذي تم اختيار البطريرك على أساسه [صحيفة المنارة المرقسية ١٥ مارس ١٩٣٠] ص ٤١٦ البشري .

وقد وافق المجلس الملي على قرار المجمع فور إخطاره به ، ثم توجه وفد من الهيئتين إلى وزير الداخلية لابلاغه بالأمر حتى تصدر الحكومة القرارات الرسمية اللازمة . فلما تراخت استجابة

الحكومة أسبوعاً إستحثها المجمع وذكرها بأن قراره نهائي واجب النفاذ ، واجتمع ثانية في ١٦ سبتمبر ١٩٥٥ وقرر ــ حثا للحكومة وإظهار للأمر الواقع ــ تخصيص يوم ٢٣ سبتمبر للصلاة والصوم الجماعي ليعلم الشعب « أنه ليس لأية سلطة الحق في أن تفرض على الكنيسة والشعب رئيساً قضى المجمع بتنحيته فوراً وإعفائه من مركزه » وليعلم الجميع أن يوساب صار لا وجود له كبطريرك ، ويعتبر أي قرار يصدره باطلاً يعرضه لأحكام كنسية صارمة . فوافق مجلس الوزراء على وقف الأنبا يوساب عن مزاولة أعمال منصبه ، وطلب إلى المجمع والمجلس أن يجتمعا لترشيح اللجنة الثلاثية البديلة عنه . وترك يوساب مقر البطريرك في ٢٤ سبتمبر قاصداً الدير المحرق ، حيث رئي أن يقضي هناك ما تبقى له من حياة [نص وثيقة اعفاء البطريرك الصادرة من المجمع المقدس بإمضاء تيموتاوس صحيفة مصر ٢١ يونيه ١٩٥٦] . وتأليف مجلس بطريركي من ثلاثة مطارنة حل محله . ص ٤٣٠ البشري .

كما أوجبت اللائحة إجراء القرعة الهيكلية بين الثلاثة مرشحين الحائزين على أكثر الأصوات ، مما رفضته مذكرة المجلس الملي باعتباره إجراء غير ديمقراطي ، لاحتمال أن ينجح في القرعة صاحب أقل الأصوات . ورئي في هذه اللائحة انحياز لإتجاه غير ديمقراطي من رجال الدين ضد إتجاه الهيئات الطائفية المنتخبة [نص « مذكرة المجلس الملي العام بشأن لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك » سنة ١٩٥٧] .

ولكن تقديم المذكرة لم يجد شيئاً فيما يظهر . ص٤٣٤ البشري .

(٣٢ و٣٣ و٣٤) ص٤٣ السادات والبابا : أنور محمد .

(٣٥) محمد عصفور : '' المسلمون والاقباط كلنا في الهم شرق '' الوفد ١/ ٩/ ١٩٨٩ .

ويبدو أن الدكتور عصفور له موقف خاص من القضاء وأنه قرر ــ كعادته ــ أن يورط جريدة حزبه في معركة شاملة ضد القضاء فكتب سلسلة مقالات هاجم فيها القضاء والقضاة حتى عندما يتصدون لتجاوزات السلطة ويتخذون موقفا دفاعا عن حرياتهم وعن حصانة القضاء ! فهو يعلق على غضبة رجال القضاء لانتهاك حصانة القضاء ، باقتحام البوليس لمنزل أحد القضاة ، وهي الغضبة التي أيدتها مصر كلها ، إلا عصفور ، الذي كتب يومها من إنشائه ولم يقتبس من أحد ، فجاء منطقه متهافتا وكأنه يدافع عن البوليس قال : '' مما اضطر مجلس إدارة نادي القضاة (والانتخابات التكميلية على الأبواب !!) ــ هذا التعريض من الدكتور عصفور وهو يستحق التعجب حقا لأن نادي القضاة له مواقفه العديدة في الدفاع عن الحريات وسيادة القانون في مواسم الانتخابات وغير مواسم الانتخابات حتى دخل رئيس النادي المستشار يحيى الرفاعي التاريخ

بمواقفه التي لا يحلم بها عصفور .. وهي غمزة لا تليق في حق القضاء والقضاة ج ـــ ويكمل « لأن يرسل برقية استنكار إلى رئيس الدولة ، ليس استهجانا لاستباحة آدمية وحرمات وحريات الشعب المصري بمقتضى سلطات الاحكام العرفية الشاذة ، وإنما استنكارا (لواقعة اقتحام مباحث أمن الدولة لمنزل المستشار محمود غراب) ، واللافت للنظر حقا إن الجمعية العمومية لمحكمة استئناف الاسكندرية ناقشت ـــ هي الأخرى ـــ واقعة محددة ، وهي واقعة اقتحام قوات الشرطة لمنزل المستشار محمود غراب ، وهو ما يعني في الحقيقة صرف النظر عن المشكلة القومية الحقيقية ، وهي انتهاك النظام لسيادة الشعب وحرياته وآدميته ، والانحصار في مسألة '' فنية '' أو '' مهنية '' وهي ما يجب أن يتوافر لمنازل القضاة من حصانة رغم أنها حصانة يمكن أن تنتهك بإذن من المجلس الأعلى للقضاء !! إن ما تكشف عنه الواقعتان السابقتان حقيقة تدعو إلى الحزن والأسف هما أن العدوان على الآدمية والحرية والشرعية إذا هو وقع على الأهل : شعب مصر كله لا يثير استهجانا أو سخطا عاما أو حتى مشاعر مواساة أو عطفا على الضحايا لدى الأوساط أو الهيئات التي يفترض فيها أن تكون الصانعة للرأي العام أو المعبرة عنه ـــ الصحافة ـــ وأن تكون حارسة الشرعية والعدالة في البلاد ـــ لا سلطة القضاء .. ولقد أظهرت الأحداث بل والجرائم التي ارتكبت ضد الشعب والمواطن خلال الاعوام الثمانية الماضية .. أنه لا الصحافة ولا القضاء اتخذ أيهما أي موقف من مواقف الاحتجاج أو المعارضة ! .. إن هذا الموقف الطائفي (لو كان كذلك) لكشف عن مأساة رهيبة ، هي هذا التفكك أو التشرذم .. وهو في اعتقادي مأساة المواطنة في مصر '' الوفد ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٩ .

ثم عاد يعرض بالقضاء ويزعم أن ليس لقضاة مصر موقف وطني ولا قومي .. فيتمنى لو طال به العمر ليشهد مثل ذلك الموقف !! .. '' وكم كنت أتمنى (وأنا في خريف العمر) أن أشهد موقفا قوميا وطنيا من جانب قضائنا العريق يتناسب ومسئوليته الضخمة في حماية الدستور والشرعية والعدالة .. وليس من المقبول أبدا أن يثور قضاؤنا للإعتداء على حرمة منزل أحد المستشارين ، بينما يتغافل عن عدوان مستمر على أدمية الشعب .. إنني اطالب بأن يعلنوا .. الخ '' الوفد ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٩ .

لم أقرأ في حياتي تطاولا متهافت المنطق يثير الغثيان مثل هذا الكلام !

إن هذا التهجم لا يستحق الرد !

إنه من نوع الفتنة التي تروجها السلطات ضد تحرك أي طائفة ، أو اذا ضبطت ملطخة اليدين .. ومن السهل جدا على المخرب الذي تدسه السلطة أن يمزق وحدة الموقف ويفرق قوى الشعب

باستخدام نفس المنطق . فإذا غضب اساتذة الجامعة بسبب ناديهم وتبلور موقف يمكن أن يجر الى مواجهة مع السلطة بسبب مكانة اساتذة الجامعة في المجتمع ، عندها يتحرك المخربُ المدسوس فيقول .. لماذا لم يغضب اساتذة الجامعة للعدوان على حريات الطلبة ، ولماذا سكتوا عن تجاوزات الحرس .. لم يتحركوا الا من أجل موقع ناديهم على النيل .. الخ ونفس الشيء لو ثار مجلس الشعب لعدوان على نائب أو الصحفيون لاعتقال صحفي .. .

هناك فئات تتمثل فيها كرامة الأمة وعندها يتشكل الحد الذي إذا تجاوزته السلطة سهل تعبئة الأمة كلها ضد هذا التجاوز .. مثل رجال الدين والنواب والقضاة .. ولكن إذا كانت الحكومة كلما اعتدت على رجال الدين أو النائب أو القاضي ظهر كتاب يحظرون الغضب لأي منهم لأنه لابد أن نغضب للشعب كله .. يا بلاش .. إلى آخر هذا القول الساقط الذي لا يثمر إلا تفويت المناسبة وتمزيق وحدة الجماهير وإهانة الفئة التي وقع عليها الاضطهاد . وإفلات السلطة .

ثم ما الفرق بين العدوان على القضاء بفعل من قبل السلطة أو العدوان عليه بالسخرية ومحاولة فرض موقف عليه وفقا لما يراه الكاتب .. .

إنه كلام غريب .. غريب على الوفد وصحافة الوفد .

(٣٦) مشكلة الطائفية في مصر — تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

وهي نفس الفكرة التي يرددها بحث آخر يقول فيه فرج فوده إن الاقباط أسلموا بالإكراه الشديد فهو يقول : « المصريون لا يغيرون عقيدتهم ببساطة ولا بين يوم وليلة ولا لمجرد سماعهم آية كريمة يخرون بعدها ساجدين مسلمين .. وبعض أحداث التاريخ تحوي من المرارة والتخلف والاضطهاد والعنف ما نربأ بأنفسنا عن ذكره حتى لا ننكأ جراحا نسعى لمداوتها ، بيد أنها تؤكد ما بدأ به الحديث وهو أن التسامح الديني لم يكن سمة خاصة بالدول الدينية على الاطلاق ، وإنما هو سمة حضارية تتعلق بحضارة العصر التي نحياها . » (الطائفية .. إلى أين !؟ فرج فودة ص١٨) .

هو فعلا لم ينكأ جرحا ، فلسوء حظه وامثاله لا يوجد جرح في علاقات المسلمين والاقباط ، لا يوجد جرح لينكأه ، بل هو يحاول حقن هذه العلاقة النموذجية بجرثومة الافك والتنزوير ليحدث بها الجرح المطلوب ! وقارن هذا الذي يفتريه على دينه وتاريخه وأمته ، وما نقلناه عن المسيحي العربي الشريف أدمون رباط ! وهو جاهل أو مغرض يتعامى عن حقيقة تغيير نفس الاقباط دينهم مرتين .. خلال ستة قرون قبل الفتح الاسلامي .. مرة باعتناقهم المسيحية وتخليهم عن

دينهم الفرعوني ، ومرة باعتناقهم المذهب الأرثوذكسى الذي شقهم عن الكنيسة أو الدين المسيحي العالمي .. فلماذا اعتناقهم الاسلام هو وحده الظاهرة المرية .. هل يقول أن الاسلام أضعف حجة من أن يُقتنع به من غير اكراه ؟! وهؤلاء العرب الذين يسخر منهم معرضا حتى بالآية الكريمة بأنهم خروا سجدا عندما سمعوا آيات الله ، هؤلاء العرب لم يبدلوا دينهم إلا مرة واحدة على مدى التاريخ المعروف .

وإذا كان بتلر قد بذل جهدا كبيرا في تحوير وقائع التاريخ لكي ينفي التلاحم القبطي الاسلامى في زمن عمرو فإن خلفاء بتلر يزورون التاريخ لتأكيد مزاعمهم في ابدية التنافر القبطي ــ الاسلامي ، لا يبذلون أي جهد في إخفاء تزويرهم ، مطمئنين للجهل المتفشي ، وحالة اللامبالاة والاستهتار بكل القيم ، واخر النماذج هو ما ارتكبه حسين أحمد أمين وليسمح لي القارىء أن أعرض حكايته باسهاب لأنهم كالعادة فزعوا من الحوار فمنعت جريدة « الأهالي » نشر ردي ، ولم نكن نتوقع أبداً أن يستمروا في حرية الحوار فهذه الجماعات لا وجود لها ولا استمرار إلا بشرط منع الطرف الآخر من الحديث ليتحدثوا وحدهم ويضللوا ويفتروا على الحقيقة كما في حكاية حسين أحمد أمين الذي أشاد بمسيحية الاستاذ فيليب جلاب الذي يرأس الصحيفة الوحيدة التي هي من الشجاعة والجرأة بحيث تنشر له مقالاته دون تغيير أو حذف » .. ولكنها افتقرت لشجاعة نشر ردي عليك ! .

ولنبدأ الحكاية من اولها :

ففي تعليقه الفوري على احداث امبابة اتخذ سيادته ، الموقف المنتظر منه من ناحية ادانة المسلمين قبل صدور أو وقوع أي تحقيق ، ولا جديد في ذلك وانما الجديد هو انه لكي يخدم هدفه قام بتزوير التاريخ فألف قصة لا أساس لها من الصحة أو المراجع التاريخية كما حاول أن يوحي بأنها منقولة من الجبرتي تحايلا منه لاقناع العامة من المثقفين بالهدف الذي يسعي إليه . ففى عدد الأهالي بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٩١ بعنوان « امبابة لوحتان » .

« اللوحة الولى امبابة ١٨٠٧ م » .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧) في ثانيه (وهو يوم الجمعة) ركب الباشا (محمد علي) إلى بولاق وعدى إلى ناحية بر امبابة . فنصب خيمته هناك . وارسل بعض العسكر إلى شط النيل.. ليأتوا إليه بالشيخ سليمان الامبابي . ثم رقد بالخيمة ليأخذ له راحة . ونام فلما استيقظ دخل عليه العسكر واخبروه أن الشيخ سليمان رجل كسيح مقعد .. يقيم منذ مدة طويلة في عشة بالغيط على النيل . لا يفارقها قط . ويقف على بابها رجل طويل

القامة عريض المنكبين . ذو لحية سوداء كثة . اسمه اسماعيل الفرارجي . يزعم أنه خادم الشيخ . ولا يسمح لمخلوق بالدخول إليه .. فلما سمع الباشا ذلك أصدر الأمر بالارتحال . ثم ركب قرب الزوال وعاد إلى ناحية بولاق [1] .

والشيخ سليمان الامبابي هذا رجل صالح . اعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب . واقبل اهالى امبابة وبولاق والقاهرة والقرى المجاورة يحملون إلى عشته النذور والهدايا . ويلتمسون منه البركة والدعاء .. غير أن الرجل ــ كما قلنا ــ لم يكن يظهر لأحد ، ولا رآه مخلوق سوى ربما اسماعيل الفرارجي الذي نصب لنفسه ولعدد من اتباعه خياما حول عشة الشيخ . يستقبلون الزوار فيها ويتسلمون هداياهم . ويستمعون إلى ضراعاتهم وشكاواهم . وكان معظم هؤلاء الزوار من النساء والأحداث .

وبمرور الوقت صار إسماعيل الفرارجي هذا يكتب إلى النواحى والقرى أوراقا باسم الشيخ سليمان الامبابي يستدعي منهم القمح والدقيق والدجاج والبطاطس والأرز ويرسلها مع الأتباع والمريدين يقول فيها : الذي نعلم أهل القرية الفلانية أو الناحية الفلانية . حال وصول الورقة إليكم . أن تدفعوا لحاملها خمسة أرادب قمح . وعشرة اقفاص من الدجاج . وثلاثين جوالا من الأرز . برسم طعام الفقراء . وكذا مائة رغيف للمريدين . ولا تتأخروا عن إرسال المطلوب في الحال حتى لا يدعو الشيخ عليكم . فتنهدم عليكم بيوتكم . وتسحقون تحتها كما تسحق النمل .. كما نعلمكم أنه قد حرم عليكم أن تعطوا الظلمة من أعوان الباشا وعساكره وشيئا من الكلف أو القرص التي يفرضونها عليكم ويطلبونها منكم .. ومن أتاكم من العسكر لجمعها فاطردوه . وإن عاند فاقتلوه .. وكان الله سميعا بصيراً .

وكان ان ثقل امر اسماعيل الفرارجي على الكشاف والعكسر ولم يعد في مقدورهم تأديبه أو التصدى له .. وكان قد اجتمع لدى إسماعيل هذا من الغلمان المردان نحو المائة وستين أمردا وغالبهم من أولاد مشايخ البلاد . وكان إذا بلغه أن بالبلد الفلانية غلاما وسيم الصورة أرسل في طلبه فيحضرونه . وقد عمل للمردان عقودا من الخرز الملون في أعناقهم ولبعضهم أقراطا في آذانهم ــ أما أعوانه فكانوا يفجرون نهارا وجهارا بالنساء الزائرات .. ويفعلون بهن مايتسع الحديث به . أو كما قيل في هذا المعنى .

وكنا نستطب إذا مرضنا
فصار الداء من قبل الطبيب

وهؤلاء الأعوان كانوا ينسبون أنفسهم إلى طريقة صوفية ويلبسون على رؤوسهم الطراطير السود

المصنوعة من جلود الغنم الصغار . طول الطرطور نحو ذراع . وإذا دخل الشخص منهم الكنيف نزع الطرطور من على رأسه ووضعه على عتبة الكنيف . لا أدرى أذلك تعظيما له عن مصاحبته معه في الكنيف . أم لخوف من سقوطه في صحن المرحاض وإن هو اصطدام باسكفة الباب .

واستمر الحال على هذا المنوال حتى يوم السبت ١٢ ربيع الأول . الذى عمل فيه المولد النبوى . وفيه حدثت الواقعة التالية .

وقف إسماعيل الفرارجي في الصباح الباكر أمام باب خيمته على الساحل في إمبابة . . وخطب في الأحداث والنساء وغيرهم من المحتشدين للاحتفال بهذه المناسبة . فقال :

يقول لكم الشيخ سليمان الامبابي أنه رأى في منامه ليلة أمس السيد أحمد البدوى بالشرق . والسيد إبراهيم الدسوقي بالغرب . يقتلان كل من يمر عليهما من النصاري ثم أنهما التفتا إلى الشيخ سليمان وقالا له قل لا تباعك ومريديك ومحبيك من كان سامعا مطيعا لأمر الله سبحانه وتعالى جل شأنه فليصنع صنيعنا اليوم . وله قصر في الجنة .

فما سمع الجعيرية كلامه حتى تركوا المكان . وتفرقوا جماعات في نواحي امبابة . فترصدت جماعة منهم لمن يمر عليهم من النصارى ومن لم يجدوه بثيابه الملونة المفروض لبسها عليهم ضربوه بالهراوات . وشجوا رأسه . وأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر . وتركوا له الطاقية والشد الازرق . وتوجهت طائفة أخرى إلى الكنيسة بحارة الناصرية فاضرموا النار فيها حتى خرج للحريق صوت هائل . ودخان عظيم واحترقت الكنيسة برمتها واستمرت النار في سقفها بطول النهار واحترق خمسة من القسس داخلها كما قصدت طائفة ثالثة إلى متاجر النصارى ينهبون ما فيها وإلى مساكنهم فقتلوا أو ضربوا أصحابها ، والقوا ببعضهم ومنهم الأطفال — من شرفاتها .

ثم أن النصاري صرخوا إلى عظمائهم فتوجه هؤلاء بشكواهم إلى القلعة لمقابلة الباشا . فاكتفى الباشا بالأمر بأن ينادى فى نواحى إمبابة بعدم التعرض للنصارى . وأن كل فريق يمشى على طريقته المعتادة . غير أن الجعيرية لم تلق بالا لهذا النداء . واستمرت أعمال النهب والقتل والحرائق حتى يوم ١٦ من ربيع الأول . وفيه ركب كتخدا بك مع حشد كبير من العسكر إلى مكان اسماعيل الفرارجي ثم أمر أشخاصا من العسكر بالهجوم على خيمته فأخذوه وذهبوا به إلى بولاق . وأنزلوه في مركب . وانحدروا به في النيل . وغابوا حصة ثم انقلبو راجعين واخبروا كتخدا بك أنهم أغرقوه في النيل .. إلا أنه اتضح بعد ذلك أن اسماعيل الفرارجي سبح في الماء وطلع إلى البر وهرب . وانفض أمره .

وتبين أثناء التحقيقات التي أجراها كتخدا بك أن أصل الموضوع هو أن إسماعيل الفرارجي

وله دكان كبير في السوق لبيع الدجاج كان حاقدا على منافس له في التجارة هو بائع فراخ نصراني . فكان يشيع عنه فى الحى أنه يغش في الميزان . وأنه لا يذبح الدجاج حسب الشريعة الاسلامية . ويسلط أعوانا له عليه لمضايقته . فلما لم يفلح في تعطيل تجارته . افتعل دعوى منام السيد البدوي والسيد إبراهيم الدسوقى ونسبه إلى الشيخ سليمان الامبابي .

غير أن الأغراب من كل ذلك . هو أنه في يوم ١٨ من ربيع الأول . حين أمر الباشا عسكره باقتحام عشة سليمان الامبابي وبأن يحملوه إليه في القلعة . دخل العسكر العشة . فإذا هى خالية تماما لا إنس فيها ولا أثاث » حرفيا!

وما أن قرأت المقال حتى شممت على الفور رائحة الخيانة ، فعلى الرغم مما أصاب الذاكرة من ضعف السن وادوية الضغط الخاطئة فإن تاريخ الجبرتي هو كتاب عمري ولا أظن أن مصريا أو عربيا قرأه كما قرأته واستخرج منه مثلما فعلت وأنا أعرف أنه منذ خروج الحملة الفرنسية لم تقع في مصر أية مذابح طائفية وأنه لم يحدث قط منذ هذا الخروج إلى الاحتلال البريطاني حرق كنائس أو حرق قساوسة وأن حكاية السيد أحمد البدوي بالشرق والسيد إبراهيم الدسوقي بالغرب ترددت على لسان شخصية مغربية غريبة الأطوار والسلوك خلال ثورة القاهرة الثانية ضد الاحتلال الفرنسي .. فهرعت إلى الجبرتي أتحقق فوجدت أن الأمر أحط مما تصورت . وجدت سفير مصر الأستاذ حسين أحمد أمين قد زور التاريخ بالكامل فهو لم ينقل من الجبرتي إلا السطر الذي به التاريخ ومحاولة سبك الكذبة بإضافة التاريخ الميلادي للتاريخ الهجري أو وضع بين قوسين (محمد على) بعد كلمة الباشا كأن الباشا هي النص الأصلى وما بين القوسين هو من إضافاته للتوضيح للقارىء المعاصر ، إذ لو كان الأمر كله من تأليفه لما احتاج للقوسين .. المهم أنني فزعت مما يحدث وليقيني أن كل الذين يقرأون الأهالى ولحسين أمين فيها قد انطلت عليهم الخدعة وصدقوا أن مذبحة للاقباط قد وقعت هناك في عام ١٨٠٧ فاتصلت بالاستاذ فيليب جلاب طالبا التوضيح فرحب على الفور وقال ما يقال عن حرية الحوار والمناقشة المفتوحة ولكنه ترجاني ألا أقسو على سعادة السفير وألا استخدم كلمة تزوير فأرسلت إلى الأهالي الرد التالي الذي نشر بتحريف بسيط في نهايته أو خطأ مطبعي أفسد العبارة بعض الشيء ولذا أنشر كلمتي هنا كما أرسلتها :

حتى التاريخ لا يسلم من الفتنة !

« لست أريد أن أعلق على أحداث امبابة ولا على أسبابها أو المسئول عنها : فهذه أمور انتهى وقتها .. وإذا كنا نعتقد بوجود مخطط لاثارة الفتنة في مصر فإن أول مقوماته هو منع الحوار

العاقل والبحث النزيه الموضوعي . والقاعدة الآن في التعليق على كل حادث هو ما أستنه كاتب صباح الخير إذ قال : « وأعتقد أن تجارب الماضى لابد أن تكون قد أثبتت أن الشبان المسلمين هم الذين سيتحملون المسئولية الأولى في أي نوع من تلك الفتن الطائفية حتى ولو لم يكونوا هم البادئون بالاستفزاز وحتى العدوان » حرفيا صباح الخير ٣/ ١٠/ ٩١ .

وفي ظل هذا المرسوم لا يجدي الحوار ولا تفيد الأدلة ، ولا أهمية لما نسبته الأهالي من تصريحات لأفاق نصب نفسه أو نصبوه أميرا للجهاد فحتى حرامي البنك في المنصورة أعلن الجهاد وشكل تنظيما .. إلى أن صاح رفاقه أبدا يا بيه إحنا حراميه .. وفي حدود معلوماتي فتنظيم الجهاد تنظيم ممنوع يقتل أفراده على قارعة الطريق بعكس الكلاب الضالة ، فكيف نجا أمير أمبابة من الزحام حتى وصل لمندوب الأهالي ؟! ما علينا . ما يعنيني هنا هو ما أقدم عليه الأستاذ حسين أحمد أمين من تحوير في التاريخ لتلبيس التهمة للمسلمين المعاصرين والبائدين ففي تعليقه الفوري على أحداث أمبابة قام بتنقيح التاريخ (كنت أود إستخدام كلمة أخرى بدل تنقيح ولكن أستجيب لشفاعة صديق) فألف قصة لا أساس لها من الصحة أو المراجع التاريخية كما حاول أن يوحى بأنها منقولة من الجبرتي لاقناع العامة من المثقفين بالهدف الذي يسعى إليه . فقد زعم أنه في امبابة منذ مائة سنة وبالذات ١٨٠٧ فهو قد حدد الزمان والمكان وأكثر من ذلك كتب وكأنه ينقل عن الجبرتي بل نقل حرفيا الآتي : « واستهل جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٢ في ثانيه وهو يوم الجمعة ركب الباشا إلى بولاق وعدى إلى ناحية بر انبابة (كتبها امبابة) إلى هنا وانتهى النص الحقيقي من الجبرتي وابتدأ تأليف الكاتب السفير فقال إن الباشا أرسل العسكر إلى شط النيل ليأتوه بالشيخ سليمان الامبابي .. ثم تأليف يفيد أن العسكر عادوا وقالوا أن الشيخ كسيح ولا أحد رآه والمتحدث باسمه هو شخص اسمه إسماعيل الفرارجي ذو لحية كثة سوداء .. ثم انتقل يحكى لنا ما اوهم الناس انه تاريخا ومن الجبرتي فقال أن الشيخ سليمان الامبابي وكرر الامبابي شخص صالح اعتقد الناس فيه الولاية ولم يره احد الا اسماعيل الفرارجي الذي اصبح يرسل الرسائل للقرى يطلب الأموال والغلمان ونقل حكاية من الجبراتي عن شخصية مختلفة تماما هو شخص يدعى سليمان ظهر ببنها العسل وليس امبابة . من رواية الجبراتي يفهم أنه كان من قادة المقاومة ضد استبداد محمد على ، فالجبرني يقول أن أعوان الشيخ كانوا « ينادون في النواحي .. لاظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التي يطلبونها منكم ومن أتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين إلى تلك النواحى يطلب الكلف أو الفرض التي يفرضونها فزعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه فثقل أمره على الكشاف والعسكر .. » ويمضى الجبرتي فيقول أن الناس حرضوا الشيخ على الحضور للقاهرة حيث ينتظر أن يلتف حوله الناس « ويكون على

يده الفتح والفتوح » وجاء الشيخ إلى القاهرة « برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات » وكان للشيخ مريد من العسكر هو اسماعيل كاشف أبو مناخير .. .

وقد فشلت حركة الشيخ سليمان البنهاوي واعدمه الباشا غرقا في النيل .

أما التنقيح وتبديل الكلام الذي أدخله الأستاذ حسين أحمد أمين فهو :

ــ جعل الشيخ سليمان البنهاوي .. سليمان الامبابي

ــ جعل الشيخ الذي قاد ثورة ضد استبداد الباشا والعسكر وحضر إلى القاهرة وطاردته السلطات جعله كسيحا أو وهما لم يره أحد .

ــ حول اسماعيل كاشف أبو مناخير الذي كان من العسكر إلى تاجر فراخ اسمه اسماعيل الفرارجي .

إلى هنا والأمر في حدود المتعارف عليه في ظل التدهور الذي يرفل فيه العرب . ولكن ما لا يمكن السكوت عليه ، فهو تحويل هذا البطل الشعبي إلى متعصب يدعو لذبح المسيحيين وتحويل واقعة المقاومة الشعبية إلى فتنة طائفية فقد زعم أو نسب للشيخ ومريده أنه وقف في يوم المولد النبوى ودعا إلى قتل المسيحيين مقابل قصر في الجنة واستمر يخلط كلام الجبرتي ويجمع من شتى الروايات ما يفيد أن مذبحة وقعت في المسيحيين وحرقت كنيسة واحترق خمسة من القسس داخلها ، ونهبت مساكن ومتاجر النصاري . ولم يهتم الباشا بشكواهم واستمرت أعمال النهب والقتل حتى يوم ١٦ ربيع الأول .. إلخ .

وهذه قصة مفتراة من ألفها إلى يائها .. ولكن لماذا ..؟ .

الجواب من القصة الثانية التي أوردها المؤلف أقصد الكاتب السفير عن ابنه الذي يتسلى في الحارة بضرب الأطفال الاقباط في إمبابة عام ١٩٩١ .. ويمكننا أن نعرف مدى صدقه في حكاية الحاضر من جرأته في تغيير التاريخ .. وإنما الهدف الذي يقصد إليه ومن نهج نهجه ، هو تأكيد أن الفتنة ليست حادثا عارضا في مجتمعنا ولا هي من صنع يد ثالثة تريد إزالة مصر من طريق الامبراطورية الاسرائيلية . يريد هؤلاء الكتاب أن يقولوا إن الفتنة ظاهرة ازلية وما حدث في امبابة ــ بتفسيرهم ــ الأسبوع الماضي حدث بالتمام والكمال في إمبابة من ١٩٠ سنة ولو اقتضي الأمر تعديل التاريخ وتشويه سمعة الشيخ سليمان البنهاوي والعسكري الذي خان طبقته وانضم للمصريين بل تشويه تاريخ مصر كله الذي لم يعرف فتنة طائفية واحدة قبيل الاحتلال الأوربي .. بهذا يرسخ في عقل وضمير الجماهير أن الفتنة محتومة طالما ظل هناك شيوخ وإسلام .. ولا أظن أن ابنه

خالد أو ابن الجيران بطرس سيستفيد من معرفة كتابات لويس عوض بقدر ما يفسد تفكيره معرفته أن المسلمين يذبحون الاقباط منذ كان المسلمون والاقباط !

فهل هكذا تعالج الفتنة أم تتجذر ؟! .

وكلمة أخيرة للذين يعلقون على هذه الأحداث .. إن كان الثابت والدائم والواقع هو أن المسلمين هم الطرف المستفز المعتدي المدان دائما فهذه ليست فتنة بل اضطهاد عنصري ديني ، لا أحد يسمي اضطهاد اليهود من النازية فتنة .. سموا الأشياء بأسمائها إذن حرصا على دقة التعبير وسلامته أما سلامة الوطن فالعوض بسلامتكم ا هـ .

كان المفروض أن يتوارى خجلا وقد ضبط بالجرم المشهود ، جرم تزوير التاريخ لادعاء مذابح مزعومة للاقباط .. ولكنه انفعل واضطرب ودبج ردا طويلا نشر له بالكامل ينقسم إلى ثلاث جزئيات .

واقعة التزوير اعترف بها ولكنه اعتذر باننى أجهل ما هية الأدب قال : « لو كان في نيتي عند كتابتي المقال امبابة لوحتان أن انقل عن الجبرتي (كما نقلت لتوي عن المقريزي) لاسميته ووضعت النقول عنه بين أقواس .. غير أننى لا أوردت اسمه ولا حاولت كما يدعى الأستاذ كشك أن اوحى للقارىء بأن القصة منقولة عنه . ولو أن القصة منقولة عنه لما نشرتها تحت اسمى ولما نسبت إلى نفسي فضل تأليفها (نقطة نظام أضيفها هنا يريد أن يوحى للقارىء غير المتتبع أنه نشرها تحت عبارة تأليف حسين أحمد أمين .. وهو لم يفعل ج) ما قصدت إليه هو ما يقصد إليه كل كاتب رواية وقصة تاريخية وهو أن يقدم للقارىء لوحة من عصر معين يستلهم بعض أحداثها من مؤرخي ذلك العصر ويحاكى أحيانا أساليب هؤلاء المؤرخين ولغتهم ثم يضفي من فنه ورؤيته الخاصة ما يجعل من القصة مرآة اصدق دلالة من مجرد سرد الأحداث دون رؤية ودون نظام وترتيب ودون ابراز للبواعث (هل الفن والرؤية الخاصة تعني تأليف الأحداث وحرق كنيسة لم تحرق وحرق خمسة قساوسة !) وقد سبق الناقد الكبير د . س . ميرسكي في معرض ثنائه على رواية دستوفسكى ــ الشياطين ــ أن قال: « أن تلك الرواية وان لم تكن صورة واقعية دقيقة للارهابيين الروس في القرن التاسع عشر فهى أدق وأصدق صورة في الأدب العالمي للارهاب في أي عصر أو قطر » ا .هـ الأهالي ٢/ ١٠/ ١٩٩١ .

النقطة الثانية هي قوله حرفيا : « وقد أصاب الأستاذ حين كتب يقول أن الهدف من مقالي عن حوادث امبابة هو تأكيد أن الفتنة الطائفية ليست حادثا عارضا في مجتمعنا ولا هي من صنع يد ثالثة تريد إزالة مصر عن طريق الامبراطورية الاسرائيلية . » ولاثبات ذلك فقد نقل من المقريزي

فتنة أخطأ تفسيرها وأساء ضرب المثل ولكن كما قال هو لا يؤرخ ولكن يتجمل أو يتقبح .

النقطة الثالثة أنه اتهمني برفض التعليق عن حوادث امبابة لأنها أمر تافه انتهى ومضى . .

ولما كان دفاعه هذا قد أثبت التهمة عليه فهو يزور فتنة لكي يثبت أن تاريخنا ملوث وهو يحاكي أسلوب الجبرتي ويلفق للمسلمين تهمة ذبح المسيحيين .. ويزعم أن هذا من حقه كأديب وفنان ! فقد كتبت ردا على الفور وبعثت به إلى الأهالي بالفاكس ولكن الأستاذ فيليب جلاب رفض نشره ولم يكن ذلك مفاجأة لي ولو كان الكاتب الأديب دستوفسكى الفتنة يؤمن بما أؤمن به عن حرية الحوار لا متنع عن الكتابة في الجريدة إلى أن ينشر ردي ولكني كما يذكر القاريء قلت في أول كلمتي الأولى حرفيا : « وإذا كنا نعتقد بوجود مخطط لاثارة الفتنة في مصر فإن أول مقوماته هو منع الحوار العاقل والبحث النزيه الموضوعي . » .

فإنا أعرف أن من مقومات الفتنة منعنا من الكلام منعنا من الكتابة في الصحف الامتناع عن التعليق على كتبنا ، وان كنا لا نزال على قيد الحياة لم تتم تصفيتنا بعد ، فلكي لا يلفتوا الانتباه لما كتبنا .. وهذا هو الرد الذي بعثت به للأهالي بعد حذف ألفاظ المجاملة التي أردت بها أن أبطل حجة الأهالي في الامتناع عن النشر مع بعض الاضافات :

.. وعن تزوير التاريخ تحدثت أنا .. فأوجعت !

في عام ١٨٠٧ وقبل نزول الانجليز في الاسكندرية أرسل قنصلهم هنري سولت إلى باسليوس الأخميمي كبير القبط بالثغر . فذهب إليه واجتمعا حصة من الوقت ثم انتقل الاثنان في قارب صغير إلى المدمرة البريطانية التي كانت بعرض البحر . ليلتقيا مع الميجور جنرال شريروك والكابتن فيلوز . وهناك اتفق مع باسيلوس على أن يدبر فتنة في المدينة نصرة للإنجليز ووافقهم لما كان يحمله من غل للمسلمين ولسابق تعاونه مع الفرنساوية عندما استحلوا بر مصر ، وقد أمد القنصل باسيلوس بالسلاح والمال فوزعه على رعاع القبط الذين توزعوا في المدينة ومعهم الاس . وما أن بدأ الأسطول في ضرب الاسكندرية حتى انطلقوا يهاجمون المسلمين يقودهم باسيلوس الذي اعلن الغفران لكل مسيحي يقتل مسلما أو يقتله مسلم وقد احرقوا مسجد العطارين وكان قد لجأ إليه النساء والأطفال من المسلمين ومات في الحادث خمسة شيوخ كما حاولوا إحراق مسجد سيدي أبو العباس ولم يتمكنوا إلا من قتل إمام المسجد وزوجته وطفل رضيع قطعوا أوصاله وشرب بعضهم دمه . . .

ما رأيكم إذا نشر كاتب اسلامي هذه الحادثة أو الحدوتة في تعليقه على احداث إمبابة ليثبت

أن المسيحيين « كانوا دائما يخونون مصر كلما تهددها أو اجتاحها غزو أجنبي » (كما نسب الأستاذ حسين للشيخ الغزالي) وما رأيكم لو تصدى لهذا الكاتب بعض الذين يعلمون ولا يسهل التغرير بهم تصدوا للكاتب وقالوا له : هذه حادثة ملفقة لم تقع وما كان لها أن تقع أنت مزيف للتاريخ تضلل العامة والدهماء من المثقفين ! فإذا بكاتبها يعترف بتزويرها ويعتذر بأنه أديب وأن من حقه أن يؤلف الروايات في سب الاقباط كما فعل دستوفسكي ..!! بربكم ان حدث هذا في بلد متحضر فهل يدهش أحد ان بقي حذاء واحد في قدم مثقف ؟! .

هذا هو بالضبط ما حدث مع الأستاذ حسين امين الذي اعترف أنه يؤمن بأن الفتنة ظاهرة دائمة في مصر ومن كتاباته يتبين أنه يعتقد بمسؤلية المسلمين الدائمة عن الفتن، ولكي يثبت دعواه لفق رواية اوحى للقراء أنها من التاريخ ومن الجبرتي بالذات عن فتنة دعا إليها شيخ في إمبابة وذبح المسيحيين قبل مائة سنة فلما كشفنا تزييف الحادثة وانها لم تقع اعتذر بانه لم يكن يؤرخ وانما تحول الى اديب يؤلف ثم راح يعلمنا الفرق بين التاريخ والأدب.

انه أمر مثير للقرف ... اذا كان تاريخنا به كل هذه الفتن كما تدعي فما حاجتك للاختراع ؟ بأى حق تزور على شعب امبابة حادثة محددة التاريخ ، بأى حق تشوه ذكرى رجل دين تصدى للسلطة الغاشمة ولم يأكل عيشه بالعمل عندها .. كيف تؤلف حرق خمسة قساوسة ؟ وما هي العبرة هنا ان كانت الحكاية كلها من نسج الخيال ما المغزى ان كان الشيخ لم يناد بذبح النصارى والمذبحة لم تقع ؟ هل نثبت الواقع بالخيال يا سى دوستوفسكك (كذا) ام نبني الخيال والفن على الواقع .. وتقول هذا ادب فماذا عن قلته ! صحيح اللي ما يعرفشى يقول أدب !

على أية حال الشكر واجب للاستاذ فليب جلاب ان سمح لاول مرة بحوار صريح ولعل ذلك يدوم! (لم يدم للاسف ، بل نكصوا على اعقابهم). وليعذرنا ان رفضنا شفاعته هذه المرة فليس فى الحدود شفاعة وان كانت من اسامة بن زيد ، وتزوير التاريخ وتأصيل الفتنة من الجرائم التى توجب التعذير . ولقد استمتعت بقراءة رد الاستاذ حسين امين على كلمتى التى كشفت فيها تزويره للتاريخ لاثبات هدفه وهو اقناع العامة بأن الفتنة ظاهرة مصرية اصيلة دائمة منذ اجتمع المسلمون والمسيحيون في هذا البلد ، وانها ليست من صنع الاستعمار ولا الصهيونية . استمتعت بانفعاله وسبابه فهكذا يفعل من فقد الحجة وضبط بالجرم المشهود ، من يبرىء الاستعمار والصهيونية ويعيد تأليف التاريخ ليدين شعبه وتاريخه ودينه وأيضا من كظم الغيظ دهرا عن عجز ، وذلك لأننى ألقمته بل رجمته بأكثر من حجر فى كتاباتي منذ أن لفت انتباهي بواقعة ذكرها هو عندما ذهب الى الولايات المتحدة ورأى المسؤلون هناك أن يستخدموه في تدجين الشباب ونهيهم عن التطرف ، فنظموا له لقاء معهم وجاء الشباب لسماع السفير فلما حان وقت الصلاة

وأرادوا أداء الفريضة قال لهم بالحرف كما نشر هو أن الاستماع اليه أهم من أداء الفرض ... تتبعته من يومها ورددت كيده ما وسعني وما سمحت ظروف النشر وهو يعرف ويستمتع بالاوضاع التى تفتح جميع وسائل الاعلام لكل من يهاجم الاسلام وتضيق الخناق حتى على الذين يتعففون عن التطاول على الاسلام ... وقد نالت منه كتاباتي ، فلما ضبطته هذه المرة بجرم تزوير التاريخ انفعل وانفجر ...

ولست ادرى لماذا يستنكر ان يقول الشيخ الغزالى لابنه خالد ان الاقباط كانوا دائما يتربصون بالمسلمين معاونة الاجنبي والتعاون معه ويعتبر ذلك من عوامل الفتنة ولا يرى ذلك فى قوله هو لبطرس أن المسلمين كانوا دائما ابدا اذا ما خلت البلاد من الاجنبى يذبحون القبطى ؟! ما الفرق ... الا الفجور في الحديث والتاريخ والادب !

وكعادته بدأ رده بتزوير كلامى ، وهو الذي زور التاريخ وافترى على الجبرتي وعلى تاريخ مصر وشيوخ مصر وعامة مصر ؛ أتراه يتورع عن تزوير كلامى ... زعم اننى رفضت التعليق على أحداث امبابة لأن « هذه الامور عنده (اللى هو أنا!) احداث قد انقضت وصارت نسيا منسيا الى حين نشوبها من جديد » .

صحيح أن أمثاله ممن أخلت لهم قوى الفتنة وسائل الاعلام فهم يتحدثون وحدهم ، ويحاورون بعضهم بعضا ، هؤلاء اعتادوا الجرأة على الحق ولكن لم اتصور أن يزور كلاما منشورا في العدد السابق ! فما قلته هو « لست أريد أن أعلق على أحداث امبابة ولا على اسبابها والمسئول عنها فهذه امور انتهى وقتها واذا كنا نعتقد بوجود مخطط لإثارة الفتنة في مصر فإن اول مقوماته هو منع الحوار العاقل والبحث النزيه الموضوعي ، والقاعدة الآن في التعليق على كل حادث هو ما استنه كاتب صباح الخير اذ قال : « واعتقد ان تجارب الماضى لا بد ان تكون قد اثبتت ان الشبان المسلمين هم الذين سيتحملون المسئولية الاولى فى أى نوع من تلك الفتن الطائفية حتى ولو لم يكونوا هم البادئون بالاستفزاز وحتى العدوان » وقلت « وفي ظل هذا المرسوم لا يجدي الحوار ولا تفيد الادلة ». حرفيا وختمت كلمتى بقولى إن كان ما يحدث في مصر هو اعتداء من جانب واحد فهى ليست فتنة ، فلا أحد يسمى مذابح اليهود في المانيا النازية فتنة ... أما سلامة الوطن فالعوض بسلامتكم ».

كيف يفهم حامل ابتدائية نظام قديم هذا الكلام الصريح في رفض التعليق لأن الحوار لا طائل من وراءه طالما اصبحت القاعدة هى ان المسلم هو المجرم الأثيم حتى ولو كان الاعتداء من المسيحي حتى ولو كانت الاسلحة النارية يحملها المسيحيون حتى لو كان الاعتداء على

مسجد ... المسلم هو الآثم والجاني لمجرد انه مسلم ويتلو كتاب الله الذى يتعرض لعقائد المسيحيين ... الخ ما فائدة الحوار مع مثل هؤلاء ؟ ... ما فائدة التعليق ؟

هذا ما قلته فإذا به يجعلني غير مهتم باحداث امبابة ولا بالفتنة ! هل من يعلق على أحداث امبابة بأن سلامة الوطن « عليها العوض » يعني أنه يقلل من شأنها ويدعو لنسيانها .. ؟! هل عرفت الآن لماذا يحاربون الحجاب ؟! لأنهم لا يحبون برقع الحياء ! (وإذا عدنا لحادث امبابة نجد أنه لم يصدر بيان رسمي واحد يحمل المسلمين مسئولية بدء الحادث ، ولكن كل التعليقات انبرت تحملها للمسلمين ، رغم أن التحقيقات الأولية أكدت أن الطرف الذي ثبت امتلاكه أسلحة نارية واستعملها هو الطرف غير المسلم .. ومع ذلك أنظر كيف يكتب « عبد الستار الطويلة » فهو يريد أن يثبت التهمة على المسلمين ولكنه يعرف أن الحقيقة مختلفة بعض الشيء فيتعثر ويتلعبك أو لعل الرقيب في صباح الخير (التي يرأس تحريرها مفيد فوزي المعجب علنا بشجاعة فرج فوده المتهجم بفجور على الاسلام والمسلمين) يحرف كلامه فجاء على هذا النحو : « ماذا استفادت الدعوة الدينية الاسلامية مما حدث أخيرا في امبابة .. » إلى هنا واضح أنه حدد الفاعل وادانه ويعاتبه على إنعدام الربح .. وهم أنصار الدعوة الاسلامية .. ولكن بعد أربعة سطور يعود فيقول : « لم يستفد أحد مما حدث سواء أكان مسلما أو مسيحيا فلم تتعزز الدعوة الاسلامية ولم تتعزز الدعوة المسيحية ، ولا خرج هؤلاء أو أولئك عن معتقداتهم وإنما خسر الجميع .. » .

الربح إذن كان مستهدفا من الطرفين ، ولا يمكن كما قلنا أن تعاتب اليهود على مذابح النازي وتقول لهم ماذا كسبتم ؟! .

على أية حال لا يمكن أن نصل إلى حل إذا افترضنا أنه في امبابة كما في كل فتنة هناك خط واضح يفصل بين الجاني والضحية .. وفي تفسير هؤلاء أن الجاني هو دائما المسلم .. والضحية هو المسيحي ، حتى لو كان هؤلاء يحملون الأسلحة النارية من أحدث طراز والآخرون الجنازير .. وبالطبع فإن المتعصبين المسلمين يطرحون القضية بمنطق مضاد تماما !

وقد نظر « الطويلة » هذا المنطق العجيب فأفتى إن المدان دائما هم المسلمون حتى لو جاء العدوان من المسيحيين ! قال :

« وأعتقد أن تجارب الماضي لابد وأن تكون قد أثبتت أن الشبان المسلمين هم الذين سيتحملون المسئولية الأولى في أي نوع من تلك الفتن الطائفية حتى ولو لم يكونوا هم البادئون بالاستفزاز وحتى العدوان . ذلك أن المسلمين هم الأغلبية والأقلية هم إخواننا الاقباط والعرف

والتاريخ يقولان أن الأكثر إحتمالا أن تفرز الأقلية عناصر متطرفة . والمفروض أن الأغلبية تحتوي أي تطرف وتحول دون أي صدام فما بالك وكل أحداث الفتن الطائفية السابقة كشفت عن أنه كلما (أظن أنها قلما) بادر أي أخ قبطي بالاستفزاز والعدوان .. حوادث قليلة جدا .. لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة .. بينما جماعات التطرف الاسلامية تعيث في الأرض فسادا وتريد أن تحكم البلاد بالحديد والنار والجهالة ليس تعصبا منها ضد الاقباط بقدر ما هو تعصب ضد المجتمع المصري كله .. إننا نريد من الدولة ألا تتهاون في الضرب بيد من حديد .. » الخ (صباح الخير ٣/ ١٠/ ٩١) .

أظن أنه لا مجال لمناقشته ، ومع ذلك سنقبل منطقه ونشاركه في مناشدة السلطة في الضرب بيد من فولاذ لو ذكر واقعة واحدة على طول تاريخ مصر مع الفتنة .. حادثة واحدة اتهم فيها المسيحيين هو أو حسين أمين أو صلاح حافظ أو فرج العشماوي .. حادثة واحدة تثبت أنهم محايدون .. واحدة فإذا لم يجدوا ولن يجدوا .. فـ اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ..) .

أما عن اهتمامي بالفتنة فهو سابق على تعلم الأستاذ حسين القراءة ، وهي شغل حياتي فأول كتاب لي كان عن الفتنة وصدر منذ ٤١ سنة وأحدث كتبي — أطال الله في عمري — في طريقه للمطبعة وعنوانه « ألا في الفتنة سقطوا .. » .

هذا ما أؤمن به وما قلته في كل مناسبة . وقد أدعى أنني تحديته أن يذكر حادثة واحدة تشاجر فيها المسلمون والمسيحيون قبل الاحتلال واندفع يهلل شأن من ضبط في الأتوبيس . أو لاعب الثلاث ورقات المبتديء .. وما نقوله هو أن الفتنة الطائفية لم تعرفها مصر الا بعد الاحتلال الأجنبي أما إن تفتعل السلطة حادثة عارضة ، أو حتى أن تقع خناقة بين بعض فئات الأمة فهي ليست الفتنة ولكن ذلك حديث طويل انى لمثله أن يستوعبه .

وإذا كان الأستاذ حسين قد عدد بعض ما زعم أنه كتبي عن السعودية فلا يضيرني أن أتهم بحب السعودية فهي بلد عربي إسلامي ليس بينه وبين مصر من عداء ولا كيد .. أما هو وقد حرص على تبرئة الاستعمار والصهيونية من الكيد لمصر بالفتنة فهو مؤلف : « تقرير إلى المشيخة البروتستانتية الأمريكية لزيادة حزن المسلم » « تقرير إلى .. حول خطر جبهة الانقاذ في الجزائر » « تقرير إلى الداخلية حول نشاط المصريين المتطرفين في الولايات المتحدة » .

هل تريد المزيد .. استمر في تأليف الكتب باسمي فأجازيك بمثلها ومنك نتعلم هذا اللون من الأدب ما دام شرف الكلمة أصبح مثل الولاعة !

ولأن المساحة محدودة ــ على الأقل لأمثالي ــ فلنلخص الخلاف :

نحن نعتقد ونؤمن ونبشر أن القاعدة هي وفاق وتلاحم وتعايش وتوادد المصريين من المسلمين والاقباط .. وإن ذلك ينبع من حقيقتين : كون الاسلام هو أول دين أول أيديولوجية أول نظام يقبل التعددية ولا يربط المواطنة بالدين الرسمي ، والثانية هي وطنية واستقلالية كنيستنا المصرية .. هذه هي القاعدة التي سادت ١٤ قرنا وإن الشاذ والدخيل هو الفتن والخلاف وإن هذه الفتن في حالة مصر بالذات ، كانت دائما بفعل الأجنبي المتربص المهاجم لمصر الذي يريد شق وحدة شعبها ليتمكن منها .

والأستاذ مؤلف أو مؤدب التاريخ ومن نهج نهجه يروجون أنه لا دخل للاستعمار والصهيونية في الأمر وإن الخلاف والفتن هي القاعدة والأصل في علاقات المسلمين والأقباط منذ الفتح العربي وأن الداء يكمن في المسلمين ، بعضهم يقول إذا خلوا لشياطينهم الداء في الإسلام (كما حدث مع أستاذ بجامعة شيكاغو أراد أن يخفف تعصب تلاميذه ضد الإسلام فنظم لهم رحلة لبلد الأزهر واجتمع مع مسئول كبير فإذا بهذا المسئول المصري ينهال هجوما على الاسلام ويقول ان سبب تخلف مصر هو الاسلام !) ولكن غالبيتهم تنافق الجماهير فتقول إن الاسلام لا بأس به ولكن المسلمين لم يطبقوه أبدا وهو غير قابل للتطبيق . وإنطلاقا من تحليلهم هذا فلا حل إلا التخلي عن الاسلام . وهم أن أعوزهم اثبات ذلك من واقع التاريخ أعادوا تأليفه وترصيعه بمذابح المسلمين للأقباط سعيا للوحدة الوطنية وهم في ذلك على مذهب الإمام دستوفسكي وراويته الإمام ميرسكي تشرب ويسكي !

ونحن نقول إنه رغم حقيقة التلاحم القبطي ــ الإسلامي عبر القرون وهو ما سجلته كتابات الدكتور وليم سليمان والمستشار طارق البشري . بل وما شهد به المرحوم فؤاد مرسي سكرتير الحزب الشيوعي عندما قال : « '' وطوال ١٣٤٥ عاما هي عمر الإسلام في مصر حتى الآن لم يعرف المصريون ما يسمى بالفتنة الطائفية إلا منذ نهاية القرن الماضي ، وبالدقة في ظل الإحتلال البريطاني لمصر من عام ١٨٨٢ وحتى الآن . '' وأظن أنه لا يجادل أن فؤاد مرسي أعلم بتاريخ مصر منه وأصدق يسارية منه . وأن د/ وليم قلادة أشرف وأصدق قبطية من أن يطعن في شهادته ، وهو أي الأستاذ حسين لا يرقى إلى مركز التلميذ للمستشار البشري . كل المصادر الشريفة تتفق معنا في هذا التحليل ، ونحن نقول أنه رغم هذه الحقيقة فإن القوى المتربصة بمصر وفي مقدمتها

الامبراطورية الاسرائيلية التي تعتبر وحدة الشعب المصري الفيتو الأول ضدها . هذه القوى نجحت في تعميق الفتنة إلى الحد الذي لم يعد يجدي معه أي علاج تقليدي ، ولن أطيل وإنما أقول في عجالة أن نقطة البدء في أي حوار هي أن يكون لدينا الشجاعة والحق في نقد موقف أدوات الفتنة من المسيحيين ، تماما كما يفعلون بل ويسرفون في نقد موقف المسلمين ، فإذا أبيح هذا الحق فنحن على استعداد للقول بكل صراحة حتى ولو كان مصيرنا الموت بعد المقالة الخامسة كما لا يكف البعض عن تذكيرنا بمصير الذي جرؤ على أن يتكلم .. (الحمد لله من تاني مقالة منعونا من الكلام) فعندما يكون الوطن في خطر وتاريخ ألف وأربعمائة سنة من تعايش لا مثيل له في أي بلد في العالم عرضة للتزييف والتشويه ، تهون حياة الأفراد .. (وعندنا البرنامج الكامل لمواجهة الفتنة وجاهز للنشر ان سمح بذلك اعلام موجه كله لتأجيج الفتنة . أما إن كان نقد المسيحيين من المحظورات ، أما إن كان يباح مسح البلاط بأي شيخ ولا يجرؤ كاتب على همسة ضد رجل دين مسيحي ـــ أما إن كان يباح سب الدين للمسلمة إن تحجبت ونحني إحتراما للمسيحية إن ترهبت وتحجبت ، أما إن اقتصر تحرير المرأة على المشاكل الجنسية للمسلمة ولا أحد يهتم بحرمان المسيحية من ممارسة الجنس طوال حياتها إن ترهبت أو تعرضت للانفصال الجسدي ، أما إن كان السلاح الناري الآلي يضبط مع غير المسلمين فنطالب بشنق المسلمين .. أما إن كانت الكنيسة تنضم علنا لتنظيم إتهمه الكتاب الأقباط بالصهيونية والعداء لمصر والإسلام فلا يحتج أحد ويقول هيكل أن أحد الرهبان مات وترك للكنيسة ١١ مليون جنيه استرليني كانت في حسابه بالخارج فلا يعلق أحد بينما تنهال الاتهامات الكاذبة حول علاقات خارجية لكل من قال لا إله إلا الله .. إن كان هذا هو الحال فلا كلام ولا حوار .. وأقبلي يا فتن كقطع الليل وأحكمي يا إسرائيل وسودي . »)(*)

ويبدو أن انعقاد مؤتمر مدريد وما يخيل لهم أنه الربع الساعة الأخير في عصر العرب والإسلام قد أسقط التحفظ فها هو صنوه يبشر العرب بقيام شرق أوسط متعاون تحت زعامة إسرائيل . أما السفير فيدعو اليهود لإعتناق المسيحية لأن '' الموقف المسيحي هو الموقف السليم الوحيد اليوم '' (أليس قائل هذا مرتداً يفتقد حتى لشجاعة المرتدين ؟) ويبرر ذلك على لسان باسترناك أن المسيحية هي التي قضت على القومية '' لقد اضطرهم مفهومهم القومي ، قرنا بعد قرن إلى أن يكونوا أمة ولا شيء غير أمة والعجيب في الأمر هو أن هذه المهمة القاتلة قد كبلت أيديهم وأقدامهم على مر العصور في حين تخلصت بقية العالم منها بفضل قوة جديدة (هي المسيحية)

(*) هذا الجزء مضاف إلى ما نشر

نبعت من بين ظهرانيهم هم وعبرت عن نفسها بلغتهم هم أليس هذا غريبا ؟! لقد رأوها بأعينهم وسمعوها بآذانهم ثم أداروا ظهرهم لها كيف ؟ كيف سمحوا لأنفسهم بأن يرفضوا كل هذا الجمال والروعة والقوة في المسيحية وأن ينحوها جانبا وأن يختاروا لأنفسهم بعد انتصار المسيحية أن يعيشوا على مدى القرون الطويلة مقهورين .. كفى هذا لنتوقف الآن .. لا تتمسكوا بهويتكم إلى الأبد .. لا تتجمعوا في كتلة واحدة .. تفرقوا كونوا مع بقية البشر إنكم أول المسيحيين في التاريخ وخيرهم وقد كان أسوأ رجالكم وأضعفهم هم المسئولون عن رفضكم لتلك العقيدة التي هي في جوهركم . ‘‘ وعبر الأستاذ حسين أحمد أمين عن موافقته بأن دعا الاسرائيليين إلى إستعادة هذه الكلمات في مدريد . (الأهالي ٣٠ أكتوبر ١٩٩١) .

وبما أن ملء الأرض ذهبا وكرسيا (وليس فقط محاضرة) في هارفارد لن تقنعنا بأن المسيحية هي « الموقف السليم الوحيد اليوم » فليس أمام المؤمنين بذلك إلا استخدام التعذيب والكي بالنار لإدخالنا في ملكوت الله . ونحن لا نعارض تنصرهم ولا تبشيرهم فقط إذا خلع عمامة أحمد أمين ولقب حسين وتنصر مثلما فعل إياد سعيد .. ليس من حقه أن يهاجم الاسلام بوصفه مسلما إن هذا يعتبر تسللا ويعاقب عليه بالإعدام في ميثاق جنيف لآداب الحروب .

هل المسيحية وحدها هي الدين العالمي الذي يبشر بين الناس كافة ؟! إن الإسلام يتجاوز الجنس البشري ليبشر بين الجن !! ولكن تعمي القلوب التي هي في الجيوب ! هل محت المسيحية القوميات والأمم أو حتى **خففت** ما بينها من عداوات واحن وحروب .. ؟ هل لو اعتنقت إسرائيل المسيحية تختفي المشكلة .. وهل تاريخ أوربا إلا حروب أممها المسيحية وتذابحها !

« **الموقف المسيحي هو الموقف السليم الوحيد اليوم** » هذا كلام يكتب في صحف مصر وبتوقيع مسلم لكي يستعين به المبشرون في التغرير بفتياننا وبناتنا .. يقولون لهم وشهد شاهد من أهلك ، والله يشهد أنه عمل غير صالح ! .

وشكراً للشعب إن نشرت .. وإلا فموعدنا كتاب الفتنة بإذن الله !

وقد قمت بإرساله مختصرا إلى جريدة الشعب مع الكلمة التالية :

السيد رئيس تحرير الشعب :

تحية طيبة :

ردا على ما نشره الأستاذ حسين أحمد أمين في جريدة الأهالي ضدي وحول الفتنة وواقعة تزويره للتاريخ ، أرسلت هذا الرد إلى جريدة الأهالي إستجابة لدعواها حرية الحوار ، ولكن ديموقراطيتهم ضاقت عن نشره كما جاء في اعتذارهم المنشور بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٩١ وقد رأيت

إبراء للذمة أن أجرب ديموقراطيتكم مع تعديل بسيط اقتضاه التصريح الخطير الصادر عن من يشغل منصبا رسميا في وزارة الخارجية المصرية . وكذلك اختصار بعض الفقرات المتعلقة بشخصي أنا وشكراً .

وفي الحقيقة لم أكن أتوقع ولا واحد في المائة أن تنشره الشعب بعد حملتي الشديدة عليهم في كتابي « الجنازة حارة » ولكني فوجئت بنشره مع هذه الكلمة : « لم يكد الحوار حول الفتنة الطائفية يبدأ بين الكاتب الكبير جلال كشك والسفير حسين أحمد أمين على صفحات جريدة الأهالي حتى توقف .. وقد أرسل الأستاذ كشك هذا المقال للأهالي إستجابة لدعواها في حرية الحوار فاعتذرت الجريدة عن نشره وقد رأى الكاتب أن يرسل به إلى الشعب إبراء للذمة ، ويسر الشعب أن تنشر المقال كما جاء من صاحبه . »

وقد كان ومرة أُخرى يثبت الأستاذ عادل حسين أنه أستاذ جيله .. .

أظن أنني قد أطلت ولكن عذري أنها أول مرة يضبط سفير وموظف في الحكومة المصرية ومفروض فيه أنه يقدم صورتها للعالم يضبط مزورا مؤلفا للتاريخ بما يثبت أن المسلمين يذبحون الأقباط دائما وأبدا !! .

(٣٧ و ٣٨) مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

« تاريخ الدول الدينية حافل بالتعصب الديني واضطهاد المخالفين في العقيدة .. المسلمون ومواقفهم من غير المسلمين في كثير من العقود لا تنفي هذه الحقيقة . » الطائفية .. إلى أين !؟ فرج فودة ص١٦ .

(٣٩) ص٣٠ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

(٤٠) د. عواطف عبد الرحمن ص ٩٤ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

(٤١) ص ٩٨ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

والحقيقة أن المصور تستحق أكثر من جائزة فهي تشن حملة شعواء على المسلمين حتى في فرنسا ولا أظن أن مجلة فرنسية مهما بلغ من تعصبها اتخذت هذا الموقف الذي عبر عنه مقال كتبته واحدة غير مسلمة ونشر في المصور ضد تحجب الفتيات المسلمات في فرنسا ! وقد نسيت الكاتبة نفسها وظنت أنها تكتب للإبرشية في روما فحذرت من انتصار الإسلام في فرنسا كما حدث في إيران ؟ بربكم أهناك مصري مهما يكن دينه يخشى انتصار الإسلام في فرنسا ؟! ألا

يسعد كل مسلم مصري أن تتحول فرنسا من الكاثوليكية إلى القبطية الأرثوذكسية ؟!

وإليكم مقال المصور

زوبعة الحجاب في فرنسا إلى أين ؟

« فجأة احتل « الحجاب » صدارة الأحداث في فرنسا وأصبح قضية القضايا ومشكلة المشاكل **التي تهدد بتقويض أركان المجتمع إذ هي تهدد دعامة هذا المجتمع وركيزته الأساسية ونعني بها مبدأ العلمانية الذي يفصل بين الدين والدولة .**

وإثارة بقية أفراد المجتمع الفرنسي ضد هؤلاء الذين يسعون إلى زلزلة ما يعتبره الفرنسيون أثمن إنجازاتهم وهو فصل الدين عن الدولة وإلغاء المظاهر الدينية في دور العلم والتحصيل المفتوحة للجميع دونما تحيز بسبب العقيدة الدينية أو المعتقدات السياسية . (هل فصل الدين عن الدولة يعني تدخل الدولة لمنع الناس من ممارسة دينهم ؟! لماذا لا يمنع الطالب اليهودي من لبس الطاقية المشهورة في دينهدأو المسيحية من تعليق صليب في صدرها ؟!) .

فالكل سواسية أمام القانون الجمهوري ، أما الدين فالله وحده وهو سلوك يمارسه المخلوق تجاه خالقه لا يحكم عليه سوى الله عز وجل . (يعني لازم يمارسه سرا .. من يقول إن تغطية فتاة لشعرها تهدد بتقويض المجتمع الفرنسي ، أو حتى تتعارض مع علمانية الدولة ، وفصل الدين عن الدولة .. كيف يمكن أن ينشر مقال بهذا السوء والفجور والتهافت في مجلة مثل '' المصور '' إلا لأن الغرض مرض ج) .

تتابع الكاتبة غير المسلمة :

هل نفرط في هذا المكسب بسهولة إرضاء لحفنة صغيرة من المتطرفين الذين يتخذون من الحجاب مظهرا للإنتماء الديني — إذا صح هذا الافتراض .

ويقول أنصار اليمين واليمين المتطرف أن الحجاب تجسيد حي لقهر المرأة ومحاولة العودة بفرنسا إلى عصور الظلام ، وإلا فكيف يصدق عاقل ان طفلة في السابعة من العمر ترتدي الحجاب « بإرادتها » وبأي منطق يريد أهل مثل هذه الفتيات إقناع الآخرين بصحة هذا الادعاء ؟ (أرجو ألا يتصور أحد أن الحديث هنا عن التقنع ، إنه مجرد إيشارب على الرأس ! ج) .

لماذا هذه القضية ولماذا الآن بالذات ؟ لقد أعلنت دنيال ميتران قرينة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران أنها لا ترى مناسبا حرمان تلميذة من تحصيل العلم لمجرد أنها ترتدي زيا يؤكد هويتها

الدينية . (ولكن كاتبة المصور ، أكثر تعصبا وعداوة للهوية الدينية المسلمة من زوجة ميتران !) .

وأعلن وزير التعليم ليونيل جوسبان أنه يؤكد على مبدأ علمانية المدرسة ويرى إقناع التلميذات أو آبائهن بأن ارتداء الحجاب يتنافى مع هذا المبدأ ، لكنه يعلن في الوقت ذاته أن الاصرار على ارتداء الحجاب يجب ألا يكون حائلا دون التحصيل العلمي الذي هو حق للجميع .. .

وذهبت أصوات اشتراكية في هذا الاتجاه لكن الاجماع لم يتحقق داخل الحزب الاشتراكي نفسه حيث نبهت العديد من القيادات إلى خطورة الوقوع في « فخ التطرف » الذي يبدأ بطلب السماح بمنديل الرأس أو الحجاب (ها هي اعترفت أن الحكاية كلها منديل رأس ج) وقد ينتهي بالمطالبة بفصل الذكور عن الإناث في المدارس ومنع تدريس الموسيقى ومنع النشاط الرياضي مثل السباحة وغيرها ، وربما منع البنات من حضور بعض حصص العلوم الطبيعية والبيولوجية أو حتى منع المدرسين الرجال من تلقين العلم للتلميذات ، وباختصار الزحف تدريجيا **لإرساء أكثر المفاهيم إظلاما وتخلفا** ، وأن ينجح بضع مئات من المتطرفين في فرض « قانونهم » على بلد قوامه ٥٨ مليون نسمة ، وهنا تتعالى بعض أصوات اليمين التي تطالب هؤلاء المتطرفين بالعودة إلى بلادهم إذا كانت مشاعرهم « الإسلامية » تصطدم بتقاليد المجتمع الفرنسي ومبادئه ، هذا المجتمع اختاروا بأنفسهم العيش بين أرجائه وأيضا تطرح قضية أخرى على جانب كبير من الأهمية وهي قضية الاندماج أو الدمج التي دافع عنها بقوة مثقفو اليسار وعلى رأسهم الرئيس ميتران الذي لم يترك مناسبة إلَا وأدان فيها محاولة نبذ المسلمين وخاصة العرب منهم ، ومحاولة تهميشهم في المجتمع الفرنسي وحصرهم في « الجيتو » أي أحياء خاصة بهم تبعدهم عن بقية أفراد المجتمع وطالب الرئيس ميتران مرارا وتكرارا بتقبل الأجيال الجديدة من المهاجرين كمواطنين كاملي المواطنية يتمتعون بكل ما للمواطن من حقوق ويلتزمون بكل ما عليه من واجبات .. (لماذا لا تتقبل أقلياتنا وهي — منهم — ذلك؟!) .

ولابد من الاشارة هنا إلى أن ما نادى به الرئيس ميتران هو ما تطمح إليه الأغلبية الساحقة من المهاجرين وما تناضل من أجل تحقيقه ، وهو ما يفسر أن المظاهرة التي دعت إليها « الجمعية الاسلامية لفرنسا » احتجاجا على منع التلميذات من ارتداء الحجاب في المدرسة لم يشارك فيها ألف شخص كان معظمهم من النساء والأطفال . وقد تميزت هذه المظاهرة بمشاركة محمد مهاجر فيها . وهو اللبناني الشيعي الذي اعتقل في إطار التحقيق في سلسلة الانفجارات التي هزت باريس عام ٨٦ والذي ثبتت صلاته مع إيران الخميني . كما أن رئيس هذه الجمعية هو نفسه

فريد جبطاني الذي كان وراء المظاهرة العنيفة التي قامت في باريس تطالب بقتل سلمان رشدي ، وثبت في حينه إرتباطاته بإيران ودعمها المالي السخي له .. (باختصار كلهم ولاد كلب عملاء ج) .

لاسيما أن بعض المتصدين للدعوة الإسلامية في بعض المدن الفرنسية يعيشون في بحبوحة وينفقون بسخاء على مدعويهم في « مجالس الدعوة » (مرتشين تنفق عليهم التكايا ج) .

وهناك عامل آخر وهو أن بنات المسلمين الذين هاجروا إلى فرنسا قد اندمجن بسهولة بالغة في المجتمع . (يا فرحتك وما الذي منعك إنت من الاندماج في مجتمع المصريين المسلم ج !)

الموضوع لا يزال في بدايته والتفاعلات مستمرة ، كما هي مستمرة أيضاً تصفية الحسابات السياسية **واستخدام الاسلام ستارا لأطماع عديدة متنوعة ولأغراض مريبة .. فلمصلحة** من يحرض بضع مئات من المتطرفين مجتمعا بأسره ضد المسلمين الذين لم يروا في العيش داخل فرنسا ـــ حالهم حال بقية مواطنيها دون التنازل عن جوهر دينهم ـــ ما يسيء إلى إسلامهم في شيء بل العكس هو الصحيح .

ويعتبر الفرنسيون أيضا أن التي ترتدي الحجاب تحاول بذلك إشعار من لا ترتديه بالذنب .. هذا في مرحلة أولى .. أما المراحل الأخرى فهي معروفة للجميع . وكما قال وزير إيراني سابق « كل شيء بدا في إيران بمنديل رأس !! » .

نشر حرفيا في مدينة الألف مئذنة سابقا ومن أموال دافع الضرائب المسلم !

(٤٢) ص ٩٩ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

(٤٣) الطائفية .. إلى أين !؟ فرج فودة ص١٦ .

(٤٤) ص١٣ مشكلة الطائفية في مصر تقديم لطيفة الزيات . ١٩٨٨ .

* * *

* *

*

الفصل الخامس

وجهة النظر الأخرى*

(*) بالطبع كتابنا كله يناقش وجهة النظر الأخرى ولكن هذا الفصل مخصص للكتاب الذي صدر عن رأي البابا في الأحداث .

هذا كتاب كما قلنا زعم لنفسه أنه يعرض وجهة نظر البابا شنودة (**) وقد أشرنا إلى انحيازه في الفصل السابق ، ومن ثم فليس الهدف من عرضه تقديم حقائق وإنما التعرف على وجهة نظر البابا ومناقشتها .. ونرجح أو لعلنا نأمل ألا يكون العنوان (أسرار الصدام بين النظام والكنيسة ١٩٨٩ ..) بوحي أو بعلم من غبطة البابا ، إذ رغم كل الحقائق التي تؤكد العنوان ، إلا إننا نرجو الا تطرحه الكنيسة بهذه الصيغة .. أعني الصدام بين الكنيسة والنظام وليس بين البابا والسادات على أسوأ الفروض ! .

ويمكن معرفة دقة الكتاب وجديته من الاهداء :

« إلى أول زعيم يحكم مصر وهي كاملة السيادة في عصرها الحديث .. عصر ما قبل الثورة وعصر ما بعد الثورة . إلى الرجل الذي أعاد البسمة إلى كل الاقباط . » .

وهو يقصد بالطبع الرئيس حسني مبارك الذي صدر الكتاب في عهده .... وهكذا نجد أنه حتى عبد الناصر لم يحكم مصر وهي مكتملة السيادة ؟! .

وكذلك يمكن الحكم على مصداقيته من افترائه على السادات وزوجته بهذا الزعم : « والمعروف أن السيدة جيهان السادات كانت تعرف كل صغيرة وكبيرة

(**) السادات والبابا : أنور محمد ــ أسرار الصدام بين النظام والكنيسة ١٩٨٩ .

بل وتشارك في إتخاذ القرارات وتوجيه التوصيات عن طريق مكتبها إلى الوزراء وكبار المسئولين .. بل حاول السادات تعيينها نائبا لرئيس الجمهورية ولكن لم يظهر القرار (!!) [١] .

أما موضوعية الكتاب فهي منفية مقدما ، وابتداء من المقدمة التي أعلن المؤلف فيها كذب السادات مسبقا بل وكذب لجنة تقصى الحقائق رغم الاشتراك القبطي فيها .. واقرأ هذه المقدمة التي حفلت بالاحكام المسبقة :

« قصة البابا شنودة الثالث بابا الاقباط مع الرئيس السادات قصة فريدة .. مثيرة .. بدأت بالصداقة والتعاون بينهما .. وانتهت بالخلافات الشديدة إلى حد القطيعة ، ومحاصرة البابا في دير وادي النطرون . بقوات عسكرية لمنعه من مغادرته أو الاتصال بالاقباط ، وتعيين لجنة خماسية تقوم بمهام البابا بالمخالفة لقوانين الكنيسة . واحتد الخلاف عندما وقف السادات في مجلس الشعب على مدى ساعتين في ١٤ مايو ١٩٨٠ يوجه للبابا وللكنيسة اتهامات خطيرة **بلا اثبات أو دليل** .. ويطلب من المجلس تشكيل لجنة لتقصي الحقائق .. **وهل تنتظر من هذه اللجنة** بعد أن ملأ السادات الدنيا اتهامات للبابا والكنيسة **أن تقول أن ما قاله الرئيس خطأ** ؟!! ثم بدأ السادات يستخدم أجهزته الداخلية في توجيه تهم معينة للبابا والكنيسة القبطية **لم تكن لها قائمة** ، **وبلا دليل** ، استاء منها الجميع . وكان السادات يعتبر في كل مرة يشكو فيها البابا تعبا للأقباط ، أن هذا تدخل في سياسته الداخلية . ويعتبر هذه الشكوى تشويها لسمعته ، ولسمعة مصر .. لأنه كان يعتبر نفسه مصر ، من يسيء إليه يسيء إلى مصر !! وفي نفس الوقت الذي يتهم في البابا بالتدخل في سياسته .. كان يطلب منه أن يبدي رأيه ليحصل على تأييد الاقباط في كثير من المواقف السياسية . [٢] (التسويد من عندنا) .

والكاتب ليس منحازا فقط ضد السادات بل هو منحاز ضد المسلمين ! يحكم مسبقا بأن الاقباط هم « التعبانين » وحدهم ، وهم الذين يحتاجون للحماية وهم المعتدي عليهم ، بل الغريب وإن يكن من غير المستغرب ، أن الموضوعية والاعتراف بوجود مخطئين على الجانبين جاءت من جانب البابا « فهو الذي قال

للمؤلف : .. « إن هناك البعض ــ من الطرفين ــ قد لعبوا دورا في زيادة حدة هذا الخلاف . » والبابا هو الذي قال : « فيه متعصبين من هنا ومتعصبين من هناك »[٣] بينما يتابع المؤلف أحكامه المنحازة :

« كان السادات يشعر أن الاقباط تعبانين ، ولكنه كان يريد منهم أن يصمتوا مهما أصابهم .. ولو تكلموا لأصبحوا يسيئون إلى عصره .. وفي نفس الوقت لا يأخذ أي إجراء لحمايتهم !! .

« ثم وقعت أحداث الفتنة الطائفية في الزاوية الحمراء .. وأحداث أسيوط والمنيا .. اعتداءات على الطلبة الاقباط في الجامعات . » .

والكاتب يعترف أنه قابل البابا أكثر من مرة ولكنه لم يحرص أو لم تتح له كما يبدو من الكتاب مقابلة أي شخص من الطرف الآخر ولو لادعاء الموضوعية أو محاولة الالمام بالجانب المقابل من الحقيقة . يسجل :

« كان هناك أكثر من لقاء مع قداسة البابا شنودة الثالث .. ثم تعددت اللقاءات بقداسة البابا في المقر البابوي في الكاتدرائية الكبري بالقاهرة ، وتحدث معى عن سماحة الاسلام تجاه المسيحيين وأن هناك البعض ــ من الطرفين ــ قد لعبوا دورا في زيادة حدة هذا الخلاف .» .

ورأي المؤلف في العلاقة الطائفية مع نظام عبد الناصر لا جديد فيها وإنما الذي يعنينا في تكرارها هنا أنها تعبر عن رأي قيادة الكنيسة .. ومن ثم لا بأس من استعراضها :

« وبخروج الملك فاروق قضت الثورة على المؤسسة الملكية التي كانت بتكوينها الفكري والسياسي تعوق عملية التوحيد القومي لجماهير مصر بعناصرها الدينية المختلفة . » .

« .. عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو لم يكن ضمن أعضاء مجلس قيادة الثورة قبطى واحد . كان هناك واحد فقط ضمن الضباط الأحرار ورغم هذا فقد رحب الاقباط

بالثورة ترحيبا كبيرا بعد سنوات من فساد الحكم الملكي . وازداد هذا الترحيب والتأييد للثورة عندما أعلنت عن توجهها توجها قوميا عربيا واهتمت بالتعليم الديني المسيحي في المدارس . ص ٣٤ » .

« شارك الاقباط بنشاط في مناقشة قضية العروبة ، إلا أن عددا لا يستهان به بينهم كان يتخوف من أن العروبة تحتوي ـــ قطعيا ـــ على تأثيرات اسلامية لا شك فيها . » .

« وظل الاقباط في حالة ترقب من بداية الثورة عام ١٩٥٢ حتي تنفسوا الصعداء في أواخر عام ١٩٥٤ عندما اصطدم جمال عبد الناصر مع الأخوان المسلمين فشعروا بنوع من الأمان ، ولكنهم استمروا في سلبياتهم في عالم السياسة ولذلك وجدوا صعوبة شديدة في استئناف نشاطهم منذ أيام انتخابات الوفد .. واتضح لهم مع الممارسة أن وصول قبطي إلى مقعد هذا المجلس (النيابي) صعب ان لم يكن مستحيلا . » .

« ثم جاءت قوانين يوليو الاشتراكية ، بما فيها التأميم وإعادة تحديد الملكية ، كانت هذه القوانين ضربة شديدة إلى البرجوازية المصرية ، وكانت الضربة محسوسة أكثر بين الاقباط الذين كانوا قد تقدموا بعيدا في عدد من قطاعات الأعمال والتجارة والتوكيلات .. إلخ ص ٤٧ » فإن عددا من هذه المشروعات سجلت نسبة ملحوظة من الاقباط بين موظفيه وكان من شأن إعادة تنظيم علاقات العمل في هذه المشروعات سعيا لا يجاد قدر من المساواة بين العاملين بالشركات المؤممة ، كان من شأن ذلك تجميد أوضاع ذوي الرواتب بالغة الارتفاع من هؤلاء العاملين لفترات مقبلة مما ترسب معه الشعور بعدم الارتياح لديهم عامة ولدى الاقباط منهم خاصة لا سيما أن وظائف الإدارة العليا كانت شبه محصورة فيمن سموا « أهل الثقة » .

« ولكن الجانب الآخر من الصورة مشرق وحميد لأن الاقباط قد سعدوا بالقرارات الاشتراكية والمناخ العام الذي أوجده عهد عبد الناصر من العدالة الاجتماعية »[٤] .

ولسنا نحب عبد الناصر ولا ندافع عنه ولكن الحقيقة دائما فوق العواطف .. والحقيقة هي أن المرحلة الأولى من الاجراءات الناصرية كانت تستهدف التمصير بمعنى تصفية الوجود والنفوذ البريطاني والفرنسي ، وهذا بالطبع استدعى تصفية مستلزمات هذا الوجود وآثاره التي كانت تتميز في أحد جوانبها ، لأسباب عديدة لا مجال ولا مصلحة في تعدادها ، كانت تتميز بالاعتماد على المسيحيين من المصريين وغير المصريين . ومن المؤكد أن عددا من الذين حملهم الاستعمار على كاهله ورحل ، كانوا من هذه العناصر ومن ثم كان من مصلحتهم أن يخفوا سبب ما تمتعوا به في ظل الاستعمار ، باخفاء سبب ما نزل بهم في ظل الحكم الوطني . ومن ثم استصرخوا الطائفة واتهموا الحكم الوطني بالتعصب .

يقول المؤلف :

« بعد وفاة البابا كيرلس السادس .. بدأ الرئيس السادات يقلق .. ويناقش .. ويتساءل من سيكون البابا الجديد بدأ يعقد الاجتماعات في منزله ليناقش إنتخابات البابا القادم وكأنه هو الذي سيختار أو يعين البابا الجديد القادم أو يسانده .. وقد تناسى أن هناك قوانين كنسية تجرى بها الانتخابات السرية لاختيار البابا ولا يكون لأحد من البشر فضل في اختيار البابا الجديد . »[٥] .

وسب السادات أصبح من المحسنات البلاغية في كل الكتابات ، وبالذات في مثل هذا الكتاب .. ولكن الحقيقة والتاريخ تتنافيان مع هذا الادعاء وتلك الغضبة .. وما نقله الكتاب عن هيكل يؤكد لنا أن روح القدس ليست وحدها التي تختار البابا .. وقد كانت هذه القضية محل خلاف كبير بين الاقباط .. عندما طالب التيار المتحرر فيهم بقصر الاجراءات على إنتخاب الشعب للبابا ، وإلغاء فكرة القرعة ..

لأن التلاعب فيها ممكن واسهل من تزوير الانتخابات أو لأنها تضع إرادة الشعب على طاولة الحظ . وقد تكون النتيجة كما قالت قيادات الاقباط المتنورة ، أن الذي فاز بأقل الأصوات قد يأتى به الحظ في القرعة ، وهو ما حدث فعلا في إنتخاب البابا الحالي . وكلام هيكل شديد الوضوح .. في إتفاق إرادة السادات بنصيحة ممدوح سالم مع الحظ في إنتخاب الأنبا شنودة الذي لم يفز بأعلى الأصوات .. وهذه رواية هيكل :

« كان الإجتماع يضم كلا من الرئيس السادات ووزير داخليته في ذلك الوقت السيد ممدوح سالم ونائب رئيس الوزراء الدكتور محمد عبد السلام الزيات وهو قانوني متمرس إلى جانب أنه كان في تلك الأيام من أكثر المقربين إلى الرئيس السادات وبدا لي من سير المناقشات بين الرئيس ومعاونيه أن الأمر قد انتهى إلى منافسة بين اثنين من الرهبان أحدهما من الجيل القديم والآخر من جيل الرهبان الشباب المتحمسين وهو الأنبا شنودة . وسألني الرئيس عن رأيي في المسألة . وكان واضحا أمامي من اتجاه المناقشة التي كانت معظمها دائرة بين رئيس الجمهورية ووزير داخليته ـــ أن وزير الداخلية يميل إلى تأييد إنتخاب الأنبا شنودة فقد كانت بينهما معرفة وكانت الصلات بينهما ود وثقة . وأبديت رأيا عاما سئلت فيه ، كان رأيي « أنني لا أعرف شخصيا أحدا من الاثنين ولكني بصفة عامة ـــ وفيما يتعلق بكبار رجال الدين ـــ أجدني أميل إلى ترجيح كفة الأكبر سنا وذلك لعدة اعتبارات بينهما اعتبار أساسي هو أنه إذا ثبت بالتجربة أن الأكبر سنا أكثر صعوبة في التعامل معه فإن الطبيعة نفسها لن تعطيه زمانا طويلا لإثارة المصاعب في حين أن ذلك لو حدث مع الأصغر سنا فإن الطبيعة كفيلة ـــ في الظروف العادية ـــ بأن تعطيه زمانا طويلا لإثارة المصاعب » ولكن ممدوح سالم كان فيما يبدو متأكدا مما يقول وأضاف يومها أنه يستطيع أن يضمن نوايا شنودة ولا يثق أنه يستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة للمرشح الآخر » .

وانحاز الرئيس السادات إلى رأي وزير الداخلية وكان من عجائب المصادفات

بعدها أنه حين تمت إجراءت الانتخابات ودخل الطفل إلى الغرفة المظلمة يسحب ورقة من الصندوق الصغير فإن الاسم الذي كان مكتوبا عليه كان هو اسم الأنبا شنودة . »[٦] .

أظن أن رواية هيكل لا تحتاج لشرح ولا تعليل ولا تعليق .. بقى أن تكشف الأيام اللغز الأكبر في عهد السادات وأعنى ممدوح سالم .. الذي حمل أكثر من سر معه وذهب إلى حساب ربه .

ومع أن الكنيسة ذاتها تبرأ من نشاط المهاجرين المسيحيين ، واصدرت بيانا يستنكر سلوكهم والبابا اعتذر في اكثر من مناسبة بأن لا سلطان له عليهم .. إلا أن سي أنور محمد الملكى أكثر من الملك يصف نقد السادات لهم بقوله : « ويواصل السادات شن هجومه على المغتربين الاقباط » .

ورغم تعصب الكتاب ضد السادات بشكل فاضح ، فإن الوقائع والحقائق التي أوردها على لسان البابا تؤكد أن السادات بدأ مع البابا شنودة بداية طيبة جدا وأنه فعل أكثر مما يجب لكسب رضاء البابا .. وإنه كان يقاتل بيديه وأسنانه لتهدئة الكنيسة خلال أزمات الفتنة التي تصادف توقيتها .. ولا ندري كيف ..؟ مع أزمات السادات مع اسرائيل وقد أشرنا إلى أقوال السادات في هذا الشأن ، والتى أوردها الكتاب الذي نتحدث عنه .

كشف السادات كل الأوراق ، وهذا هو السلوك من حاكم ديمقراطي في بلد مستقل ديمقراطية .. ولكن السادات لم يكن حاكما ديمقراطيا ولا مصر كانت مستقلة بمعني القدرة على شل تدخل الأيادي الخفية .

كشف السادات أن القيادة الكنسية التي يفترض فيها أن تكون قيادة روحية فقط اكتشف أن : « قيادات كنسية تريد أن تأخذ زعامة وسلطة دنيوية وده غير مسموح بيه وكمان عيب قبل أي حاجة » .

« إن المسئولين عن فتنة ٧٢ وما بعدها ، إلى هذه اللحظة ، مستمرون في عملهم وهم قيادات في الكنيسة للأسف »[٧] .

وتجاوز السادات الخط الطباشيري عندما أعلن لأول مرة منذ محمد على بصريح العبارة : أقول لكم ولشعبنا إنني يوم أن توليت الحكم في مصر **أحكم كرئيس مسلم . أنا قلت يجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها مصر دولة اسلامية** . ومش دولة اسلامية عادية .. لا ... ده لها مركز قيادي في عالمها الاسلامي ومركز ريادة حيث حافظ الأزهر على الاسلام طوال ألف سنة بشهادة مسلمي العالم وكان يجب أن يعلم مثيرو الفتنة أن الضمانة الحقيقية للمسيحية في مصر هي الاسلام .

« لما أقول **أنا رئيس مسلم لدولة اسلامية** .. ليس معنى هذا أبدا أنني لا أؤدي حق المسيحي قبل المسلم ولكن هذه دولة اسلامية من عهد البطريرك بنيامين وقت أن أرسل جميع المسيحيين لكي يعاونوا جيوش عمرو بن العاص . أرسل أقباط مصر الأب بنيامين لمعاونة عمرو بن العاص لكي ينهي الاضطهاد الديني البيزنطي لاقباط مصر . وأنا أقول إني رئيس مسلم لدولة اسلامية أعرف مسئوليتي .. الاقباط واليهود المصريين مسئوليتي كالمسلمين تماما بنص القرآن » **وأنني كولي أمر مسلم لدولة اسلامية يسكنها مسيحيون** » .

« بعدها قلت **أنا رئيس دولة اسلامية** يعيش فيها المسلمون إلى جانب المسيحيين » .

« وقت محاولة الاستعانة بالأجنبي على بلدك انتهى . وأن الدولة لا تفرق بين مواطن ومواطن » .

وكأنما لم يكفه هذا بل ارتكب الخطيئة القاتلة عندما قال : « والله مسيحيو العالم كلهم ما يقدروا يغيروا حاجة في مصر .. »[٨] .

وكل ما يجري في مصر هو لإثبات العكس .. أثار السادات التحدي فنال جزاءه

ليكون عبرة لمن يعتبر ! والنكتة الفاجرة هي أن يغتاله من ينتسب لتنظيم الجهاد ويسمونه شهيدا ..

وأظن أن السادات كرئيس دولة مسئول عن تهدئة المسلمين أيضا كان أكثر من معقول عندما سمح ببناء خمسين كنيسة دفعة واحدة .. فإذا بالقيادة الكنيسة تشترط بناء كنيسة في الخانكة ، وفي نفس المكان الذي أثار أزمة حادة وكان مادة اثارة .. وبالطبع وصف المتطرفون ذلك بالتحدي .. وضع أنف المسلمين في الرغام .. بلا سند ولا حق .. ولماذا هذا الاستفزاز .. ؟ خمسون كنيسة !! بلاها كنيسة الخانكة .. ورئيس الدولة يرجو .. جاملوه وجاملوا المسلمين فيها .. يقول السادات : ويهمني أن يسمع ابنائى الاقباط وسعب مصر ومسيحيو العالم إنني لم أعد بل على العكس لأنها .. كنيسة الخانكة كانت للتحرش والتصعيد حينما طلب مني في البطريركية أن أصرح بها قلت : إلا دي .. لن أسمح بها في الخمسين اللي حيتبنوا وأي عدد حيتبني تاني وثالث لن أسمح في الخانكة .. ليه ؟! لأنها اتخذت مادة للتشهير عمدا عن سوء قصد وليس لها أساس . أبنائي الاقباط بيسمعوني أنا لم أعد ببناء كنيسة الخانكة . ولو أن في الخانكة كنيسة وحرقت لبنيتها وافتتحتها بنفسي كما فعل عمر بن الخطاب حين هدم المسجد الذي قام مكان كنيسة لكي يعاد إقامة الكنيسة التي هدمت من أجل بناء المسجد[٩] .

ونفس الشيء عن أزمة أسيوط ، فنحن نسلم بأن المحافظ كان متعصبا .. ولم يجد المطران الذي يفل تعصبه بالمحبة ، وطلبت الكنيسة إقالة المحافظ : « فقال لهم السادات الحقيقة محافظ أسيوط متعصب .. وأيضا مطران أسيوط متعصب يشيل المطران أشيل المحافظ !! » .

قلت لنفسي : اشيل المطران إزاي يارب . هذه محتاجة إلى المجمع المقدس ومحاكمة المطران على أخطائه .. وفين الأخطاء التي ارتكبها ؟! » .

سنصدق على الفور أن المطران طاهر الذيل بل قديس حي .. ولكن الذي حدث أن الوضع أصبح في تصور الناس .. مواجهة بين المحافظ والمطران .. وفي هذه القضايا ليست الحقيقة هي المهمة بقدر اقتناع الناس . فهل كان من مصلحة الاقباط في أسيوط أن يعزل المحافظ ويبقى المطران وينطلق دعاة الفتنة يهتفون القبطي انتصر .. والمسلم يقشر بصل .. ! وهب أن هذا هو الحل السعيد من وجهة نظر الكنيسة ، هل يمكن اقناع الدولة بالدخول في معركة مع مسلمي أسيوط ، أو اثبات أنها أضعف من أن تعزل مطرانا .. علما بأن المطران لن يعزل بل ينقل إلى وظيفة أخرى أو يعود للدير .. هل طلب السادات شططا ، حين سأل البابا هذه المجاملة التي تبدو أمام الناس مصالحة ، وبعدها تتخذ الدولة ما شاءت وما أرادت الكنيسة من إجراءات ضد المتعصبين المسلمين بعدما تكون قد أثبتت ولايتها على كل المصريين ، وأن المطران المكروه من مسلمي مطرانيته تملك الدولة أيضا عزله من خلال الكنيسة . هل يفيد في تهدئة الخواطر أن يقال للمسلمين والاقباط .. المحافظ ينقل بكلمة من الحكومة أما المطران فلابد من عقد المجمع المقدس .. ألا يجد المسلمون والاقباط متعصبا يقول لهم رجعنا لأيام الحماية .. قياداتنا عندها حصانة !! .

أيحق لمسيحي أو مسلم أن يصف سلوك السادات هذا بأنه : « الهجمة الشرسة الأولى للسادات على البابا وعلى الكنيسة القبطية وعلى الاقباط المغتربين على مدي ساعتين ولو كان المسلمون صدقوا السادات لا عتدوا على بابا الاقباط وقيادات الكنيسة . ولكنهم لم يصدقوه » . ص ٩٠ .

والبابا نفسه عندما يروي قصة المبني الذي حرق في الخانكة لا تتعارض روايته مع موقف السادات فهو يعترف إنها لم تكن كنيسة ، لأنه لكي تكون كنيسة يجب أن تقام طبقا للقانون .. البابا يروي هذه القصة : « كان هناك اتجاه كبير بالنسبة لحادث حرق الكنيسة إلى عدم اعتبارها كنيسة لأنها جمعية تحولت إلى كنيسة .

في هذه المناسبة سألت الدكتور العطيفي قائلا : أمام الله هل المكان الذي زرته كان كنيسة أم لم يكن كذلك ؟ الدكتور جمال العطيفي أحرج من الإجابة عن السؤال في البداية . فلو قال إنه ليس كنيسة فهو بالفعل ، وإن قال إنه كنيسة فهو من الناحية القانونية لم يصدر قرار جمهوري فتعتبر رسميا ليست كنيسة .

صمت الدكتور العطيفي قليلا ثم قال إجابة في ذكاء : هو مكان يقام فيه الشعائر الدينية .

قلت له : أنا يكفيني هذه الأمر . » .

ونحن يكفينا ما يكفي البابا .. وإذا كان ثمة إحراج في الموضوع فإن العطيفي وأي شخص مسلم في مكانه يتحرج والبابا يستحلفه ، فلو قال ما هو على يقين منه كرجل قانون وعضو في لجنة تحقيق تستند إلى نص القانون وهو إنها لا تكون كنيسة إلا بموجب قرار جمهوري .. لو قال ذلك فكأنه يكذب الباب في مواجهته وهو ما لايطيقه أي مسلم .. ففكر وتذكر حكم الدكتور السنهورى ، وهو .. مكان تؤدى فيه الشعائر الدينية .. وأظن أنها لو كانت كنيسة لما احتاج الأمر إلى ذكاء .. ولا تعنتت الدولة التي صرحت ببناء خمسين كنيسة ، ولكن الدولة كانت تخشى السابقة التي تبطل القانون .. ولماذا نحلل والبابا بصدقه حسم الأمر عندما قال إنها لا تعتبر رسميا كنيسة .. ومن هو السادات ؟ ممثل الرسمية .. إن البابا يحدد ما هو كنيسة من الناحية الدينية .. ولكن الدولة لا تعرف إلا الناحية الرسمية والقانونية فكيف نطالبها بالاعتراف بكنيسة غير قانونية .. الاعتراف بأن ما ليس كنيسة من الناحية الرسمية ، هى كنيسة وان كنيسةِ أحرقت وبالتالي يجب أن تقوم مكانها كنيسة أخرى ..؟!

إن إقامة الشعائر الدينية في مكان لم يصدر له ترخيص بذلك مخالفة وما بني على باطل فهو باطل .. ولولا أن الناس قد عرفوا أن إقامة الشعائر هي تحايل كما سماها الكاتب المسيحي الدكتور ميلاد حنا من أجل بناء كنيسة بدون ترخيص

أو اجبار الحكومة على الاعتراف بالأمر الواقع وقبول هذا المكان ككنيسة .. لولا أن الناس عرفوا ذلك وشاع بينهم ، لما فكر أحد في العدوان على مكان تقام فيه الشعائر الدينية . ولكن التحايل والألاعيب افقدت المكان وما يجري فيه ، القدسية المفترضة . وحولت الموضوع كله إلى حلقة في مسلسل الفتنة . ومعظم أن لم نقل كل الكنائس التي تنطلق الصيحة بين الحين والحين بأنها حرقت هي من هذا النوع .

وهنا ننبه إلى خطأ الخلط بين أمرين .. حرق المكان .. وكونه كنيسة .. فالاصل أنه لا يجوز حرق أي مكان في مصر حتى لو كان ماخورا يدار للبغاء . .

وأيضا كل منزل ، في مصر ، يسكنه مسلم ، تقام فيه الشعائر الدينية فهل يعتبر ذلك مسجدا وهل يليق بشيوخ وقادة المسلمين إذا اعتدى على منزل مسلم أن يستصرخوا المسلمين بزعم حرق المساجد ..؟! .

القضية كما هو معروف أن جماعة تحدت القانون وقررت أن من حقها إقامة كنيسة بدون ترخيص وهو ما لا مثيل له في أي مكان في العالم .. البابا نفسه لا يستطيع أن يبني كنيسة وقتما شاء وحيثما شاء في إيطاليا بدون الرجوع للحكومة ، كذلك لا يستطيع شيخ الأزهر أن يبني مسجدا ويلزم الحكومة بمعاملته كمسجد بدون القوانين واللوائح المنظمة لذلك .. هؤلاء اشتروا قطعة ارض وراحوا يقيمون فيها الشعائر الدينية في مكان هو كما قال البابا نفسه ليس كنيسة من الناحية القانونية .. جاء من استفز الغوغاء أو من دبر حرق هذا المكان بالذات ليشعل الفتنة . وقد كان يكفي أن يصدر الاحتجاج ضد حرق ممتلكات مواطن أو مواطنين مسيحيين أو حتى الاثارة ضد حرق مكان يتعبد فيه المسيحيون .. ولكن الاثارة بأنه كنيسة وأن الكنائس تحرق ، رغم إقرارنا جميعا أنه ليس كنيسة .. ثم استغلال الفرصة ومحاولة اجبار الدولة على الاقرار بأنه كنيسة وطلب إعادة بنائه ككنيسة رسمية .. هو موقف فيه الكثير من التعنت .

والبابا نفسه أخذ ــ بعض الشيء ــ بهذا المنطق وخفض القضية إلى حماية

الممتلكات بصرف النظر عن نوعها .. قال : « ثم لنفرض أن هناك بناء للأقباط .. أي بناء وحرق .. دكك وسور — كما قال — هل أصبح من حق الناس وعامة الشعب أن يحرقوا دكك وسور .. ما الإجراء الذي أخذ لا شيء على الإطلاق .. هل من مصلحة الدولة أن يعطي عامة الشعب التدخل وحرق مكان حتى ولو كان كنيسة بدون قرار جمهوري ؟!! كان لابد للحكومة أن تتدخل فوراً قبل أن تحدث فوضى !! » ص ١٧٣ .

لو طرحت على هذا النحو .. لكنا جميعا معه .. ولكنها طرحت ككنيسة واصبح الهدف لا البحث عن الجناة بل استغلال الوضع لبناء كنيسة في الخانكة .. مما يجعل البعض يشك في هوية الحارقين .. فما أسهل أن تقام الشعائر الدينية في مكان ثم يحرق بمصادفة سعيدة ليكون ذلك مبررا لإعادة بنائه ككنيسة ! .

« وبعدين فوجئت في خطبة الرئيس السادات في ١٤ مايو ١٩٨٠ أنه قال لي : دي مش ممكن تتبني .. كنيسة الخانكة كانت للتحرش وهى ليست من الخمسين اللي وافقت عليهم . »[١٠] .

وهذه هي رواية البابا لمنع الصلاة : « بسبب هذه الأحداث أمرت بإغلاق الكنائس لمدة ثلاثة أسابيع وكذلك ألغيت اجتماعي لمدة اسبوع أو اسبوعين في هذه الفترة إلى أن هدأت الأمور وأمكن الصلاة في الكنائس وبموافقة الأمن لدرجة أن بعض الوزراء ، قالوا لي إن القرار الذي اتخذته ترك تأثيرا كبيرا عند القيادة السياسية ولم يكن هناك أي تحد من الأقباط للسلطة .. من ناحية الصلاة .. الصلاة تمت لأننا لا نستطيع أن نمنع الصلاة في العيد ولكن منعنا الاحتفالات وقبول التهاني لأننا كنا متعبين من اعتداءات كثيرة والرئيس السادات لم يفعل شيئا تجاهها غير أنه يصلح الموقف وبدا السادات يتضايق من هذا الموقف . وقد اشتركت معنا الطوائف المسيحية الأخرى والتزمت بقرارنا في بادىء الأمر ثم بعد ذلك عندما أخذ السادات موقفا شديدا بدأ البعض يبحث عن مستقبله ووضعه . وأنا لا أريد أن أدخل في خلاف جديد لكن السادات حاول أن يستميل البعض على حساب

الكنيسة القبطية .[١١] كانت هناك اعتداءات على الأقباط من المتطرفين ولا يوجد قرار حازم لمنع هذه الاعتداءات . وربما لم يكن يريد السادات أن يبدأ الصدام مع الجماعات المتطرفة فترك الأقباط يتحملون كل هذه المتاعب دون أن ينقذهم منها . واخيرا وجدنا أنه لابد من أن يمنع الاحتفالات بالعيد فتضايق السادات !! »[١٢] .

وتؤكد رواية البابا نفسه أن السادات كان يثق فيه ، ويتودد إليه ويعامله كقوة وطنية يثق فيها ويعتمد عليه ، ويطلعه على أدق أسراره وأخطرها ، قال البابا : « كان الرئيس السادات قد زارني في ٢٣ ديسمبر ١٩٧٢ وعقدنا اجتماعا منفردا استغرق ساعة ونصف الساعة ثم اجتمع بالمجمع المقدس لمدة ٢٠ دقيقة . في الاجتماع المنفرد شرح لي الرئيس السادات كثيرا من الأوضاع السياسية والعسكرية . وقال إنه بدأ في عملية الاستعداد الجاد للحرب واعتبرت ما قاله لي سرا لا أبوح به إلا أنه بعد انتصار أكتوبر ٧٣ إذاع هذا الكلام للجميع !! » ص ١٢١ .

ولا أفهم وجه احتجاج غبطة البابا .. فالسر كان سرا قبل الحرب ولكن مادمنا حاربنا وانتصرنا فلماذا يكتم البابا هذه الواقعة التي تكشف طبيعة العلاقات التي كانت بينه وبين السادات وعمق تقدير واحترام وثقة السادات به .. وفي نفس الوقت وطنية البابا وقدرته على كتمان السر التي هي بالطبع فوق مستوى الشبهات ولكن ليطمئن قلب من تضللهم الشائعات والحرب السوداء . .

ويضيف البابا أنه سأل السادات ما المساعدة التي يمكن أن تقدمها الكنيسة .. « رد السادات : احنا الامور الداخلية كويسة .. بس المهم نكون متعاونين في الخارج . اللي انت عاوزه أنا اعدك به واضيف عليه عشر كنائس من عندي .. وافق السادات على طلبي واضاف الكنائس العشرة التي وعد بها ليصبح العدد خمسين كنيسة وهذا الذي تحدث عنه السادات كثيرا في كل مناسبة وفي كل خطبة واحاديثه . « يقول البابا شنودة : السادات اتهمنا بالابتزاز في طلب

الكنائس .. وأتساءل هل إعطاء فرصة للأقباط لممارسة شعائرهم الدينية يعتبر إبتزاز ؟! .. أي نوع من الإبتزاز !! » ص ١٧٢ .

هذه هي التي كنت أحب لو كتمت ولم تذكر ابدا .. ما كنت أحب أن يبقى في خاطر مصري أن السادات كان مضطرا لدفع كنائس ثمنا لتأييد البابا في حرب أكتوبر .. ليتها لم تنشر ابدا .. فلنحاول أن ننساها تماما . .

ويذكر البابا واقعة أخرى تؤكد أن السادات لم يقصر في التودد إليه : « الرئيس السادات عندما أهداه مجلس الكنائس الميثودي العالمي بأمريكا جائزة السلام لعام ١٩٧٨ وهي عبارة عن ميدالية ذهبية .. احتفلنا بهذه المناسبة في حفل حضره ١٢ مسئولا بينهم رئيس الوزراء وفضيلة شيخ الأزهر وأنا ، وبعد الاحتفال قال لي السادات هذه الميدالية ومعها رسالة منه : لم أجد شخصا يستحقها إلا أنت .. فاحتفظت بها ومازالت موجودة عندي للآن وجاء نص رسالة الرئيس السادات لي بالنص في ١٧ ديسمبر ١٩٧٨ : قداسة الأنبا شنودة الثالث .

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تحية طيبة وبعد ..

فقد أهدى مجلس الكنائس الميثودي العالمي جائزة السلام لعام ١٩٧٨ إلينا تقديرا لجهودنا لإقرار سلام عادل ودائم في المنطقة التي شهدت خطى الانبياء ورسالات السماء ولما كان شعبنا من مسلمين ومسيحيين قد عاش على أرضنا السمحة نبضا وطنيا واحدا وكتيبة نضال واحدة من أجل الحق والعدل والسلام . وانطلاقا مع روح المحبة والتآخي التي تجمع مسلمي ومسيحي مصرنا العريقة فإني اهدي إلى قداستكم الميدالية الذهبية الخاصة بهذه الجائزة للاحتفاظ بها في المكان الذي ترونه مناسبا . وقد بعثت ردا على هذه الرسالة للرئيس السادات في يناير ١٩٧٩ هذا نصه : اننا نصلي أن يحفظكم الرب ، وينجح طريقكم ، ويديمكم لمصر وللحق ، والسلام ، وسنحفظ هذه الميدالية في قلوبنا وذاكرتنا ، كما نحفظها في المقر البابوي رمزا وتقديرا .

« ختاما لكم خالص محبتنا وشكرنا »

هذا موقف السادات وبعد عدة شهور .. استغربت كيف تحول من محبة إلى صدام معنا .. كانت كلماته ، اشارته لنا رقيقة .. ثم يعلن في خطابه أننا نتآمر منذ ٧ سنوات .. كيف ؟!» ص ٧٢,١٧١ السادات والبابا .

ومرة أخرى يورد البابا واقعة تثبت حسن نية السادات ورغبته في تمتين التآخي ، ثم يتساءل غبطته عن تفسير لتغير موقف السادات .. « ويفكر البابا قليلا ثم يذكر فيقول : اذكر عندما سافر السادات إلى الولايات المتحدة في إبريل ٧٧ قبل زيارتي لها بعشرة أيام : من أولى الكلمات التي قالها الرئيس كارتر بعد استقباله لي : أن السادات تحدث معي عنك مشيدا بك جدا .

. « President Sadat spoke very highly about you »

إذا كان الرجل قد تكلم عني « كلام كويس » مع الرئيس كارتر في إبريل ٧٧ وبعدها بثلاث سنوات قال عنا : « دول بيعملوا مؤامرات من سبع سنوات .. ما معنى ومغزى هذا الحديث عني مع كارتر بهذه الاشادة وبهذا الاسلوب ؟!! » .

« وكانت كلمات التحية التي قالها الرئيس كارتر من أن الرئيس السادات قد اشاد بي ، وتحدث كارتر عن تعداد الأقباط في مصر مشيرا إلى انهم قد بلغوا سبعة ملايين نسمة »[١٣] .

لا لغز في ذلك بل هو احرى بأن يثبت براءة السادات من التخطيط والتآمر .. والعقل والمنطق يثبتان أن السادات أراد بكل ما في طاقته تطويق الفتنة ومنعها .. ولكن القوى العالمية التي أشرنا إليها كانت أكبر من جهده ، بل وأكبر من حرص قيادة كنيستنا ووعيها . .

ويمكن القول أن السادات بعدما استنفد كل حيلة في التودد للبابا[١٤] .. أحس أنه أمام اصرار على المواجهة بل القتال . فكان أول رئيس دولة مصري يواجه الكنيسة مواجهة مكشوفة ، ويحاول أن يضع القوى المتصارعة في ما ظن أنه حجمها الحقيقي بموجب التاريخ وواقع التركيبة المصرية . ولكنه كان غافلا عما جد من تطورات كانت تعمل منذ الاربعينيات ووصلت ذروتها في السبعينيات

وبدأت تغير واقع المجتمع المصري وتعدل توازن القوى .. نسى أنها لم تعد مجرد كنيسة بل مؤسسة سياسية مالية دينية .. وعالمية .. وأهم من ذلك أن القرار المسيحي لم يعد قرارا قبطيا خالصا فكان صدامه معها هو التصديق على قرار اعدامه .. ولنسترجع بعض ما جاء في الكتاب .. عن محاولات السادات لتهدئة الكنيسة المصممة على الحرب .. .

« اجتمع الرئيس السادات مع البابا أكثر من مرة واجتمع مع المجمع المقدس وناقش الرئيس قضايا ومتاعب الأقباط وذهب السادات إلى الكاتدرائية بالعباسية وصلى في مكتب البابا شنودة ووافق على بناء خمسين كنيسة للأقباط . ولكنه مع بداية أحداث الفتنة الطائفية بعد أحداث الخانكة تحول السادات إلى الهجوم الشديد على قداسة البابا واتهامه باتهامات كثيرة . وشن السادات حملات على البابا انتهت باعتقاله ضمن قرارات سبتمبر ١٩٨١ ولم يكن اسم البابا ضمن المتحفظين عليهم . » .

وهذا ما أثبتته لجنة التحقيق البرلمانية بتعليق من يعنيهم الأمر على لسان المؤلف : « وفي مجلس الشعب .. ناقش المجلس برئاسة الدكتور صوفي أبو طالب في سبتمبر ١٩٨١ التقرير الذي أعدتة لجنة فرعية عن اللجنة العامة بالمجلس برئاسة محمد رشوان وكيل المجلس وعضوية حافظ بدوي والدكتور محمد محجوب وكمال هنرى أبادير والدكتور كامل ليلة وألبرت برسوم ومختار هاني واعضاء اللجنة العامة ، وعن الاحزاب السياسية كمال الشاذلي ممثلا للحزب الوطني والمهندس إبراهيم شكري لحزب العمل وألفت كامل لحزب الأحرار والدكتور إبراهيم عواره عن المستقلين .. والملاحظ من صياغة التقرير كأنما السادات هو الذي قام بصياغته أو مراجعته بحيث يشيد بسياستة واجراءاته والدفاع عما اتخذه من إجراءات في ٥ سبتمبر ١٩٨١ » .

(هل هذا تعليق من يريد تطويق الفتنة ؟ وعلى لجنة بهذا المستوى من التشكيل ! ما الذي يمكن أن تفعله أي سلطة أكثر من هذا ، تشكيل لجنة من اتباع كلا الدينين ومن الحكومة والمعارضة ..ج) .

« تحدث التقرير عن الجانبين المسلم والمسيحي وفيمايلي نص التقرير بالنسبة للجانب المسيحي :

« فقد تأكد للجنة أن بعض المتطرفين من القيادات المسيحية وبعض المتعصبين من رجال الكنيسة قد حاولوا تضخيم بعض الأحداث الفردية وتصويرها في صورة صراع ديني ، وتصويرها على خلاف الحقيقة على أنها اضطهاد للأقباط من جانب المسلمين واكراه البعض للدخول في الاسلام بل وصل الامر إلى حد افتعال بعض الأحداث والصاق التهمة بالمسلمين بهدف إذكاء نار الفتنة واتهام سلطات الدولة بالتقاعس عن التدخل لحماية المسيحيين . واتخذ بعض القسس من مثل هذه الاحداث مادة للمواعظ التي يلقونها في الكنيسة فتحولت بعض الكنائس إلى منابر لنشر الشائعات الكاذبة وبث روح التفرقة بين المسلمين والمسيحيين . ولم يكلفوا أنفسهم عناء التريث والتثبت من صحة ما يصل إلى علمهم من شائعات ، بل صموا آذانهم في وجه الفضلاء والعقلاء من القيادات المسيحية ورجال الكنيسة وهم الكثرة الغالبة ، كما أن بعض أولئك المتطرفين قد اتخذوا من مدارس الأحد منبرا لإذاعة مثل تلك الشائعات الكاذبة . وتسجل اللجنة أسفها مما لديها من قرائن ودلائل على أن بعض القيادات الكنسية ، ومنها رأس الكنيسة ، دأبوا على التشكيك في كل تصرف يصدر عن العقلاء من القيادات المسيحية الدينية والمدنية يهدف إلى تهدئة الخواطر وإطفاء نار الفتنة . بل إنهم تمادوا في مسلكهم وأوعزوا بنشرها في المجلات القبطية التي تصدر داخل البلاد وأقاموا صلات مع بعض جهات أجنبية ، ومع بعض المغتربين المصريين في الولايات المتحدة ، وزودوا المجلات والصحف القبطية التي تصدر بالخارج بمعلومات مضللة وغير صحيحة . فضلا عن الشائعات الكاذبة ، ومنها على سبيل المثال المنشور الذي أودعه الرئيس أمام المجلس في ١٤/ ٥/ ١٩٨٠ والذي وزع ونشر في الولايات المتحدة الأمريكية ، متضمنا بيانات كاذبة عن حرق الكنائس وهدمها وسحل الاقباط أو اضطهادهم واغتصاب فتياتهم ، وهي كلها معلومات كاذبة ، أو وقائع مبالغ فيها فلم يحدث اضطهاد للمسيحيين ولا حرق متعمد لكنائسهم ، ولم تقصر الدولة في حماية

أرواحهم مثلهم في ذلك مثل المسلمين . كما لم يحدث إكراه لأي شخص للدخول في دين الإسلام . كما أنهم يعلمون علم اليقين ان عدد الكنائس قد زاد منذ بدء ولاية الرئيس السادات . وتدل الاحصائيات على ان نسبة ما يخص الفرد المسيحي من دور العبادة يكاد يماثل ما يخص الفرد المسلم كما تشير الاحصائيات الرسمية للدولة عام ١٩٧٦ . بل إن الدولة ترعى أماكن العبادة للمسيحيين مثلما ترعاها للمسلمين ، وآية ذلك ما أعلنه السيد الرئيس من أنه أصدر توجيهاته ببناء كنيسة بجوار المسجد في المدن الجديدة على نفقة الدولة ، وقد نفذ ذلك بالفعل في مدينة العاشر من رمضان وغيرها . كما أعلن السيد الرئيس مرارا أنه كرئيس مسلم لدولة إسلامية يرعى جميع المواطنين نزولا على حكم الاسلام وذلك حينما طلب منه البطريرك سنة ١٩٧٧ بإنشاء ٣٥ كنيسة وافق سيادته على انشاء خمسين كنيسة . وبمراجعة الاحصائيات الرسمية عن تعداد السكان منذ ١٩٠٧ حتى الآن اي على مدى ما يزيد على سبعين عاما ، تدل على ان نسبة السكان المسيحيين المقيمين بمصر الى العدد الاجمالي للسكان المقيمين بمصر يتراوح دائما أبدا ما بين ٦٪ و٨٪ وقد ثبت لها أن الوقائع الواردة في المذكرة بعيدة عن الصحة ، وما هي إلا ترديد للاشاعات التي يروجها بعض المتطرفين من قيادات الكنيسة . كما اتضح أن بعض ما ورد في هذه المذكرة نشر في مجلة الاقباط التي تطبع في الولايات المتحدة باسم الجمعية القبطية الامريكية ، والتي تنشر الاتهامات والسباب لمصر ، قياداتها وشعبها وتوزع هذه المجلة في الدول الاوربية والولايات المتحدة وترسل لبعض الكنائس المصرية والاقباط في مصر [١٥] » .

ومرة اخرى نرى الكيل بكيلين .. فإذا أدانت لجنة تقصي الحقائق موقفنا اتهمناها بأنها موجهة من السادات وقلنا كأنه هو كاتب التقرير ، وإذا برأت ساحتنا وطعن فيها الآخرون ، غضبنا واستنكرنا التشكيك في قيمة تقريرها .. فاللجنة التي حققت في المنشور الذي وصف بمنشور البابا الذي يدعو لتحويل مصر إلى دولة مسيحية كما كانت قبل الغزو الاسلامي كما استرجعت الاندلس وفلسطين .. يقول البابا شنودة : ’’ قالت اللجنة إنه منشور مزيف .. بعد أن انتهت اللجنة من تقصي

الحقائق أصدرت بيانا جاء فيه إن هذا المنشور واضح الاصطناع إلا أنه على الرغم من هذا فقد كان المنشور يتداول في بعض الكليات بجامعة الأزهر . واصدر الشيخ الغزالي كتابا اسمه « قذائف الحق » فأورد صورة من هذا المنشور فيه على اعتبار أنه حقيقة ».

« وقال في تعليقه على بيان لجنة تقصي الحقائق أنه معروف ان رئيس اللجنة شيوعي !! واللجنة كانت مكونة من ١٢ عضوا فهل كانوا جميعا شيوعيين[١٦] ،، .

حاشا لله أن يكونوا جميعا شيوعيين .. وحاشا لله أن يكونوا جميعا مرتزقة يقرون السادات على ما يقول كما يصفهم مؤلف الكتاب !

نحن مع البابا في عدم جواز التشكيك في تقرير اللجنة ، وكان يجدر بالمؤلف ان يستجيب لهذا التوجيه الباباوي إزاء تقرير صدر عن لجنة تحقيق برلمانية ضمت كل الاحزاب والاقباط والمسلمين ، وجدير بأي كاتب يحترم نفسه إما أن يقبلها وينطلق من التسليم بصحة وحيدة ما وصلت اليه .. أو على الاقل يرفضها .. ولكن صاحبنا الذي استهدف قبل أن يؤلف رفض ما لا يحلو له .. وقبل ما يرضيه ، وجعل نفسه فوق اللجنة رغم ملاحظات البابا الواعية الصادقة .

وقد عرضنا في المدخل الأزمة كما طرحها السادات .. ولعلنا لاحظنا المرارة في حديثه بسبب التوقيت غير الموفق أو لعله الموفق جدا لتصاعد مواجهته مع اسرائيل ووصل السادات إلى نقطة اللاعودة مع البابا :

« ولكن إذا سألتني عن فكرتي فأنني أفضل ان يبقى الرجل في ديره كما كان يفعل من قبل ودعونا نقول إن ما أفسده فيما يتعلق بالأقباط هنا يجب أن ينتهي . مثل مقابلة شخص ما أو تحريض وإثارة الأقباط في اوربا وامريكا . واظن انه قد حان الوقت لكي يبقى في ديره وكما تعلمون فإننا لم نقبض عليه على الاطلاق وانه في ديره .

'' يؤسفني أن أعلن انه لم يضر احد بالمواطنين الاقباط مثلما فعل ذلك الرجل وسوف يسجل عليه التاريخ بأنه قد أضر بمصر لأن الأقباط هم جزء من مصر . جزء من البلد .. جزء من التاريخ .. وهم شركاء في كل شيء '' ص٩٧

وشكل السادات لجنة خماسية لإدارة الشئون البابوية تضم الأسقف الذي نال من أصوات الطائفة القبطية عددا اكبر من البابا شنودة في انتخابات البطريرك ولكن البابا فاز عليه بالقرعة ، وفي الظروف التي حكى عنها هيكل . وقد ابدوا جميعا استعدادا للتعاون مع الدولة ، وأيدوا رأي السادات في تجاوز البابا لدوره :

'' كان السادات قد أصدر قراره رقم ١٤٩١ لسنة ١٩٨١ بإلغاء قرار رئيس الجمهورية ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بشأن تعيين الأنبا شنودة بابا للاسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية صدر القرار في ٢ سبتمبر ١٩٨١ وجاء في مادته الثانية القرار الجمهوري رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بتشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية . ''

'' في بداية الاجتماع رحب الرئيس السادات بأعضاء اللجنة الخماسية وعانقهم جميعا وسألهم عن أحوالهم ثم توجه بالحديث إلى الأنبا غريغوريوس وسأله عن رحلته إلى الخارج حيث كان في زيارة للولايات المتحدة فقال الأنبا غريغوريوس إنه وصل ليلة امس فقط ولذا فقد حضرت إلى اللجنة فورا لكي تجتمع مع الرئيس بعد اكتمال عددها . وأعلنت اللجنة البابوية بعد لقاء الرئيس على لسان الأنبا اثناسيوس اننا كلنا ملتزمون بخط مصر القومي وان هدفنا الآن هو تدعيم وحدة الشعب المصري كله ودعم الاستقرارا الكامل . واعلن ان اللجنة الخماسية سوف تجتمع خلال الأيام القادمة مع اعضاء المجمع المقدس من اجل تنفيذ ونشر توجيهات الرئيس السادات بتدعيم الوحدة الوطنية والتأكيد على روح الجماعة الواحدة لشعب مصر كله . وقال ان اللجنة ستقوم خلال اجتماعاتها القادمة مع القسس ورجال الدين المسيحي على التأكيد على نشر التوعية اللازمة في الكنائس وتوضيح الالتزام الكامل بتعاليم المحبة والاخاء التي تدعم الوحدة الوطنية وخاصة

للشباب . وردا على سؤال حول هل مهمة اللجنة الخماسية مهمة انتقالية قال الأنبا اثناسيوس هذا غير مطروح ونحن علينا تكليف قومي وهو أن نخدم مصر والكنيسة وننفذ تعلميات الرئيس السادات الواضحة بدعم الوحدة الوطنية وهذا ما سنفعله بكل دقة . '' ص٩٤ .

ولكن رأي البابا الذي عبر عنه المؤلف في اللجنة هو : '' ولم تكن هذه اللجنة تحظى لا برضاء الشعب ولا برضاء المجمع المقدس . '' ص ٩٦ .

على أية حال إن اللجنة التي ضمت أبرز القيادات القبطية ، واستعدادها للتعاون وكلمات الأعضاء ثم الهدوء الذي ساد الموقف ، وكتابات بعض الاقباط التي هاجمت الدور السياسي للكنيسة .. كلها أعطت احساسا بأن الفتنة قد طوقت ، خاصة ان السادات قد حرص على المساواة باعتقال المسلمين والاسلاميين ، مما جعلها قرارات سياسية وليست طائفية كما قال البابا(١٧) .. وما كانت الفتنة لتقبل هذا الوضع وتدخلت الاقدار واعدم السادات .. وعادت الفتنة تبرز أنيابها .

ونختم هذا الفصل بشهادة صحفي قبطي أوردها مؤلف كتاب السادات والبابا .. وعلق عليها بما يتفق وموقفه .. قال :

« على مدى الأحداث في شهر سبتمبر ٨١ كتب طلعت يونان أربع مقالات في « الأهرام » وبعدها **توفي** :

وهذا بعض ما كتبه الصحفي القبطي قبل أن **يتوفى** » :

« خامساً : التصدي الثوري للقيادات الدينية الذي أصبح السكوت على تصرفاتها جريمة قومية . لأن هذه القيادات تريد أن تعود بالبلاد إلى حكم رجال الدين — كما هو الحال في مذابح ايران — حين فشلت في أن توفر للمواطن المسكين لا خبز القمح ولا خبز الجنة !! . **والفتنة الطائفية ولدت على أرضها وفرضت على شعبها يوم حاول البعض سامحه الله خلق الكيان الذاتي أو الاستقلال للأقباط والنظر إلى البطريركية على أنها رئاسة للأقباط على نقيض الفهم السليم للوطنية الصادقة بأن الأقباط جزء لا يتجزأ من نسيج هذه الأمة لا رئاسة لهم إلا لرئيس**

الجمهورية وأن البطريركية مجرد رئاسة للكنيسة الوطنية فقط!! »

« والتركيز على تنظيمات الشباب والاجتماعات التعليمية وكل ما هو في نطاق الكنيسة وذلك بعد إعلانهم جميعها تأييدهم المطلق للرئيس للتغيير الذي جاء خاصا برئاسة الكنيسة لأن مصلحة الكنيسة فوق الأشخاص وتعهدهم بحشد « كل » الأقباط وتعبئة طاقاتهم الوطنية في التصدي للطائفية بعد أن ثبت أنها تجربة مفلسة !! » .

« فقد أكدت جميع لجان « تقصي الحقائق » البرلمانية . ونصف الأعضاء بها جميعاً من الشخصيات العامة القبطية ـــ إن الحوادث التي وقعت للمسيحيين يتم تجسيمها بصورة تشوه الحقائق كما يتم تضخيمها والمبالغة فيها وتصورها كمخطط إضطهاد المسيحيين ونسف الكنائس بالقنابل وسحل الأقباط وقتلهم بطرق وحشية بربرية .. لم يحدث أي اعتداء إسلامي على كنيسة ما في أرض مصر كلها لأن كل كنيسة في مصر إنما هي في قلوب أبناء مصر جميعاً لها كيانها واحترامها وما أذيع وأشيع عن حرق كنيسة قصرية الريحان الأثرية الثمينة التي تعد ملكاً للحضارة المصرية في عام ١٩٧٩ فقد قرر خبير المعمل الجنائي وهو مسيحي ـــ أن سبب الحريق شمعه تركت سهواً على مكونات خشبية !! وحرق دير الفاخوري في جبل إسنا عام ١٩٧٧ كان بسبب سرقة عادية ولا توجد أية أسباب طائفية وراء الحادث .. والحريق الوحيد لكنيسة قبطية هو ذلك الحريق المجهول الهوية الذي وقع لأكبر كاتدرائية بناها الأقباط في المهجر من أموالهم الخاصة وهي « كاتدرائية ماري جرجس والأنبا شنودة » بمدينة جرسي سيتي بولاية نيوجرسي الأمريكية يوم ٢٣/ ٤/ ١٩٧٨ أي ثاني أيام عيد القيامة المجيد وتبلغ الخسائر حوالي مليون دولار .. .

وقد طلب الأنبا بفانيتوس أسقف سمالوط من النائب العام في ٧/ ١١/ ١٩٧٨ حفاظاً على الوحدة الوطنية حفظ القضية بعد أن تم الصلح بين الطرفين إلا أن رئاسة الكنيسة السابقة رفضت هذا الصلح ووجهت اللوم للأسقف الوطني !! .

وصل الأمر بالقيادة الدينية السابقة أن أبلغت رسمياً ــ عن طريق الأنبا صموئيل ــ عضو اللجنة البابوية حالياً ــ عن حادث مفتعل لعريف في القوات المسلحة زعمت أنه سجن في غرفة مظلمة ويتم تعذيبه لاعتناق الاسلام ثم أثبت التحقيق أن المذكور مسجون ومن ذوي السوابق في القوات المسلحة وافتعل هذه الحادثة وتم تجسيمها عن طريق الكنيسة ظناً منه أن ذلك يعفيه من عقوبة السجن .

رداً على شكوى من قلة الكنائس ثبت أن غير المرخص بها [١٦٩١] كنيسة ونصيب كل كنيسة من المسيحيين هو [١٣٥٢] مواطناً بينما نصيب المسجد من المسلمين هو [١٢٢٧] مواطناً أي أن كثافة عدد السكان بالنسبة لعدد المساجد والكنائس متقاربة وعدد الكنائس التي رخص بها في عهد الرئيس السادات بلغ (٢٠٠) كنيسة بنسبة ٣٠ ٪ تقريباً من عدد الكنائس منذ دخول المسيحية مصر .

بالنسبة لتعداد الأقباط وما يثار حوله فقد أكد السيد هوريس حنا وكيل الوزارة بالجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء والذي أشرف على الإحصاء الأخير ــ خاصة الوجه البحري ــ إن الكمبيوتر هو الذي يتولى هذه العملية وأن عملية الإحصاء سليمة مائة في المائة وأن انخفاض نسبة الأقباط ترجع إلى هجرتهم المتزايدة بعد هزيمة ١٩٦٧ وأن نتائج التعداد ومجلداته ترسل إلى الأجهزة المختصة في هيئة الأمم المتحدة .»

« وكان حديث الأنبا أغريغوريوس . حديث القائد الروحي المحنك الذي يأتي إلى موقعة الجديد ليغير الواقع لا ليخضع له فقال (هناك فرق كبير بين الولاء المطلق لمصر .. من الولاء المشروط)

ولدى التأمل العميق المجرد عن الهوى في الفتنة أو المحنة ــ الطائفية التي اجتاحت (مصر) كلها فلم يسلم أحد بشكل أو بآخر ــ من أن يكتوي من نارها أو شرورها ــ وعند التأمل العميق المجرد من الهوى فيما كشفت عنه

هذه الفتنة أو المحنة من عيوب في تكويننا ومن أخطاء وخطايا للقيادة الدينية ــ لدى التأمل في كل ذلك تبرز كلها : (أن البعض لم يعرف الولاء المطلق لمصر ؟!!)

واستطرد الأنبا (أغريغوريوس) يقول (إن أقدس ما تعمله الكنيسة القبطية للأقباط منذ فجر المسيحية وحتى الآن هو الولاء المطلق للوطن تطبيقاً لقول المسيح : (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فالمسيح في تعاليمه ألغى الطائفية السياسية في الدولة من الرأس إلى القاعدة .. والكنيسة القبطية منذ البداية رفضت ربط السلطة الزمنية بالدين : وقد جاء في تراث البطريرك المصري أثناسيوس العظيم (٣٣٨ م) (ليس مسموح لنا أن نمارس حكماً أرضياً !!)

وقال الأنبا أغريغوريوس : إن الجمعية القبطية التي تتبنى الفتنة الطائفية بين أقباط المهجر في أمريكا وكندا واستراليا وأوروبا .. إلخ .. وضعت لها دستوراً تعتبر الولاء لرئاسة الكنيسة وعدم خضوع الكنائس المصرية في الخارج للسفارات المصرية وهذا أبشع اعتداء على مبادىء الكنيسة بما يؤكد ما تر . عن صلاتها المشبوهة مع دول وعناصر معادية للنظام المصري وأن لها مخططات للقيام بمظاهرات وطبع منشورات ضد مصر ورئاستها !! »

انتهى اقتباس أنور محمد من مقالات طلعت يونان الذي فارق الحياة بعدها ! وعلق مؤلف كتاب البابا والسادات بما يلي :

وكان الفقيد قد تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ ، وشغل عضوية اللجنة المركزية لأربع دورات متتالية . كما عمل مستشاراً لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية ومسئولاً لمكتب المغتربين . كما كان عضواً بمجلس الشورى .

وما لم يعرفه أحد .. أن طلعت يونان قدم تقريراً إلى الرئيس السادات من مائة وخمسين صفحة تضمن هذا التقرير تاريخ الكنيسة القبطية والخلافات التي حدثت فيها مع البابا وكيفية إلغاء القرار بتعيين البابا وتكليف اللجنة الخماسية .

كما أن السادات هو الذي عينه في هذه المناصب الهامة ونقله من محرر بمجلة

« أكتوبر » إلى كاتب صحفي بالأهرام لاستخدامه في الحملة ضد البابا والكنيسة القبطية !!

باختصار كان أحد الذين دفعوا السادات إلى هذا الإجراء ضد البابا والكنيسة .»

هذا تعليق المؤلف أنور محمد ![١٨].

....

□ هوامش وملاحق ومراجع الفصل الخامس

(١) ص ١١١ السادات والبابا : أنور محمد ــ أسرار الصدام بين النظام والكنيسة ١٩٨٩ .

(٢) ص ٥ السادات والبابا : أنور محمد .

(٣) نفس المصدر ص ٧ و ص ١٤١ .

(٤) ص السادات والبابا : أنور محمد .

وقد تكلم البابا بصراحة في قضية خلو المجالس النيابية منذ انقلاب يوليو من النواب الأقباط المنتخبين ، وكان يعلق على فوز مرشح واحد من ٤٤٤ فقال أن أحد الأسباب هو عدم تسجيل الاقباط في كشوف الناخبين . وقال « اذا رشح قبطي ولم يختره إلا الاقباط فطبيعي الا ينجح قبطي واحد لأن الغالبية للمسلمين . » محمد فوزي مرجع سابق ١٣٨ .

(٥) ص ٧١ السادات والبابا : أنور محمد .

(٦) نفس المصدر نقلا عن خريف الغضب .

(٧ و ١٠) ص ٧٨ السادات والبابا : أنور محمد .

وغبطة البابا ــ حفظه الله ــ ينبه إلى أن بعض الحالات لا تشكل خلافا بين مسلمين واقباط بل هي من فعل يد ثالثة يقول :

« قلت لقداسة البابا شنودة .. بالنسبة لحادث الزاوية الحمراء هل كان هناك من يحاول سكب البنزين لإشعال فتنة طائفية بين المسلمين واخوانهم المسيحيين ؟ قال قداسة البابا : حادث الزاوية الحمراء بدأ على ما اذكر بأن انسانا مسيحيا استولى البعض على أرضه وحدث خلاف بينه وبينهم . وإلى هنا كان يمكن لرجال البوليس ان ينهوا هذه المشكلة الفردية .

لكن الذي لاحظته في الزاوية الحمراء انه لم يكن صراعا بين مسلمين ومسيحيين اطلاقا . كانت العملية مدبرة .

كانت هناك مجموعة من الصبية في سن الاحداث اذا ما تم القبض عليهم لا يتم اتهامهم بشيء .. كانت هذه المجموعة تنتقل من حي إلى حي .. وفي بعض الأوقات إذا مرت على كنيسة لتحرقها كان المسلمون يدافعون عن الكنيسة ويحمونها . (....) ص ١٦٧و١٦٨ .

« كان وراء مجموعة الصبية قيادات كبيرة تحركهم .. ولكن الذي حدث ان الدولة تركتهم ثلاثة ايام الى ان اشتعل الموقف الى أبعد الحدود وبعد ذلك قال السادات ان وزير الداخلية (النبوي

اسماعيل) عالج الموقف بطريقة سياسية وليس بطريقة بوليسية .. إذن معناها انه إذا كان قد لجأ إلى الطريقة البوليسية كان قد انهى الامر .. اما من جهة السياسية لا اعرف ـــ وان بعض الظن إثم ـــ ربما السادات أراد ان يترك الموقف يشتعل .. أراد ان يجد سببا يعتمد عليه في استخدام سلطاته الاستثنائية في الدستور . »

« قداسة البابا .. كيف علمت بأحداث الزاوية الحمراء ؟ قال قداسته : كنت موجودا في غرفتي الخاصة بالبطريركية .. تليفون ضرب .. الحق كنيسة المنشية احترقت .. بعدها بنصف ساعة تقريبا .. تليفون تاني .. الحق كنيسة الزاوية الحمراء .. تليفون ثالث .. الحق كنيسة الوايلي .. اضطريت انزل إلى مكتبي لمتابعة الموقف .. وكلفت الأنبا صموئيل الاتصال بالمسئولين .

وأنا في مكتبي سمعت مظاهرات تقترب من الأماكن المحيطة بي .. تهتف لا نصرانية .. لا يهودية .. اسلامية .. اسلامية .

وبدأ الصوت يقترب مني إلى درجة ان بعض الموجودين معي في المكتب بدأوا يفكرون ماذا يفعلون من أجل امني الشخصي وسلامتي .

رفضت الذهاب إلى أي مكان .

كانت سيارات الشرطة قد تدخلت لفض المظاهرات وألقت القبض على بعض قيادات المظاهرات . واحاطت البطريركية بقوات لحمايتها .

كانت هذه الاحداث خطيرة .. كنا فيها في موقف المعتدى عليه وليست المسألة اقباط ومسلمين يتشاجرون .. لا .. الاقباط يعتدى عليهم . »

« وبهذه المناسبة أحد الصحفين نشر مقالا في هذا الوقت قال فيه لماذا رجال الدين يأخذون موقفا سلبيا من الأحداث .. لماذا لا يذهب شيخ الأزهر والبابا إلى الزاوية الحمراء ؟! أقول لو كنا ذهبنا الى الزاوية الحمراء لاشتعلت نارا وهياجا وكنا .. سنتهم باشعالها .. وتبقى حكاية !! » ص ١٦٧/ ١٧٠ السادات والبابا : أنور محمد .

قال البابا : حرقت كنيسة قصرية الريحان في مصر القديمة ولم يذكر شيئاً عنها ولا بناها على حساب الدولة ولا حتى كلمة تعزية لكنيسة أثرية قديمة يزورها الناس .. ولا تحقيق عن الحادث .. إنما محاولات لطمس الموضوع . »

وقد قدمنا في غير هذا المكان شهادة الصحفي القبطي طلعت يونان بأن كنيسة قصرية الريحان حرقت نتيجة شمعة تركت هناك ، وليس بعمل خارجي .

(١١) هذا ما حذرنا منه إذا ما حاولت الكنيسة تدويل القضايا بالتحالف مع الكنائس الأخرى فلا أحد يلوم الحكومة إذا حاولت بدورها لعب لعبة التوازن ، وهي بالطبع ستقدم تنازلات للكنائس الأخرى على حساب كنيستنا .

(١٢ و ١٣) السادات والبابا : أنور محمد .

(١٤) ويمكن القول انه منذ عمرو بن العاص وبنيامين ، لم يجتمع حاكم مصر بالاقباط مثلما حدث في عهد السادات ومع ذلك نجد كتاب « السادات والبابا » ينسب لغبطته قوله : قلت للسادات : أليس الأقباط قطاعا في البلد أنت مسئول عنهم فلماذا لا تجلس معهم وتبحث مشاكلهم ؟ انت بتقعد مع الصيادين والفنانين والطلبة والعمال وناس كتير بتقعد معهم . لماذا لا تقعد مع الاقباط .. ؟ عندما تقعد معنا ونحكي لك مشاكلنا بتحلها واحنا بنستريح .. أما عندما لا تجلس معنا فالأمور بتكبر وبتتصاعد وبتتعقد .. إيه رأيك لو انك قعدت معنا ولو مرة كل عام .. » ص ١٣١ السادات والبابا : أنور محمد .

(١٥ و ١٦) ص ١٠٧/ ١٠٨ السادات والبابا : أنور محمد .

(١٧) وهذا رأي البابا : « ولكن قرارات السادات ثبتت الوحدة الوطنية ودعمتها أكثر لأنه لم يهاجم الأقباط فقط بل هاجم المسلمين أيضا ، فكانوا يجتمعون معا في السجن بالألفة ، وأتذكر حينما كان الشيخ عمر التلمساني مريضا زاره القس صموئيل ثابت وكان يعني به في مرضه .. الجميع شعروا بأن القرارات لم تكن سليمة فالحكم المشترك أوجد شيئا من التقارب ولذلك عندما عدت من الدير زارني الشيخ عمر التلمساني وبعض من اخواننا من الأخوان المسلمين .. وكانت جلسة طيبة .. .

وكان هذا تقليدا جديدا في العلاقة الطيبة بين الاقباط والمسلمين لأن الأقباط عندما يتكلمون عن المرشد العام للاخوان المسلمين بهذه اللغة فهذا شيء جديد . وعندما توفي الشيخ عمر التلمساني أرسلت من يشترك في تشييع الجنازة ثم زارتني أسرته والمرشد العام الجديد فضيلة الشيخ أبو النصر ليشكروني على التعزية .. ثم زارني الشيخ حامد أبو النصر أكثر من مرة .. والحفلات التي اقيمها ويحضرها المستشار مأمون الهضيبي والاستاذ سيف الاسلام حسن البنا أوجدت جوا صحيا غير الجو السابق . » ص ١٥٠ السادات والبابا : أنور محمد .

(١٨) ص ٢٠٥ السادات والبابا .

الفصل السادس

الأســاس والحـــل

مع التسليم بأن الفتنة هي من صنع وتغذية القوى الاجنبية ، ومع التسليم بأن هذه القوى قد خلقت اوضاعا واقامت مؤسسات وعلاقات تقوم على الفتنة وتعيش منها الا انه من المتفق عليه ان القوى الخارجية لا يمكن أن تتحرك في فراغ وانها تستخدم اوضاعا معينة ، وتحرك قوى لابد ان يفضي تحركها الى صدام ، وتثير قضايا ربما لم يكن احد لينتبه اليها لو لم تثيرها قوى الفتنة .. لذلك يجب اتخاذ خطوات تسد الطريق على قوى الفتنة هذه ، وعلى الاقل تعزل العناصر المخلصة عن تأثيرها وتضليلها — وقد أوضحنا أن الزعم بوجود أغلبية تمارس السيادة والتسلط والاضطهاد على أقلية مسالمة هي صورة تضليلية لا وجود لها .. الوضع الآن هو اغلبية مظلومة في رزقها مضطهدة في دينها ، تواجه تهديدا بالاذلال والإبادة ، وتعيش في ظل تحرش دائم لكل قيمها وطموحاتها المشروعة — واقلية ، جماهيرها مقتنعة بأنها مظلومة مسلوبة الحقوق ، تقودها وتسيطر عليها تنظيمات مخلصها متضخم الاحساس بالذات ، مسرف في طموحه ، يعتقد ان لحظة تصفية الحساب قد حانت ، غير منشغل أبدا بحماية الطايفة كما يقولون بل بأهداف تتراوح ما بين إلغاء الطابع الاسلامي للدولة وبين حلم جنوني بإلغاء الاسلام كله ، وهناك بالطبع جماعات اسلامية مخبولة تجمع بين الجهل وضيق الافق وسوء الخلق تظن ان العدو هو الاقباط غالبيتها ليست أكثر من دمية تحركها قوى الشر العالمية والصهيونية .. وفي مواجهة ذلك نطرح أولا تصورنا للوضع وللقضايا المطروحة كما ورد في كتابنا عن الأقليات الصادر منذ عشر سنوات تقريبا ثم نطرح مشروعا

لمواجهة الفتنة .. ونبدأ بما عرضناه منذ سنوات فنقول :

* الاسلام هو دين الغالبية العظمى من الامة العربية ، والمحرك الاصيل لقوى هذه الأمة ، وهو القادر وحده على خلق تيار التحرر والتجدد ، وبذلك يشهد التاريخ المنتصر ، وتجارب الحلول الفاشلة خلال ما يقرب من مائتي سنة ، أو منذ الغزوة الأوروبية الأخيرة ..

● الاسلام أو التشريع الاسلامي هو وحده التراث التشريعي والقانوني والفكري .. أو الحضاري الذي يمكن نسبته للمنطقة ، فهو وحده الأصيل ، غير المستورد ينبع من جذورنا فعلا ، ويدخل في صميم تكوينا النفسي ، وما من أمة تنهض إلا على مقوماتها الذاتية . ومهما فتشنا ، وبكل حسن النية والرغبة الصادقة فليس لنا من تراث فكري أو قانوني أو هيكل حضاري أو ممارسات في الحكم والتشريع إلا التجربة الاسلامية ، ومن ثم فإن التنكر لها ــ كما قلنا ــ يعني الإصرار على العبودية الفكرية والروحية ، للحضارات الاخرى المعادية ، والتي لا يمكن التفاعل معها ، أو التعامل معهما على قدم المساواة ، بل لابد من الفناء فيها . فالاسلام هو الذاتية العربية أو المصرية .

● الحركات المسيحية الوطنية ورجال الكنائس العربية ، وفي مقدمتهم كنيستنا المصرية ، نظروا دائما للإسلام هذه النظرة . فالمسيحية من ناحية ، لم تطرح فكرا يتعلق بتنظيم الدولة أو الحكم ، بل تجنبت ذلك بوضوح تام واصرار شديد منذ قولة المسيح الاكثر من مشهورة : « اعطوا ما لقيصر لقيصر » أي ان الحكم هو من شأن رجال الدولة ، وليس لرجال الدين المسيحيين فيه من حق ، ولا للمسيحية فيه برنامج محدد ، « لأن من ينهاهم عن محبة العالم ، وما فيه لا يقرر لهم معاملاته » ولأن المسيح رفض حتى أن يقسم للرجل ميراثه مع أخيه . وقامت العلاقة بين الكنيسة والسلطة على هذا المبدأ الذي قرره الأنبا اثناسيوس « ليس لرجال الدين أن يمارسوا حكما ارضيا ، ولا للامبراطور ان يقوم بعمل كنسي » .

فهذا من ناحية المبدأ ، اما من ناحية الممارسة ، فلم تقم ابدا سلطة مسيحية

وطنية في العالم العربي ، لأن كنائسنا بدأت منشقة عن سلطة روما — بيزنطة ، محاربة من هذه السلطة ، ولم تأمن على دينها إلا في ظل السلطة الإسلامية بعد الفتح التعريبي .. ولذا فليس لها أي تراث سلطوي . ومن ثم — كما قلنا — ليس امامنا جميعا في الوطن العربي ، مسلمين ومسيحيين ، الا أحد حلين في اقامة الدولة العصرية المطلوبة : اما الاعتماد على تراثنا ، استقراءه وتطويره .. أو استيراد نموذج اجنبي وتحويل بلادنا وشعوبنا إلى حقل تجارب ، وحيوانات مختبر بلا هوية ولا ذاتية .

● المسيحي العربي قبل ان يحكم بتشريعات لا تنتسب للمسيحية ، سواء لأن المسيحية لا تقدم تشريعات للحكم أو لأن القوانين الغربية الحديثة ، لا تهتم باعلان نسبتها الى الدين ، بل بعض هذه القوانين استورد من دول تنكر الدين وتجهر باستبعاده . ومن ثم فلا معنى لرفض المسيحي العربي تشريعا صالحا لمجرد أنه صادر عن الفكر الاسلامي .

● النزاعات الطائفية في اوساط الاقليات ، والتي ظهرت بشكل سافر في الايام الاخيرة ، ترجع بالدرجة الأولى إلى النشاطات الخارجية التي تستهدف ضرب الحركة الوطنية وتمزيق الوحدة الجماهيرية ، وهو دور مفهوم وقديم ويتم الآن لحساب الهيمنة الاسرائيلية وعملت على نجاحه الاجهزة العالمية في الدول المؤيدة لاسرائيل ، والمتخوفة من احتمال انبعاث الوطنية العربية ، ويمكن استقصاء الجذور الفكرية ، بل حتى البرنامج العملي لتحركات الطائفية في مؤلفات ونشرات صدرت في الخارج على يد مؤلفين اجانب اتصالاتهم بأجهزة المخابرات تنبه لها عدد من العلمانيين ، من المسلمين والمسيحيين ، بل وبعض المتدينيين من المسيحيين فثاروا لوطنيتهم ، وحذروا مواطنيهم مما يدبر لهم (انظر كتابات الاب متى المسكين والاب غريغوري حداد ، والدراسة الموسوعية الممتازة لطارق البشري ، وكتابات المؤرخ والمفكر القبطي البارز وليم سليمان الذي يكشف بالوثائق ، الاصابع الأجنبية ، والمعادية لاستقلالية الكنائس العربية الوطنية ودورها في احدث ومحدثات الفتن .. وانظر ايضا نشاط البروفيسورة ايفون حداد .) .

إلا أن هذه الأصابع الأجنبية لا تتحرك في فراغ ، والفتنة تحتاج لمتعصب في كلا الجانبين ، والشارع الاسلامي لا يخلو من تأثيرات شريرة ، ولكن اهم من ذلك كله ، في اعتقادي ــ أن التيار الاسلامي قد وقف جامدا ، لم يحاول ان يطرح برنامجا قوميا ، يكسب اليه الجماهير والقيادات المسيحية الوطنية . وقد أدت العزلة الفكرية ، إلى عزلة تنظيمية ، وجفوة .. فاحتكاكات .. .

وقد آن الأوان لطرح هذا البرنامج الإسلامي ــ القومي ، ولعل هذا الحديث وما قد يثيره من مناقشات ، يشكل مساهمة في خلق المناخ الفكري الملائم لظهور هذا البرنامج .

● لم تعد هناك قضية ذميين أو أهل ذمة ، فتلك قضية تاريخية مصاحبة للفتح ، وللدولة التي قامت على اساس الفتح الاسلامي ، ولا وجود لها اليوم . فكل الاوطان العربية يسكنها مواطنون شركاء في الوطن والتاريخ والحقوق والواجبات .

● لا مجال للحديث عن الجزية ، فهي قد شرعت من نص الآية ، على المحاربين الذين ينهزمون ويرفضون الدخول في الاسلام . ونحن لا نحارب مواطنينا المسيحيين ولا نعرض عليهم لا الاسلام ولا السيف .

● ولهم ما لنا وعليهم ما علينا هي الاساس الدستوري الاسلامي في كفالة المساواة الدائمة ، ولا يجوز لأحد ان ينقح الحكم الشرعي ، فيجعله ، « لهم بعض مالنا ، وعليهم بعض ما علينا » ؟ أما عن الممارسات التاريخية ، فيجب النظر اليها من واقع الظروف التاريخية لدولة ظهرت في ظروف شديدة الخصوصية وامتدت من خلال الصراع المسلح مع دولة مسيحية ظلت تشكل الخطر الدائم عليها أو المواجه الرئيسي . كما يجب الاخذ في الاعتبار الظروف التي نشأت فيها الدولة الإسلامية ، وممارسات الشورى الأولى . فالمدينة لم تكن بها اقلية مسيحية يعتد بها أو تمثل جزءا اساسيا من مواطنيها . واليهود كان لهم وضعهم الخاص ، فهم الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانوا يرفضون الاندماج في المجتمعات

التي يعيشون فيها ، ويعتبرون هذا الاندماج مؤامرة على جنسهم ، حتى لو سمح لهم بالاحتفاظ بدينهم . فهم يعزلون انفسهم ويشكلون كيانا منفصلا . والثابت ان رسول الله ﷺ ، حاول الدخول معهم في تنظيمات ادارية تستند الى الاعتراف « بحقوق لهم » . ولكن نتيجة موقفهم ، وحرصهم على التميز ، اتخذت هذه التنظيمات شكل العلاقات الدولية بين كيانين . حتى وصفت بالمعاهدة . وان كانت قد أكدت أن العلاقة الطبيعية التي يبدأ بها الاسلام هي التعايش لا المحاربة . إلا أن هذه العلاقة لم تتطور الى المواطنة ، أو المشاركة ، بل جاءت الحرب فصفت الوجود اليهودي نهائيا . فهم لم يعتبروا مواطنين ابدا ، ولا حتى أهل ذمة ، ولا هم اعتبروا انفسهم مواطنين أو جزءاً من الكيان العربي .. اما عمر رضي الله عنه ، فقد أجلا اليهود والمسيحيين من جزيرة العرب ، لضرورات الأمن خلال أكبر حرب خاضتها جزيرة العرب أو حتى عرفتها المنطقة ، حرب غيرت وجه المنطقة الى الأبد . وفي الاربعينيات من القرن العشرين اعتقلت الولايات المتحدة جميع مواطنيها من اصل ياباني وهي تحارب اليابان التي يفصلها عنها المحيط الهادي كله .. وهي تمتلك قنبلة ذرية .. وعمر رضي الله عنه كان يكره حتى السماح بوجود العبيد الفرس ، المأسورين في الحرب مع فارس ، ويستشعر الخطر منهم على أمن العاصمة لولا فتاوى ابن عباس والعباس ، وقد تحققت مخاوفه رضى الله عنه بأفدح ثمن .. مصرعه بأبي وأمي .. .

في زمن كان الدين هو الولاء ، ولم تكن القوميات ولا مفهوم الوطنية قد ظهر ، أكان عمر يترك اليهود والنصارى في جزيرة العرب وكل شبابها القادر على حمل السلاح في قلب فارس وجبال الشام ؟ ولا ادل على أنه ليس موقفا طائفيا هو سلوك عمر وسلوك الفاتحين المسلمين مع المسيحيين واليهود في الشام ومصر .. .

المهم لم يكن في جزيرة العرب ، وبالاحرى في المدينة ، غير المسلمين حتى نستدل من عدم اشتراكهم في الشورى في ذلك الوقت على عدم جواز اشتراكهم فيها للأبد .. أو سقوط حقهم في تولي مناصب الدولة .. ثم لا يجوز أن نغفل التصور الخاص والمنطقي في ذلك العصر لفكرة السلطة . وقد رفض المسلمون

ان تكون الامامة في الانصار بحجة واحدة حاسمة هي أن « العرب لا تطيع الا هذا الحي من قريش » . ورغم وضوح التفسير ، وانه لا يعتمد على نص أو فقه يحرم الخلافة على غير قريش ، وانه ضرورة سياسية تلجأ اليها الدولة ، أو النخبة الواعية القائدة ، إلا أن بعض الذين يرون في جميع الاجتهادات نصا دينيا ، ويعتقدون أن النص يجمد التاريخ وليس يفسره ويحركه للامام ، هؤلاء ما زالوا يتحدثون في القرن الخامس عشر عن اعادة الخلافة الى قريش .. مع اننا قلنا لهم انه لو صح حديث « الخلافة في قريش ما اقاموا الدين » فهو من احاديث النبوءات وليس التشريع كقوله صلوات الله عليه : « لتتبعن حذو من سبقكم حتى اذا دخلو جحر ضب .. أو قوله : « ثم يصبح ملكا عضوضا » فيكون الذين اقاموا الملك العضوض ــ بهذا المفهوم ــ هم الذين اقاموا السنة .. واطاعوا الرسول !! .. .

وعمر رضي الله عنه عندما عين مجلس الشورى للخلافة ، لم يجد الا ستة يستحقون هذا الامر ، وكما بينا خطأ الاستلال بهذه الاحداث ، على حرمان المسلمين من خارج قريش من حقوق أهل الحل والعقد ، كذلك لا يجوز الاستدلال بها أو غيرها في معاملة الاقليات اليوم . فهذه ظروف تاريخية اجتهد فيها ائمتنا ، فأحسنوا الاجتهاد ولا يجوز كما علمنا عمر رضي الله عنه ان نجعل اجتهاد البشر قيدا على حركة التاريخ .. وعلى امكانات الدين الصالح لكل زمان ومكان . فمن طبيعة الزمان التغير وطبيعة المكان الاختلاف . ومن ثم فباب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة لمواجهة هذه المتغيرات .

لم يعرف التاريخ الاسلامي مجلسا تشريعيا بالمفهوم المعاصر ، حتى يمكن ان نستشهد به على تمثيل الاقليات ، ولا جرت انتخابات بالمعنى المفهوم . كانت البيعة تتم في نطاق معين ، فمهما قيل عن عدد الذين اشتركوا في اجتماع السقيفة .. فلا يمكن القول أن بيعة ابي بكر قامت بانتخاب المسلمين في جميع انحاء الجزيرة العربية كما يفهم من انتخابات اليوم .. والذين كانوا خارج السقيفة مباشرة لم يعرفوا النبأ الا بعد أن تمت البيعة . وإنما يجوز القول أن الحزب الحاكم

أو أهل الحل والعقد رشحوا ابا بكر في السقيفة واستفتيت الأمة عليه في البيعة العامة بالمسجد وكان الحق مكفولا لأي مسلم في الاعتراض بالطبع .. .

وجيوش المسلمين في الشام وفارس لم تعرف « بانتخاب » عمر إلا عندما وصل النبأ بالبريد ، وكان قد تولى السلطة فعلا وجاء نبأ ولايته مع قراره بعزل قائد الجيش الذي لم يشترك في انتخابه .. وان كانت وقائع التاريخ لا تشير الى أنه ــ أي قائد الجيش ــ قد رأى ان من حقه معارضة ما اتفق عليه المسلمون في المدينة . وقد أشرنا الى حصر عمر حق الانتخاب والترشيح في ستة .. فهل يجوز أن نستشهد بذلك على ان المسيحيين ليس لهم حق الانتخاب ؟

إذا كان عمر بن الخطاب لم يجد « عمرو بن العاص » فاتح مصر ، أهلا لا للترشيح ولا حتى الانتخاب ، ونفس الشيء عن معاوية حاكم الشام وامير المؤمنين فيما بعد .. فهل كنا نتوقع ان يعين عمر في مجلس الشورى قبطيا مصريا أو مسيحيا شاميا ؟ .. وهل يجوز ان نستدل بأنه لم يفعل ، على عدم جواز تولي المسيحيين اليوم عضوية تشكيلات الحل والعقد ؟! .. .

حسب هذا السلف الصالح ، انهم اقروا مبدأ البيعة ، أي جعل الشرعية ، لا تكتمل الا بموافقة الأمة . فالحكم لا يغتصب ولا يورث بالدم الازرق . ولا ينتزعه قائد منتصر . وانما القيادة السياسية ، ترشح وتختار ثم تعرض الأمر على الأمة ، أو على الجماهير معترفة بحقها في الرفض أو حتى الخلع . وكله حدث .. فقد قتلت الجماهير أحد الخلفاء ، ورفضت الجماهير وبعض اهل الحل والعقد خليفة آخر .. ورفض الحسين خلافة يزيد .. الخ ورأى الرافضون ان من حقهم ، بل وواجبهم الاسلامي ، مقاتلة الخليفة أو الامير المرفوض حتى يخلعوه .

كل شروط الديموقراطية ، كل مبادىء الشورى بمعنى الرأي الجماعي ، لا الاستئناس برأي البعض ! كل صيغ الرقابة من الأمة على السلطة ، كل الأدلة التي تؤكد ان الأمة هي مصدر السلطات ، طرحت وتأكدت بممارسة هؤلاء الأئمة ،

في الصيغ المناسبة لظروفهم وبيئتهم ، وبقى علينا ان نبني على هذه الأسس ، الصيغ الديموقراطية التي تناسب عصرنا ، فليس من الضروري أبدا ان يكون رئيس الدولة هو الامام ، وأن ينتخب مدى الحياة .

نحن نرى ان منصب رئيس الدولة ليس محدد الصيغة في الاسلام ، فقد بويع للخلفاء ومدى الحياة ، ثم جاء الملك الوراثي ، مع استمرار البيعة وهو ايضا مدى الحياة بالطبع ، وان كنا شخصيا نؤمن بالنظام الملكي ، ونعتقد انه هو الأفضل للبلاد العربية والاسلامية عموما ، وانه يحل مشكلة رئاسة الدولة ، وقضية الحق « النظري » للأقليات في التطلع اليها . لأنه في الدول الملكية تتقبل شعوبها حصر رئاسة الدولة في عائلة هي عادة من دين ومذهب أو حتى جنس ولون الاغلبية ، وهذا يفسر تشبث الانكليز بالملكية ، لأنها تبعد عن رئاسة الدولة ، الكاثوليكي واليهودي .. وانظر المشاكل التي بدأت تظهر في امريكا أو الوحدة الوطنية في بعض البلاد العربية ، وما يمكن أن يحدث لو أصبحت جمهورية .. الخ . إلا أننا نقول انه في النظام الجمهوري ، ورغم تأكدنا ، بأن الاغلبية ستختار رئيس الجمهورية من بينها ، فإننا لا نرى مانعا « نظريا » من قبول حق أي مواطن في ترشيح نفسه فضلا عن أن يصوت في انتخابات الرئاسة .. ما دام الرئيس يقسم على احترام « الدستور الاسلامي » ويتعهد بحمايته وتنفيذه ..

أما ما يثار من دفوع شكلية ، مثل أن الرئيس في الدولة الاسلامية هو قائد الجيش أو الامام الذي يؤدي الصلاة الجامعة ، فتلك قضايا تارخية ونظرية ، لم تقع الا في عصر الرسول ، عندما كان الاسلام في المدينة ، والمسلمون يمكن جمعهم في مسجد واحد .. ولكن لا سيدنا ابو بكر ولا سيدنا عمر ولا سيدنا عثمان قادوا الجيوش التي فتحت نصف العالم . والجيش الذي ادخل مصر في الاسلام لم يسعده الحظ بأمير المؤمنين اماما للصلاة طوال جهاده ومرابطته في مصر ، ولا أظن أنه يدور ببال أحد أن رئيس الدولة الاسلامية سيصلي بكل رعيته .

لقد اصبح لكل مسجد امامه . والخليفة العثماني استمر يحكم ويصلي به الامام

لعدة قرون . وقد انقسم الأمر إلى فقهاء وأمراء منذ ايام عمر بن الخطاب ، الذي كان يقول : قضية ولا أبا حسن لها .. وهلك عمر لولا علي ، في قضايا الفقه . ولكنه لم يجد عليا أحق بالحكم منه لأنه أفقه . وما من دليل يثبت أن أمير المؤمنين يجب أن يكون أفقه اهل عصره ، ولا حتى اكثرهم تدينا .. فيمكن أن يوجد فقيه أو شيخ للأزهر يصلي بأهل العاصمة ، اذا تصورنا مسجدا يضم هذه الملايين .

أما أهل الحل والعقد ، وهم في الدولة الحديثة ، القيادات السياسية والمؤسسات الدستورية ، فإننا لا نرى أي مبرر لمنع غير المسلمين من عضويتها وانتخاب اعضائها ، فقد قرر ابن خلدون أن « اهل الحل العقد » هم الذين يطيعهم السواد الأعظم من الناس ، ويقبلون قراراتهم . أو يحملهم « اهل الحل والعقد » بما لهم من قوة ونفوذ على الطاعة ، أي القوة التي تضمن وحدة الأمة ، وتمنع انقسامها ، أو « الفتنة » بالمصطلح الاسلامي . وقد رأينا أنه لما فقد أهل الحل والعقد في المدينة ، السيطرة على العامة ، انتقلت الشرعية أو السلطة للبيت الذي تعود حكم العرب والسيادة قبل ظهور الاسلام . وانتقل مركز القيادة نهائيا من الحجاز ، ولم يعد اليه ابدا ، فلما تبددت قوة العرب سقط الالتزام بأن تكون الخلافة في قريش ، وافتى الفقهاء بأنها « لمن غلب » وظهر أئمة من كل جنس ولون .. وبالتالي فأهل الحل والعقد هم الذين يحققون المصلحة العامة : وحدة الأمة وسلامة الوطن .. أي هم القيادة السياسية لهذه الأمة ، التي تكفل لها حرية وأمن ممارسة عقيدتها ، وليس من الضروري أن تكون قيادتها الدينية ، فابن عباس وابن عمر كانا يفتيان في المدينة ، « وابن هند » يحكم في دمشق ، ويوفر لهما الأمن من الخطر الفارسي والرومي .. والفتنة الداخلية .. .

وكما قلنا من قبل ، لا يمكن قبول حزب سياسي في الساحة يسعى للسلطة ، حتى ولو كان تحت شعار بناء الدولة الاسلامية أو حكم الاسلام إلا إذا ضم بين صفوفه نسبة من المواطنين غير المسلمين المؤمنين ببرنامجه السياسي ، وان رفضوه من الناحية الدينية ، بمعنى أنهم يوافقون على ان هذا البرنامج هو الصيغة الوطنية

والحضارية الملبية لتطلعات الشعب ، والحل الأمثل لمشاكله الداخلية والخارجية ولكنه ليس من عند الله .

من الطبيعي أن يطالب هذا الحزب الناخبين من مسلمين وغير مسلمين بالتصويت لمرشحيه ، ومن الطبيعي أن يكون له مرشحون من كل الديانات ، ومن الطبيعي اذا فاز بالحكم أن يشكل الوزارة من اعضاء حزبه بنسبة تكوينه .

فإن شاء « لجوج » مزعج ، أن يطرح فرضية انتخاب الاغلبية المسلمة لحزب اغلبيته من المسيحيين ورئيسه مسيحي لاقامة دولة الاسلام ! فردنا : أنهم احرار فيما اختاروا لأنفسهم ليس لنا عليهم من سلطان ، وليس لهم أن يحتجوا اذا ما أصبح « أمير المؤمنين » من أهل الذمة « سابقا » فكيفما تكونوا يولى عليكم !

نحن لا نعتقد انه من الناحية العملية سينتخب غير مسلم لمنصب رئيس الدولة أو حتى رئيس الوزراء حيث تصل نسبة المسلمين إلى تسعين بالمائة (في الوطن العربي) ومن ثم فالجدل حول هذا الموضوع ينبع من الرغبة في الشقاق وليس الاتفاق .

ونحن نعتبر النظام الاسلامي ، هو الذي يأخذ بالديموقراطية ، وبأوسع وأصدق الاشكال في تمثيل ارادة الشعب ، ولا نقبل التحايل حول هذا المبدأ تحت شعارات من طراز « نسيج وحدة » « ولا شرقية ولا غربية » أو الطعن بفساد النظم الديموقراطية الغربية .. الخ . فنحن نعرف ان هذه النظم ناقصة ، وهي لابد ان تكون ونعرف ان الاسلام نسيج وحدة ، لأنه يستطيع تغطية احتياجات كل عصر ، وفي عصرنا الحاضر فإن « الثوب » الشرعي الذي نريده من النسيج الخاص ، هو الديموقراطية ، ولابد ان يطرح ذلك بوضوح وبالتحديد .. .

● اما الجيش فلابد ان يضم جميع المواطنين على قدم المساواة ، يقاتل فيه المسلم جهادا في سبيل الله ويقاتل فيه المسيحي وطنية أو « عن احسابهم » . ولا يجوز ان تتهم فئة من المواطنين بأنها غير مؤتمنة أو غير راغبة في الدفاع عن

الوطن . إن هذا الاتهام ــ لو صح ــ يسقط المواطنة ، ويصل إلى الاتهام بالخيانة العظمى ، ويصح فيه « فتوى البدائع وفتح القدير » « ان الذي يسقط الذمة ، خروج الذمي إلى دار الحرب أو خروجه على الدولة الاسلامية علنا وبث الفتنة في البلاد » وهي اعمال كما ترى تسقط الذمة والحماية عن شيخ الاسلام لو ارتكبها . .

ورفض الدفاع عن الوطن ، اذا ما تعرض لهجوم أو احتلال هو خروج على الدولة ، والتحاق بدار الحرب ولو من ناحية الموقف العملي ، اما اذا كانت الحرب هجومية ، أو جهادية بالمفهوم الذي طرحناه وايده في معظم كتاباته الشيخ « سيد سابق » أي ان الدولة الاسلامية تشن حربا على دولة تعتدي على حرية العقيدة ، أو حرية الاختيار ، أو تحاول الهيمنة وفرض سيطرتها الايدلوجية ، أو السياسية ، فإن المسيحي ملزم أو حتى متحمس للقتال ، لأن دستور الدولة ينص على ذلك ، ولأن هذا الدستور ينص ايضا على الحرب ، اذا ما تعرض « ذمى » للاضطهاد في ذلك البلد حتى ولو كان بلدا اسلاميا .. فهو موقف إسلامي وانساني في نفس الوقت ، ينطلق من الدفاع عن حرية الاختيار والعقيدة ، ويلزم الدولة بمقاتلة اي حاكم مسلم ، يحاول فرض الاسلام على رعاياه غير المسلمين . ومن ساواك بنفسه فقد أنصفك وزاد ! .

إما ان كانت الحرب الهجومية التي يدعو لها البعض ، أي شن الحرب إبتداء على دولة غير معادية ، وتكفل بالقانون والممارسة حرية العقيدة لرعاياها ، وليست لديها تطلعات توسعية ، الهجوم عليها لمجرد تطبيق مفهوم هذا البعض ــ الخاطىء ــ عن الجهاد ، وهو « اخراج العباد من عبادة أو سلطة العباد » وإقامة سلطة إسلامية هناك . فهذه الحرب ، من حق غير المسلم معارضتها ، فإن لم يفعل فسنبذل كل جهدنا لضمه إلينا في معارضتها ، وحبذا بالسجن ضد قرار الحكومة من هذا النوع ، بل وسنعمل على اسقاط الحكومة والغاء اجتهادها الخاطىء .. هذه حالة موجودة في البلدان الديموقراطية حيث يرفض عدد من المواطنين « التجنيد » لأنهم لا يقرون مشروعية الحرب التي تجندهم الدولة لها ، وهم يخضعون للعقوبات التي تفرضها الدولة ، وهذا طبيعي وضروري ، حتى ينتصر

الرأي الآخر ويصبح هو القانون ، ولكنه لا يسقط المواطنة عن أي من الطرفين .

وهذا ما نطالب به في ظل دولتنا الاسلامية شرط ان تبقي كل الاجتهادات في الاطار البشري ، ولا يدعي أحد أنه يشرع من قبل الله أو بتفويض من الله ، أو أن روح القدس تتقمصه عندما يتولى منصبا بين أهل الحل والعقد ، فكلنا بشر وكلنا خطاءون ولا سبيل لتغيير الخطأ الا بمعارضته ودعوة الناس إلى اعادة التفكير .

وهكذا تسقط الجزية لسببين ، أنه لا فاتح ولا مفتوح ، ولأنه لا يمكن تصور قيام دولة حديثة تحرم على قسم من مواطنيها الخدمة العسكرية .

فإذا ما اتفقنا على ان النظام الديموقراطي القائم على الانتخاب لجميع المناصب الرئيسية والسلطة التشريعية ، ودون الخوض في التفاصيل ، فهو يقوم على حق الأغلبية في التعيين والمحاسبة والعزل ، والتشريع . وما دمنا قد اتفقنا على هذا النظام ، وأنه وحده في الحاضر وفي المستقبل المنظور ، هو اقرب الصيغ للنظام الاسلامي ، وأقدرها على عكس فلسفة وروح الاسلام . فلا يحق لأي مواطن أو فئة ان تضع تحفظا ، أو تطلب ضمانات ، فالأغلبية لا تملك أن تعطي الأقلية إلا ضمانة المساواة ، أما ما يترتب على تطبيق المساواة فلا أحد يتعهد به مقدما ، ولا أحد يحق له ان يشترط ، وإلا فقدت المساواة معناها . فإذا رفض الناخبون المسلمون مثلا انتخاب المسيحيين . كان على المسيحيين أن يسعوا ديموقراطيا لتغير موقف الأغلبية ، لا ان يشترطوا لاعتبار الانتخابات حرة ، نجاح نسبة من مرشحيهم .. لا .. هذا الشرط اخلال بالديموقراطية والمساواة ، إذ يجعل المرشح غير المسلم يتمتع بامتياز خاص ، وغالبا يكون اعطاء هذا الامتياز تغطية لسلب الجماهير ما هو أهم ــ كما قلنا ــ فالذي حطم وحدة باكستان ، هو جيش الدولة المجوسية التي يترأسها مسلم ! كما تم الفتك بالسيخ في عهد الرئيس السيخي ! .

..... وغير المسلمين

والآن وقد صفينا موقفنا مع المسلمين .. نسأل غير المسلم ما هو مبرر اعتراضه

عندما تختار الاغلبية ، الاسلام ، هوية للدولة ، وتضع التشريعات التي تعتبرها مستوحاة من فلسفة وتشريع الاسلام ، وغير متعارضة معها . .

ما هو وجه الاعتراض ؟

التشريعات الدستورية ــ كما رأينا ــ ستكون في الاطار الديموقراطي سواء انتخب رئيس الدولة ملكا أو رئيسا . وسيكون للمسيحيين كافة الحقوق ، وعلى اساس المساواة التامة في تشكيل المؤسسات الدستورية .

تبقى القوانين الاقتصادية والاجتماعية والجنائية والشخصية :

النظام الاقتصادي ، وهو قضية وطنية تهم جميع المواطنين ، وتؤثر فيهم على السواء . ومن ثم فإن اختيار هذا النظام من حق الأمة . وطالما لم تكن هناك صيغة دينية مسيحية تفرض نظاما اقتصاديا معينا ، أو تحرم نظاما بعينه ، فإن المسيحيين لن يضاروا « دينيا » من تبني المجتمع لصيغة اقتصادية بعينها . والمسيحيون يعيشون ــ الآن ــ في ظل كافة اشكال النظم الاقتصادية المعروفة ، ولا يرون في أي منها عدوانا دينيا على معتقداتهم . ومن ثم فلا مبرر لافتراض انهم سيعادون نظاما اقتصاديا بعينه لمجرد ان اخوانهم المسلمين يعتبرونه من دينهم ! .

والحقائق المعروفة حتى الآن عن النظام الاقتصادي الاسلامي والتي يطالب المسلمون بفرضها ، تكاد تعد على اصابع اليد الواحدة .

فالمسلمون يطالبون بالزكاة . .

وهي لا تفرض الا على المسلمين ، وهي على أية حال « ضريبة » غير كافية لمواجهة اعباء الدولة في الظروف الحالية ، ومن ثم ستكون هناك ضرائب اخرى يخضع لها الجميع .. ولن يفوت المشرع ان يحقق العدل الاقتصادي بفرض ضريبة على المسيحيين مقابل الزكاة ، أو استقطاع قيمة الزكاة من الضريبة العامة على الايراد التي يدفعها المسلم كما يجرى الحال مع التبرعات في معظم الدول ، ويمكن للمسيحي أن يتبرع هو ايضا للاغراض الدينية أو الخيرية ، ويعامل بالمثل .

المسلمون يطالبون بتحريم الربا ..

وهذه قضية يثبت كل يوم صحة المنظور الاسلامي اليها ، لا على الصعيد الفردي ، ولا في اطار الوطن الواحد ، بل على الصعيد العالمي . واذا كان النظام المالي العالمي سينهار فسيكون السبب الأول هو « الربا » أو الفائدة .. والبرنامج الاصلاحي للجمهوريين أو الرئيس ريغان بالذات يكاد ينحصر الآن في نقطة واحدة ، هي نجاحه في خفض معدل الربا .. ومعظم دول العالم الثالث على وشك الافلاس بسبب الربا أو الفوائد على ديونها وهي لو اعلنت افلاسها فستجذب معها إلى الهاوية ، كل البنوك التي اقرضتها بالربا .. ثم تتداعي السلسلة ، فلو أمكن للمسلمين حقا ان يقيموا نظاما اقتصاديا داخل بلادهم ، وفي علاقاتهم مع الدول الاسلامية على الاقل ، بدون ربا ، فسيكون هذا أهم تحرير لشعوب العالم الثالث بل واشارة للعالم الرأسمالي الغني ، لكي يفكر في تغيير اسسه ، وإلا فإن نظامه سينهار من القواعد دون حاجة الى غزوه . اما اذا فشل المسلمون وتبين أنه لا يمكن العيش في هذا العصر دون الربا ، فاننا نقول إنه ما من مجتمع ولا حضارة ولا دولة في التاريخ قبل الهلاك والدمار والانهيار من أجل التمسك بنص ، فاعطونا حق التجربة ، ونحن على يقين أن تحريم الربا هو أول شرط لتحرر شعوب العالم الثالث ، وخطوة اساسية في بناء اقتصاد وطني ولابد من محاولتها .

وعلى أية حال ان المعارضة لتحريم الربا لا تستند لأي التزام ديني ، فليس في دين المسيح ، ما يلزم المسيحي بدفع أو قبض الفائدة .. وحتى اذا قيل انها غير محرمة في دينه ، فكذلك « الملكية » مثلا ليست محرمة ، ولكن المسيحي قبل ويقبل التشريعات الاشتراكية التي تحد من ملكيته وتحد من حقه في التصرف في هذه الملكية . فالاصل أنه لا يجبر متدين على ممارسة ما يحرمه دينه ، أما ما لم يرد فيه نص بالتحريم فهو يخضع للمصلحة العامة وقرار الأغلبية .

ماذا بقى على اللائحة الاقتصادية الاسلامية يخشى غير المسلم ان يتعرض له إذا قامت دولة الاسلام ؟ لا شيء .. من ناحية المطالب المحددة ، أما ما عدا ذلك

فهي مبادىء عامة لا خلاف عليها إلا عندما تتحول إلى قوانين وهذا الأمر سيكون بإذن الله مطروحا للنقاش العام والتفكير المشترك والقرار للاغلبية .

ومن الناحية الاجتماعية ؟ .

ويبدو أننا يجب ان نكرر للمرة الألف ، أنه ليس في المسيحية تشريعات دينية ، في هذه القضايا .. لأن المسيح رفض ان يكون ملك اليهود ، ورفضت الكنيسة من بعده ان تحكم مباشرة ، أي ان يكون رئيس الكنيسة هو رئيس الدولة .

والمجتمع الاسلامي اليوم يختلف في تشكيله واحتياجاته اختلافا جوهريا عن المجتمع الاسلامي في صدر الاسلام ، ومن ثم سنحتاج في كثير من القضايا إلى الاجتهاد لاستصدار تشريعات مناسبة ، وهذه ستمر عبر القنوات التشريعية الوطنية ، التي تمثل مجموع الأمة ، فنحن بحاجة إلى تشريع للنقابات ، ولمزاولة المهن الحرة ، وتنظيم هذه المهن ، وللأجور وساعات العمل ، والمسرح والسينما والإذاعة .. والضمانات الاجتماعية ، والسلم الوظيفي والتقاعد .. وتنظيم الوزارات .. ولا استطيع ان أجد حالة يتحتم فيه الخلاف مع غير المسلمين لسبب ديني .

قد يثر البعض قضية الحجاب ، أو « التزمت » الاعلامي ، والحياة الاجتماعية ، وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن تحريم الخمر ، عندما قلنا أن التحريم سينظر إليه من الناحية الاجتماعية والصحية ، وأن الدولة عندما تشرع لمنع الخمر لن تستند فقط لآية التحريم الملزمة بالطبع للمسلمين ، بل إلى النتائج الثابتة من ناحية الضرر على صحة المواطن وسلامة المجتمع ، ولا أظن أن رجال الدين المسيحي سيثورون إذا منعت الخمر إلا في الطقوس الدينية ، أو رفع سن شرب الخمر للمسيحي إلى ٢١ سنة ، أو حظرت قيادة السيارات على المسيحي إذا شرب أكثر من كمية معينة ، لأن هذه التشريعات كلها موجودة في دول غير اسلامية ويؤيدها رجال الدين المسيحيون هناك . والاتجاه العالمي العام يميل نحو تحريم شرب الخمر ، واعتبارها رسول الشيطان فعلا .. وكل دول العالم تتمنى التخلص منها ، ولكنها

لا تستطيع .. لا لأن الاسلام حرمها والمسيحية اباحتها .. فالولايات المتحدة حاولت جاهدة أن تمنع الخمر ، وحرمتها ، ولم يرتفع صوت واحد يقول أن هذا المنع اعتداء على الدين المسيحي ، أو حرية المسيحي في السكر .. ولكن السلطة الامريكية فشلت بسبب الضعف البشري ، وقوة الجهات المستفيدة من تسميم المواطنين ، والذي انتصر في معركة الخمر في امريكا ، هم المافيا ، وتجار الخمر ، وليس المسيحية .. تماما كالتدخين الذي يجمع العالم كله على أنه سم قاتل ، ولكن المؤساسات التي تحقق دخلا هائلا من زرع السرطان في صدور البشر تمنع اصدار القرار المنطقي بتحريمه .

ومن ثم إذا اختلفنا في موضوع الخمر فلن يكون على اساس ديني ، ولن يمتد التحريم إلى خمر القداس أو المراسم بحال من الاحوال . .

أما عن الحدود ، فيمكن القول إن الخمر رغم تحريمها بالقرآن والسنة والاجماع ، لم يرد فيها حد لا في القرآن ، ولا في السنة ، ولذا فقد تركت « لتقدير » الحاكم . قال « علي بن أبي طالب » رضي الله عنه إن حد الخمر « لم يسنه رسول الله » رواه البخاري ومسلم وأبو داود . وقال « ما كنت لأقيم على أحد الحد فيموت فأجد في نفسي منه شيئا إلا صاحب الخمر فإنه لو مات وديته (أي دفعت ديته ، كما في القتل الخطأ) وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يسنه » .

وفي عهد الرسول كانوا يضربون شارب الخمر بالثياب والنعال ، وهو ما يحدث عادة للسكران اليوم « في قسم البوليس » .

وحد شك فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الشك ، يعطينا الحق في الاجتهاد على ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية . والطبية ، مطمئنين إلى أن الاتجاه العام في العالم كله يميل إلى وجهة نظر الاسلام بأن شرور الخمر اكبر من أي احتمال لمنافعها .

أما موضوع « الحجاب » أو بمعني أصح احترام انسانية المرأة ، الكف عن

التطلع إلى لحمها ، والتعامل مع عقلها أولا ، فلا أظن أن رجل الدين الاسلامي أكثر تزمتا من رجال الدين المسيحيين ، والمرأة المسيحية المتدينة لا تقل احتشاما وعفة وتحجبا عن المرأة المسلمة في صعيد مصر أو ريف الشام ، وكل الرجال والنساء من المسيحيين والمسيحيات يريدون ويسعدهم أن تفرض علاقات اجتماعية سليمة تحمي ابناءهم وبناتهم من مشاكل الاباحية والتحلل ، ولا أظن أن كثيرا من المجتمعات تبيح لبعض أفرادها الاعفاء من القانون الاخلاقي أو الاجتماعي للبلد بحجة انهم لا يؤمنون به ولا يفوتني هنا أن انتقد موقف رجال الدين ــ وقد ذكرنا ذلك في أكثر من مقال وكتاب ــ الذين يجعلون عورة المرأة محور الفكر الديني وقضية القضايا ، والذين يهتمون اهتماما مبالغ فيه بالجنس .

اننا نعتقد أن التشنج الجنسي الذي يتصف به بعض الدعاة ، وهو ظاهرة تخلف وتأثر بمفاهيم غير اسلامية . ومن المغالطات المفضوحة أن يدعي خصوم الاسلام ، إنهم يخشون الحكم الاسلامي لما يحمله من تضيق في المسألة الجنسية ؟! عجبي ! لأكثر من خمسة قرون وهم يتهمون الاسلام بأنه دين شهواني اباحي ، جنسي ... إلخ الآن أصبحنا ضد المتعة الجنسية ؟ . .

الاسلام هو الأكثر انسانية ، والأكثر مرونة والاكثر استجابة للرغبات الطبيعة فهو دين الفطرة .

بقى أن نقول كلمة نوضح فيها الفرق بين رأينا وبين موقفين متطرفين على أقصى اليمين واقصى اليسار إن صح التعبير .

الموقف الأول نادى به الشيخ على عبد الرازق بناء على تنسيق مع السلطة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولي ، وكان يهدف إلى إصدار فتوى للمسلمين بجواز الخروج من سلطان امير المؤمنين وطاعة المعتمد البريطاني ! .. هذه الفتوى صدرت خلال الحرب العالمية لأولى ولحساب الانجليز ، والغريب أن كل المدافعين عن الشيخ وكتابه ، لا يشيرون إلى هذه الحقيقة ، بل يزيفون التاريخ بادعاء أنها صدرت بعد الحرب وخلال مناقشة الوضع بعد إلغاء الخلافة أي بعد

عشر سنوات من تاريخ التأليف الحقيقي .. وبهذا يتسنى لهم أن يخلعوا عليها اهدافا تحررية ديموقراطية ، أو على الاقل الاجتهاد البريء ! .

على عبد الرازق نفى الحاجة إلى دولة أو سلطة إسلامية زاعما أن الدولة أو السلطة الاسلامية ليست من الاسلام . .

والرأى الآخر هو الذي يقول أن الهوية الاسلامية للدولة قضية تخص المسلمين وحدهم ، ولا تعني غير المسلمين ، وأقصى المطلوب منهم هو الحياد ، مقابل المعاملة « السمحة » التي يقدمها الحكم الاسلامي .

نحن نخالف الرأيين . .

نحن نعتقد أنه لا وجود لمجتمع اسلامي ، بل لا تطبيق حقيقي للدين الاسلامي إلا بالسلطة الاسلامية ، لأن الاسلام لا يضم مؤسسة اخرى غير مؤسسة الدولة تحمي الفرد والمجتمع والوطن ، ومن ثم فإلغاء السلطة الاسلامية يقترب جدا من الغاء الاسلام ، ودعنا من هذر الغلمان الذين تفرغوا لاثبات أن المسلمين ليسوا مطالبين بالحكم بما أنزل الله ! . .

ولذلك نرى أنه لابد من قيام الدولة الاسلامية التي ينص دستورها على اسلاميتها بكل ما تعنية هذه الكلمة ، من التزام دستوري وقانوني وفلسفي وحضاري .. فإذا نص على ذلك والتزم به الجميع ، وقام مجتمع مسلم حر الارادة ، وجاء الدور على تشكيل جهاز الحكم في هذه الدولة المسلمة عندئذ يجب أن يشترك المواطنون جميعا في الاختيار والحل والعقد .. وهذا لأننا نخالف الرأي الآخر فنحن نعتقد أن الهوية « الاسلامية » للوطن ، هي اختيار حضاري وليست اختيارا دينيا .. فكل من يعيش فوق أرض الوطن العربي ، هو مسلم الحضارة والتاريخ والموقف بصرف النظر عن دينه أو حتى لو كان لا يؤمن بدين ...

بعض القرارات العاجلة التي يمكن اتخاذها لقطع الطريق على اليد الثالثة وعملائها :

١ ــ الإقرار بأن مصر دولة اسلامية الهوية ، اسلامية الانتماء ، اسلامية التوجه ، اسلامية الدور الحضاري .. تقوم بدورها الريادي القائد في العالمين العربي والاسلامي وعلى هذا الاساس فدينها الرسمي هو الاسلام وتشريعاتها تستوحي الشريعة الاسلامية ولا يتناقض أي تشريع فيها مع الاسلام . مع التأكيد في الدستور على بطلان أي تشريع يمس معتقدات اتباع **الكنيسة الوطنية** أو يفرض عليهم مسلكا يغاير تعاليم دينهم .

هذا الإقرار يتم عن طريق الإرادة الشعبية التي تعبر عن نفسها في صيغة ديموقراطية وبإقرار من الأغلبية الشعبية .. .

٢ ــ الكنيسة القبطية المرقصية هي الكنيسة الوطنية وتاريخها هو جزء لا ينفصم من تاريخ مصر ، وحمايتها مسئولية الشعب المصري كله .. ولضمان طابعها الوطني الاصيل لا يجوز أن يلي أي منصب فيها إلا القبطي المولود في مصر والمتمتع بجنسية واحدة هي جنسية مصر .

الكنيسة هي المؤسسة الدينية العليا للطائفة القبطية ، ولها السيادة المطلقة في كل ما يتعلق بالدين القبطي ، فهو مملكتها التي حددها السيد المسيح .. وليس للكنيسة ان تمارس أي عمل سياسي ولا ان تفرض اتجاها ولا مواقف سياسية على أحد أو جماعة من المصريين . فما لله هو للكنيسة وما لقيصر هو للسلطة الشرعية التي تحكم كل المصريين .

٣ ــ يتم انتخاب البطريرك من المرشحين للمنصب وفقا لتقاليد الكنيسة القبطية ويشترط في المرشح للمنصب ان يكون قبطيا مصريا ، من ابوين مصريين ، لا يحمل اية جنسية اخرى ، وقضى الجانب الاكبر من حياته في مصر . وبانتخابه يصبح الرئيس الديني للكنيسة القبطية ، وممثلها أمام الرب والشعب. ويصدر مرسوم

من رئيس الدولة باعتماد نتيجة انتخابه واعتماد منصبه كرئيس للكنيسة وممثلها امام الدولة . ولا يجوز عزله دينيا . ولكن يجوز عزله من الشق المدني من منصبه ، إما بقرار من المجمع المقدس أو مجموع أبناء الطائفة أو بمرسوم من رئاسة الدولة ، وفي الحالة الثالثة يعرض المرسوم الجمهوري على البرلمان لإقراره أو رفضه بالأسلوب المتبع مع القرارات الجمهورية .

٤ ــ يشكل شيخ الأزهر هيئة كبار العلماء من شخصيات مصرية بحكم مناصبهم وثقافتهم ، ثم ينتقل هذا الحق للهيئة بعد تشكيلها لأول مرة . ولا يكون للسلطة التنفيذية دخل في اختيارهم . عضوية هيئة كبار العلماء مدى الحياة وهم غير قابلين للعزل ، من قبل السلطة التنفيذية ومهمتهم هي انتخاب شيخ الأزهر والمفتي ، ويتولى شيخ الأزهر والمفتي مهام منصبهما مدى الحياة إلا إذا قررت هيئة كبار العلماء عزلهما . كما يجوز لرئيس الدولة عزلهما بنفس الطريقة التي يعزل بها البابا .

٥ ــ يتمتع الاقباط وكنيستهم القبطية وفروعها في مصر بجميع الحقوق التي يتمتع بها المصريون المسلمون في العبادات وأماكن العبادة التي تخضع كلها لقانون واحد يسرى على المسلمين والأقباط ، وتعتبر أعياد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية الدينية أعيادا وطنية تعطل فيها جميع المصالح الحكومية . ويعتبر عيد الشهداء بالذات عيدا قوميا لكل المصريين .

٦ ــ يحظر التبشير تماما بين المسلمين والاقباط من رعايا الكنيسة الوطنية ، وتوقع أقصى العقوبات على من يثبت عليه محاولة تحويل مسلم أو قبطي عن دينه .

٧ ــ تسعى كنيستنا الوطنية مع السلطات لإلغاء حق المصري في اللجوء الى الولايات المتحدة أو غيرها بحجة الاضطهاد الديني حيث لا يوجد اضطهاد ديني في مصر .

٨ ــ لا يجوز إنشاء أي تنظيم سياسي قاصر على فئة واحدة من عنصري الأمة .

٩ ــ انسحاب كنيستنا القبطية من مجلس الكنائس العالمي ، وحظر انضمام اي مؤسسة مصرية دينية الى تشكيل عالمي إلا بموافقة الدولة .

١٠ ــ وزارة الأوقاف والشئون الدينية تتولى الاشراف على جميع الاوقاف والمعابد في مصر وإذا كان الوزير من المسلمين يكون وكيل الوزارة الأول من الاقباط والعكس بالعكس .

١١ ــ جميع المصريين من المسلمين والمنتمين للكنيسة الوطنية متساوون في الحقوق والواجبات ولا يجوز منع أي مصري من شغل اي منصب بسبب الدين إلا المناصب الدينية البحتة علما بأن رئاسة الدولة في الدولة الاسلامية ليست منصبا دينيا ، بل مدنيا انطلاقا من قاعدة ليس في الاسلام كهنوت وانه لا وجود للدولة الدينية في الاسلام .

١٢ ــ التمييز بسبب الدين محظور بالقانون ويعاقب عليه بالحبس وجوبا ، ومن حق كل مصري اللجوء للقضاء لرفع الغبن أو الظلم الذي يعتقد انه يتعرض له بسبب دينه .

١٣ ــ جميع المعاهد والمدارس التي تنفق عليها الدولة أو الهيئات أو الخاصة مفتوحة وملزمة بقبول سائر المواطنين بلا تمييز الا الشروط العلمية .

١٤ ــ تشجع الدولة المشروعات الاقتصادية المشتركة بين المسلمين والأقباط فيكون لها اعفاء خاص في الضرائب .

* * *
* *
*

ملحق

من وثائقهم

آخر مؤامرات المبشرين : الاسلام النصراني !

في ١٥ مايو ١٩٧٨ (*) اجتمع في مدينة جلين ايري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الامريكية المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت ، وقد قدم للمؤتمر اربعون بحثا نشرت هي والمناقشات والتعليقات بواسطة دار MARC للنشر و DON M. Mc CURRY EDITOR بعنوان THE GOSPEL AND ISLAM, A 1978 COMPENDIUM وقام تنظيم اسلامي في الولايات المتحدة بترجمته وتوزيعه على عدد محدود وكان نصيبي منه نسخة أردت ان اعلق على بعض ما جاء فيه عن اعمال هذا المؤتمر الذي كان موضوع بحثه : « **أليس بالامكان انشاء كنيسة خاصة للمتنصرين من ذوي الخلفية الاسلامية بحيث تكون ملائمة ثقافيا واجتماعيا لهم ؟ ما القدر الذي يمكن ان يتمسك به المسلم المتنصر من ثقافته الاولى وهو يقول في الوقت نفسه باخلاص أن يسوع هو الله** » ص١٣ .

وقد انتهت المناقشات الى ان ذلك ممكن فضلا عن كونه ضروريا « ان المسلمين الذين تم تنصيرهم يمكنهم اقامة كنيسة خاصة » سيطلق عليها في التقرير كنيسة المسلمين اليسوعيين او النصارى المسلمين ، وفي اعقاب المؤتمر وبناء على التوصيات التي قدمتها قوى العمل تم تشكيل لجنة توجيهية في جنوب كاليفورنيا أُوكل اليها مهمة انشاء مركز للابحاث يكون بمثابة مركز الاعصاب وتكون مهمته اعداد الابحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين ، وبصورة عامة تعزيز قضية تنصير المسلمين ، وقد انبثقت لجنة تنفيذية من اللجنة التوجيهية ، وكذلك مجلس ادارة للمركز الذي سيسمى معهد صموئيل زويمر (وهو مبشر سيىء السمعة

(*) ولا ادري ان كان اختيار ذكرى مرور ثلاثين سنة على قيام اسرائيل كان في خاطر المجتمعين عند تحديد تاريخ المؤتمر ، تيمنا وتبركا !!

ومؤلف كتاب باسم « الصليب يعلو الهلال ») وسوف يتولى هذا المعهد معظم الأفكار والمقترحات التي طرحت في المؤتمر .. » ص٢ .

كما يؤكد تقرير المؤتمر ان « الرب(*) شاء أن ننصر المسلمين جميعا ، وان نعمل على تنصير ال ٧٢٠ مليون مسلم » « لا تغطي الاربعون بحثا التي يتضمنها هذا المجلد جميع القضايا التي يتعين علينا معالجتها ودراستها اذا ما اردنا القيام بواجبنا والالتزام الجاد بأمر الرب لنا بأن ننصر الأمم كافة أو في توجهنا الحالي إلى تنصير ٣٥٠٠ مجموعة اسلامية عرقية في العالم . » ص ١٨ « اننا نعلم تماما ان يسوع قد أمرنا ان ننصر كافة المجموعات العرقية في العالم » ص٢٧٣ .

ولعل بعض المخدوعين يتنبهون لهذه الروح العدوانية التي تسيطر على فكر المبشرين وأعني الاعتقاد بأن الرب كلفهم بإدخال الجنس البشري كله في المسيحية !! إنهم يتحدثون عن « تنصير » وليس ابلاغ كلمة الله أو توفير حرية الاختيار ، بل « تنصير » وهذا بالطبع ينفي أية أوهام عن التسامح أو التعايش ، فعندما تقتنع انك مكلف الهيا بتغيير دين الجنس البشري كله ، تصبح في قلق ورفض لوجود المخالف واستمراره ، لأن وجوده فضلا عن أمنه وازدهاره ، يعني تحدي ارادة الرب وتأخير قدوم ملكوته . ويعني فشلك شخصيا في تنفيذ ارادة الرب . وقد شرحنا ذلك بافاضة في كتابنا عن الجهاد فهم يزعمون ان الاسلام عدواني وان الجهاد شرع لكي ندخل الناس في دين الله ، ويساعدهم على ذلك بعض تفسيرات المستضعفين العاجزين عن حماية المسلمين في أوطانهم فيتشدقون عن رسالة لاخراج العباد من عبادة العباد .. كل العباد ! بينما قلت انا في كتابيي « الجهاد ثورتنا الدائمة» و « خواطر مسلم عن الجهاد والاقليات والاناجيل » ان الاصل في عقيدة المسلم هو ان ارادة الله شاءت التعدد والتميز والاختلاف ، وان المسلم مكلف بحماية هذا التعدد وان الجهاد انما شرع لتوفير حرية التعدد

(*) « الرب » هو اللقب الذي يطلقه المبشرون على عيسى بن مريم وسيرد هنا على هذا الاساس وناقل الكفر ليس بكافر .

والاختلاف ، والتصدي للمحاولات الوحشية لادخال الجنس البشري في نظام واحد أو عقيدة واحدة .. ولكن ها هم صفوة اساتذة الجامعات الامريكية يجتمعون ويعلنون انهم يحملون تكليفا إلهيا بتغيير دين العالم اجمع وان المهمة العاجلة الان هي تنصير المسلمين جميعا .. ليس في التاريخ نية اكثر عدوانية وتبجحا وغرورا من هذا الاعلان !

لننح جانبا أية ادعاء عن اهداف دينية أو عقائدية أو خلقية فنحن نعرف هذه الجمعيات وهي التي اتحدت في امريكا لتأتي الى الحكم بأحط حكومات اليمين الامريكي وما كادت تشرب انخاب النصر حتى تفجرت فضائحهم المالية والخلقية وتبين ان المشرفين عليها لا تهمهم كلمات الرب بقدر ما تهمهم الدولارات التي يمكن جمعها من المتدينين الامريكيين باسم نشر كلمة الرب وتعجيل قدومه بتنصير العالم كله ! ثم ينفقون هذه الاموال على حياة الشيطان بكل ما فيها من شرور وخمر ومخدرات ونساء ، وبعضهم ينفذ حاليا عقوبة السجن .. إن اهداف المبشرين البروتستانت لا تمت للصليب باكثر مما كانت اهداف الجيوش الصليبية في القرن الثاني عشر وما بعده أو جيوش الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر .. ان المؤتمر يلخص أهمية نشر كلمة الرب في العالم الاسلامي بهذه المقدمة التي تفوح نفطا واستعمارا وصهيونية : « **اشعر ان المؤتمر عقد في الوقت المناسب الذي اختاره الرب ان العالم الاسلامي يشغل اليوم حيزا مهما في الاخبار اكثر من اي وقت مضى فالمواجهة في الشرق الاوسط لا تزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كل لحظة وكل انسان في العالم يتأثر في الواقع تأثرا مباشرا متى اجتمعت الامم الاسلامية المنتجة للنفط لتقرر كم ستتقاضى على برميل النفط الخام ويحبس العالم كله انفاسه قلقا كلما اجتمعت منظمة الاوبك والمظاهرات واعمال الشغب التي يقوم بها المسلمون المحافظون في مصر وايران والباكستان ، مطالبين بالرجوع الى الطرق التقليدية توضح لعالم القرن العشرين الجانب الثوري للاسلام الذي نسينا وجوده واليكم ما استنتجته احدى المجلات الامريكية في احد اعدادها الاخيرة '' تصارع الثروة النفطية وحركة العلمنة في**

الشرق الاوسط ، طرق الحياة القديمة مما اوجد اندفاعا اسلاميا للعودة للجذور '' وتسترسل المجلة قائلة : '' ان التعصب الديني يتحرك باتجاه المواقع السياسية الامامية في ارجاء العالم الاسلامي من كازابلانكا وحتى مضيق خيبر '' » ص٢١

ما دخل كلمة الرب في سعر برميل النفط ؟ وهل يبيع المسلم « المتوحش » النفط بسعر اعلى مما يبيع به المسيحي الطيب في فنزويلا وبريطانيا وامريكا ؟ لماذا يكون الاسلام هو السبب في قلق العالم من المواجهة في الشرق الاوسط .. وليست اليهودية والاطماع الصليبية .. هل يريدون هدايتنا الى الانجيل ام لقبول اسرائيل ؟!

التعصب الاسلامي يتحرك .. والاسلام الثوري عاد .. ولذلك اجتمعوا لخصى المسلمين بتنصيرهم .. هذه هي القضية وما عداها نصب وتدجيل !

وتعالوا نقلب في وثائقهم لنرى هل حقا يهدفون الى هدايتنا وادخالنا في ملكوت الله الذي اصبحت قناديله تعتمد على النفط المسلم الرخيص ؟

لا . . .

ان مناقشات وقرارات المؤتمر هي اهانة بالغة للشرف المسيحي والدين المسيحي بل أي دين ، وكل القيم .. انهم مجموعة من تجار الدين يريدون تفصيل مسيحية خاصة وكنيسة خاصة لا تلزم المسلم المتنصر بتعاليم وطقوس المسيحية بل تضمن فقط عزله عن مجتمعه المسلم وتحويله الى طابور خامس .. إحداث الانشقاق الذي يشعل الفتنة التي يحترق فيها المسلمون ، والمسيحيون الوطنيون . وبذلك لا يرفع المسلمون سعر نفطهم ولا يواجهون اسرائيل ولا يقلقون الغرب ، فقد اشعل المبشرون النار في عقر دارهم .. .

وعندما قلت في كتابي عن الانجيل ، ان الكنيسة الآن في الغرب تتبع مبدأ « الزبون دائما على حق » وانها تفتح اوكازيوناهات تعطي فيها تنازلات هائلة في العقيدة ، من السماح لزعماء القبائل في افريقيا بالاحتفاظ بمائة زوجة الى السماح

باستمرار الكاهن الذي يمارس الشذوذ الجنسي .. عندما قلت ذلك لم اكن اعلم انهم يتبعون قوانين السوق فعلا ! والحقيقة ان اهم دراسة قدمت للمؤتمر هي دراسة عن استخدام احدث اساليب التسويق في « بيع » المسيحية للمسلمين !! أو كما جاء في التقرير : « تطبيق مقياس اينكل في عملية تنصير المسلمين ، دراسة قدمها '' ديفيد فريزر '' . واينكل هو مدير ببرامج الاتصالات بكلية ويتون للدراسات العليا وهو نموذج لعملية اتخاذ القرار الروحي **طوره اينكل من خلال ابحاثه في التسويق وسلوك المستهلك** وهو اكثر محاولة جادة للوصول الى نموذج ربما يفيد في استراتيجية تنصيرية » ص٢٤٩ وقد تعففت عن نقل تفاصيله احتراما لكلمة دين !

واستنادا لخطة التسويق والدعم المالي والسياسي والعسكري وما يرونه من علامات ضعف العالم الاسلامي ، يعلن المؤتمر « نشهد ان هذا المؤتمر سيكون تاريخيا فهو واحد من سلسلة لقاءات يجري عقدها للتشاور في اماكن متعددة من ارجاء العالم كما انها المرة الاولى خلال جيلين يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى جاءوا ليناقشوا معا عملية تنصير المسلمين » ص ٢١ .

« ونتضرع الى الرب ان تضرم روحه فينا رغبة قوية لوضع اقصى قوانا في عملية التنصير وخاصة فيما يتعلق بالهدف الذي نحن بصدده الا وهو تنصير المسلمين انا اشعر شخصيا بوجود مجال كبير للتشجيع والتفاؤل وهناك ادلة وافرة أمامي أن الرب على وشك ان يقوم بعمل ما **وهذا ما أيقنه العدو ايضا** » ص٢٣ .

العدو هو الاسلام طبعا ولو قلنا ذلك نحن لانطلقت تهاجمنا الكلاب المسعورة من المسلمين العيسويين !

اما لماذا طرح هذا البرنامج الطموح الآن .. أعني التطلع لتنصير المسلمين جميعا ، وبالجملة ، وتحقيق ما يصفونه بالهدف الأبدي أو كما قالوا : « ان تنصير العالم الاسلامي ليس مجرد عبارة نتبادلها بسهولة بل هو هدف عميق نسخر له حياتنا ، وجهد محبة وصبر ، في انتظار أمل تأجل طويلاً ولكنه لن يموت . »ص٦٥٨ .

لماذا يعتقدون : « ان الرب سيستخدمنا لتحويل المسلمين من الظلام الى النور ومن سلطان الشيطان الى الرب . » ص٥٥ .

« لقد عزمنا ايضا على ان نعتبر انفسنا منذ الآن فصاعدا مسئولين طواعية عن تحقيق هذا الهدف الا وهو خلاص العالم الاسلامي . » ص٥٧ .

ليس مبعث التفاؤل هزيمة عقائدية سجلوها على الاسلام ، ولا كشفاً جديداً اثبت بطلان الاسلام ! وانما هو الأمل في استغلال اوضاع العالم الاسلامي المتردية بفعل التخلف والتآمر الاستعماري . يقول التقرير : « هناك على الاقل حقيقتان معاصرتان عن الاسلام تؤيدان هذا التفاؤل ؛ الخلافات والفرقة في داخلهم .. والضغوط التي تدعو الى التغيير والتي تهاجمه ، لاحظوا ان الاسلام لم يعد ذلك الدين المتماسك كما كان عادة يوصف في السنوات الماضية بل هو عالم من الخلافات والتفرق . » ص٢٣ .

« ويتزايد باضطراد عدد المسلمين الذين يسافرون الى الغرب ولأنهم يفتقرون الى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الاسلامية فإنهم يشعرون بالتمزق ويكونون غير واثقين من انفسهم . ويبدو ان عقيدة الغالبية من المسلمين في الغرب سواء كانوا مهاجرين أو طلابا أو زوارا ، تتعرض للتأثير ويشكل هذا تهديدا خطيرا للتماسك الاسلامي .. » .

« ان وحدة العالم الاسلامي على أية حال مضمحلة اكثر من اي وقت مضى وليس سياسيا فقط كما حدث في العهد العباسي وانما دينيا وثقافيا بسبب التآكل الذي احدثه النمط الغربي في حياتهم بل وسيطرة الانماط الغربية على حياتهم .. لقد كان للتحديث اثاره ليس فقط في زرع بذور الاضطراب في عقول من تأثروا به وفقدوا بذلك تأثير الاسلام عليهم ، وانما عمل ايضا وأكثر من اي وقت مضى على خلق الفرقة بين اجزاء عديدة من العالم الاسلامي . » ص٢٦٥ .

« اسمعوا ما قاله قسيس يعلم في منطقة الخليج : '' ان العالم العربي لم يفتح

ابوابه ابدا أمام أهل الكتاب كما يفعل اليوم ، '' وكتب مُنصر يعمل في الهند مايلي « يصغي المسلمون اليوم الى رسالة الكتاب المقدس بانفتاح واهتمام لم يسبق لهما مثيل على الاطلاق » ومن شمال افريقيا كتب آخر يقول : « نحن على ابواب اختراق طالما صلينا من اجله ، » ومن الباكستان يؤكد آخر ما يلي ؛ لقد فتح الرب للكنيسة بابا على المسلمين لم يسبق له مثيل في تاريخ الارساليات التنصيرية الحديثة » ومن الاردن كتب منصر آخر يقول : ان اربعين عاما من الزرع بدأت تثمر آخر الامر ، ان هذا هو وقت تنصير المسلمين . ويوضح مسح سريع كيف يعمل الرب وبكل قوة ففي اندونيسا يندفع المسلمون الذين يشكلون ٨٠٪ من عدد السكان باعداد غفيرة لتقبل رسالة المسيح ، وارتفعت نسبة اعداد الطوائف المسيحية الخمس وسط المسلمين » ص ٢٩ .

« من الاخبار المفرحة ان فقراء الطائفة الشيعية الذين يسكنون في ضواحي بيروت ، وبعض اللاجئين الفلسطينيين يبدون تجاوبا مع رسالة المسيح ، وتظهر القبائل الاسلامية في شمال غرب وشمال شرق ايران استعدادا للاصغاء للكتاب المقدس . وقد قال احد القادة الايرانيين النصارى ان الاوضاع الحالية قد هيأت المسلمين للتنصير لقد حان الوقت فأين هم منصروكم ؟ » (يبدو ان المنصرين تأخروا قليلا فجاءهم الخميني وطويت صفحة التبشير في ايران الى الابد ! ج) وتؤكد عدة كنائس وارساليات الاستعداد لتنصير ما يربو على مليون مهاجر تركي يعملون في المانيا ويتحدث احد ابحاث المؤتمر عن الكنيسة التنصيرية لأحد القسس الاقباط في مصر والذي حظى بقدر واسع من التعاطف بين صفوف المسلمين ، وتستمر التقارير في ايراد الاخبار فتقول ان توزيع الانجيل بين المسلمين قد ازداد بنسبة كبيرة جدا » ص٣٠ .

ومعظم هذه الاخبار ملفقة ومزورة بهدف استدرار تبرعات العوانس الامريكيات ، فما أن تسمع احداهن أنباء هذه الانتصارات يتلوها مدير الجماعة حتى تدق الواحدة على صدرها وتصيح : مبارك اسم الرب ، وتخرج دفتر شيكاتها

وتتبرع للكنيسة التي تقوم بهذا الجهد لهداية الضالين ! تماما كما شاهدت عجوز امريكية مسيحيا فلسطينيا ففرحت الى حد البكاء واخرجت دفتر الشيكات وسألته عن اسم الكنيسة التي عرفته بالمسيح لتتبرع لها ! فقال لها : أنا من الناصرة التي ولد فيها المسيح قبل الف وخمسمائة سنة من ظهور المسيحية في امريكا ! أو كما جاء السفير الامريكي يطلب من بابا كنيستنا القبطية تسهيل عمل المبشرين الامريكان لتبليغ الانجيل للاقباط !

بداية نحن لا نخاف من التبشير على عقيدة المسلمين أو على مكانة الاسلام ودليلنا من التاريخ ومن فم اسرائيل ذاته :

فأولا : عبرة التاريخ تؤكد ان هذه الترهات والمهاترات لم تنجح في خدش عقيدة المسلمين ، ولا فتنتهم عن دينهم . وقد ساد المسيحيون العالم الاسلامي ما يقرب من ثلاثة قرون كانوا يتمتعون فيها بتفوق يضعهم في مصاف الالهة بمدافعهم وطائراتهم واساطيلهم ، وثرواتهم وعلمائهم ومستشرقيهم ، وسيطرتهم على الحياة والارزاق ، ورغم ذلك لم ينجحوا في تنصير الف مسلم خلال هذه القرون كلها ، وقد وضعت عشرات النظريات في تفسير هذا الحائط الصلد من الايمان الاسلامي الذي تكسرت عليه كل المعاول ، وها هم يجتمعون الان لتعديل مسيحيتهم حتى يتمكنوا من التسلل متنكرين الى حصون الاسلام .. استحال عليهم اقتحامها كمحاربين شرفاء رغم اسلحتهم النووية ، فقرروا نقبها بالتجسس والتلصص !

وثانيا : ان هؤلاء الطامحين لتنصير العالم الاسلامي اعترفوا انهم لا يستطيعون الفوز في اي جدل ديني ولا يمكنهم شرح اللاهوت المسيحي لشخص يتمتع بالحد الادنى من المنطق ، وكيف يمكن اقناع أو تفهيم انسان بأن الله اجلس ابنه على يمينه وهما واحد ! كيف يستطيع كائن واحد ان يجلس على يمين نفسه ! أو انهم يتحدثون عن اله واحد عندما يقولون : « الاب الذي حررنا من سيطرة الظلام ونقلنا الى ملكوت ابنه الحبيب » (كولوس ١ : ٣) ويعترف تقرير المبشرين باستحالة شرح ذلك لأن الاب والابن هما « مفهومان للرب كشخص يتجاوز مفهوم

الوحدانية الحسابية للرب » ص٢٢٧ بل وأي مفهوم آخر فهو يقول :

« ان كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كلية لتعريف مفهوم المحبة الالهية على الطريقة النصرانية التي تجعل من الانسان الها وابنا للاله في آن واحد ، ان جوهر هذا المفهوم لا يمكن ادراكه الا من خلال دائرة الايمان وعليه فإنه المنصر يجب ان يدخل في علاقة عميقة مع المسلم تؤدي الى الايمان قبل ان يكون ممكنا ادراك هذا المبدأ ، ان المنصرين قد قبلوا عامة بالمنهج الذي يقول به كل من اوكاستين وانسلم : '' اني اؤمن حتى اتمكن ان افهم '' » ٢٢٨ .

هكذا لا يمكن الفهم الا بعد الايمان وفي الحقيقة فالفهم لا يتم ابدا ولكنه التسليم والقبول ، فما حاجتك للفهم ان كنت قد آمنت بالفعل ! لا سبيل لكسب الحوار مع الاسلام ومن ثم فقد اكتفى المبشرون بسرقة الشاة الشاردة ، البعد عن المثقفين الذين يلمون بمباديء الاسلام ، والتخلي عن عنجهية مبشري عصر الاستعمار عندما كان زويمر وطسن ، وامثالهما ، يذهبون للازهر لتحدي المشايخ .. انهم يعترفون الان بأن مجال نشاطهم الممكن هو بين العامة البسطاء الذين لا يعرفون مبادىء ولا احكام الاسلام ومن ثم يسهل التغرير بهم ، بل والذين كما تقول تقارير المؤتمر يؤمنون باسلام خاص يقوم على العفاريت والجن والاولياء ، واهم من ذلك كله العامة الذين تطحنهم قسوة الحياة في العالم الثالث ، ويتلهفون على اية مساعدة تخفف امراضهم أو تحسن اوضاعهم . والمبشر لا يتردد في استغلال هذه الاوضاع بأحط الوسائل وابعدها عن الدين والشرف والعلم ، فيستخدم السحر والمعجزات في شفاء الامراض وطرد الشياطين .. وكلها أعمال تدخل تحت بند النصب والاحتيال ، ويعاقب عليها في اي بلد متحضر(*) حتى في بلادهم التي جاءوا منها ، اما استغلال حاجة الفقراء وتطلعات الطلاب والبؤساء من الشباب فهو الذي وصفه جوته فابدع في قصة فاوست حيث يشتري الشيطان روح الرجل مقابل ما يغدق عليه من نعم !

(*) كلنا قرأنا عن العملية الجراحية التي اجراها قسيس لاستئصال ورم سرطاني وشهد الشهود بوجود قطن =

لنقرأ اعترافاتهم حول من يستجيب لهم وبأي اسلوب :

« ان الدعوة الى المسيح لا تجد استجابة الا من الاشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون الى القطاعات الفقيرة نسبيا في المجتمع الاسلامي — » ص٢٤٣

وهم يعترفون باستحالة اقناع المثقف كما قلنا بأسس دينهم ، ومن ثم ينصحون بالنصب على الدهماء : « لأن هذه القضايا (الوهية المسيح والاقانيم الثلاثة ج) لا تهم المسلم العادي كثيرا ، انما الذي يهمه ويشغل فكره هي محاولاته التغلب على العديد من القضايا الهامة والقوى المعادية التي تحتشد في عالمه وتقلق راحته النفسية والفكرية ، فهناك السحر الذي يرغب في ممارسته ، وماذا عن الروح الشيطانية التي لابد من تهدئتها واسترضائها والتعاويذ التي يجب عليه استخدامها فهل تساعده مناشدة القديسين على مخاوفه .. وهكذا نرى ان عالم المسلم تهيمن عليه العين الشريرة والمرض والموت واللعنات والسحر فهو لا يلتزم بالاسلام القرآني ولكن باسلام اشباح يولد عن خواء في القلب . » ص١٩٧ بل خواء في العقل بفعل سياسة التجهيل المفروضة في بلاد المسلمين ، وها هي الاصوات تجأر ضد محاولة تدريس الثقافة الاسلامية في معاهد التعليم وتحت اشراف الحكومة !

يقول المبشرون المؤتمرون المتآمرون : « اوافق ان اسلام العامة هو .. الساحة الاكثر تبشيرا بالخير فيما يتعلق بالتنصير » ص٣٢٠ .

« العناصر التي يجب استغلالها في التنصير وهي أهم من شرح المشاكل اللاهوتية للثالوث المقدس وابوة الرب للمسيح ، بينما نهمل ما قد يكون بالنسبة للكثيرين ابوابا اوسع للانفتاح ، مثل مشاعر المرارة تجاه الوالدين والشعور بالذنب بسبب الاعمال اللااخلاقية وخيبة الامل والقلق بسبب العمل والشعور بالوحدة . » ص ١٤٧ .

= عليه دم بدون ادوات جراحة . في اي بلد كان لابد من القبض عليه لمزاولة الطب بل الجراحة بدون ترخيص . ولكن يبدو أن حكومة البلد الذي وقعت فيه هذه الحادثة ، نعامة في مواجهة الدجالين الذين يمارسون الطب أسد مفترس على من يفتح مدرسة لتعليم القرآن ! ولا تسألني اية حكومة والا احلتك على النكتة المشهورة !

« ان غالبية المسلمين الذين يحتمل ان يتنصروا هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه اسلام العوام وهم يؤمنون بالارواح الشريرة والجن ويعرفون القليل جدا عن الاسلام الاصيل كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون انها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها **والباب الذي يمكن من خلاله التأثير على هؤلاء وتنصيرهم هو ان يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم مثل ممارسة العلاج الروحي وطرد الارواح الشريرة** . لقد سمعت عن تنصير اعداد كبيرة عن المسلمين خلال اظهار قوة (اي معجزة ج) اكثر مما تم بواسطة طريقة الوعظ ، وعلى يد قس قبطي لديه القدرة على العلاج الروحي وطرد الارواح الشريرة ان النقطة المهمة في هذا التحول بالنسبة للمسلمين هي '' البركة '' والقوى التي يظهرها المنصر . اما فهم حقائق الكتاب المقدس الاساسية فهي مرحلة تأتي بعد ان يواجهه المسيح بالأدلة القاطعة على انه رب عظيم ، فكل الذي يعلمه الناس ساعة التحول هو ان المسيح قوي بما فيه الكفاية لحل مشاكلهم . » ص ٢٥٢ .

« للنساء والاطفال .. تدرس ادوارهم ومستوياتهم في المجتمعات الاسلامية وتحترم تقاليدهم ونقر سلطة الرجال بكونهم يترأسون بيوتهم من خلال السعي لتنصير عائلات بأكملها وان تقدم اليهن بطريقة اكثر بهجة البديل النصراني للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء وخاصة في المجتمعات الاسلامية » .

« ان نحاول البحث عن النساء المعروفات بتدينهن أو زعيمات في مجتمعاتهن ونعمل من خلالهن .. » .

« يجب ان نقدم روح المسيح بديلا نصرانيا لتأثير الشيطان في حياة النساء المسلمات » ص ٨٦٦ من دراسة بعنوان '' المداخل النصرانية للمرأة المسلمة واسرتها '' قدمها .. فاليري هوفمان .

ولعلنا نفهم الآن سر معارضة بعض المسلمين / النصارى للتعليم الديني والتوعية الدينية والاعلام الديني .. لكي يظل المسلم فريسة للجهل والشعوذة فيتصيده النصاب المبشر . ولعلنا نفهم الآن سر بروز سيدة بعينها تتلقى الدعم من مؤسسة

فورد لتحرير المرأة المصرية المسلمة فقط .. فلم تتقدم في حياتها بطلب واحد من اجل المرأة المسيحية . وتحارب الطلاق وهي مارسته شخصيا ثلاث مرات !

والتقرير يشير الى اعتماد المعجزات أو الدجل ، فحن اذا كنا نؤمن بمعجزات المسيح كما وردت في القرآن إلا أننا نعتقد عن يقين انه لا يوجد أي مبشر مهما كانت رتبته قادر على اجراء معجزة ما ونتحداهم مجتمعين . وانما الامر كما جاء في رواية امريكية اسمها '' المهدي '' تحكي عن مؤامرة دبرتها المخابرات الامريكية (CIA) لخلق زعيم اسلامي من رجال المخابرات ووضعوا التكنولوجيا في خدمته فكان يشفي المرضى ويقتل خصومه بأسباب غامضة ويقوم بمعجزات مذهلة تعتمد على التكنولوجيا وحيل مدبرة مسبقا واظن ان عصابات المبشرين تعمل في هذا الاطار ، وتغرر بالبؤساء من شعوب العالم الثالث . والفلاح الباكستاني أو التشادي الذي لم يسمع عن الانسولين عندما يبصق له القس على حبة بيضاء ويطلب منه ان يذكر اسم المسيح ويبتلعها ويرى الحياة تدب في عروقه مرة اخرى لابد أن يمجد الرب ولو طلبا لحبة اخرى ! والمرأة المصابة بصداع مزمن أو ضيق تنفس ويؤكد لها القس والشيخ الجاهل انها مركوبة بالعفاريت ويتمتم لها القس ثم يعطيها حبة اسبرين ستتشبث به وتتحمل صداع وعظه ، هربا من الصداع النصفي فألمه أشد !

لقد نبهت في كلمة لي منذ اكثر من عام الى انتشار الايمان بالعفريت وانتشار من يدعون معالجة الناس من الجن بالطب الروحاني وان غالبيتهم من المبشرين ، وكان المفروض ان تتنبه الحكومة وتعاملهم كدجالين ، والمفروض ان يتنبه الذين يعنيهم الامر لبعض الكتابات التي يصدرها مؤلفون لهم اسماء اسلامية والتي انتشرت فجأة حول الجن وان القرآن تحدث عنهم وانهم يركبون الناس(*) الخ ، مع ان

(*) لاحظ الحملة التي اثارها شخص يتستر خلف لحية تصل لسرته ويوصف بالكاتب الاسلامي وثيق الصلة بجميع الاجهزة المعادية للاسلام حول احاديث ضعيفة شديدة الضعف عن طرد الشياطين ، وهدفها اقناع العامة من المسلمين بسيطرة الجن عليهم وبالتالي تسليمهم للمبشر النصاب . ثم البرنامج التليفزيوني في نوفمبر ١٩٩١

الاسلام ليس فيه اي اشارة الى هذا الامر ، اعني تسلط الجان على الناس أو امكانية قيام الانسان بعمل يتحكم به في هذه القوى غير البشرية ، ورسول الله لم يطرد الشياطين من رأس أحد ، حتى هو صلوات الله عليه لما سُحر لم يقم بأي اجراء يفسر على انه طقوس ابطال السحر (انظر تحليلنا لحديث السحر في كتابنا : الحق المر ، أو في كتابنا الآخر : الرد على الغزالي) ولكن المبشر يحاول ان يلهينا بأن يجعل عيوبه فينا فيزعم : « أوصلني عملي في دولة مسلمة لعدة سنوات الى ان قوة الاسلام لا تكمن في عقيدته ولا في رفضه لعقيدة الثالوث والوهية المسيح .. بل تكمن في الممارسات السحرية لقادته التي يسيطرون بواسطتها على شعبهم » ص٢٠٦ (!!! ترى من من حكام المسلمين يحكم بالسحر ؟! ج)

فالتقرير يحدثنا عن قس قبطي انضم للمبشرين البروتستانت : « واستخدم المعجزات كعامل مقنع ومؤثر في ارادة المسلم ، الذي يؤمن بشدة بالامور الخارقة للطبيعة . » .

حتى في الدجل لا تفارقهم عنصريتهم ، ينسى هؤلاء ان المعجزات تتم كل يوم في التليفزيون الامريكي على يد اصحاب شركات أو محطات التليفزيون الدينية ، وكلها دجل حيث نرى مشلولا يشفى على الهواء واخرس يتكلم .. الخ .

ويقرر المجتمعون : « لا ينبغي ارسال اي منصر للشرق الاوسط لا يؤمن بالمعجزات » ص ٣٢٠ .

كيف يكون هذا تدينا الذي يعتمد الغش والنصب واستغلال التخلف .. ؟! صلوات الله على نبينا وسلامه خسفت الشمس يوم وفاة ابنه ابراهيم وقال الناس من تلقاء انفسهم ، خسفت الشمس لموت ابن النبي .. ماذا عليه لو سكت لدعم ايمان الناس بكلمة الرب ؟! حاشا وكلا ما كان ليفعلها نبي صادق . فالله لا يغرر

ندي قدم دجالة تجرى عمليات جراحية لاستخراج الحصى من الكلى بالأرواح ولم يتحرك أحد للقبض عليها (انظر تعليقنا : الاخبار ٢٢/ ١١/ ٩١) .

بالناس ولا يحتال عليهم .. هرع رسول الله في غمرة حزنه على ابنه فنادى في الناس ، ليست هذه معجزة من صنع محمد ولا هي من اجل محمد انما الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد من البشر !! هذا هو الدين الحق !

والى جانب العامة من الجهلاء يسعى الى المنصرين فئة هي اشبه بالذين كانوا يشترون الحماية من القناصل في القرن التاسع عشر طلبا لامتيازات الجنسية وليس اعجابا ولا اقتناعا بها ! فالتقرير يعترف :

« الكثير من المسلمين النصاري هم اما مراهقون او شباب غير متزوجين وفي بعض المناطق تكون غالبيتهم من الفتيات أو النساء المسنات » ص٣٧٨ .

« كثير من المتنصرين لا يريدون ان يتحكم فيهم المنصرون ، ولكنهم في ذات الوقت يشتكون من الاهمال وكثيرون منهم يأملون في ان يقوم المنصر بترتيب امورهم حتى يتمكنوا من الدراسة في الخارج أو يساعدهم ماليا » ص ٣٧٩ من بحث بعنوان « ملامح الكنيسة في شمال افريقيا » . وانظر ما قلناه في الفصول لسابقة عن التبشير وقانون الردة .

انهم البؤساء المتشردون الذين يهرعون للخواجا يطلبون بقشيشا وهم على استعداد لأن يبيعوه اي شيء يرضيه ويرضي حتى مزاجه الشاذ ، وها هو خواجه لا يقبل شذوذه شراء الجسد وحده بل الروح ايضا .. والبائس المطحون الذي حرم من تعاليم دينه ، ومن فرصة دنياه بظهوره في العالم الثالث الذي افقره الاستعمار المسيحي ويظلم مستقبله بالديون والحروب ، فهو كفرد عاجز محروم حتى من الايمان والامل ، على استعداد للبيع شرط ان يدفع الخواجه الثمن ، ولكن الاحمق يريدهم ان يتحولوا لاصحاب رسالة ، لبناة كنيسة جديدة يقبض عليها هو وحده من الامريكيات ! ويكتشف الخواجا متأخرا أنه : « سيكون من غير الطبيعي ان يكون هم المنصرين الاول هو انشاء كنيسة ، ان النصارى من عرب الشرق الاوسط لا يقدمون مثلا يحتذى به حيث انهم آثروا الهجرة الى الغرب وتحسين مستواهم الاقتصادي على الرغم من قلة الاضطهاد الذي يتعرضون له بدلا من التضحية

بأنفسهم في سبيل ازدهار الكنيسة في اوساط المسلمين العرب » ص٣٨٠ .

كل يغني على ليلاه ! ونقبك على شونة يا خواجا .

كذلك يعترف التقرير ان كلمات الانجيل على لسانهم لا تجذب الا المتسولين او بالأحري الذين يريدون طرد الجوع والمرض لا الارواح والعفاريت ، فهم لا يعرفون عفريتا اسوأ من الشيطان الابيض الذي خرب بلادهم : « فخلال عمل المنصرين في القرى الباكستانية لعلاج الناس وطرد الارواح الشريرة احاط بهم المسلمون من ذوي الحاجة من كل حدب وصوب » ص ٢٤٦ .

« بالنسبة للطالب المصري فإن محيطه السياسي ــ الاقتصادي يشتمل على اعتبارات كثيرة مثل الفقر والانفجار السكاني وفرص العمل المتاحة وموقفه من حكومة السادات .. الخ » ص ٢١٤ .

بل هم لا يتورعون عن استخدام الكوارث والمجاعات ، : « يمكن ان تشعر مجتمعات وقبائل وعشائر بأكملها أو غالبيتهم بالكرب والقنوط نتيجة المحن التي مروا بها وهكذا فإن فكرة جديدة توفر آمالا بالتغلب على المصاعب والالام ربما تلقى انتشارا واسعا » ص٢٧١ .

لا يستبعد ان تدبر هذه الجماعات بعض هذه الكوارث من اجل تمجيد اسم الرب أليس اسلافهم هم الذين كانوا يقتلون الجسد على دولاب التعذيب من اجل خلاص الروح ويرون في العذاب الوحشي الذي ينزلونه بالمخالف لهم ، نعمة يهدونها اليه لأن عذاب الجسد مؤقت اما نعيم الروح فسرمدى ابدي ... هل نستغرب ان يدبروا مجاعة لشعب أو قبيلة يموت نصفها ويفوز نصفها الآخر بملكوت الله ؟! لا حد لما يمكن ان يرتكبه من يؤمن بوحشية انه المكلف بهداية الجنس البشري مهما تكن الوسيلة .

وقبل ان ننتقل الى اهم قرار للمؤتمر نتوقف لحظة عند قضيتين وردتا في تقارير المؤتمر ففيهما عبرة وحجة . .

الاولى هي ان المؤتمر قد انعقد في عام ١٩٧٨ اي عشية الثورة الايرانية ، ونظام الشاة قد وصل الى حضيض الدور الذي رسموه له في عداء الاسلام أو كما شهد تقرير المبشرين بحق : « ان شعور الايرانيين وكثير من المراقبين هو ان الشاه آيل للسقوط في اي وقت ما في المستقبل والسؤال الرئيسي هو من الذي سيخلفه . ومن المتوقع ان يكون أي نظام آخر أقل ايجابية تجاه النشاط التنصيري الحالي في ايران والكثير يعتمد على نوعية الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة للنظام الحالي . » ص ٤٤٩

فالشاه كان اداة المبشرين وسوطهم ضد الاسلام ، والمساعدات التي تقدمها الحكومة الامريكية هي التي تخزي عين الحاكمين عن نشاط المبشرين بل تجعلهم يسفكون دم من يتصدى للمبشرين أو يحاول حماية افراخ المسلمين من غربانهم .. وهذه المساعدات ليست مالية فقط ، ولا دائما ، بل يكفي مجرد الحماية من غضب الشعب او الايهام بهذه الحماية ، ولعل هذا يفسر الآن الحملة المسعورة التي شنت من كافة القوى الصليبية ضد الثورة الاسلامية .

وفي الربع ساعة الاخير من حكم الشاه تفتحت شهية المبشرين لتنصير ايران : « يبدو ان ايران كانت اكثر الدول استجابة للجهود النصرانية من بين الدول التي يشكل فيها المسلمون اغلبية فهي الدولة الاسلامية الوحيدة التي انشئت فيها كنائس للمتنصرين » ص ٤٣٠ .

« هناك حالة من التوقع في ايران اذ لاحظ الكثيرون انفتاحا جديدا ونضوجا مرتقبا للحصاد في اوساط المسلمين . عدد المتنصرين في ايران الف شخص » ص٤٣٤ « التجديد القومي الحالي . في ايران ـــ يحمل تأكيدا وتركيزا على التراث الثقافي الفارسي وليس على الطراز الاسلامي ومن المدهش حقا ان الزرادشتيين يشهدون بعثا كبيرا نتيجة ارتباطهم بالتاريخ الفارسي الأول وهذه العملية بعيدة عن التوصل الى حل في الوقت الحاضر .. ليست هناك دلالة على ان ايران الحديثة ستعود الى مبادىء الاسلام الصارمة ولكن الاكثر احتمالا هو استمرار الاضطرابات

التي تؤدي الى تأسيس دولة علمانية ترتكز على قاعدة شعوبية وتقدمية » ص ٤٣٨ .

« ان نمو المادية والعلمانية في ايران يشكل تهديدا حقيقيا بينما للقومية حساناتها ومضارها فالارساليات التنصيرية تعتبر نمو المادية والعلمانية قد يؤدى الى انفتاح أكبر في قطاع من المجتمع نحو التنصير كما قد يؤدى الى تخفيف حدة العداء لتنصير المسلمين » ص ٤٣٩ .

« ان شباب إيران قد خاب املهم في الاسلام » ص ٤٣٩ .

« ان الحكومة هي وبطرق عديدة اسوأ عدو للاسلام في ايران لأنها هي القوة الدافعة نحو التغريب والتحديث أما الكنيسة فعلى الرغم من جمودها في هذه الفترة فلديها فرصة كبيرة وسط تلك العناصر التي تعتبر بؤرا للصراع والنزاع على تغيير القيم المستمر » ص ٤٣٩ .

ولكن المبشر في تدبير والرب في تدبير ومكروا والله خير الماكرين .. ما كانت خيانة الشاه ولا علمانيته ولا ماركسية حزب توده ولا الدعم الامريكي ولا المخابرات الامريكية والسافاك الشاهنشاهي ، بالتي تسلب إيران دينها ... وكانت ثورة الاسلام في إيران وانهارت احلام المبشرين تحت انقاض عرش الشاه وهذا جزاء كل من يعادي دين الجماهير ويساعد المبشرين بإذن الله .

هذا عن العبرة لمن شاء ان يعتبر(*) .

أما عن الحجة فقد قرأنا اعترافاتهم عن نوعية وعدد من يتنصرون من بؤساء المسلمين عقلا وثقافة ، رغم كل ما تحت يد المبشرين من وسائل الاغراء .. وفي

(*) وفي تونس عندما تنبه بعض المسئولين لأهداف المبشرين وقال وزير التعليم في عهد بورقيبة : « ان الاستعمار له هدف ثقافي خفي فهو يريد ان يعيد الى الوجود ما يعرف بافريقيا النصرانية القديمة التي كانت في عهد اغسطين وقد ادعى كرد فعل على ذلك ان الاسلام الذي نستطيع من خلاله حل كل مشاكلنا ونحتفظ من خلاله بثقافة مميزة عن الاخرين » ص ٣٧٤ تحرك المبشرون ومن خلفهم ومن أمامهم وضرب الاسلام والمسلمين ! وهم يخططون الآن لتنصير جزيرة جربه ٦٤٢ .

المقابل ، ننقل بعض ما قالوه عن انتشار الاسلام في عقر دارهم .. بلا مبشرين بل وفي وقت كان ذات العرب الذين يتهمونهم الان بتمويل الحركات الاسلامية ، لا يجدون لقمة العيش ، بحث الانسان الامريكي المضطهد عن القيم الاسمى ، عن الطبع الاصيل وليس التطبع ... الناس يعتنقون الدين الجديد أو حتى المبادىء البشرية ، لما تحمله من قيم اسمى ومبادىء من شأنها تطوير الانسانية كلها .. لا من اجل جرعة دواء أو لقمة عيش ، خلفها فكر فاسد عنصري .. لقد ثار الانسان الاسود في امريكا على التمييز العنصري بسبب لونه واصله الافريقي ، ولم يجد لا في سلوك الكنيسة ولا في تعاليمها ، ما ينير الطريق لإزالة هذه الوصمة من تاريخ البشرية .. الكتاب المقدس يقول له ان لونه الاسود هو عقاب ، لعنة ابدية لأنه ضحك من عورة أبيه نوح ، وانه استحق بذلك لا اللون الاسود فقط بل العبودية لأخويه وهكذا اقترن السواد بالعبودية ..(*) والكنيسة لم يظهر في تاريخها اسود الى ان استقلت افريقيا وارادوا رشوتها ! .

بحث المثقف الاسود عن دين يرفض العنصرية عقيدة وسلوكا فاكتشف الاسلام .. ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء .. ان الله لا ينظر لوجوهكم بل لاعمالكم ومنذ الرسول الى اليوم يوجد اسود في كل قمة اسلامية رضوان الله على بلال واسامة بن زيد وعمار .. الى ولي عهد الكويت ! .

ولكن هذا القول على لسان المبشرين احلى واوقع :

« في جامعة كولورادو في مدينة بولدر على سبيل المثال يبلغ معدل حضور صلاة الجمعة أكثر من ٥٠ طالبا » ص ٣٣٤ .

« ان انضمام الناس للاسلام في الولايات المتحدة ليس باعداد بسيطة ولكن بالآلآف وبشكل اساسي وسط الامريكان السود » ٣٣٤ .

وبعد ان اشار التقرير الى دور اليكس هيلي قال ان « أول من دعا الى الجذور

(*) كلمة عبد وأسود يعبر عنها بلفظ واحد في اللهجة الامريكية وهى نيجر .

هو اودار دليدن وهو هندي غربي اسود اتى به الى امريكا آحد منصري الكنيسة وعندما حرم من التعليم العالي في امريكا بسبب لونه ، هاجر الى ليبيريا في عام ١٨٥١ وفي السنوات التي تلت ذلك بحث ثم تحدث وكتب عن تاريخ السود وعن علاقة السود بالاسلام وفي كتابه : « النصرانية والاسلامية والعنصر الزنجي » اعلن أفضلية الاسلام للشعوب الأفريقية . والاهم من ذلك كانت كتابات و .ب . ديبوا لقد هوجم ديبوا وافترى عليه من قبل الكنيسة لميوله الشيوعية ولكنه احتل مكانا مرموقا عند معظم السود وفي كتابه « الزنوج » الذي نشر في عام ١٩١٥ سرد الماضى والمجد الاسلامي للسود واطرى بافراط عدم وجود تمييز عنصري في عالم الاسلام . وقد بنت القصص اللاحقة والمعاصرة عن تاريخ السود والتي تدرس للامريكان السود اسلوبها على كتابات ديبوا واكدت على هذه النقاط . كان أول اسود يؤسس جماعة على هذه المبادىء هو « تموشى دور علي » حيث انشأ عام ١٩١٣ ما سماه المعهد العلمي المغربي في مدينة نيوآرك في ولاية نيوجرسي ، واعقب ذلك انشاء معاهد اخرى في انحاء الولايات المتحدة ووصل اتباع هذا الرجل الى ٣٠٠٠٠ ويجب ملاحظة ان الكثير من ديانة هذا الرجل تستمد اصولها من النصرانية أكثر من الاسلام ... ولما مات تموشي علي ظهر في عام ١٩٢٠ في ديترويت رجل اسمه ولاس فارد اسس ما اسماه امة الاسلام وكسب اتباع درو على فلما اختفى في ظروف غامضة ١٩٣٤ تولى نائبه اليجا محمد من شيكاغو كما أنه هو الذي وضع نظرية لا هوتية عنصرية للمسلمين السود .. البطل عند المسلمين السود الشباب لم يكن مارتن لوثر كنج وانما مالكوم اكس الذي تعتبر سيرته الذاتية الكتاب الاكثر رواجا بين السود ومن قرأ اكتابه سوف يتذكر الفصل المثير الذي يتكلم فيه عن اداءه للحج وكيف ذهب الى مكة واختلط متساويا مع اناس من كل الألوان ومن كل الأقطار ». ووصل اعضاء جماعة امة الاسلام بعد تحوله للاسلام الصحيح وترك العنصرية الى « ٧٠٠ الف وبلغ عدد قراء صحيفتهم الأسبوعية اخبار البلاليين (نسبة الى سيدنا بلال رضي الله عنه) والتي كان اسمها سابقا : « محمد يتحدث » الى ٩٥٠ ألف قارىء » ص ٣٣٦ .

« السود المشهورون الذين تحولوا الى الاسلام وعلى رأسهم محمد علي الذي اصبح بطلا اسطوريا عند السود بسبب المعاملة غير العادلة التي يعتقد انه تعرض لها عقب اعتناقه الاسلام » « وفي ميدان الرياضة الذين اعتنقوا الاسلام مثل كريم عبد الجبار وجمال ويلكز واحمد رشاد هؤلاء ليسوا كبارا ولكنهم اكتسبوا شهرة بسبب بروزهم » ص ٣٣٦ .

« في جنوب كاليفورنيا الذين ينضمون الى الجماعة الاسلامية من السود يلقون عناية كبيرة من الجماعة فوجودهم يؤكد ايضا للمسلم صدق عقيدته ولقد استمعت لإفادة عدد من هؤلاء المتحولين وهم في العادة من اصل نصراني وغالبا يتحدث الاسود عن انجذابه للاسلام بسبب عدم وجود تمييز عنصري فيه على نقيض النصرانية وهؤلاء المتحولون للاسلام هم في العادة من ذوي التعليم الجيد والقدرة على عرض عقيدتهم الجديدة على الاخرين وخاصة السود وتحدثت ايضا مع احدهم في مدينة دينفر وهو مرشد في المجلس المحلى وله كتابان عن الاسلام أُعدا بصورة جيدة » ص ٣٣٧ .

وكان من الطبيعي ان يفغر الحاضرون افواههم ، عند سماع هذه الحقائق على لسان مبشريهم ، فهم ينفقون الملايين ليجندوا الشواذ والمتخلفين والاميين والمؤمنين بالعفاريت وطالبي بطاقة السفر للخارج ، بينما الاسلام — رغم كل جهود المنتسبين اليه — يكسب الناس في امريكا بالآلآف .. وفي مقدمتهم صفوة المثقفين من المؤلفين والكتاب ثم نجوم الرياضة الذين يعيشون في ارقى مجتمع من الناحية المادية . وان ذلك لا يحدث الآن فقط بل من منتصف القرن التاسع عشر يوم كان المسلمون في جزيرة العرب لا يعرفون شيئا عن دينهم . .

عندما يكسب المبشرون ساقط توجيهية ، باغراء السفر للخارج ، ويكسب الاسلام بحجته العقلية وسجله التاريخي ، وحدهما ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسى بل من كانت كتبه تدرس في جميع الاحزاب الشيوعية (*)

(*) روجيه جارودي .

عندها يحق ان يسجل التقرير : « لقد ادهش هذا البحث العديد من المشاركين فقد وجدوا انه مذهل لا يصدق ومزعج وقالوا هنا توجد من حولنا مجموعة من المسلمين في ديارنا تمر بفترة انتقالية وهي بعيدة عن الضغوط الاسلامية التي يمكن ان تؤثر على ثقافتهم .. هي مجموعة يجب الا نتجاهلها » ص ٣٤١ .

على اية حال لا مجال لأن يتهمنا أحد بأننا نخاف من المبشرين على عقيدتنا أو نتهرب من المحاورة .. وانما نحاذر الفتنة ونرفض التسلل والعدوان على القاصرين والقاصرات .. نرفض هذه الاساليب التي لا تمت للخلق القويم فضلا عن الدين .. فهو يتحدث عن : « قس ارثوذكسي » يبدو انه مازال يواصل مهمته فقد اختاروا له اسما حركيا وهو ابراهيم وقالوا انه : « ولد من جديد » (وهذا يعني انه خرج من الملة القبطية واعتنق البروتستانتية) و « الرب ارسله للعمل على تنصير المسلمين في الشرق الاوسط » « وقد ادهشني امرين ان القس ابراهيم استطاع ان يعمد مئات المسلمين في بلد لم يتم فيه تنصير مسلم واحد والثاني ان الرب شاء ان يستخدم قسا ارثوذكسيا كي يكسب المسلمين في بلد توجد فيه كنيسة بروتستانتيه محلية قوية جدا(**) » ص ١٢٣ .

« لقد تعامل القس ابرهيم مع الاسر الاسلامية كوحدة كاملة وركز على رؤساء الاسر الذين يكونون عادة صانعي القرار في المجتمع الاسلامي وقد تم تعميد الاسر كوحدات كاملة » ص ١٢٣ .

اي كان يكرز بالجملة وبالبطاقة العائلية ! .

« وضع القس ابراهيم على رأسه قبعة تشبه العمامة ولبس جلبابا طويلا يشبه اللباس الذي يلبسه علماء المسلمين » ص ١٢٤ « كانت ملابس القس ابراهيم ومظهره تتطابق وفكرة المسلم عن العالم الديني .. والصلاة تمت على الطريقة الاسلامية » ص ١٢٥ .

(**) لاحظ الاستعلاء .. تبارك الرب الذي لا يتعفف حتى من استخدام قس ارثوذكسي !

هل هذا رجل دين أم ابو الفتح الاسكندراني (***) ! أو اللص الظريف حافظ بك نجيب ! احد الحاضرين اتهمهم بالنصب وقال ان القس ابراهيم لم ينصر المئات « اني اعلم الحقيقة ان العدد لم يتجاوز خمسة وعشرين شخصا .. » رغم كل هذه البهلوانية ، وهو يدعي انه يتصرف كشيخ ولكن هذا الشاهد الذي فضحه اثبت أنه يسلك سلوكا لا يقدم عليه شيخ أو مسلم شريف ولا حتى قس أمريكي ! « ان روح القس ابراهيم هى التي تأسر المشاعر اما طريقته فهي جوهريا انماط قبطية وارثوذكسية وانه على استعداد لأن يصق في الاوعية والقناني كي يأخذها الناس معهم للتبرك وليعطوها للمرضى كما انه على استعداد لأن يسمح بالتمسح بثوبه لمن يريد البركة » ص ١٢٨ .

واصحاب الغبطة والنيافة المونوسيرات المجتمعون لنشر كلمة الرب يعلنون انهم لا يتورعون عن تضليل المسلمين باتخاذ حركات تجعل المسلمين يظنونهم منهم وهكذا يفعل الجواسيس وحرامي الفراخ :

« لقد حدثنا احد ابحاث مؤتمرنا عن كاهن قبطى يعمل في ميدان التنصير ويؤدي الصلاة والطقوس الدينية تشابه ما يجري في الجامع ، واكتشف ان صلواته اصبحت اكثر شعبية ويحضرها كثير من الناس ، وقد عرف عن تمبل كريدنر الذي ذكرته سابقا استعداده لتجريب طرق مختلفة لتبليغ النصرانية للمسلمين في مصر ، وقد كان شغوفا بصورة خاصة بالدراما والموسيقى والشعر . وفي بنجلاديش توجد حركة بين الشباب المسلم المتنصر لمتابعة لقائهم في الجامع كل يوم جمعة لممارسة عبادتهم النصرانية ، حيث يستعملون اشكالا اسلامية في محتوى نصراني » ص٣٥ .

بل ان السادة المبشرين لا يتورعون عن التغرير بالمسلم القاصر ولو بسب الصليب اهم رمز في المسيحية فهم يبشرون ــ بالطبع بين الدهماء ــ ان « المسيح

(***) نصاب مقامات الهمذاني .

هو المهدي المنتظر الذي يكسر الصلبان لأنه هو انكسر فوق واحد منها » ص١٤٩ .

فالذي مات على صليب لا يمكن ان يحب الصليب ! واعتقد أنه لو سأله مسلم فلماذا تحمل أنت الصليب ؟ لرد عليه لكي يكسره المسيح أو المهدي ، فلو كسرناها الان فماذا سيفعل عندما يأتي !! هذا نشل للارواح وليس تبشيرا ولا هداية وقد علق احد الحضور ممن لا يفهم اللعبة تماما فقال « من الذي ينزعج من الصليب نحن أم هم ؟ فإذا غيرنا كل ما يضايق المسلمين ويزعجهم فماذا نفعل بالصليب ؟ نحن لا نستطيع تغييره ولذا سيبقى دائم مصدر مضايقة لهم ، هناك خطر ان نصبح مهتمين بعلم الاجناس ونفشل في ان نعطي الروح اهتمامنا » ص ١٥٣ .

مسكين هذا الساذج مازال يفكر في امر الارواح .. هذا شغل مخابرات ومافيا لا تهدف لأكثر من تخريب جبهة النفط ، وانهاء المواجهة ضد اسرائيل ولو طلب منهم صلب المسيح لكي تنجح اهدافهم ما ترددوا ! .

ويتحدث تقرير للمؤتمر عن استخدامهم للاذاعة لتسويق العقيدة وصيد المسلمين فيقول بالحرف : « في هذه المرحلة لم تقدم الاذاعة اية رسالة نصرانية ولكنها برامج فقط تكون بمثابة « طعم » لجعل المسلمين يستمرون في الاستماع الى برامجنا . وقد يسر لنا الرب منشدا للنصوص المقدسة ذي صوت جميل ينشدها كما يرتل المسلمون القرآن ، ان قراءة الكتب المقدسة بهذه الطريقة غيرت الموقف تماما فقد وردتنا مثل هذه الاستفسارات : اي جزء من القرآن يقرأ ذلك المرتل ؟! وقد ارسلنا للسائل الانجيل مع الاجابة بأن القراءة كانت من الانجيل الشريف أو من الزبور أي المزامير » ص ٥٧٨ .

وحصلوا على برامج تعلم الانجليزية من الاذاعة البريطانية « حيث أن اللغة الانكليزية مهمة لكل عربي يرغب في متابعة تعليمه أو يود الهجرة وقد اجرينا تعديلات على السلسلة استخدمناها كطعم وكنا نتوجه بالسؤال عما اذا كان المستمع يرغب في نسخة مجانية من كتاب يحتوى على العربية والانجليزية جنبا

إلى جنب ، وعندئذ نرسل إليه نسخة من الانجيل بالعربية والانجليزية (!) وكنا محظوظين اذا كان بيننا شيخ مسلم متنصر يعد لنا البرامج وكان يلقي الموعظة كشيخ مسلم وبنفس الاسلوب ولكن كان المحتوي من الانجيل وكان برنامجه يقدم دائما يوم الجمعة .. وكنا نستخدم دائما مصطلحات اسلامية .. الرب قادنا وكنا مندهشين للاستجابة التي وجدناها ليتمجد اسم الرب » ص٥٧٩ .

ما الفرق بين هذا الاسلوب واسلوب الذي يهلل في السوق على شربة الدود فإذا هرع اليه الفلاحون الذين تطحنهم البلهارسيا وتزاحموا عليه قام اعوانه بنشل محافظهم .. ثم ينصرف النصاب والنشالون يحمدون الرب على هذه الاستجابة والستر .. ويقولون كله من توفيق الله !

وهم في اندونيسا استغلوا كل الوسائل ، حماقة الجماعات الاسلامية التي جرتها المخابرات الامريكية للانقلاب على سوكارنو بحجة انه شيوعي .. ثم انطلقت هذه الجماعات تثأر من الشيوعيين وهنا تدخلت الكنيسة ففرضت الحماية على الشيوعيين بشرط ان تكون الروح هي الثمن اي انها تحمي فقط من يتنصر .. ومع انهيار الوضع كانت الجمعيات التبشيرية هي الاغنى والاكثر عدة في الخدمات « الاقلية المسيحية كانت تدير عددا من المستشفيات اكثر مما تدير الاغلبية الاسلامية » ولكن هل اكتفوا بكل هذا التفوق ؟!

لا .. لابد من النصب فاصدروا « الترجمة الجديدة للقرآن الكريم مكنت المسلمين من ان يقرأوا عن عودة يسوع المسيح في يوم الحساب وهو مفهوم لا يرد ذكره في القران » ص٦٢٩ .

وهم لا يتورعون كما رأينا عن استخدام العلمانية والماركسية بل الالحاد لافساد عقيدة المسلم ليتمكنوا منه بعد ذلك :

« يمكن مد الثقافة الاسلامية بما فيه الكفاية للمؤمن بحيث يصبح ملحدا بينما يستمر في وصف نفسه انه مسلم » ص١٤٤ .

« اشار المشاركون مرات عديدة الى ان الافكار الانسانية الماركسية قد جعلت المسلمين في بعض الاوضاع الاسلامية المعينة يفكرون بيسوع وتعاليمه بطريقة لا يمكن ان تحدث اطلاقا داخل دولة اسلامية ديكتاتورية وقد رصدت مثل هذه الحالات بين الصوماليين » ص٢٧٩ .

اسلامية يعني ديكتاتورية !! أما الماركسية فأصبحت انسانية لأنها تفتح قلوب المسلمين لغواية المبشرين ! على أية حال هذا اكتشاف متأخر من جانبهم ، فقد تنبهنا له وقلنا إن الولايات المتحدة إذا ما استعصت عليها بلد بسبب إسلامها ، سلمتها للدب الروسي الذي يقوم بمهمة كسارة البندق ، فاذا فتحها انقض النسر الامريكي وأخذ الثمرة .. والغريب اننا استشهدنا وقتها بمثال الصومال بالذات حيث كنا نعرف ان ديكتاتور الصومال هو عميل امريكي تزى بالزي الشيوعي لكي يتمكن من القضاء على الاسلام واللغة العربية بشعارات يسارية .

وقد ورد في ابحاث المؤتمر اشارات الى كنائسنا الوطنية ، ورغم تغير التاكتيك فإن المنطلق والغاية لم يتغيرا .. فهي كنائس ميتة — في تقديرهم — وان كانت ملامح الحياة بدأت تدب فيها بفضل النشاط التبشيري بالطبع وبنفخة من روح الفتنة الطائفية التي اشعلها المبشرون ! « يظهر أن الرب يقوم ببعث الحياة ***في اجزاء*** من الكنائس القبطية في مصر . » ص٥٨٥ .

كذبتم ! كنيستنا الوطنية حية ، وصمدت لجيوش روما وبيزنطة ، وستصمد لتخريب المبشرين ، سيحميها الاشقاء المسلمون ، كما فعلوا لألف وخمسمائة عام . ولن نسمح لكم بتجزئتها !

وهم على استعداد لمساعدة هذه الكنائس ضد المسلمين واستخدامها : « هل نستطيع مساعدة الكنائس التي تحيطها اغلبية اسلامية على التغلب على المشاعر التي تسودها كأقلية » ص١٢٣ .

« ادراكاً منا بأن القوة الاساسية التي لم يتم تحريكها حتى الآن في عملية تنصير

المسلمين هي المجتمعات والجاليات النصرانية المنتشرة في ارجاء العالم الاسلامي ، علينا أن نسعى الى تركيز اهتمامنا على كافة الكنائس المحلية القائمة من اجل تدريب وتهيئة القساوسة والاتباع من اجل ادراك جديد بالاسلام . » ص٦٧ .

ولكنها تبقى منبوذة يستحسن ابعادها لكي لا تشوش على عملية انشاء كنائس الانجيليين :

« ان تطوير شهادة نصرانية (انجيلية) فعالة نحو المسلمين قد يتطلب ان نتجنب على اقل تقدير بعض المجتمعات النصرانية الموجودة في الاراضي الاسلامية » ص١٧١ .

« وعلى أية حال ، حيث توجد مقاومة وتردد من جانب النصارى الوطنيين لأن يقوموا بالمشاركة في هذه العملية سوف نسعى الى تطوير كنائس مستقلة للمتنصرين » ص٦٩ .

الكنيسة المستقلة !

ما هي حكاية الكنيسة الجديدة .. أو القضية التي كانت محور هذا الاجتماع التاريخي والحاسم أو فتح الفتوح كما اطلق المبشرون على مؤتمرهم هذا .. انها كنيسة تهدف الى خلق فتنة وتفرقة في صفوف المسلمين وداخل صفوف المسيحيين العرب ، وبينهم وبين مواطنيهم من المسلمين ، في نفس الوقت ، انها فكرة جهنمية تتسم بكل خصائص العدوانية الامريكية واخلاقيات السوق وفن التخريب الذي تمارسه المخابرات الامريكية .. انها لا كنيسة و لا جامع ! ومن ثم ستكون في صدام وشقاق مع الكنيسة القبطية والجامع .. انها كيان جديد يسمونه المسجد ــ العيسوي وان كانوا قد اختلفوا هل يسمون اتباعه الذين هم من المتنصرين المسلمين هل يسمونهم مسلمين / نصارى ام نصارى محمديين !

« نقترح استخدام اصطلاحات مثل نصارى ــ مسلمين أو مسلمين ــ نصارى

للاشارة الى اولئك الذين يسلمون انفسهم للرب من طريق السيد المسيح بينما يبقون ببساطة مسلمين ثقافيا » ص١٦٧ .

« طالب المجتمعون ان يكون التعبير المستخدم هو : النصارى المسلمون » ص١٧٦ .

ولنبدأ الحكاية من البداية .. لقد اكتشف المبشرون استحالة الخروج الصريح ، الكامل الاقتناع ، للمسلم من الاسلام للمسيحية ، لاعتبارات عديدة ، اشرنا الى بعضها ومن اهمها تفوق الايديولوجية الاسلامية على الايديولوجية الرائجة بين المسحيين ، حتى على المستوى الشعبي وعندما أرادت مجلة التايم ان تلخص الخلاف المسيحي ــ الاسلامي وتحدثت عن التوحيد الاسلامي مقابل الثالوث المسيحي علقت .. اذا كنا سننظر للثالوث بمعنى ثلاثة مفردات فالمسلمون على حق في رفضهم واتهاماتهم .. ولم تقل ما هي النظرة التي تجعل المسلمين غير محقين ! لأنه ببساطة لا هيئة تحرير التايم و لا الكنائس مجتمعة تستطيع اعطاء تفسير اخر مقنع ، وخاصة للرجل البسيط الذي يعرف ان واحد زائد اثنين تساوي ثلاثة ! وكما رأينا فإن مثقفين مشهورين اعلنوا ان ذلك التصور غير قابل للفهم ، وانما يؤمن به اولا وقبل الفهم .. ويستغنى بالايمان عن الفهم .

كذلك فإن الدخول المسيحي العلني على المسلم يستفز مشاعره القومية والثقافية وتراثه التاريخي .. الخ .

وقد رأينا ان المبشرين تنكروا له في زي اسلامي ورتلوا الانجيل بقراءة ورش ! ليغرروا بالمهتدين الجدد « في بحث قدمه بشير عبد المسيح : « هل يمكننا ان نكون قد اتبعنا النموذج الذي اعطانا اياه المسيح في التجسد اذا ما قمنا بلبس العمائم والجلاليب وذهبنا الى اماكن عبادتهم حتى لو نظر الينا الناس خطأ كمسلمين ؟ » ص١١٧ .

ولكن بعد ان نجح التغرير واتبعهم من اتبعهم .. أين يذهبون بهم ؟

هم لا يريدونهم في الكنيسة القبطية أو المحلية فكما قلنا الف مرة ان هذه الكنائس مستهدفة من المبشرين الذين عداوتهم لها لا تقل عن عدواتهم للاسلام وان احتالوا عليها بزعم مواجهة العدو الشترك ! ثم هم يقبضون على الرأس من كنائسهم ومن يمولون هذه الكنائس وفي نفس الوقت هم لا يريدون هؤلاء الملونين في كنائسهم . وهم اذا انضموا للكنيسة بصراحة ، انحصر ضررهم في فتنة تنصرهم ، ولكنهم يفقدون اي تأثير على الوسط الاسلامي وهم يريدون لهذه العناصر ان تلعب دور الطابور الخامس ، واول شروط نجاح الطابور الخامس هو ان يكون مقبولا من المحيط الذي يخرب فيه .. بالاضافة الى ان معظم هذه العناصر التي تنصرت تحت وطأة الحاجة لا تستطيع ولا تريد أن تخون الاسلام علانية وبصراحة .. فما هو الحل ؟

تذكر المجتمعون تجربة القديس بولس الذي يلقبه البعض بالمؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية .. ماذا فعل بولس ؟

كانت كنيسة المسيح في فلسطين تبشر بين اليهود فقط ، وكان على من يريد التنصر ان يؤمن اولا بالشريعة اليهودية ، ولكن بولس عمل بين الاممين الوثنيين ، فكيف كان سيقنع هؤلاء باعتناق اليهودية لكي يدخلوا المسيحية .. كان ذلك مستحيلا أو مهمة فوق طاقته .. وسرعان ما اعلن التحلل من هذا الالتزام بسقوط الشريعة اليهودية ، وسقوط كل احكامها وتحريماتها بحيث ابيح للوثنى كل ما كان يبيحه لنفسه من طعام وشراب واعفاهم من الختان الشرط الاول في العبادة اليهودية .. « بولس لم يشترط ان يؤمن الناس باليهودية وشريعتها لكي يصبحوا مسيحيين وكذلك لا يشترط لكي يصبح الناس نصارى ان يغيروا لباسهم وطعامهم وتقاليد زواجهم وعلاقاتهم وافكارهم عن عبادة الرب وعبادة الاوثان .. » ص٧٦ .

وهذا صحيح لم تقتصر الاعفاءات الجديدة على الثياب والطعام والشراب بل اخذ بولس الرموز الوثنية فأعطاها طابعا مسيحيا وهكذا مزج بين الثقافة والفكر الهيليني بل والفرعوني المصري وبين الدعوة المسيحية فأصبح عيد الشمس هو

عيد الميلاد وعادت قصة الثالوث المصري الاب اوزوريس والابن حوريس والام ايزيس ، عادت نفس الايقونات ولكن باسماء مسيحية .. ولمن شاء تفصيل ذلك فليرجع الى كتابنا عن الانجيل أو الكتابات المسيحية العديدة .. كان بولس يسيطر بروحه العملية على مؤتمر المبشرين : « ولكي يكون المرء اداة بيد الرب لزرع الكنيسة في مجتمع اسلامي فليس لديه خيار الا ان يتبع نهج الرسول بولس »ص٥٦ .

« هل يمكن للمرء ان يكون مسلما ـــ نصرانيا كما كان المسيح والرسول بولس والكثير من اتباعهم عبريين ـــ نصارى ؟ » ص١٧٢ .

وكان الجواب بالايجاب فقد تنادت بحوث المؤتمر بتعديل كنائس المتنصرين المسلمين بحيث تصبح شبيهة بالجامع وان يعبد المسيح في هـذا '' الجامكس '' (*) بكل المظاهر الاسلامية :

« ان المتحولين عن الاسلام الذين يريدون عبادة المسيح بالسجود ، لهم مطلق الحرية ان يتعبدوا بهذه الطريقة وينوا معابدهم على هذا الاساس » ص ١١٩ .

« اذا كان الايمان بالمسيح يعني الانضمام الى مسجد نصراني أو جماعة صوفية نصرانية بدلا من الانضمام الى كنيسة نصرانية اجنبية فلربما تكون قرارات التحول الى النصرانية اكثر عددا واجدى نفعا مما كانت عليه في الماضي » ص٢٤٧ ..

وفي شمال افريقيا طالبوا المتنصرين بصيام رمضان ص ١٣٧ ولكن '' مليكه '' احست انهم يسخرون منها فرفضت وقالت : « النصارى لا يصومون رمضان .. » ظنت البلهاء انها بتنصرها ستصبح '' مدام '' مليكه وتنتمي للجنس الفرنساوي أو حتى الامريكي .. وهي ـــ في نظرهم ـــ لم تصبح اكثر من واحدة من النصارى البلدية !

(*) تسمية من اختراعنا اختصار لاصطلاح الجامع ـــ الكنيسة الذي هو من اختراع مؤتمر المبشرين أو ربما نقترح اسم '' مسراني '' من مسجد نصراني !

« ويلخص احد اساتذة الجامعات الامريكية في الشرق الادنى هذه المسألة على النحو التالي : الهدف غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخمْيرة التي تعمل داخل الكيان كله لتمكن روح النصرانية وتعاليمها من احداث التغيير الطبيعي . وبهذه الطريقة ايضا يمكننا ان نستوعب في الحظيرة النصرانية مسلما نصرانيا ، ولاهوتيا اسلاميا — نصرانيا محليا ، ونمطا محليا من انماط الاسلام النصراني . » ص ٥٩٦ .

فالهدف هو نسف الاسلام من الداخل بزرع هذه الفتنة في احشائه ولأن المؤتمرين اعترفوا بعمق الخلاف بين المنظورين الاسلامي والمسيحي .. « ان حوافز الاسلام والنصرانية متباينة تباين الهجرة والصليب » ص١٥٣ ورغم ذلك فكل شيء مباح للمسلمين المتنصرين من خلع الاحذية عند باب المسجد العيسوى ، والعبادة على طريقة المسلمين ورفض التناول بل حتى رفض الصليب والثالوث .. هو حر في الدين الجديد يرفض ما شاء ويتمسك من دينه القديم بما شاء ..

الا .. نعم الا .. ما هو الممنوع الآن ؟

أمران .. لو كنت اخترع أو اتقول لما تجاوزتهما ولكن المبشرين في اجتماعهم قالوهما بصراحة .. اقرأ هذه الفقرة :

« نقترح بأن تترك الاحذية عند الباب في المسجد العيسوي وليس هناك خسارة في القيام بذلك وان تكون هناك اوضاع متعددة للصلاة العامة والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الايدي وأن لا تكون هناك مقاعد وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون بذلك واعتبار يوم الجمعة أول الأسبوع والاحتفال بشهر رمضان كما يفعل جيرانهم المسلمون المحمديون .. **ولكن المصلين لن يولوا وجوههم شطر الشرق ولن يكون هناك اي شعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي** . » صفحة ٦٤٧ بحث بعنوان « تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين » قدمه دونالد ريكاردر .

هذه هو بيت القصيد

قطع الصلة بالشرق خيانة الشرق اعطاء ظهره لوطنه الشرقي والتبعية للغرب (*) .

والشرط الثاني : **التخلي عن الجهاد** .. لا دفاع عن النفط ولا الأرض ولا السيادة ولا تعرض لليهود المستوطنين لأرض العربي القاذفين اطفاله بالنابالم ، الناسفين بيته .. لا انتماء للشرق و لاجهاد ثم ضع حذاءك حيث شئت عندما تصلي لآلهة النفط حماة وعملاء اسرائيل .. بولس الرسول اباح اكل الخنزير ولكن حرم على المسلم وحده الدفاع الشرعي عن النفس والاتجاه أو الانتماء لجذوره الحقيقية !

هذه هي الكنيسة الجديدة التي تقرر اقامتها في بلاد المسلمين في مؤتمرهم في مايو ١٩٧٨ ونعتقد انهم قد قطعوا في تحقيقها شوطا كبيرا خلال السنوات التي انقضت من تاريخ القرار ، ولو سكتنا على مشروعهم هذا فنحن نتوقع الاتي :

١ ــ زرع طائفة جديدة تنشر الفرقة والخلاف بين الاقباط والمسلمين بعمليات التنصير من ناحية وايضا داخل كل طائفة فلا هم نصارى ولا هم من المسلمين ، هم فتنة شبيهة بفتنة البهائيين الذين تم استئصالهم في ايران بعدما ثبتت صلتهم بالصهيونية .

٢ ــ نشر الاضطراب في الفكر الديني عند المسلمين والاقباط وتضليل العامة .

٣ ــ المنتمون لهذه الكنيسة الجديدة لن يكونوا جميعا من العامة الذين سيصلون على النبي وهم يسمعون من يرتل الانجيل في الوهية عيسى على طريقة المسلمين !! بل ستضم عددا من المثقفين قد لا يذهبون الى هذا المكان الهزلي الجامعكس أو الكنجمع ، بل سيكون دورهم الترويج لافكار المبشرين باسم الاسلام يبدأون

(*) اليس هذا ما كان يدعو اليه الطائفي سلامة موسى في مقاله بعنوان : لنول وجوهنا شطر اوربا معارضا الامر الالهي الكريم . اقرأ بحثنا : سلامة موسى صفحة عار !

من الدعوة للحوار الاسلامي ـــ المسيحي (وليس بين المسلمين والمسيحيين) والتوفيق بين العقيدتين (وليس بين اتباعهما) لتهوين الخروج من الاسلام على العامة ، ثم حملات وتشويهات في الاسلام وجذوره ومبادئه الاساسية بدعوى مقاومة التطرف وهم يهاجمون ابو بكر وعمر وعلي بل يمسون الاسلام والقرآن ! وتنتهي باعلان تفوق المسيحية مثل تصريح : ان المسيحية هي الحل أو افضل حل متاح ! ، وهذه العناصر ستعمل تحت لقب الكاتب أو المفكر الاسلامي ! لم يعد من الممكن الآن ان يعمل مسيحي مبشر عدو صريح للاسلام مثل صموئيل زويمر '' مديرا لمركز الدراسات الاسلامية والمطبوعات بالقاهرة ويصدر مجلة « العالم الاسلامي » ويؤلف في نفس الوقت كتابا عنوانه الصليب يعلو الهلال ! غير ممكن وغير ضروري فقد ترك زويمر تلاميذ باسماء اسلامية يعملون الان باسم الاسلام العيسوي ويتحدثون عن الوفاق بين الهلال والصليب والحوار والتلاقي ومنع نقد عقائد المسيحيين ! وستصلت عليهم الاضواء ، من كل الذين يهتمون بنهب نفط المسلمين ، ومنع ثورتهم ، وتفتيت مواجهتهم لإسرائيل .. فالرب هو محبة اسرائيل !

فهل من حرية العقيدة ان نترك هذه الكنيسة المزورة واتباعها يعيثون فسادا في بلادنا ؟!

* * *
* *
*

فهرســـت الكتاب

الموضـــــــــوع	الصفحة
هذا الكتاب	٥
مدخل	١٣
هوامش وملاحق ومراجع المدخل	٩٤
□ **الفصل الأول** : صناعة الفتنة باسم الوحدة	١٢٧
هوامش وملاحق ومراجع الفصل الأول	١٧١
□ **الفصل الثاني** : تزوير التاريخ لزرع الفتنة	١٨٨
هوامش وملاحق ومراجع الفصل الثاني	٢١٣
□ **الفصل الثالث** : وجهة نظر مسلمة	٢١٧
هوامش وملاحق ومراجع الفصل الثالث	٢٦٥
□ **الفصل الرابع** : صناع الفتنة باسم اليسار	٢٧٧
وماركسي آخر	٣٣٥
هوامش وملاحق ومراجع الفصل الرابع	٣٤٥
□ **الفصل الخامس** : وجهة النظر الأخرى	٣٧١
هوامش وملاحق ومراجع الفصل الخامس	٣٩٨
□ **الفصل السادس** : الاساس والحل	٤٠١
مقترحات بقرارات عاجلة	٤٢٠
ملحق : آخر مؤامرات المبشرين ..	
الاسلام النصراني	٤٢٣

رقـم الإيـداع : ١٥٠٤ / ١٩٩٢
I.S.B.N. 977 - 260- 043 - 9
طبـع بـدار نوبـار للطبـاعـة

الكاتب والكتاب ..

من بين كتابنا المعاصرين يعد الأستاذ محمد جلال كشك صاحب أقدم مؤلف ضد الفتنة « **مصريون لا طوائف** » الصادر عام ١٩٤١ الكتاب الذى وصفه الأب سرجيوس بأنه أغنى الأقباط وأغناه هو شخصيا عن الشكوى ، والذى يعتبر مرجعا فى الوحدة الوطنية ، لمن أرخوا لهذه القضية . وبعد أربعين سنة تغير الكثير فى واقع المجتمع المصرى وعلاقات المسلمين والأقباط كما تطورت أفكار المؤلف وحلوله ، وإذا كان قد عالج قضية الوحدة الوطنية فى العديد من مؤلفاته وكتاباته فقد جمع فى هذا الكتاب الجديد

« ألا فى الفتنة سقطوا ... »

خلاصة ذلك كله مع تحليل صريح للكتابات التى يعتقد أنها تزرع الفتنة ، بزعم معالجتها . كما يقدم لأول مرة برنامجا لسد جميع الثغرات التى تنفذ منها اليد الأجنبية ، وكذلك - ولأول مرة برنامج تنصير المسلمين الذى أعده مؤتمر الكنائس الأمريكية .. وهو فى ذلك كله يلتزم بما جاء فى مقدمة كتابه هذا حيث يقول :

« .. فى القضايا الحساسة والمصيرية مثل قضايا الفتنة والوحدة الوطنية ، يصبح شر الحلول هو الحل التوفيقى ، وأسوا معالجة هى التى تحوم حول الظاهرة من الخارج أو تحاول اقتحامها على استحياء والتسليم مقدما بأن المشكلة أكبر من الحل المسموح به !! .. لنتذكر دائما .. أنه لحل القضايا الشديدة الحساسية يجب أن نفكر وأن نتحاور بلا حساسية .. لأنه ان تعفف المخلصون عن كشف ما فى قلوبهم ، فإن الفتانين لا يتورعون عن ملء الفراغ بأكاذيبهم » .

هذا الكتاب بصراحته ودقة مراجعه وأسانيده هو مساهمة متميزة فى كشف اليد الثالثة وانارة الطريق للوحدة الوطنية المصرية .

الناشر

مكتبة التراث الاسلامى